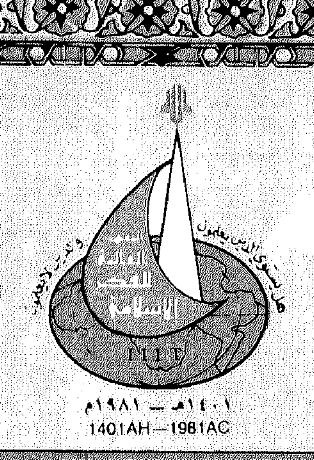


المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة تيسير التراث (٢)

علم النفس في التراث الإسلامي

إشراف وتقديم

أ . د . محمد عثمان نجاتي — أ . د . عبد الحليم محمود السيد

إعداد

د . إبراهيم شوقي عبد الحميد — د . طريف شوقي محمد
د . أسامة سعد أبو سريع — د . عبد اللطيف محمد خليفه
د . الحسين محمد عبد المنعم — د . عبد المنعم شحاته محمود
ـد يوسف — د . محمد أحمد شلبى
ـاب الله رضوان — د . محمد نجيب الصبرة
د . معتز سيد عبد الله



علم النفس في التراث الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

الكتب والدراســات التي يصدرها المعهد
تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

علم النفس في التراث الإسلامي

إعداد

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد
د. اسامة سعد أبو سريع
د. الحسين محمد عبد المنعم
د. جمعة سيد يوسف
د. شعبان جاب الله رضوان
د. طريف شوقي محمد
د. عبد اللطيف محمد خليفة
د. عبد المنعم شحاته محمود
د. محمد أحمد شلبي
د. محمد نجيب الصبوة
د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم
أ.د. محمد عثمان نجاتي
أ.د. عبد الحليم محمود السيد

الجزء الثاني

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
القاهرة
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

(سلسلة تيسير التراث ؛ ٢)

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
٢٦ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج . م . ع

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

نجاتي ، محمد عثمان .
علم النفس في التراث الإســــــلامي / إشراف وتقديم
محمد عثمان نجاتي ، عبد الحليم محمود السيد . - ط١. -
القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٦م .
٣مج ؛ سم . - (سلسلة تيسير التراث ؛ ٢)
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .
تدمك . - ٦٤ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧
١ - علم النفس
أ- السيد ، عبد الحليم محمود (إشراف وتقديم)
ب- العنوان
جـ- (السلسلة)

رقم التصنيف : ١٥٠ .
رقم الايداع : ١٠٠٩٩ / ٩٦

المحتويات

* رتبت الأسماء تبعاً لتاريخ الوفاة .

ابن الهيثم ، أبو علي الحسن : (ت٤٣٢هـ) [1]
مقالة عن ثمرة الحكمة

عرض : د. جمعه سيد يوسف

التعريف بالمؤلف (٣٥٤-٤٣٢ هـ) :

تقع حياة ابن الهيثم بين حوالي عام ٣٥٤ و٤٣٢هـ ، وهذه فترة ازدهار علم الكلام المعتزلي وبلوغه ذروة عالية في مؤلفات القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت٤١٥ أو ٤١٦هـ) والمرحلة الأولى من ازدهار علم الكلام الأشعري على يد القاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) .

وكان ابن الهيثم معاصراً لابن مسكويه (ت٤٢١هـ) وابن سينا (ت٤٢٨) وأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ) لكنه كان في أول أمره بالبصرة ، وأقام في الشام حيناً ، ثم استقر في مصر على عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت٤١١هـ) ، وفيها توفي إلى رحمة الله ، ولا يوجد بين أسماء مؤلفاته الكثيرة ما يدل على اهتمامه بمذاهب فلاسفة الإسلام المعاصرين له ، ومن الواضح أنه وجه كل اهتمامه - رغم كل شروحه وتلخيصاته لمؤلفات اليونان - إلى علوم الرياضيات والفلك والهيئة وفيها تجلى نبوغه .

لكن ابن الهيثم لم يكن منقطع الصلة بحياة الفكر الإسلامي في عصره من ناحية معينة ، هي ناحية العقيدة ومنهج إثباتها ، فرغم قوة الفكر الديني عند المتكلمين والفلاسفة ، إلا أنه كانت هناك اتجاهات مغايرة ، عُني باتخاذ موقف إزاء هذه الاتجاهات ، فألف في الرد على ابن الراوندي وعلى الرازي (الطبيب محمد بن زكريا) وآرائه في العلم الإلهي وفي النبوات ، كما رد على المعتزلة في بعض آرائهم .

يذكر من بين مصنفات ابن الهيثم " مقالة في حساب الخطأين " وفي الرسالة التي نقدمها ذكر هذا النوع من الحساب (مصدر الترجمة : مقالة عن ثمرة الحكمة تحقيق محمد بن عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٩١) .

عرض المقالة :

تقع المقالة في ٣٧ صفحة من القطع الكبير ، وبدأ الحسن بن الهيثم مقالته بقوله : " الحكمة علم كل حق وعمل كل نافع . وعمل النافع عسير جداً إلا لمن لطف حِسهُ ، واعتدلت قوة النفس الناطقة بحركتها فيه ، وذلك أن بدن الإنسان آلة لثلاث قوى نفسانية :

---
(١) تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة : د.ن، ١٩٩١ . ٣٧ص .

قوى النفس :

إحداها : القوة المنسوبة إلى الذات ، وهي القوة التي يشترك فيها جنس النامي ، وهو نوعان : النبات والحيوان ، وبها تكون الشهوة في الحيوان ، فهي تسمى القوة الشهوانية . وترتبط هذه القوة بمفهوم الدوافع البيولوجية (ص١٧) .

والأخرى : هي القوة المنسوبة إلى الظفر والغلبة ، وتلك القوة هي التي ينفرد بها جنس الحيوان وهو فصلان : غير ناطق ، وناطق ، وتسمى القوى الغضبية ، وترتبط هذه القوة بمفهوم الانفعالات والدوافع وبخاصة العدوان والغلبة (ص١٧) .

والثالثة : (القوة) المنسوبة إلى السعادة ، وهي القوة التي يحس بها الناطق من الحيوان ، وتسمى القوة الناطقة . وترتبط هذه القوة بمفهوم التفكير أو العمليات العقلية (ص١٧) .

وكل واحدة من هذه القوى لها في الحركة وسط وطرفان ؛ لأن الشوق إنما هو حركة إلى المتشوق إليه ، كحركة الحديد إلى الهرقلي : والهرقلي هو الحجر الذي تسميه العامةُ المغناطيس .

وكل واحد من القوى الثلاث المقدم ذكرها هي تستعمل بدن الإنسان بإحدى الحركات الثلاث : إما بالوسط ، وهو الاعتدال ، وإما بأحد الطرفين وهو الإفراط والضعف .

فالشهوانية : اعتدال حركتها في الإنسان يسمى عِفة ، وإفراط حركتها فيه يسمى شرهاً ، وضعفها يسمى كلال الشهوة .

والغضبية : اعتدالُ حركتها فيه يسمى شجاعة ، وإفراطها يسمى هوجاً ، وضعفها حُمقاً (ص١٧) .

أصول الحكمة وقواعدها :

وللحكمة أصول موضوعة وقواعد مقررة يحتاج الطالب للحكمة إلى النظر فيها والارتياض بها وأخذ نفسه بأن يتصورها وإقامتها في فكره والصبر على ما اعتاص منها في فهمه حتى يظهر ، بمواصلة النظر في ذلك والتفهم له ، ما خفي عليه بأمر ومتى استعمل هذا ولم ينفر عنه عند خفائه كان واصلاً إليه لا محالة . وذلك حتى تظهر ثمرة الحكمة على أصولها ، ويتمكن الجميع ، وبخاصة المبتدئين من الاستفادة بملابستها (ص١٨) .

النفس الناطقة وقواها :

وذلك أن الإنسان هو نوع من أنواع الحيوان الأرضي المخصوص بالنفس الناطقة ، والنفس الناطقة هي ثلاث قوى : تخيل ، وذكر ، وفكر . فأما التخيل فهو بقية الحس

ودلك أنه تصور الإنسان ما أحسه أو ما أحس مثله من غير حضور ذلك المحسوس كالذي يشاهد مِصْراً من الأمصار . وهذه القوى من قوى النفس الناطقة يقال لها القوة المصورة وبها تستعمل النفس الناطقة بدن الإنسان في حال نومه .

نظرية الأحلام :

فتصور له الأشياء بحسب ما عليه مزاج ذلك البدن من الاعتدال المخصوص به والخروج عن ذلك الاعتدال إلى أحد طرفيه ، أريد أن القوة المصورة إذا صادفت مزاج البدن على حال الاعتدال المخصوص به أمكنها أن تصور له الأشياء الماضية والآتية على ما هي عليه فيثبتها ؛ ولأن الاعتدال في الأمزجة يكون على رتب متفاضلة فكلما كان الاعتدال أفضل كان فعل القوة المصورة أبين وأصح وأوضح ، حتى ينتهي فعلها إلى الحال التي تسميها العوام : الوحي .

فإذا صادفت مزاج البدن زائلاً إلى أحد الطرفين كان من الممكن لها فيه ثلاثة أفعال:

أحدها : فيما هو أقربها إلى الاعتدال ، وهو أن يرى من له تصور الأشياء الماضية والآتية ، كالذي يرى في منامه أنه يطير ، فإن ذلك رمز له بالسفر .

والآخر : فيما هو أبعد من ذلك عن الاعتدال ، وهو أن تُصَوِّرَ له الأشياء الماضية والآتية بأضدادها ، كالذي يرى في منامه أنه في أمر يحزنه فيأتيه ما يفرحه .

والثالث : فيما هو بعيد في الغاية عن الاعتدال ، وهو على رُتب مختلفة تكون أفعال القوة المصورة في ذلك مختلفة ، كتصورها الأشياء المفزعة والأشياء الملهية والأشياء الممتنعة ، كالذي يرى نفسه كأنه قد مات أو قُتِل أو صار بهيمة وما شاكل ذلك .

والذكر : هو إحضار ما تقدم وجوده في النفس .

والفكر : هو سلوك النفس الناطقة في إدراك حقائق الموجودات ، وهو الذي يختص باسم العقل .

والإدراك : هو تَصَوُّر نفس المدرِك لصورة المدرَك ، ويرتبط الجزء السابق بمجموعة المفاهيم السيكولوجية هي : تفسير الأحلام (ص١٨-١٩) ، والاعتدال (ص١٩) ، والتخيل (ص١٨) ، والتذكر (ص١٩) ، والتفكير (ص١٩) ، والإدراك (ص١٩) .

العقل وقواه :

وللعقل ست قوى ذاتية وثلاث قوى عرضية .

فقوى العقل الذاتية : هي التصور العقلي ، والحفظ ، والذهن ، والذكاء والرأي ، واليقين . فالتصور العقلي: هو حضور صورة الموجودات في النفس ملخصة والحكم على كل واحد منها بما هو كذلك .

والحفظ : هو ثبات صورة المعقولات والمحسوسات في النفس .

والذهن : هو جودة التمييز بين الأشياء .

والذكر : هو سرعة المعرفة والعلم بما يلابسه الفكر .

وذلك أن المعرفة : هي تصورٌ ما حسيٌّ ، والعلم هو تصورٌ ما عقليٌّ ، والمعرفة هي إدراك صورة الأشياء بما تتميز به عن غيرها ، والعلم هو إدراك حقائق الأشياء .

والرأي : هو نهاية الفكر .

واليقين : هو مطابقة العقل معقوله .

أما قوى العقل العرضية ، فهي الظن والتوهم والشك : فأما الظن فهو تحاذي الرأيين.

التوهم : هو موافقة الظن من غير إثبات الحكم .

والشك : هو تردد النفس بين الإثبات والنفي .

وهذه الثلاث إنما تكون للعقل بتوسط ضعفه عن الوقوف على حقيقة مطلوبه .

ويرتبط الجزء السابق بمجموعة مهمة من المفاهيم السيكولوجية التي قدم المؤلف تعريفات تقترب إلى حد كبير من التعريفات الحديثة (ص١٩) .

والعقل هو الذي من شأن الجزء منه أن يصير كلا ، أريد أن من شأن عقل شخص واحد من أشخاص الناس ، الذي هو جزء العقل الكلي ، أن يدرك جميع المعقولات إذا سَلِم من الموانع العرضية .

الإنسان والخير والسعادة :

والإنسان بقوة العقل معرض مهيأ لطلب السعادة ، وهي إدراك الخير على الحقيقة . والخير على الحقيقة هو ما يؤثر لذاته ؛ لأن الخير على المجاز هو ما يؤثر لأجل ما يؤثر لذاته .

والشيء المأثور لذاته هو الذي لا يُكرهُ في حال من الأحوال ؛ فإذن السعادة هي إدراك الذي لا يكره في حال من الأحوال .

والمأثور الذي لا يُكره في حال من الأحوال هو الراحة من غير ألم ، وذلك أن الإنسان له راحتان : راحة من ألم وراحة من غير ألم (ص١٩) .

نظرية اللذة والألم :

فالراحة من الألم هي التي يشترك فيها الحيوان الأرضي الناطق وغير الناطق ، مثل الشبع ، فإنه راحة من ألم الجوع ، والرِّي فإنه راحة من ألم العطش ، وكذلك سائر ما يفيده الإنسان بالقوتين الشهوانية والغضبية إنما هو لذيذ بالإضافة إلى المؤلم ، كالفرح إنما هو لذيذ بالإضافة إلى الحزن ، والأمن إنما هو لذيذ بالإضافة إلى الخوف ، والحزن والخوف مؤلمان .

وذلك أن الراحة إنما تؤثر مع وجود ضدها الذي هو الألم ، فإذا عدم الألم فليست مما يؤثر ، ولكن هي مكروهة ، فإن الإنسان إنما يؤثر الطعام مع وجود الجوع ، فأما مع عدمه فهو مكروه لا محالة ، لكن يكره أن يزداد طعاماً مع وجود الشبع ، كذلك سائر ما ذكرناه . ويرتبط الجزء السابق بمفاهيم اللذة والألم والانفعالات (مثل الفرح والحزن والخوف ص٢٠) .

الراحة الإنسانية :

والراحة من غير ألم هي ما يختص به الحيوان الناطق فقط ، وهو العلم بكل حق بعد الجهل به والعمل لكل نافع بعد والإلغاء له ، أي بعد اعتقاده أنه لغو ؛ لأن العلم والعمل إنما هما علم وعمل بالإضافة إلى الجهل والإلغاء ، والجهل والإلغاء ليس بمؤلمين .

والعلم بكل حق والعمل لكل نافع هما جزءا الحكمة ، فإذاً إدراك الحكمة هو الراحة من غير ألم ، وذلك أن هذه الراحة هي التي تؤثر مع وجود ضدها وعدمه جميعاً ، فهي لا تكره في حال من الأحوال ؛ فإن الإنسان الجاهل يؤثر أن يعلم ، والعالم يؤثر أن يزداد علماً ، فلذلك لزم أن يكون الإنسان فقط مُهيئاً لطلب المأثور الذي لا يُكره في حال من الأحوال ، وهو العلم بكل حق والعمل لكل نافع .

فواجب أن يكون إدراك هذا هو السعادة ؛ لأن الإنسان يتميز عن سائر الحيوان الأرضي بالعقل ، فالعقل لابد أن يتميز عن سائر غيره من الحيوان بما لا يشاركه سائر الحيوان الأرضي فيه ، وما لا يشارك الإنسان غيره من الحيوان الأرضي فيه هو إدراك الحكمة ، ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الراحة النفسية أو الاستقرار الانفعالي ، وكذلك مفهوم القيم العلمية (ص٢٠-٢١) .

الإنسان الحقيقي :

وقد لزم من هذا الشرح أن يكون الإنسان الجاهل بعلم كل حق ، المُلْغى لعلم كل نافع إنما هو إنسان بالقوة ، أريد أنه يمكن أن يكون إنساناً ، فإذن الإنسان الذي ليس بحكيم هو إنسان ناقص ؛ لأنه غير مميز من الحيوان الذي ليس بناطق بما أفرده به العقل . والإنسان الحكيم هو الإنسان بالفعل ، أريد به الإنسان التام ؛ لأنه تميز عن الحيوان الذي ليس هو بناطق بما أفرده به العقل (ص٢١) .

أقسام الفلسفة وفوائدها :

الحكمة جزءان مركبان هما علم كل حق وعمل كل نافع . فجزء العلم منها ينقسم ثلاثة أقسام : رياضي وطبيعي وإلهي ، بينما ينقسم جزء العمل إلى قسمين : أحدهما حفظ الصحة والآخر حيلة البُرء (ص٢١) .

الإنسان التام : بالسعادة مع الحكمة :

وهنا يوضح المؤلف أن الإنسان يتم معنى الإنسانية فيه باستكماله إنساناً ، وهو أن يُدرك ما إليه تشوق النفس الناطقة ، وهو السعادة التي ذكرنا أنه الراحة من غير ألم ، وهذا إنما هو الحكمة ، يكون ثمرة ذلك له أن يعلم حقائق الموجودات ومبادئها وعللها وأسبابها وتشبه من أفعاله بالله تعالى ذكره ، وهو استعمال فعل العدل الذي هو الخير المحض ، ولذلك حُدّت الحكمة فقيل : الحكمة هي التشبه بالله تعالى ذكره في أفعاله بمبلغ طاقة الإنسان : ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الانفعالات وبخاصة السعادة (ص٢١).

فوائد الحكمة وفضائلها :

يستفيد بالحكمة معنيين : أحدهما في ذاته ، وهو الفضل ، والآخر فيما يعانيه ، وهو العدل ، وفضائل الحكمة ثلاث نظرية وهي استعمال البرهان في إدراك حقائق الموجودات ، وخلقية وهي تهذيب الأخلاق واستعمال التلطف والتأني في الحكم في جميع الأمور وسياسية وهي تهذيب أمور العوام وضبطهم عن فعل القبيح وكفّهم عن التغالب وقمعهم عن التجاهل بأبلغ صنع يؤدي إلى إصلاحهم وردع قويهم عن ضعيفهم والإنصاف لمظلومهم من ظالمهم وما شاكل ذلك .

المنهج للوصول إلى الحكمة :

والسلوك إلى إدراك الحكمة ، وهي علم الحقائق وعمل النافع ، طريق شرعها الحكماء وأوضحوها وشيدوا أعلامها ، وأصول ومبادئ رتبوها وأحكموا ترتيبها ترتيباً يتلو بعضها بعضاً ، لا يمكن الوقوف على الثاني منها حتى يُوقف على الأول ، وجعلوا مبدءها والمدخل إليها صناعتين : صناعة الهندسة والأخرى صناعة المنطق . والهندسة هي صناعة يعلم بها خواص المقادير علماً برهانياً ، والمنطق هو صناعة يُميز بها بين الصدق والكذب في الأقاويل والحق ، والباطل في الاعتقادات ، والخير والشر في الأفعال . وقد قدم المؤلف على مدار بقية الرسالة تفصيلاً شاملاً لكل صناعة من هاتين الصناعتين (ص٢٢-٣٤) .

أوجه الاستفادة من المقالة في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذه الرسالة في مجال علم النفس العام .

الشريف المرتضى : (٣٥٥-٤٣٦هـ) طيف الخيال [1]

عرض د.جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى ، ولد ببغداد سنة ٣٥٥هـ ، وبدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن على يدي أبي اسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي ثم درس على أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي ، الملقب بالشيخ المفيد ، وبابن المعلم بمسجده بالكرخ .

وكان المفيد المتوفي سنة ٤١٣هـ فقيه الشيعة الإمامية في عصره ، متبحراً في كثير من العلوم ، مبجلاً محترماً ،صاحب منزلة رفيعة عند الملوك ، والأمراء البويهيين ، ومن تلاميذه الرضي والمرتضى وأبو جعفر الطوسي ..

وتلقى المرتضى الاعتزال على يد قاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أحد شيوخ المعتزلة في عصره ، ومؤلف كتاب " المغني " الذي عرض فيه لتاريخ أبي بكر وعمر وعثمان ، وقد ألف كتاباً أسماه " الشافي " رداً على كتاب المغني وقد تضمن هذا الكتاب ، فيما يروى ، مطاعن فاحشة في الخلفاء الثلاثة بلغت حد إخراجهم من زمرة المسلمين .

أما النحو وعلوم اللغة فقد تلقاها عن أبي علي الفارسي المتوفي سنة ٣٧٧هـ ، وابن السيرافي المتوفي سنة ٣٨٥هـ ، وابن جني المتوفي سنة ٣٩٣هـ ، وعلي بن عيسى الربعي المتوفي سنة ٤٢٠هـ .

وكان المرتضى على جانب من الثراء ، مكن له من التفرغ للعلم ، وقد آلت إليه نقابة الطالبين بعد وفاة أخيه الرضي ، وقد ذكر ياقوت عن أبي جعفر الطوسي أنه قال : توحد المرتضى في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم مثل علم الكلام ، والفقه وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعاني الشعر ، واللغة ، وله ديوان شعر يزيد عن عشرة آلاف بيت .

ومن مؤلفات المرتضى التي وصلت إلينا ، الأمالي وهو أشهر كتبه ، والشهاب في الشيب والشباب (طبع في الأستانة سنة ١٣٠٢هـ ، والكتاب الذي بين أيدينا (استمدت هذه الترجمة مما ورد في مقدمة محقق الكتاب الحالي) .

(١) تحقيق محمد سيد كيلاني –ط١ القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٥ ، ١٢٣ص.

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة من القطع الصغير ويحتوي على إهداء الكتاب للدكتور طه حسين من المحقق، ومقدمة المحقق ، ومقدمة المؤلف ، ثم ما جاء في طيف الخيال في شعر أبي تمام والبحتري ، وما أخرجه المؤلف من شعر أخيه الشريف الرضي في طيف الخيال ، وما أخرجه المؤلف من شعره هو في طيف الخيال. وخاتمة ثم فهرس الموضوعات وفهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس القوافي .

وكتاب طيف الخيال ، منشور عن نسخة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية ، مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال ، وقد سجلته دار الكتب في فهارسها على أنه للشريف الرضي ، غير أن المحقق يجزم بأنه للشريف المرتضى .

موضوع هذا الكتاب هو " طيف الخيال " الذي أكثر الشعراء من ذكره في قصائدهم الغزلية ، وهو موضوع طريف حقاً ، وقد كان الشاعر العاشق الولهان ، الذي حالت الظروف بينه وبين محبوبته ، يظل مشغولاً بهذه المحبوبة ، دائم التفكير فيها فلذلك كان يراها في النوم ، وينال منها ما يشاء ، ثم يتحدث عن ذلك في شعره ، فالحديث عن طيف الخيال ، هو حديث عن أحلام كل شاعر بمحبوبته ، وقد كثر هذا في الشعر العربي ، حتى صار موضوعاً يحتاج إلى دراسة مستقصية منظمة ولعل المرتضى أول من تناول هذا الموضوع في كتاب مستقل ، ولكنه لم يستقص كل ما ورد في الشعر عن طيف الخيال ، بل قصر كلامه على شعر أبي تمام والبحتري ، وشعره وشعر أخيه الرضي ، وإن كان قد أشار إلى أبيات قليلة لبعض شعراء آخرين ، مثل قيس بن الخطيم ، والنمر بن تولب ، ووازن بين معاني هذه الأبيات وبين ما ورد عند البحتري وأبي تمام .

ويبدو في ذلك كله محللاً ومعقباً ، مستعيناً على توضيح ما يريد بالأمثلة ولا يقتصر تحليله على المعاني والصور وإنما يمتد للعبارة والكلمة ، أو بالأحرى للجملة اللغوية .

ويلفت المرتضى النظر إلى مبررات إخراجه لهذا الكتاب ، ويرى أن من فوائده أن "الطيف" قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم تارة أخرى ، ولمدحه وجوه متشعبة ، فمما يمدح به أنه يعلل المشتاق المغرم ، ويمسك رمق المَغْنِيّ الْمُسْقَم ، ويكون الاستمتاع به والانتفاع به ، وهو زور وباطل ، كالانتفاع لو كان حقاً يقينياً .

ومما يمدح به ، أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله ، ويخاف لَيُّهُ وفوته ، واللذة التي لم تحتسب ولم ترتقب ، يتضاعف بها الالتذاذ ، والاستمتاع ، وأنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل من ضنين ، وجود من بخيل ، وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول (ص١٤-١٥) .

ومن مليح مدحه وغريبه أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ، ولا يخشى منع منهما ، ولا اطلاع عليهما ، والتهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة ، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يقترب منهما تأثيم ، ولا عيب فيهما ولا عار (ص١٥) .

ويوضح الشريف المرتضى أنه سابق لغيره في تقديم هذه المعاني " لطيف الخيال " ، حيث لم يسبقه أحد إلى ذلك سواء في لغة الشعراء أو في لغة النثر ، ثم يفسر بعد ذلك سبب تعجب الشعراء كثيراً من زيارة الطيف على بُعد الدار ، وشَحْط المزار ، ووَعْرَة الطرق ، واشتباه السبل ، واهتدائه إلى المضاجع من غير هادٍ يرشده ، وعاضد يعضده ، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف في أقرب مدة ، وأسرع زمان . والسبب - كما يراه الشريف المرتضى - لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة ، وأنها في النوم كاليقظة .

أما ذم الطيف ، فإنه قد يذم بأنه باطل وغرور ، ومحال وزور ، ولا انتفاع بما لا أصل له ، وإنما هو كالسراب اللامع ، وكل تخيل فاسد . وربما ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه يهيج الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهياً وساهياً .

وهذه المعاني في مدح وذم الخيال قد تتشعب ، وتتركب وتمتزج ، فيتولد بينها من المعاني ما لا ينحصر ، ولا يمكن خطه ، بحسب قوة طباع الشاعر ، وصحة قريحته ، وصفاء ذهنه .

ومن خلال استعراض الشريف المرتضى لأبيات الشعر وتحليلها يرد على الآمدي عند تعرض الأخير للنفس ، ويرى أنها في اللغة العربية عبارة عن أشياء كثيرة منها الدم ، وسميت النفساء بهذا الاسم لأجل الدم ، ويُعَبَّر بالنفس عن الذات ، ويقال فعلت ذلك بنفسي ، وجاء زيد نفسه ، ونفسي تتوق إلى كذا وكذا : أي أنا تائق إليه . ثم ينتقد أيضاً قول الفلاسفة بأن النفس جوهر بسيط ، ونسبة الأفعال إليها . ويبين أن الفاعل المميز الحي الناطق هو الإنسان الذي هو هذا الشخص المشاهد ، دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلق به (ص٣٨-٣٩) .

ولن نناقش بالطبع آراءه في النفس ، وإنما ما يلفت النظر هنا أنه كان ذا رأي في النفس وأحوالها . وما يدل على أخذه ذلك مأخذ الجد التصدي للفلاسفة محاولاً تفنيد أقوالهم فيها .

ورغم أن موضوع الكتاب يقتصر على تحليل لأبيات شعرية لمؤلفين عدة لاستخراج ما يتعلق بطيف الخيال ومعانيه وما قيل فيه ، فإن الفائدة التي يمكن تحصيلها هنا بالنسبة لعلم النفس ، هي فائدة غير مباشرة ، فقد أصبح لعلماء النفس في الوقت الحاضر اهتمام

مباشر بدراسة الخيال دراسات علمية تجريبية ، بل إن هناك كتباً كاملة خصصت لمناقشة هذا الموضوع سـواء في اللغة العربية (وهـي قليلـة إلى حـد مـا) أو في بعـض اللغـات الأجنبية . هذا مع تحفظ نذكره هنا ، وهـو أن معنـى الخيـال يـدرس في إطـار دراسـات الإبداع وكيف تؤدي عمليات التخيل إلى إنتاجـات إبداعيـة . وتُعَّـرف الصـور الخياليـة بأنها النشاط الخاص بالتصور التخطيطي الداخلي للأشـياء وكذلـك عمليـة تحويـل هـذه التصورات الداخلية وانتاجها . وللصور العقلية ارتباط بالمخ خاصة نشاط النصف الأيمـن من المخ .

وبالتالي فإن هـذا الكتـاب يكشـف عـن اهتمـام مبكـر بالخيـال وإن لـم يكـن هـذا الاهتمام اهتماماً علمياً كما هو في الوقت الراهن .

رسائل ابن بطلان البغدادي . تقديم يوسف شخت [1]

عرض د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان نصراني من أهل بغداد وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلمذ له وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها . وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن أحداً منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه .

وقد زار ابن بطلان مصر لمشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به ، وقد مكث في مصر ثلاث سنين وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الأدب وما يتعلق به ، وكان ابن رضوان أطلب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها ، وقد سافر ابن بطلان من مصر مغضباً علي ابن رضوان وورد أنطاكية (وفي رواية أخرى ذهب إلى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة) ونزل بعض أديرة أنطاكية وترهب وانقطع إلى العبادة إلى أن توفي بها شهور سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

ولابن بطلان من الكتب : كناس الأديرة والرهبان ، وشراء العبيد وتقليب المماليك والجواري ، وتقويم الصحة ، ومقالة في شرب الدواء المسهل ، ومقالة إلى علي بن رضوان ، وكتاب دعوة الأطباء ، ووقعة الأطباء ، ودعوة القسوس ، ومقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة .

(هذه الترجمة مما ورد في مقدمة المحققين نقلاها عن تاريخ الحكماء لابن القفطي ، وعن كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة) .

ولابن بطلان في هذه الرسائل الخمس ، رسالتين ، الأولى في أن الفروج أحر من الفرخ (ولا نجد لها فائدة مباشرة بما نبغيه هنا وبالتالي سنتجاوزها ونركز على رسالته الثانية) .

نص الرسائل :

هذه المجموعة من الرسائل عبارة عن خمس رسائل ؛ اثنتين منها لابن بطلان وثلاث

---

(1) القاهرة : الجامعة المصرية . كلية الآداب ، (د.ت) . ٩١ ص (سلسلة كلية الآداب ، المؤلف رقم١٣) نسخة مصورة ، (رسائل ابن بطلان من مجموعة رسائل ابن بطلان وابن رضوان) .

لابن رضوان . وتقع هذه المجموعة كلها في حوالي ٤٤ صفحة ، طبعت معاً . والرسالة الأولى لابن بطلان في أن الفروج أحر من الفرخ (وليس لها فائدة مباشرة بما نبغيه هنا وبالتالي سنتجاوزها) والثانية هي رسالة في مناقضات علي بن رضوان وأسماها المقالة المصرية ، وسوف نعرضها فيما يلي :

وقد سميت هذه الرسالة بهذا الاسم لأن صاحبها صنفها بالفسطاط في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة أودع فيها مسائل ومحاورات هي أجوبة عما فعله ابن رضوان في رسالته التي ناقضه بها .

ويستهل مقالته هذه ببيان سبب وضعها فيقول (الانتساب إلى الصنائع والاشتراك في البضائع مُرُوّات وذمم ، وحرمات وعِصَم ، أدنى حقوقها بذل الإنصاف ، وأحد فروضها اجتناب الحيف والإشراف ، ويتصل بي عن مولاي الشيخ الفاضل أدام الله توفيقه ، وأوضح إلى الحق طريقه ، بلاغات إذا قايستها بما ألفته من حدة طباعه كدت أصدق بها وإن عزوتها إلى ما خصه الله به من العلم قطعت بكذبها) . وهذه المقالة تضم سبعة فصول :

الفصل الأول : في العلل التي لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل وأسهل من المتعلم من الصحف إذا ما كان قبولهما واحداً ، وعلة ذلك أن وصول المعاني يجري من النسيب إلى النسيب والنسيب الناطق ، وهو المتعلم والمعلم ، وغير النسيب جماد وهو الكتاب وبعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم وقرب الناطق من الناطق مسهل للفهم فالفهم من المعلم أسهل (ص٥٠) كذلك فإن المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من اللفظ نقله إلى لفظ آخر ، والكتاب لا ينقل من لفظ إلى غيره (ص٥٠) من علل ذلك أيضاً أن النفس العالمة علامة بالفعل وصدور الفعل عنها يقال له تعليم ، والنفس المتعلمة علامة بالقوة وقبول التعليم فيها يقال له تعلم (ص٥٠-٥١) والعلم موضوعه اللفظ ، واللفظ على ثلاثة ضروب ، قريب من العقل وهو الذي صاغه العقل مثالاً لما عنده من المعاني ، ومتوسط وهو المتلفظ به بالصوت ، وهو مثال لما صاغه العقل ، وبعيد وهو المثبت في الكتب (ص٥١) ومن العلل أيضاً أن قراءة المتعلم الكتاب على المعلم يوصل إليه العلم من حاسة السمع بلفظ المعلم ومن حاسة البصر من خط الكتاب (ولعل ابن بطلان في حديثه السابق قد مس بعض موضوعات علم النفس مساً مباشراً أولها ما ينطوي تحت ما يسمى بسيكولوجية اللغة Psycholinguistics سواء من حيث فهم اللغة أو انتاجها ، وكذلك موضوع التخاطب ، خاصة التخاطب اللفظي Verbal communication ويدخل ضمن اهتمامات علم النفس الاجتماعي ، ويقترب

كذلك من موضوع التعلم Learning وهو أحد الموضوعات الرئيسية الواسعة في علم النفس الحديث والتي تدرس مستقلة وفيها نظريات كثيرة وأساليب متعددة ، كما تناول أيضاً موضوع العلاقة بين الفكر (العقل وما به من معان) وبين اللغة ، وهي قضية قديمة حديثة ما تزال تشغل بال علماء النفس اللغويين ، وأخيراً يلفت النظر إلى موضوع الإدراك السمعي Auditory Perception والإدراك البصري Visual Perception والتآزر بينهما ودورهما في عملية التعليم (ص٤٨-٥٣) .

وبعد ذلك يعبر ابن بطلان (أو الناقل عنه) الفصلين الثاني والثالث ، ثم يحدثنا في الفصل الرابع في أن من عادات الفضلاء إذا قرأوا كتاباً من كتب القدماء أن لا يقطعوا في علمائها بظن دون معرفة الأمر على الحقيقة ، ويستدل على التأني في الطلب وعدم التسرع برصد أرسطو للقوس الكائن عن القمر أكثر عمره ، وجالينوس واظب على طلب السكون الذي بعد الانقباض سنين كثيرة إلى أن أدركه . ثم يحاول تبرئة نفسه مما نسب إليه بسبب بعض ما اقترحه من علاجات لبعض الأمراض سيراً على الطريقة البيقراطية (كما سماها) . وأن هذه الأدوية إن كانت تصلح في بغداد فإنها لا تصلح في مصر لاختلاف الجو (ص٥٣-٥٤) ولذلك يعرض ابن بطلان ليصف بغداد وصفاً دقيقاً ، وكيف أنها تختلف عن مصر ، وأن أهلها يختلفون كذلك عن أهل مصر .

والفصل الخامس في مسائل مختلفة صادرة عن براهين صحيحة من مقدمات صادقة ويلتمس أجوبتها بالطريقة البرهانية ، والمسألة الأولى وهي تتعلق بالبلاد والأهوية والمسألة الثانية تتعلق بالسماع . والفصل السادس في تصفح مقالته (يقصد ابن رضوان) التي طلب من ابن بطلان فيها أن يسأله ألف مسألة على أن يسأله ابن رضوان مسألة واحدة (كنوع من التحدي) ويرد ابن بطلان على ذلك التحدي ويفرق بين طريق الخطباء والأطباء والفلاسفة في المحاورة ، وبين طريق الشعراء في الذم والهجاء . وكيف أن ابن رضوان أخرج نقده وهو تحت تأثير القوة الغضبية دون الناطقة (وهو هنا يبدو متأثراً بابن سينا في التمييز بين قوى النفس) والقوة الغضبية تقابل انفعال الغضب والدافعية .

(وهو من موضوعات علم النفس العام) والقوة الناطقة وتقابل العقل أو التفكير (ويدرس في علم النفس العام ، كما يدرس في علم النفس الإكلينيكي حال اضطرابه ص٦٣) . ويتعرض في ثنايا هذا الرد كذلك للأخلاط الرديئة التي تتبع رداءة المزاج ؛ لأن النفس تابعة للمزاج (وهنا إشارة إلى الجانب المزاجي من الشخصية ، وهو جانب هام في اهتمامات علماء النفس المحدثين ص٦٤) . كما يذكر مرض المالينخوليا (وهي تقابل ما يسمى في الطب النفسي الحديث بمرض الاكتئاب Depression وهو من

الأمراض النفسية والعقلية التي يعني بها علماء النفس الإكلينيكيون من بعض الوجوه ص٦٤) . ويذكر أيضاً ، حديثاً سريعاً ومختصراً عن الحواس المختلفة ، وعلاقتها بالإدراك (وهو باب من أبواب علم النفس العام وأعني الإحساس Sensation والإدراك الحسي Sensory Perception ص٦٦) .

والفصل السابع في تتبع مقالته في النقطة الطبيعية وكشف ما دخل عليه فيها من الشبهة . ويذكر فيها – بشكل عابر – بعض المفاهيم ذات الخلفية السيكولوجية مثل القوة الناطقة (أو العقل وقد سبقت الإشارة إليها) والغضب ، والغباء (وهو يقابل ضعف الذكاء وإن كان علماء النفس المحدثون قد تخلوا عن استخدامه) وفساد العقل بمواصلة السكر (وهو من موضوعات علم النفس الحديث ذات الأهمية القصوى ص٩٩) .

الماوردي (ت٤٥٠هـ) أدب الدنيا والدين [1]

عرض : د.إبراهيم شوقي عبد الحميد

التعريف بالمؤلف :

- هو علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي ، نسب إلى بيع ماء الورد .
- فقيه وأصولي ومفسر وأديب وسياسي .
- فقيه شافعي ، يميل إلى مذهب الاعتزال .
- أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة ، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد .
- وولي بالقضاء ببلدان كثيرة ، وبلغ منزلة عند الملوك وكبار الأمراء.ورقي لمنصب " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي .
- توفي في آخر سنة ٤٥٠هـ ببغداد ، وعمره ست وثمانون سنة .
- من تصانيفه في الفقه والأدب :

الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي .

أدب الدنيا والدين .

قانون الوزارة .

قوانين الوزارة .

سياسة الملك .

نصيحة الملوك .

تفسير القرآن الكريم .

النكت والعيون .

الأحكام السلطانية .

(انظر معجم المؤلفين لكحالة ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، والأعلام للزركلي) .

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب في ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويشمل خطبة الكتاب ، ثم أبواب الكتاب وفصوله ، وفهرس موضوعاته .

الباب الأول : في فضل العقل وذم الهوى وفيه يقسم العقل إلى نوعين ، عقل غريزي

(١) ط١ . بيروت . دار الكتب العلمية ١٩٨٧ ، ٣١٨ص .

وهو ذكاء بالطبع ومكتسب وهو ذكاء بالخبرة ، ويعرض للفروق والعلاقات التي تسود بينهما (ص٦-١٢) ، ثم يعرض لفضائل العقل ورذائل الحمق (ص١٢-١٦) ويشير بعد ذلك إلى الهوى وماهيته ومضاره ووجوب جهاده (ص١٧-٢٣) .

وينفرد هذا الباب بدلالة هامة ، تتمثل في تقسيم العقل إلى غريزي ومكتسب . ويشير الذكاء الغريزي إلى الاستعداد Aptitude الذي نمى بالخبرة والتجربة صار قدرة Ability أو ذكاء بالخبرة بعد أن كان ذكاء بالاستعداد ، ونجد في أن الذكاء Intelligence محصلة لإسهامات كل من الوراثة والبيئة ، كذلك نجد في نفس الباب أن وظيفة العقل كف الدوافع الفطرية ، ويقصد بها الغرائز .

الباب الثاني : باب أدب العلم .

وفيه يعرض لفضل العلم على المال وفضل العلماء على الأغنياء والأمراء . كما يفاضل بين العلوم . فمن أفضلها علوم الدين ، خاصة الفقه ؛ لأن العبادة دون علم بها قد لا تكون عبادة . ثم يعرض لكيفية طلب العلم ووسائله كالتدرج واستخدام الرموز بين العلماء ، ثم يعرض لمشكلات التواصل بينهم وأسبابها كوجود علة في الرسالة ذاتها أو علة في المستمع كالبلادة أو عدم صبره على طلب الفهم ، أو عدم القدرة على الحفظ ، والتي يمكن علاجها بكثرة الدرس وإدامة النظر ، كما يشير إلى أهمية تسجيل العلم كتابة لعدم نسيانه ثم يعرض للأسباب التي تحول دون فهم معنى الكلام سواء أكان لفظاً أو خطاً ..

كما يتناول أهم واجبات المتعلم نحو معلمه (الخضوع والطاعة والتوقير لمعلمه) لذلك يعرض لآداب العالم كعدم التفاخر بما تعلمه وعدم الفتوى دون علم (ص٥٩-٦١) وهو ما يمثل بعض أشكال السلوك الأخلاقي للمعلم Moral Behavior كما يحث على مراعاة قدرات المتعلمين حتى لا يثار الملل لدى الأذكياء أو الضجر في عقول البلداء الجاهلين وهو ما يؤكده علماء النفس التربوي Educational Psychology (ص٤٣-٤٤).

وفي هذا الباب نلمح فكرة التدرج في طلب العلم والمران Training (ص٣٦-٣٨) . ودور الاستبصار كطرق للتعلم Learning . كما يعرض لمشكلات التواصل Communication ومنها عيوب أو اضطرابات الذاكرة والدافعية للتواصل والبلادة (انخفاض الذكاء (ص٤٢-٤٦) ويشير إلى علاج مشكلات الذاكرة بكثرة الدرس وإدامة النظر وهي نصيحة تختص بعملية تثبيت المعلومات Fixation في الذاكرة حتى يسهل استدعاؤها Recall (ص٤٥) كما يحث في نفس الباب على إثارة دافعية التعليم عن طريق الامتناع عن استخدام العقاب Punishment أو التوبيخ أو التعنيف للمتعلمين (ص٦٩) كذلك نجده يذم المتعلم دون فهم ويشار إليه حديثاً بالذاكرة الصماء Rote

memory (ص٤٥) .

الباب الثالث : باب أدب الدين .

ويعرض لجوانب التكليف الإلهي للعباد التي تشمل الأوامر والنواهي ، سواء على مستوى الاعتقاد أو الفعل . كما يعرض للفرائض وفقاً لأولوية فرضها ، وأهمية كل فريضة والمفاضلة فيما بينهما . كما يشير لفكرة التدرج في التكليف والحث على الصبر وعلى فعل الطاعات والصبر عن فعل المعاصي .

ثم يعرض لأقسام موقف الإنسان من العبادات : وهي الاكتمال أو التقصير أو الزيادة فيما كلف . وبعد ذلك يحذر من الافتتان بالدنيا والانشغال بملذاتها . ثم يعرض لأفكار نظرية ونماذج من الصحابة الذين لا يخشون الموت ويتوقعونه في أي لحظة فتوقع الموت ينم عن عدم الاكتراث بالدنيا والإعداد للآخرة .

ويلاحظ أن المؤلف يشير إلى أن البعض يمارس العبادة بالزيادة عما كلف اقتداء بغيره من الأخيار (ص٨٧-٨٨) وفي ذلك إشارة إلى مفهوم الاقتداء أو النمذجة Modeling وهي أحدث أساليب التعلم الاجتماعي Social Learning , كذلك في الحث على كف الشهوات نجد الإشارة إلى قمع الشهوات والسيطرة عليها . كما نجد إشارة صريحة إلى الخوف من الموت وهو يمثل أحد أنواع القلق ويسمى قلق الموت Anixety of Death أما عن مظاهره السلوكية والوجدانية فقد وردت في هذا الباب (ص٩٥-١٠٦).

الباب الرابع : أدب الدنيا .

وفي هذا الباب يشير المؤلف إلى أن الإنسان مخلوق عاجز بالنسبة لبقية المخلوقات ، لديه العديد من الحاجات التي تتطلب الإشباع ، وهو بالتالي أكثر حاجة إلى خالقه . ويعرض أيضاً لقواعد صلاح الدنيا هي : الدين المتبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل وأمن عام ، وخصب دائم وأمل فسيح ، ثم يعرض لقواعد صلاح حال الإنسان وهي النفس المطيعة والألفة الجامعة (المؤاخاة) والمادة الكافية ويقصد بها أن الإنسان قواماً أو مادة يلزمها الكسب لكي يتدوم له حياته ويستقيم له دينه ، ويلي ذلك عرض لمصادر الكسب وأنواع الصناعة ، ودواعي الإفراط في طلب المال .

وفي هذا الباب نجد الإشارة إلى عجز الإنسان وكثرة حاجاته Needs ودوافعه Motives (ص١٠٧) . ويشير أيضاً إلى الحاجة إلى الأمن Needs of security وهي أحد الحاجات النفسية التي تتطلب إشباعاً ، كما يشير إلى تباين شدة هذه الحاجات بين الأفراد (ص١١٠) . وهي ظاهرة عامة يشار إليها بالفروق الفردية Individual differences . أما بالنسبة لأفكاره عن أسباب الألفة والمؤاخاة (الدين – النسب – المصاهرة .. إلخ ص١٤١-١٤٣) . فهي ترتبط بمجال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد

Interpersonal relations أما بالنسبة للخصائص الإيجابية والسلبية للبشر ومحكات اختيار الأصدقاء (ص١٤١-١٤٣) فهي تشير إلى سمات الشخصية Personality traits وفي ثنايا الحديث عن البر نلمح أفكاراً عن سيكولوجية العطاء (الكرم وحسن الثقة) وسيكولوجية البخل (الشره وسوء الظن) وهو ما يتصل بدافع التملك Posessiveness كما يعرض لدوافع جمع المال ويحث على القناعة Satisfaction ويعرض لمستوياتها (ص١٥٥-١٧٨) . كما يشير إلى طرق الكسب ومنها المهن والصناعة فيعرض لأنواعها ودرجاتها وهو تقسيم يهم دارسي علم النفس الصناعي والمهني Occupationals Industrial Psychology (ص١٧٩-١٨٩) .

الباب الخامس : أدب النفس .

يعرض الماوردي لنوعين من التأديب هما :

١- تأديب الوالد لولده في صغره وهو ما يتصل بمفهوم التنشئة الاجتماعية Socialization .

٢- أدب يلزم الإنسان عند نشأته وكبره (ص١٩٨-١٩٩) .

ويعرض للنوع الأخير في شقين هما :

أ- أدب المواضعة والاصطلاح : أي اتباع ما استقر عليه العقلاء واستحسنه الأدباء.

ب- أدب الرياضة والاستصلاح : وهو أدب لا يختلف العقلاء في صحته أو خطئه ؛ لأنه يقوم على صحة الدليل والحجة . ويلاحظ أن هذا النوع من التأديب يتصل بمفهوم المجاراة الاجتماعية Social Conformity التي قد تهدف إلى تحقيق التوافق الاجتماعي Social Adjustment (ص١٩٩-٢٠٠) .

ويعرض الماوردي لأدب الرياضة والاستصلاح من خلال ستة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : في مجانبة الكبر والإعجاب وفيه يذم الكبر والمدح ويعرض لأحاديث وروايات وحكايات وأشعار عن مضار الكبر . ويتصل ما ورد في ذلك بمفهوم صورة الذات Self Image (ص٢٠٢-٢٠٧) .

الفصل الثاني : في حسن الخلق وفيه يعرض لمترتبات حسن الخلق أو سوءه ثم للأسباب التي تغير من الخلق أو الطباع كالولاية والعزل والغنى والفقر والهموم والأمراض وكبر السن ، باعتبار أنها التي تساعد على تغير المزاج والطباع وهو ما يتصل بتغير الشخصية (ص٢٠٧-٢١١) .

الفصل الثالث : في الحياء ، وفيه يحث المؤلف على الحياء لأنه رادع لأهواء النفس ، ويقسم الحياء إلى حياء من الله ، وحياء من الناس وحياء من النفس . ونجد في هذا

الفصل بعض الدلالات التي تتصل بعدد من الأرجاع الانفعالية Emotional Reactions كالشعور بالذنب Guilty feeling والخجل Shame (ص٢١١-٢١٥) .

الفصل الرابع : في الحلم والغضب . وفيه يحث على الحلم باتخاذ أفضل أسبابه وهي رحمة الجهال والقدرة على الانتصار وحسن الثقة والترفع عن السباب والاستهانة بالمسيء والاستحياء من جزاء الجواب والخوف من العقوبة والوفاء والمكر وغيرها .

كذلك يذم فقدان الغضب في الأشياء المغضبة ، ثم يعرض لمقارنة بين الحزن والغضب يتبعه ذكر لوسائل تسكين الألم كذكر الله والخوف منه والطاعة له وتذكر مترتبات الغضب وتذكر ثواب العفو والصفح .

ويتصل ما ورد في هذا الفصل بالاضطرابات الانفعالية Emotional Reactions مثل التبلد الانفعالي Blunting or Flattening emotion وشدة الانفعال والذي يشار إليه حديثاً بعدد من المفاهيم النفسية مثل سرعة الانفعال Irriability or Nervousmen وطاقة الاستثارة Excitatory Potential (ص٢١٥-٢٢٣) .

الفصل الخامس : في الصدق والكذب : وفيه يعرض لدواعي الصدق (وهي العقل والدين) ودواعي الكذب (اجتلاب النفع واستدفاع الضر والتشفي من عدو) ويذكر علامات الكذاب يتبعه حديث عن الصدق الذي يقوم مقام الكذب في القبح كالغيبة والنميمة والسعاية (ص٢٢٤-٢٣١) ويتصل ما ورد في هذا الفصل بالسلوك غير الأخلاقي Immoral behavior .

الفصل السادس : في الحسد والمنافسة : ويعرض فيه لمضار الحسد وأسبابه كفضل المحسود على الحاسد وبغض المحسود ، أو شح في الحاسد وبخله . كما يعرض لطرق مقاومة الحسد (ومن أهمها اتباع الدين والعقل) ثم يذكر مترتبات الإخفاق في مقاومة الحسد ، كسقام الجسد وانخفاض المكانة بين الناس ومقتهم له إلى جانب اجتناب الأوزار في مخالفة الله تعالى ومعارضته لقضائه .

وتعد الغيرة Jealousy والحسد Covetousness من الانفعالات المركبة التي تشتمل على عديد من الانفعالات كالغضب والخوف بجانب الشعور بالنقص والكآبة ، وللحسد مترتباته النفسية الاجتماعية تعرض لذكرها الماوردي في فصل الحسد والمنافسة **ويتعرض المؤلف إلى طرق علاج اضطرابات الانفعال كالحسد عن طريق الدين والعقل ويقترب ذلك من أسلوب العلاج السلوكي المعرفي الذي يتبعه المعالجين السلوكيين المحدثين** (ص٢٣١-٢٣٦) .

الباب السادس : أدب المواضعة .

ويضم ثمانية فصول هي :

الفصل الأول في الكلام والصمت : وفيه يعرض لأهمية الكلام كوسيلة للتعبير عن مستودعات الضمائر ، ويعرض أيضاً لشروط الكلام وهي : أن يكون الكلام لداعٍ يدعو إليه ، وأن يأتي في موضعه ، وأن يقتصر منه على قدر حاجته ، وأن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .

ثم يعرض لأوجه صحة المعاني ويليها أوجه فصاحة الألفاظ ثم يختتم هذا الفصل بذكر آداب الكلام ، كعدم التجاوز في المدح وفي الذم وعدم الاسترسال في وعد أو وعيد وأن يكتمل القول بالفعل والعمل .

وفي هذا الفصل نجد الإشارة إلى دور الكلام Speech كأحد وسائل التخاطب في توصيل المعاني بين الأفراد . ويشير أيضاً إلى دوافع سلوك الكلام ومنها أن يكون الكلام لداع ، فإن لم يكن لداع فقد معناه (ص٢٣٧) وهو ما يسمى اللغو وقد يسمى بالانجليزية Verfegeration وفي عرضه لأوجه صحة المعاني ، يشير إلى علم دراسة المعنى أو الدلالة Semantics وهو أحد فروع علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرموز حتى تكتسب القدرة على نقل المعنى وهو الهدف الأساسي للغة (ص٢٣٧-٢٤٧) .

الفصل الثاني : في الصبر والجزع : وفيه يعرض لأقسام الصبر وهي ، الصبر على الأوامر ، والصبر على المكاره ، والصبر على ما فات إدراكه ، والصبر فيما يخشى حدوثه ، والصبر فيما يتوقعه من رغبة (ص٢٤٨-٢٥٢) ويجدر بالذكر أن بعض أنواع الصبر كالصبر على الأوامر والصبر على المكاره تتصل بمفهوم نفسي وهو المثابرة Persistence وإن كان مفهوم الصبر أكثر عمومية من المثابرة ، فليس كل صبر مثابرة ، وإنما المثابرة تعد بعض أقسام الصبر .

ثم يعرض بعد ذلك لأسباب تسهيل المصائب وتخفيف الشدائد ومنها العلم بأن الحال لا يدوم وأن الشدائد ستنجلي وأنها لا تقصر بجزع ولا تطول بصبر وهو ما يتصل بطرق العلاج السلوكي المعرفي لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي (ص٢٥٢-٢٦٠) .

الفصل الثالث : في المشورة : وفيه يحث على مشورة ذوي الرأي الناصح والعقل الراجح خشية الندامة أو الملامة بعد اتخاذ قرار ما . ثم يذكر لخصال أهل المشاورة الواجب استشارتهم ومنها العقل الكامل والدين والتقوى والنصح والود وسلامة الفكر من الهم والحياد ، يلي ذلك عرض لواجبات أهل الشورى كالإخلاص في تقديم النصح وعدم تقديم المشورة إلا بعد طلبها (ص٢٦٠-٢٦٦) .

أما الفصل الرابع : يحث فيه الماوردي على كتمان الأسرار لما له من فوائد ويذم من

لا يكتمون سراً ، حيث يكون لهم ثلاثة أحوال هي : ضيق الصدر وقلة الصبر ، والغفلة عن تحذير العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء ، وما ارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر . ثم يعرض للمقارنة بين حفظ الأموال الخاصة بالغير ، وحفظ الأسرار ، ويستخلص أن الأول أيسر من الثاني ولذا فإن الأخير يتسم بالندرة بالمقارنة بالأول . كما يعرض لصفات أمناء السر ومنها العقل والتدين والود والكتمان بالطبع ثم يحذر بعد ذلك من كثرة المستودعين لسر الشخص ، فكثرتهم سبب الإذاعة وطريق الإشاعة (ص٢٦٦-٢٦٩) .

ويتصل الفصلان السابقان بعملية التشاور Consultation وهي أحد أساليب اتخاذ القرار في مجال علم النفس الصناعي والإداري ، كما يلاحظ أن الصفات التي ذكر الماوردي أنه يجب أن يتحلى بها الشخص الذي يقدم المشورة هي نفس الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرشد النفسي (ص٢٦٠-٢٦٦) .

الفصل الخامس : في المزاح والضحك : وفيه يذكر أن المزاح إزاحة عن الحقوق ويؤدي إلى القطيعة والعقوق ، وينصح بأن يكون المزاح في حدود إيناس المصاحبين والتودد إليهم بجميل القول ومستحسن الفعل ؛ لأن الإكثار في الضحك يفقد الهيئة والوقار ، ويورد بعض الأحاديث النبوية والأشعار والحكايات التي تتصل بهذا الجانب . ويتصل هذا الفصل بمجال السلوك الأخلاقي خاصة في السياق الاجتماعي(ص٢٧٠-٢٧٤).

الفصل السادس : في الطيرة والفأل : وفيه يعرض لحكايات عن الطيرة لدى الفرس والعرب بجانب عدد من الأحاديث النبوية والروايات التي تستهجنها . ويشير إلى الفأل بأنه تقوية للعزم وباعث على الجد ومعونة على الظفر ويحث لذلك على التفاؤل وحسن الظن ويقترب ما ورد في هذا الفصل بمفهوم التشاؤم Pessimism والتفاؤل Optimism وهما أنواع من المعتقدات Beliefs ، فالتشاؤم هو الاعتقاد بأن جميع الأشياء تنزع بطبيعتها إلى الشر أو الاعتقاد بأن كفة الشر والشقاء أرجح من كفة الخير والسعادة ، عكس التفاؤل والذي يبعث على تقوية العزم والاجتهاد (ص٢٧٤-٢٧٧) .

الفصل السابع : في المروءة : ويقصد بالمروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون النفس على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق ، ويذكر أن من شروط المروءة التعفف عن الحرام والتصلف عن الآثام والإنصاف في الحكم والكف عن الظلم إلى آخره من الصفات الحميدة . كما يذكر أن من دوافع المروءة علو الهمة وشرف النفس . ثم يعرض لشروط مروءة العبد في نفسه ، وهي العفة عن المحارم والآثام والنزاهة عن المطامع والصيانة (صيانة النفس عن تحمل المنن) أما

شروط المروءة في غيره فهي المؤازرة (وهي الإسعاف بالجاه في النوائب) والمياسرة (العفو عن الهفوات والمسامحة في الحقوق) والإفضال (إفضال اصطناع وإفضال استكفاف ودفاع) .

ويذكر الماوردي أ، الكتاب كله في شروط المروءة وحقوقها ، وهو ما يقترب من مفهوم السلوك الأخلاقي (٢٧٧-٣٠٥) .

الفصل الثامن : في آداب منتورة : ويختص بتناول عدد من الآداب كآداب الملبس (ومنها التوسط والاعتدال في الزي حسب القدرة المالية والمنزلة والحال ، وآداب النوم حيث يذم نوم الصبح ونوم العشي يحث على تصفح ما صدر عن الصبر في نهاره قبل نومه . كما يعرض لدوافع سلوك الأكل والشرب وهي الحاجة والشهوة . كذلك لدوافع الحاجة إلى الملبس وهي ستر العورة وللتجمل والزينة . كما يحث على تصفح أحوال الغير والاقتداء بمحاسنهم وتجنب عيوبهم . كما ينصح بالتفكير في عاقبة السلوك قبل القيام به . ويلاحظ أن هذا الفصل يقدم عدداً من الإرشادات النفسية التي تخدم غرضاً توافقياً ، وهو ما يتصل بمجال علم النفس الإرشادي والصحة النفسية .

أوجه الاستفاده من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، والشخصية .

الماوردي (ت٤٥٠هـ-١٠٥٨م) نصيحة الملوك [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٦٩٣ صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من عشرة أبواب يشتمل كل منها على مجموعة من الفصول ، ويدور مضمون الكتاب حول تقديم مجموعة من النصائح للملوك ، على أساس أنهم أولى الناس بأن تهدي إليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ ، إذا كان في صالحهم صلاح الرعية ، وفي فسادهم فساد البرية . وقد أنهى المحقق كتابه بعرض فهرس مفصل للآيات القرآنية الكريمة ، وآخر للأحاديث النبوية الشريفة ، وآخر للأبيات الشعرية وآخر للأعلام . وأخيراً فهرس للموضوعات وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

الباب الأول : الحث على قبول النصائح .

ويتكون من فصلين يوضح فيهما أن الملوك أحق بالمواعظ من غيرهم لخلال عدة أهمها : أن يترفعوا به عن مشاكلة أهل الغباوة والجهالة ، وسوء النشوء والعادة ، وأن يرغبوا في نتائج النصائح ، لأن النصيحة هداية إلى سبيل الرشاد . وأنهم أكثر الناس أشغالاً وأعظمهم أثقالاً ، وأبعدهم عن ممارسة أمورهم بأنفسهم . وليس كل مستعان به معين ، ولا كل والٍ يستقل بما يلي . ثم يأتي على نصيحة العلماء للخلفاء ، فيذكر مواعظ سفيان الثوري ، وعمرو بن عبيد ، وابن السماك ، لأبي جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، في شأن قيمة الملك وأهم المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب هي : مفهوم التوجيه والإرشاد النفسي Counselling (من ص١٥-٦١) وسمات الشخصية Personality Traits (من ص١٥-٥٣) ، والانفعالات Emotions (من ص١٥-٦١) .

الباب الثاني : في فضائل الملوك في علو مراتبهم وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من احتلاب الفضائل واجتناب الرذائل :

ويتكون من ثلاثة فصول تعرض لفضائل الملوك ، في علو مراتبهم ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من احتلاب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، ويستشهد بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة في تفضيل الملوك على سائر البشر ، وكونهم أمناء على عباد الله في أرضه ورعاة لهم . ثم يدعو الملك إلى تجنب ما يخل

(١) تأليف أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري ؛ تحقيق محمد جاسم الحديثي . بغداد : وزارة الثقافة والإعلام . دار الشئون الثقافية العامة ، ١٩٨٦ ، ٦٩٣ص .

بجلالة المكانة ورفعة المنزلة ، وأن يعمل على تغليب العقل على الطبع ، والرأي على الهوى ، ويؤثر ما يشير إليه الرأي على ما يصبو إليه الهوى . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي :

الارتقاء Development (ص٧١) ، والفروق الفردية (ص٨٠-٨١) ، والقيم الخلقية Moral Values (ص٨٣-٨٨) ، الطباع Character (ص٨٨) ، والتفكير Thought (ص٨٨-٩٣) والانفعال (ص٨٨-٩٣) ، والعادة Habit (ص٩٤-٩٥) والحاجة Need (ص٩٤-٩٥) ، والخصال Characterstics (ص١٠١-١٠٧) ، وضبط النفس والسيطرة على الدوافع والأهواء .

الباب الثالث : الإبانة عن الأسباب التي من جهتها يعرض الاختلال والفساد في الممالك وفي أحوال الملوك :

ويتكون من ثلاثة فصول تفرض أن أحوال الأمم متقاربة متشابهة ، ثم لم تكن مملكة إلا كان أساسها ديانة من الديانات ، وأصلها ملة من الملل عليها بنيت شرائطها وفروضها ، وجرت أحكامها وحدودها ، ثم يبين أنه لا يخلو دين من الأديان ، ولا ملة من الملل من منافقين فيها ، ومعادين لها ، وكيفما يكون المملوك فإنه يقتدي بأفعالهم ، ويقتفي آثارهم في سيرهم ، ثم يحث الملك الحازم والسائس الصارم ، على أن يتعهد قلبه سماع آثار الملوك السابقين .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي :

الانفعال Emotion (من ص١١٢-١١٦) ، والعداوة Hostility (من ص١١٧-١١٨) ، والاقتداء Modelling (ص١١٨-١١٩) ، والمجاراة Conformity (ص١٢١-١٢٢) ، والخصال Characteristics (ص١٢٨-١٣٠) ، والطاعة (ص١٣١-١٤٤) .

الباب الرابع : في المواعظ التي تبصر غرور الدنيا وتذكر بالآخرة وتنفع من نظر فيها واستمع لها وتهديه إلى العدل في ملكه .

ويتكون من سبعة فصول يبين فيها المؤلف أن الوعظ والتذكير فريضتان ، ويحذر من الغرور ويؤكد أهمية الاعتبار ، وأن باب الأمن مستور بالخوف ، وعلى الملك أن لا يكون في حال غير متوقع لأضدادها ، وأن الإنسان أيام معدودة ، والعمر أمس واليوم وغدا ، ويؤكد أن الملك لا ينال إلا بالخدمة الطويلة ، والرياضة الصعبة الشديدة ، والمخاطر العظيمة ، والأشكال الكثيرة ، والآمال البعيدة ، التي ربما أتت دونها المنية ؛ لأن الملك محنة وابتلاء .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : التوجيه والإرشاد Counselling (ص١٤٧-١٦٣) ، والخوف (ص١٦٣-١٦٥) ، والمخاطرة Risk

Taking (ص١٧٩-١٨١) ، والمشقة Stress (ص١٨٣-١٩٢) ، والرجاء (ص١٩٢-١٩٣) .

الباب الخامس : في سياسة النفس ورياضتها . ويتكون من خمسة فصول ، يتكلم فيها المؤلف عن سياسة النفس ورياضتها ، ويستبعد الكلام في هذا الباب عن مراسم الجلوس واللباس والركوب والطعام والأزياء ، وإنما يقتصر فيه على معاد الملوك ومعاشهم ، ونظام ممالكهم وأحوالهم ، فيلزمهم بتقوى الله ، لأنها عصمة للملك ، وحرز لمن تمسك بها ، وهي رأس النجاح ومفتاح الفضائل ، ثم يؤكد على واجب الملك ، دون غيره ، في إقامة أمر الدين والأخذ بآدابه ، لأن الدين والصلاح جلالة في النفوس ، ثم يحث الملك على اقتناء العلم باعتباره من أجل الفضائل شأنا ، وأعلاها مرتبة ، ثم يشير على الترفع عن الطمع ، والأخذ بالحزم والعزم ، والتأني والتؤدة في الأمور المشكلة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الطاعة Obedience (من ص٢٠١-٢٠٥) ، والاقتداء Modelling (ص٢٠٤-٢٣٩) قيمة العمل (ص٢١٤-٢١٥) ، وقيمة العلم (ص٢١٥-٢١٨) ، والبلوغ (ص٢١٧) ، والعداوة Hostility (الأعداء) (من ص٢٣٣-٢٣٧) ، والالتزام Commitment (من ص٢٣٩-٢٤٢) ، والعقاب Punishment (ص٢٤٣) ، والتسامح Tolerance (ص٢٤٤-٢٤٧) ، والحذر (ص٢٤٧) ، وقيمة الصدق (ص٢٥١) ، والقيم الخلقية (ص٢٥٢-٢٥٤) ، والمكافأة Reward (ص٢٥٥-٢٥٦) ، والمثابرة Persistence (ص٢٦٤-٢٦٦) وضبط النفس Self control (ص٢٧٥-٢٧٧) .

الباب السادس : في سياسة الخاصة :

ويتكون من ثلاثة فصول يتكلم فيها عن سياسة الخاصة ، فيوصي الملك بالعناية في أمر خاصته وترويضهم على الطاعة . ويقسم خاصة الملك إلى طبقات ، فأخصهم به ولده وخدمه وقرابته ، ثم وزراؤه ، ثم جنده وقواده ، ثم عماله الذين يستعين بهم في إصلاح مملكته ، ثم يحدد عشر خصال يمكن الاستعانة بها على تقويم الخاصة . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الطاعة Obedience (ص٢٨٩-٢٩٦) ، والفروق الفردية Individual Differences (من ص٢٩٧) ، والطفولة المبكرة (من ص٣٠٣-٣٠٤) ، والعلاقات الوثيقة Close Relationship (من ص٣١٥-٣١٩) ، والخصال Characteristics (من ص ٣٢١-٣٤٨) .

الباب السابع : في سياسة العامة .

ويتكون من فصلين يتكلم فيها عن سياسة العامة ، فيحث الملك الفاضل والسائس

الكامل بالتزام العدل بين الرعية ، لأن العدل ميزان الله في الأرض ، يأخذ بـه للضعيـف من الشديد ، وللمحق من المبطل ، وأنه بالوالي تصلح الرعية ، فإذا صلحت كانت زينة للملك ، ثم يحدد عشر خصال يمكن الاستعانة بها على صلاح العامـة . وأهـم المفـاهيم السيكولوجية التي وردت في الباب هي :

قيمة العدل (من ص٣٥١-٣٥٣) ، والمسـئولية Responsibility (ص٣٥٣-٣٦٠) ، وسـيكولوجية السياسـة Psychology of Politiics (مـن ص٣٥٩-٣٦٠) ، والقيـادة Leadership ، والتعصـب Prejduice (ص٣٦٦-٣٦٧) ، والغضـب Anger (مـن ص٣٦٦-٣٦٧) ، والأعداء (عـدوان) (ص٣٩٧-٣٩٨) واتجاهـات الشـدة - اللـين Toughmindedness - Tendermindedness (من ص٤٠٢-٤٠٥) .

الباب الثامن : التدبير في الأموال .

ويتكون من أربعة فصول تتناول كيفية تدبير الأموال ، وفيه يحث المؤلف علـى عـدم الطمـع في أمـوال الرعيـة ، ويذم التبديـد والتقتير ، ثـم يبسـط معنـى البخـل والتبذيـر مستشهداً بقول الله ، عـز وجـل ، وأحـاديث رسـوله ﷺ ، وآثـار الملـوك والحكمـاء ، وأقوال الشعراء . ثم يتكلم عن السخاء وصنع المعروف ، وكيفيـة إتمامـه وعـدم انتظـار الجزاء عليه ، وأن الابتداء به نافلة . وأهـم المفـاهيم السـيكولوجية التـي وردت في هـذا الباب هي : القيم المادية (من ص٤٠٩-٤٦٦) ، والقيم الخلقية .

الباب التاسع : في تدبير الأعداء وأهل الجنايات .

ويتكون من فصلين خصصهما المؤلف لتدبير الأعداء وأهـل الجنايـات ، فتكلـم عـن إباحة دم المشـركين والباغين ، وعقوبـة قطـاع الطريـق . ثـم تحـدث عـن خصـال مـن السياسة ، وتدابير المناجزة ، ثم يوصي الملـك بـأن لا يلقـى حربـاً بنفسـه ، ويذكـر مـا يستعمله الملك إذا دفع للقتال بنفسه ، وما هو الواجب عليه بعدالظفر بعدوه .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هـذا البـاب هـي : العـدوان Aggression (من ص٤٥٧-٥٢٠) ، والعقاب Punishment (مـن ص٤٦٣-٤٦٩) ، وسـيكولوجية السياسة (من ص٤٧١-٥٢٠) ، وخصال الشخصية (من ص٤٧١-٥٢٠) ، والتيقظ Vigilance (ص٤٧٩-٤٨٤) .

الباب العاشر : في تقديم النيات وطلب التأويلات لكثير ممـا يجـري في أيـدي الملـوك والأمراء مما اختلف فيه كثير من العلماء وكرهه كثير من الفقهاء :

ويتكون من فصلين يعرض فيهما المؤلف لاختلاف العلماء في الخصـال التـي يشـتغل بها الملوك والأمـراء ، مـن تحليـل وتحريـم الأشـياء ، وأحـوال النـاس في الحـلال والحـرام وكراهيته ، ثم يختتـم الكتـاب بخصـال مـأثورة ، وخـلال مذكـورة عـن الملـوك الأولـين

والخلفاء والراشدين ، والحكماء المتقدمين ، وذوي التجارب والحِجَى ، والأحلام والنهى ، هي أعمدة السلطان وأركان الدول ، وأساس السياسة وجمال المُلك والخلافة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الفروق الفردية Individual Difference (من ص٥٢٣-٥٢٥) ، وخصال الشخصية (من ص٥٢٣-٥٢٥، ومن ص٥٣٩-٥٦٣) والكراهية Hate (من ص٥٢٩-٥٣١) ، والنية (المقصد) Intention (من ص٥٢٣-٥٦٣) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس .

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

ابن بختشيوع – الروضة الطبية [1]

عرض : عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف :

عبد الله بن جبرائيل بن عبيد بن بختشيوع ، أبو سعيد ، طبيب باحث ، من أهل ميافارقين ، له تصانيف منها " مناقب الأطباء " ، و " الروضة في الطب " ، و" التواصل إلى حفظ التناسل" ، و " طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها " ، و "الخاص في علم الخواص " ، و " عقد الجمان في طبائع الإنسان والحيوان " .

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على خمسين باباً نعرض لها على النحو الآتي :

الباب الأول : في ما الجنس ، وهو المقول على كثيرين مختلفين في النوع ، فهو شيء يعم أشياء مختلفة الصور .

الباب الثاني : في ما النوع ، وهو المحمول على كثيرين مختلفين بالشخص من طريق ما ، فهو شيء يعم أشياء مختلفة الأشخاص يعمها صورة واحدة .

الباب الثالث : في ما الفصل ، وهو المقول على كثرة مختلفة بالنوع من طريق أي شيء .

الباب الرابع : عن الخاصة ، وهي المحمول على كثرة مختلفة بالشخص متفقة بالصورة فقط منابة عن أنية الشيء الذي هو لها خاصته وليست بجزء له .

ويقترب ذلك من مفهوم الخاصة Characteristic أو السمة Trait ص١١-١٢ .

أما الباب الخامس : فهو عن العرض ، ويقصد به كل محمول على الجوهر ، والباب السادس في الجوهر ، وهو القائم بنفسه ، ويوصف بأنه ليس في موضوع وهو في موضوع الأجسام القابلة للكون والفساد ، وهو المحل الذي يتم فيه وجود الأعراض .

الباب السابع : في الكم وهو صفة تختص بمقادير الأشياء وأعداها .

والباب الثامن : في الكيف وهو صفة تكون للموصوف وتعسر مفارقتها . والفرق بينها وبين العرض أن العرض يطرأ ويزول من غير فساد الموضوع .. والكيفية ليست كذلك .

الباب التاسع : في الطبيعة ، وهي ابتداء الحركة ، ويقصد بذلك الحركة التي في ابتداء كون الجسم والسكون الذي ينتهي إليه اضمحلال ذلك الجسم .

---

(١) عبيد الله بن جبرائيل بن بختشيوع ، تصحيح بولس سباط . القاهرة : المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٧ ، ٧٣ص .

الباب العاشر : في الجثة ، وهي الموصوفة بالطول والعرض والسمك .

الباب الحادي عشر : في الأسقطس؟ وهو الشي الذي في الغاية ، والشيء الذي في الغاية لا ينحل لأنه غير مركب .

الباب الثاني عشر : في المزاج . وهو اختلاط الممتزجين لكي يستحيلا إلى هيئة المزاج .

الباب الثالث عشر : في الخلط وهو أسطقس للبدن ثابت موجود فيه .

الباب الرابع عشر : العضو ، وهو جزء من بدن الإنسان يحتاز بحيز خاص ، وأعد لفعل ما .

الباب الخامس عشر : القوة ، وهي سبب فاعل وقد توصف بصفة مأخوذة من جهة العقل .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع التفكير Thinking ، والتخيل Imagination ، والإحساس Senesation (ص٢٦-٢٨) .

الباب السادس عشر : في الفعل . وهو تأثير في موضوع ، وتختلف الأفعال بسبب اختلاف الشيء الفاعل .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم النفس Psyche (ص٢٨) .

الباب السابع عشر : الروح . وهي جسم لطيف هوائي تسري في الأعضاء وتعين القوى على أفعالها .

الباب الثامن عشر : النفس . وهي - على مذهب أرسطاطاليس - نماء لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة . وعلى مذهب أفلاطون - إنها جوهر بسيط عقلي يتحرك من ذاته كما عرضها المؤلف في ضوء عدد من المذاهب .

ويرتبط بمفهوم النفس Psyche (ص٣١-٣٢) .

الباب التاسع عشر : في تعريف العقل . فهو على مذهب أرسطاطاليس جوهر بسيط لا يشبهه شيء من الأشياء التي من جوهر الهيولي المركبة ، وعلى مذهب فيثاغورس جوهر بسيط نووي مختلط بكل شيء، ورسمه من جهة الطباع ، أنه الدال على حقائق الأشياء .

الباب العشرون : في الشهوة واللذة . ويرتبط بالدافعية ، وكذلك بالإحساس (ص٣٣-٣٤) .

الباب الحادي والعشرون : ويتحدث فيه عن العشق وهو تجاوز الحد في المحبة ، وأنه يختص بالنفس الناطقة وهو يؤدي إلى فساد التخيل والفكر .

ويرتبط بموضوع الانفعالات Emotions ، وكذلك بموضوع الخيال Imagination

(من ص٣٥-٣٩) .

الباب الثاني والعشرون : الحس ، وهو قوة للنفس مدركة للمحسوسات والحاسة آلة لها تدرك بها محسوساتها .

ويرتبط بموضوع الإحساس Sensation (ص٣٩-٤٠) .

الباب الثالث والعشرون : التخيل ، وهو ثبات صور المحسوسات في النفس بعد مفارقتها .

ويرتبط بمفهوم الاحتفاظ Retention (ص٤١).

الباب الرابع والعشرون : في الفكر ، وهو التسبب والنظر إلى المعارف والوقوف على حقائق الأشياء المتخيلة ، ويكون بالجزء الأوسط من الدماغ .

ويرتبط بموضوع التفكير Thinking (ص٤١) .

الباب الخامس والعشرون : في الذكر ، وهو إحضار ما قد سبق وجوده في الذهن أي ما سبق اكتسابه والاحتفاظ به .

ويرتبط بمفهوم التذكر Memorizing (ص٤١-٤٢) .

الباب السادس والعشرون : في الخُلُق ، وهو حالة للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار . ونسب المتأخرون الخُلُق إلى النفس الناطقة .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الاتجاهات وسمات الشخصية (ص٤٢-٤٣) .

الباب السابع والعشرون : في الغضب ، وهو غليان دم القلب لإرادة الانتقام وأيضاً هو الحركة لقهر ما أخذه .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (خاصة انفعال الغضب Anger معناه وأنواعه) (ص٤٣-٤٤) .

أما الأبواب الثامن والعشرون ، والتاسع والعشرون ، والثلاثون ، والحادي والثلاثون ، والثاني والثلاثون : فتتناول بالترتيب : الحركة ، والزمان والمكان ، والكون والفساد والعلم .

الباب الثالث والثلاثون : في المعرفة ، وهي الوقوف على الشيء وقوفاً حقيقياً ، ولها نوعان : معرفة خاصة تصح بالبرهان (لمعرفة الهندسة والحساب) ، والمعرفة العامة وهي التي يداخلها الحواس .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم المعرفة Knowledge (ص٤٧) .

أما الأبواب الخامس والثلاثون ، والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون ، فتتناول : القياس ، والبرهان ، والعلة والنوم .

الباب التاسع والثلاثون : في الرؤيا ، وتكون بحضور أمثلة الأشياء عند النوم .

وترتبط بسيكولوجية النوم والأحلام (ص٥٠-٥٧) .

أما الباب الأربعون : فهو عن النبض ، والباب الحادي والأربعون : عن البُحران ، وهو تغيّر يعرض للأمراض فجأة .

والباب الثاني والأربعون : عن المرض .

والباب الثالث والأربعون : عن السبب .

والباب الرابع والأربعون : عن العلامة .

الباب الخامس والأربعون : عن الصحة .

ويرتبط بمفهوم الصحة النفسية (ص٦٥) .

أما الباب السادس والأربعون : فهو عن الغذاء .

والباب السابع والأربعون : عن الدواء .

والباب الثامن والأربعون : عن الغاذي والمغتذي .

والباب التاسع والأربعون : عن الأبصار ، ويرتبط بموضوع الإدراك Perception (٦٩) .

أما الباب الخمسون : فهو عن الصوت .

ابن رضوان (ت٤٥٣هـ)

خمس رسائل لابن بطلان البغدادي ولابن رضوان المصري [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف : (٠٠٠ - ٤٥٣هـ) :

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب ، كان عالم مصر في أوانه في الأيام المستنصرية في وسط المائة الخامسة وكان في أول أمره منجماً يقعد على الطريق ويرتزق ، ثم قرأ شيئاً من الطب وشيئاً من المنطق وكان من المعلقين لا المحققين ، ولم يكن حسن المنظر ولا الهيئة ، ومع هذا فتتلمذ له جماعة من الطلبة وأخذوا عنه وسار ذكره ، ولابن بطلان معه مجالس ومحاورات وسؤالات .

ويُذكر أن ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره وكان السبب في ذلك أنه عند حدوث الغلاء في مصر ، أخذ يتيمة ورباها وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلا لها الموضع وكان قد ادخر أشياء نفيسة ، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت ولم يظفر منها على خبر ولا عرف أين توجهت . ويذكر أيضاً أنه كانت عنده سفاهة في بحثه وتشنيع على من يريد مناقشته .

وكانت وفاة علي بن رضوان في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بمصر وذلك في خلافة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز عبد الله بن الحاكم .

ومن كتبه : شرح كتاب الفرق لجالينوس ، وشرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس ، وشرح كتاب الإسطقسات لجالينوس ، وكتاب الأصول في الطب ، ورسالة في علاج الجزام ، وكتاب النافع في كيفة تعليم صناعة الطب ، وكتاب دفع المضار عن الأبدان بمصر ، وتفسير مقالة الحكيم فيثاغورث في الفضيلة ، وتفسير ناموس الطب لأبقراط ، وكلام في الأدوية المسهلة ، وكتاب في عمل الأشربة والمعاجين وغيرها كثير (وقد بلغ ما أحصاه ابن أبي أصيبعة من مؤلفات ١٠٢ مؤلفاً) (استمدت هذه الترجمة مما ذكره ابن القفطي ، وابن أبي أصيبعة وساقه المحققان في مقدمة هذه الرسائل) .

ولابن رضوان ثلاث رسائل أو مقالات من الرسائل الخمس المشار إليها في عنوان هذا الكتاب وهي شديدة الإيجاز وسنعرض لها فيما يلي :

---

(١) ابن رضوان المصري ، ابن بطلان البغدادي ، تقديم يوسف شخت . القاهرة : الجامعة المصرية ، كلية الآداب ، (د.ت.) (سلسلة كلية الآداب المؤلف رقم ١٣) نسخة مصورة . (طبعت هذه الرسائل في مجموعة واحدة مع رسائل ابن بطلان البغدادي) .

رسائل ابن رضوان :

تشمل هذه المجموعة من الرسائل ثلاث رسائل لابن رضوان جمعت مع رسائل ابن بطلان في شكل محاورات بينهما . وقد طبعت رسائل ابن رضوان مع رسائل ابن بطلان وهي جميعاً تقع في حوالي ٤٤ صفحة ، ورسائل ابن رضوان هي : الأولى في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الأغاليط ، والثانية في أن ما علمه يقين وحكمة وما ظنه ابن بطلان غلط وسفسطة والثالثة هي رسالة ابن رضوان إلى أطباء مصر والقاهرة المعزية يشكو فيها حاله وما جرى بينه وبين ابن بطلان .

وهو يضعها تحت اسم مقالات وتعرضها على النحو التالي :

المقالة الأولى : في التنبيه على ما في كلام المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي (المعروف بابن بطلان) من الأغاليط . ويبدأها بذكر قول جالينوس إن الطبيب فيلسوف كامل وإنه من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب ، والفيلسوف الكامل هو الذي قد حصل له العلم التعليمي والطبيعي والإلهي والمنطقي ، فالطبيب هو الذي حصل كل واحد من هذه على الكمال أي بلغ فيه الكمال . ثم يذكر أن ابن بطلان ليس فيه شيء من هذه وإنما هو مدع ، كما يفرق بين علوم القول والعمل أخذاً عن جالينوس كذلك. ويتعرض لمناقشة ما ذكره ابن بطلان في أن الفروج أحر من الفرخ . ثم يتعرض في ثنايا هجومه على ابن بطلان لاختبار العقل ، وعدم القدرة على الفهم ، وقصور المعرفة ، والهذيان في الكلام (وهو مس غير مباشر للعقل وما يمكن أن يدخل تحته من فهم ، ووظائف معرفية ، واضطراب التفكير الذي يتبدى في اضطراب الكلام ، وهي موضوعات اهتم بها علماء النفس المحدثون اهتماماً مباشراً (ص٤٣-٤٤) .

والمقالة الثانية : لابن رضوان في أن ما علمه يقين وحكمة وما ظنه مختار بن الحسن البغدادي غلط وسفسطة . وهي رسالة شديدة الإيجاز والاختصار ، ويواصل ابن رضوان فيها رده على خصمه ابن بطلان ، وكيف أنه - أي ابن رضوان - قد لزم في رده العلم والحكمة فأورد فيه منافع وفوائد كثيرة من الفلسفة النظرية والعملية ويهاجم بشدة خصمه ابن بطلان ، ويصفه بأنه مريض النفس وليس لهذا المرض دواء(ولعل مصطلح مرض النفس أو الأمراض النفسية من المصطلحات ذات الدلالة البالغة عند الأطباء النفسيين وعلماء النفس الإكلينيكيين في الوقت الراهن (ص٧٣) ويرى أيضاً أن الاجتهاد في التماس الحق والمواظبة عليه هو الطريق إلى السعادة ، وكذلك فإن تحقيق الفهم والمعرفة هي من طرق السعادة أيضاً (ونلاحظ أن مفهوم السعادة Happiness من المفاهيم التي تلقى اهتمام علماء النفس) .

والمقالة الثالثة : والأخيرة بالنسبة لابن رضوان فهي موجهة إلى أطباء مصر والقاهرة المعزية يشكو فيها حاله وما جرى بينه وبين العلامة المختار بن الحسن البغدادي

الطبيب . وفيها يسوق بعضاً من كلام ابن بطلان ثم يحاول تفنيده أو بيان الخطأ فيه ، تبصيراً للأطباء المصريين الذين يخصهم برسالته أو مقالته . وجميع الأقوال التي اختارها وعلق عليها ذات طبيعة طبية تتعلق بصناعة الطب والدوار ، وكلها تتركز حول الأمراض الجسمية ، غير أنه في ثنايا ذلك يعرض لمفهوم هام من المفاهيم الحديثة التي ابتكرها علماء القياس النفسي ونقلها عنهم واستخدمها المشتغلون بالعلاج السلوكي Behavior Therapy ، ألا وهو مفهوم التدريج في الانتقال من حالة لحالة مثل الأسلوب المعروف بالتحصين التدريجي Gradual Desenstization أو التسكين المنظم (ص٨٣) .

وكما نلاحظ من هذه الرسائل الثلاث أنها موجزة ، وأن ما ورد بها من مفاهيم أو مصطلحات ذات صلة بعلم النفس قليلة ، وغير مباشرة ، وهو عكس ما لاحظناه في رسالة ابن بطلان التي تعرض ناقلها لبعض فصولها بشيء من التفصيل ، وإنما أوردنا رسائل ابن رضوان باعتبارها رداً على ابن بطلان وذلك حتى تكتمل الصورة لدى القارئ .

ابن حزم الأندلسي : طوق الحمامة [1]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

التعريف بالمؤلف : (٣٨٤-٤٥٦هـ) :

هو الإمام الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الظاهري ، من قرطبة بالأندلس ، المولود سنة ٣٨٤هـ ، والمتوفي سنة ٤٥٦هـ ، وقد اهتم بنشر العلم وتحصيله رغم ما اعترضه من الموانع في هذا السبيل ، وقال عنه القاضي أبو القاسم صاعد ابن أحمد ، كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة وبخاصة في البلاغة والشعر والسير والأخبار " وقال عنه أبو عبد الله الحميدي : إنه كان عالماً حافظاً بعلوم الحديث وفقهه ، وذكر صاعد بن أحمد أن أبا رافع الفضل بن علي (ابن المترجم له) أخبره أنه قداجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف صفحة ومن هذه المؤلفات التي ذكرها المؤرخون ما يلي :

١- الفصل بين أهل الأهواء والنحل .

٢- الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد .

٣- الجامع في حد صحيح الحديث .

٤- التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث .

٥- منتقى الإجماع .

٦- الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبهم .

٧- كتاب أخلاق النفس .

٨- كتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه .

٩- كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض .

١٠- كتاب فهم السنن في الملل والنحل .

١١- حجة الوداع .

١٢- المحلي بالآثار في شرح المجلي بالاختصار .

١٣- الإحكام لأصول الأحكام .

---

(١) ابن حزم الأندلسي . بيروت . مؤسسة ناصر للثقافة ، (د.ت.) ، ٢٣٩ص ، (خزانة الفكر العربي ، ٢٦) . (المرجع : الأخلاق والسير لابن حزم) .

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب في ٢٣٩ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على ثلاثين باباً بالإضافة إلى مقدمة الناشر ، وتوطئة المؤلف ، وخاتمة ، وفهرس الموضوعات .

وفيما يلي عرض لهذه الأبواب :

الباب الأول : الكلام في ماهية الحب :

ويدور حول مفهوم الحب وأنواعه ، ومنها الحب غير النفعي أي المجرد عن الأهداف الشخصية وهو الحب في الله وهو أفضل أنواع الحب ويتسم بالاستمرار وعمق المشاعر نحو المحبوب ، وهناك محبة القرابة والألفة ومحبة الطمع في جاه المحبوب ومحبة بلوغ اللغة ومحبة العشق ، وينقضي الحب المعلل بانقضاء علته .

أما البغض وهو ضد المحبة قد لا يكون له سبب أو علة ، ويؤثر الحب في إدراك الأشياء فهو يزين للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده ولا يود المرء الإفاقة منه . ويتصل هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الحب) في علم النفس العام (ص١٧-٢٥) .

الباب الثاني : علامات الحب :

ومنها النظر بالعين والحديث بالكلام والإسراع بالسير نحو مكان المحبوب وتعمد القعود بقربه والتباطؤ عند القيام عنه والبهت والروعة عند رؤية المحبوب فجأة والانبساط الكثير ، ويحدث القلق عند رجاء لقاء المحبوب ، ويتتبع المحب أخبار المحبوب ويهتم بحركاته ، ومن علامات الحب أيضاً البكاء ، وهو من مظاهر الانفعال ، كما يتصل ذلك بموضوع التواصل أو التخاطب Communication في علم النفس الاجتماعي (ص٢٦-٣٦) .

الباب الثالث : باب من أحب في النوم :

يشير إلى الحب الذي يحدث من خلال الأحلام ويتوهمه الإنسان ويتمسك به .

ويتصل ذلك بسيكولوجية الأحلام Dreams والتوهم .

الباب الرابع : باب من أحب بالوصف :

يتناول انفعال الحب الذي يتم من خلال سماع المحب لوصف المحبوب ، ويتخيل المحب صورة المحبوب .

ويتصل هذا بسيكولوجية الخيال Imagination (ص٣٩-٤١) .

الباب الخامس : باب من أحب من نظرة واحدة :

ويدور حول تكون انفعال الحب لدى الإنسان من نظرة واحدة للمحبوب ، وهذا الحب ينقضي بسرعة ، ويتصل ذلك بموضوع الانفعالات (ص٤٢-٤٤) .

الباب السادس : باب من لا يحب إلا مع المطاولة :
ويهتم بالحب الذي لا ينشأ إلا بعد فترة طويلة من مشاهدة ومؤانسة المحبوب ، وهذا الحب يتسم بالاستمرار . وهو يتصل أيضاً بباب الانفعالات (ص٤٥-٤٩) .
الباب السابع : باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها :
يتناول أثر الحب في الحكم على الأشياء ، فالذي يحب صفة في محبوبه يسيطر عليه هذا الحب ، ويقتصر حبه على هذه الصفة دون غيرها . ويرتبط هذا الجزء بتأثير الانفعال في التفكير وفي إصدار الأحكام (ص٥٠-٥٣) .
الباب الثامن : باب التعريض بالقول :
يدور حول الكلام ، كأداة للتعبير عن الحب . ويتصل هذا المعنى بمفهوم التواصل اللفظي Verbal Communication في علم النفس الاجتماعي (ص٥٤-٥٦) .
الباب التاسع : باب الإشارة بالعين :
يتناول النظر بالعين كأحد وسائل التعبير غير اللفظي عن الحب ، وأيضاً الإشارات والإيماءات وهذا هو الجانب غير اللفظي Non Verbal من التواصل (ص٥٧-٥٩) .
الباب العاشر : باب المراسلة :
يشير إلى المراسلة كوسيلة التواصل بين المحب والمحبوب ، وهي وسيلة لإثارة مشاعر الحب لدى طرفي علاقة الحب .
الباب الحادي عشر : باب السفير :
فعندما تحل الثقة بين المحب والمحبوب يمكن أن يتم التواصل بينهما من خلال سفير (رسول) يتسم بالذكاء والفطنة .
الباب الثاني عشر : باب طي السر :
يتناول كتمان أسرار الحب ومظاهره وذلك لإبقاء المحب على محبوبه ، ويعتبر من دلائل المحب من محبوبه انحرافاً ويكون ذا نفس أبيه فيستتر بما يجد لكي لا يشمت به عدو ويمكن أن يتصل ذلك بموضوع سمات الشخصية Personality traits (ص٦٤-٦٨) .
الباب الثالث عشر : باب الإذاعة :
ويتناول كشف الحب وإظهاره وإذاعة أسراره مما يؤدي إلى عواقب سيئة على الإنسان ، وربما يكون بسبب غلبة الحب والميل نحو الجهر أكثر من الحياء . ويشير هذا إلى خصائص وسمات شخصية (ص٦٩-٧٢) .
الباب الرابع عشر : باب الطاعة :
يتناول أثر الحب في تغيير شخصية المحب التي قد تتسم بالشراسة والطباع القوية إلى

شخصية طائعة لينـة مستسـلمة ، ويرتبـط هـذا المعنـى بمفـاهيم وسـمات شـخصية مثـل التسلطية والخضوع (ص٧٣-٧٨) .

الباب الخامس عشر : باب المخالفة :

ويدور حول تحقيق رغبات المحب ولو خالف ذلـك هـوى المحبـوب . ويعنـي هـذا عدم تطابق وجداني Affective incongruency بينهما (ص٧٩) .

الباب السادس عشر : باب العاذل :

ويهتم هذا الباب بأنواع الأصدقـاء الذيـن يقومـون بـالحث والحـض والزجـر لإنهـاء علاقة بين طرفين . فأحياناً يتسم هذا الصديق برفق القول والنصح الأمين وهـو يفيـد في تهذيب النفس. وقد يتسم بالزجر وكثرة الملامة وذلك عبء ثقيل على النفس . ويدخل النـوع الأول في إطـار التوجيـه والإرشـاد النفسـي Counselling psychology (ص٨٠-٨١).

الباب السابع عشر : باب المساعد من الإخوان :

يتناول هذا الباب صفات وخصائص الصديق الوفي الذي يقف مع المحب في شدائده ويصون أسراره ويؤانسه ، ويدخل ذلك في موضـوع سيكولوجية الصداقـة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص٨٢-٨٥) .

الباب الثامن عشر : باب الرقيب :

وهو عن أنواع الأشخاص الذين يقومون بعملية الرقابة على المحب ومحبوبـه ، سـواء الرقابة المتعمدة لمعرفة حقائق عنهما ، أو رقابة غير متعمدة لعدم فطنة الرقيب . ويتصـل ذلك بموضوع سيكولوجية العلاقات الاجتماعيـة Social Relationships في علـم النفـس الاجتماعي ، وأيضاً سمات الشخصية (ص٨٦-٨٩) .

الباب التاسع عشر : الواشي :

ويدور حول الشخص الواشي الذي يريد أن يوقـع ويفـرق بـين المتحـابين بأسـاليب مختلفة ، منها ذكر صفات سيئة عن المحـب للمحبـوب ليسـت فيـه . ويدخـل ذلـك في سمات الشخصية ، وسيكولوجية العلاقات الاجتماعية (ص٩٠-٩٨) .

الباب العشرون : باب الوصل :

ويتناول العلاقة المباشرة بين المحب والمحبوب أو العلاقة اللاحقة للهجر أو الفـراق ، ومظاهر هذه العلاقة الدالة على شدة الحب بينهما ، وهـو يتصـل بموضـوع الانفعـالات (ص٩٩-١٠٩) .

الباب الحادي والعشرون : باب الهجر :

يتحدث المؤلف في هذا الباب عن مظاهر الهجر وأنواعه ، ومنها الهجر نتيجة ذنـب

يقع من المحب ، أو نتيجة التدلل ، فيظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر محبه . وهناك هجر بسبب الوشاة أو الملل أو جفاء المحبوب . ويتصل هذا بسيكولوجية العلاقات الاجتماعية والانفعالات (ص١١٠-١٢٤) .

الباب الثاني والعشرون : باب الوفاء :

يدور هذا الباب حول خاصية هامة في العلاقة بين المحب والمحبوب ، وهي خاصية الوفاء ، والتي تعتبر فرضاً لازماً وحقاً واجباً على المحب والمحبوب ، ولا يحول عنها إلا الخبيث الذي لا خلاق له ولا خير عنده ، ويتصل هذا بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية وسمات الشخصية (ص١٢٥-١٣٢) .

الباب الثالث والعشرون : باب الغدر :

ويدور حول خاصية ذميمة ومكروهة تفسد العلاقة بين المحب والمحبوب وهي الغدر، وبخاصة الغدر الذي يقع من السفير بينهما ، فيغدر على المحب ويستأثر بالمحبوب دونه . ويتصل هذا المعنى بموضوع العلاقات المتبادلة في علم النفس الاجتماعي Interpersonal relationships (ص١٣٣-١٣٤) .

الباب الرابع والعشرون : باب البين :

ويتناول الفراق بين طرفي علاقة الحب وأنواعه ومنها الفراق المؤقت لسبب معين ، أو الفراق بسبب منع المحبوب نفسه من أن يراه محبه ، ومظاهره الحزن والأسف . أو المتعمد من المحب بعداً عن قول الوشاة ، أو الفراق الناتج عن الرحيل وتباعد الديار وهو خَطْب موجع . ويشير المؤلف هنا أيضاً إلى مواقف الوداع ومظاهرها وآثارها على النفس ، وإلى الفراق بسبب الموت ، وهو فراق قاطع لكل رجاء ، ويتصل بموضوع انفعال الحب ، والعلاقات الشخصية بين المحب والمحبوب (ص١٣٥-١٤٩) .

الباب الخامس والعشرون : باب القنوع :

ويتضمن موضوع الرضا والقنوع في حالة الحرمان من الوصل الحقيقي والمباشر بين المحب والمحبوب ، بهدف راحة النفس . وهذا القنوع به درجات متباينة ، منها القنوع بالنظر إلى الجدران التي يسكنها المحبوب ، أو الراحة لمن رأى المحبوب أو أتى من بلاده . ويتصل بموضوع الانفعالات ومظاهرها : انفعال الحب (ص١٥٠-١٦٠) .

الباب السادس والعشرون : باب الضنى :

يهتم هذا الباب ببيان بعض المظاهر أو الآثار السلبية المترتبة على عدم الوصل بسبب الفراق أو الهجر ، وذلك كالاختلاط العقلي أو الانشغال الذهني بدرجة عالية أو الجنون وينضوي ذلك تحت علم النفس الإكلينيكي أو المرضي Clinical Psychology (ص١٦١-١٦٥) .

الباب السابع والعشرون : باب السلوّ :

ويتناول السلو كعاقبة للحب ، وهو أنـواع منهـا السـلو الـذي يعقـب الهجـر وهـو كاليأس ، وهناك أيضاً السلو الطبيعي المسمى بالنسيان ، وهنـا يبـدو الإنسـان كأنـه لـم يحب قط ، والسلو التطبعي وهوالتصبر ويبدي فيه الإنسان التجلد رغم ولع قلبه . ومـن أسباب السلو الملل والاستبدال والحياء وكلها من المحب ، وهناك أيضـاً الهجـر والجفـاء والغدر والنفار وهي من المحبوب .

الباب الثامن والعشرون : باب الموت :

ويدور حول شدة الحب والولع بالمحبوب ، والذي قـد يـؤدي إلى المـوت ومفارقـة الدنيا . وهذا إشارة إلى شدة الانفعال (ص١٨١-١٨٩) .

الباب التاسع والعشرون : باب قبح المعصية :

يتحدث المؤلف في هذا الباب عن طبيعتين متعارضتين خلقهما الله تعالى في الإنسـان هما قوتا العقل والغرائز ، فيحث العقل على الخـير والحسـن وتقـود الغرائـز إلى المعصيـة والإثم كفعل الزنا واللواط ، ومفهوم الغريزة يتصل بموضـوع الدوافـع Motives في علـم النفس العام ، كما أن اللواط يشير إلى اضطراب جنسي Sexual disorder هـو الجنسـية المثلية Homosexuality ويتعلق بعلم النفس المرضي (ص١٩٠-٢١٦) .

الباب الثلاثون : باب فضل التعفف :

يشير المؤلف في هذا الباب الأخير من الكتاب إلى فضل العفة وترك المعصيـة وتجنـب الفواحش كالزنا واللواط وجزاء ذلك في الآخرة من ثواب عظيم .

ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم توجيه وضبط الدافع Motive الجنسـي ويدخـل في علم النفس العام (ص٢١٧-٢٣٦) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، وبخاصة الانفعالات .

ابن حزم الأندلسي : الأخلاق والسير في مداواة النفوس [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

الكتاب يقع في ٦٩ صفحة من القطع المتوسط ويضم الكتاب – بالإضافة إلى ترجمة المؤلف ، ومؤلفاته ، وخطبته – أحد عشر موضوعاً .

والموضوع الأول هو مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق ، وفيه يميز المؤلف بين مصادر اللذة لصنوف من البشر ، فلذة العاقل بتمييزه ، ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم بحكمته ، ولذة المجتهد لله باجتهاده . وهي تختلف عن مصادر اللذة في الدنيا والأكل والشرب واللعب .

ويحث المؤلف على العمل للآخرة فهو الأبقى ، وعاقبته السرور في العاجل والآجل . والسرور في الآجل هو دخول الجنة ، والسرور في العاجل هو قلة الهم ، وطرده ، وهو ما يستوي الناس في استحسانه ، وهو مذهب اتفقت الأمم كلها في السعي إليه . ويحاول من جانبه البحث عن سبيل موصلة إلى طرد الهم ، الذي هو مطلب النفس ، واهتدى إلى أنه موجود في التوجه لله ، والعمل للآخرة ونلمح من هذا الحديث بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التي تهم الدارسين في مجال علم النفس الإكلينكي والصحة النفسية والطب النفسي ، وهو الاكتئاب Depression خاصة ما يسمى بالاكتئاب التفاعلي أو تغيرات المزاج ، وكيفية تشخيصها ومعرفة أسبابها وعلاجها (ص١٣-١٦) .

والموضوع الثاني بعنوان العقل والراحة ، ويعرفه باطراح المبالاة بكلام الناس ، والمبالاة بكلام الخالق ، ويحذر من الاستماع لكلام الناس مدحاً وذماً ، سواء كان بالحق أو بالباطل لأن ذلك قد يورث الإنسان العجب والغرور ، فيفسد فضائله ، أو يضله ويخدعه وذلك نقص شديد أحرى بالعاقل ألا يتخلق به . وعليه أيضاً أن يربي نفسه على التمييز بين الفضائل والرذائل ، وبين الطاعات والمعاصي حتى يسعد في دنياه وأخراه ، ويحاول أن يبصر البشر بالابتعاد عن مصادر الغرور والكبر كالإعجاب بالقوى والصفات الجسمية والبدنية لأن سعادة الإنسان بقوة تمييزه ، واتساع علمه ، وحسن علمه . ويحذر من " الغضب " مسترشداً في ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ولعل حديثه عن الغضب يعد سبقاً لدراسة أحد الموضوعات التي تدرس الآن في إطار علم النفس العام وهو موضوع " الانفعالات " Emotions (ص١٩-٢٠) .

(١) ابن حزم تحقيق لجنة إحياء التراث العربي – ط٣ بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٩٨٠ . ٦٩ص .

وينتقل بنا ابن حزم ليحدثنا في الموضوع الثالث عن العلم وأسباب طلبه ، وفضله على طالبه في الدنيا والآخرة . ويحذر من الجهل وسوء عاقبته ، ويرى أن من أهم فوائد الاشتغال بالعلم قطع المشتغل به عن الوساوس المضنية ، وكف الأفكار المؤلمة للنفس ، والتخلص من الآمال التي لا تفيد غير الهم ، ثم يرسم طريق نشر العلم وإذاعته ، على أن يكون ذلك بين من يحلون العلم ، وحذر في نفس الوقت من البخل بالعلم " .
ويلفت ابن حزم النظر إلى نقطة أصبحت الآن حقيقة واقعة ألا وهي (التخصص في العلم) . أي أن يختار الإنسان علماً معيناً فيفضله على غيره من العلوم . وأن يبحث كل طالب علم له عن قدوة ومثل أعلى يطمح في الوصول إليه (وهو أحد الموضوعات التي تدرس في علم النفس الحديث داخل ما يسمى بسمات الشخصية خاصة ما يعرف بمستوى الطموح Level of aspiration . أو التعلم بالاقتداء Modling كما في ميدان التعلم (ص٢١-٢٥) ويختتم هذا الموضوع بالتحذير من الدخلاء على العلم وما يمكن أن يسببوه من إفساد له .

وتحت عنوان الأخلاق والسير ، يقدم ابن حزم عدداً من الإرشادات والنصائح والوصايا القيمة ، والتي تقوى بها الأخلاق ، وتصلح بها النفوس ، فهو يوصي بمعرفة عيوب النفس وعدم الاندماج في مخالطة الناس لأن ذلك يجر الذنوب والهموم (وينهى في نفس الوقت عن الانعزال التام) ، ويدعو إلى الهمة وعدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد. ويوصي بعدم الاستماع إلى الوشاية ، ويحث على الشجاعة والإيثار والعفة والعدل والكرم والتواضع . وأن نتوقع ما لا نحب حتى نحتمله عندما يحدث . (وهو هنا يشير إلى موضوع يدرس في علم النفس الحديث تحت ما يسمى بالتوافق Adjustment ، وكيف يوصي العلماء بتوقع المشقة Stress حتى نقلل من وقعها علينا عند حدوثها) (ص٢٦-٢٨) ويعلي من قدر المتدينين وإن لم يكونوا على ديننا .
وفي مقابل ذلك يحذر من الثأر والانتقام ، والغدر ، وشهادة الزور ، والسكر (ويدرس ذلك الآن تحت مسميات الاعتماد Dependence أو الإدمان Addiction) ص٢٨ وينهي عن البخل والشح ، والظلم والجور ، والغضب والحقد ، وحب الذكر . ويختم نصائحه بأنه لا يوجد مخلوق يخلو من عيب ، وأن من عَلِمَ نقصه كان كاملاً ، وهذه الموضوعات تدخل فيما يعرف في علم النفس الحديث بالقيم الأخلاقية والانفعالات .

وفي الموضوع الخامس ، وتحت عنوان الإخوان والصداقة والنصيحة ، يحدد ابن حزم إطاراً للصداقة الحقة ، ويرسم معالمها ، فيحبذ العتاب بين الأصدقاء ، وينهى عن إفشاء الأسرار وألا نقابل إساءة الصديق بالإساءة ، وأن نتحلى بالعفو ، وبذل الفضل لمن سأل

ومن لم يسأل (وهو من أحدث الموضوعات التي تدرس الآن في علم النفس الاجتماعي Social psychology تحت مسمى سلوك المساعدة Helping behaviour (ص٤١-٤٢) وأن نقدم النصيحة والشفاعة بلا شروط ، ثم يحدد حدود الصداقة وغاياتها ، وحد النصيحة ومراتبها ، ويقدم بعد الهدايات التي ينبغي أن نسترشد بها في معاملة الأصدقاء ، ويختتم هذا الجزء بتقسيم الناس إلى سبع مراتب : أهل الثقافة ، وأهل الملق والطمع ، وأهل الخط والحمق ، وأهل السلاطة والوقاحة ، والعيابون ، وأهل الفضل ، وأهل السلامة .

والموضوع في مجمله يدخل في أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي الحديث وهو المهارات الاجتماعية Social skills ومنها الصداقة Friendship وكذلك موضوع الإرشاد النفسي (ص٤٠-٥٠) .

واستكمالاً للحديث السابق ، يحدثنا في الموضوع السادس عن المحبة وأنواعها ، ويرى أن المحبة كلها من جنس واحد ، ولكنها تختلف باختلاف الأغراض فيها . ومن أنواعها المحبة لله ، وللأب وللابن ، وللقرابة ، والصديق ، وللسلطات .. وغير ذلك . ويحدد أدنى أطماع المحبة ممن تحب ، وأقصى أطماع المحب ممن يحب ، ويورد عدداً من الأقوال في المحبة فيقسمها إلى عدة مراتب هي الاستحسان ، والألفة ، والكلف ، والشغف ، ويقسم كذلك الصور إلى أنواع فمنها الحلاوة ، والقوام ، والروعة ، والحسن ، والملاحة . وهذا الموضوع كما قدم على هذا النحو يدخل ضمن موضوع الانفعالات Emotions الذي يدرس في علم النفس العام (ص٥١-٥٦) .

وفي الموضوع السابق يحدثنا عن الأخلاق والعادات . فيلفت النظر إلى عادات الرسول الكريم ﷺ وأخلاقه . ويبدأ بعد ذلك في تقديم عدد من الأخلاق والعادات المحببة وعدد آخر من العادات والأخلاق الذميمة وذلك من خلال تقديم المتضادات والنقائض ليبرز محاسن الأولى ومساوئ الثانية . فهو يوضح حد العقل في أنه استعمال الطاعات والفضائل وحد الحمق في استعمال المعاصي والرذائل ، وحد السخف هو العمل والقول بما لا تحتاجه الدنيا أو الدين ، وحد الوقار هو وضع الكلام في موضعه ، والتوسط في تدبير المعيشة ، والمسالمة وهي كلها ضد السخف ، كما يحذرنا من الدهاء ، والتعدي ، والتخليط في القول والكذب ، ومخالطة جلساء السوء ، والمساعدة فيما يعود علينا بالضرر ، ويحثنا على القناعة والوفاء ويرى أن أصول الفضائل أربعة هي : العدل ، والفهم ، والنجدة ، والجود . وأن أصول الرذائل أربعة هي : الجور ، والجهل ، والجبن ، والشح . ثم يدعونا إلى التأسي بخلق الرسول ﷺ .

وبعد ذلك ، وفي الموضوع الثامن ، وهو وثيق الصلة بسابقه ، يتحدث عن أدواء

الأخلاق الفاسدة ومداواتها ، وهنا يبدو ابن حزم كالطبيب البارع الذي يشخص الداء ويصف الدواء . ويرى أن مصدر الداء يكمن في العجب والغرور ، وعدم إدراك عيوب النفس .ويعدد مصادر العجب ، كالعجب بالآراء ، والعلم ، والعجب بالمال ، والعجب بمدح الآخرين وثنائهم ، والعجب بالنسب . وهو في كل مرة يفند حجة المعجب بمصدر إعجابه ، فكل مصادر العجب وهبنا الله إياها ، ويمكنه أن يسلبها منا إن لم نحسن استخدامها وينهانا في الوقت نفسه عن الخوض في عيوب الآخرين ، وعن التعسف وسوء التصرف فيمن تحت أيدينا ، ولا نتطاول على من لا يملك المعارضة ، ويجمل أسباب ذلك كله في نقص العقل ، لأن من نقصد عقله توهم أنه أوفر الناس عقلاً وأكملهم تمييزاً . ويرى أيضاً أن أشد آلام الناس هي الخوف والهم والمرض والفقر . وهو في كل مرة يصف فيها داء يقدم معه علاجه ، ويرى أن رياضة النفس وترويضها وتذكرها لنقائصها والتمسك بالفضيلة ونبذ الرذيلة من أهم دعائم العلاج .

والموضوعات الثلاثة المتبقية صغيرة نسبياً ، لكنها لا تقل من حيث الأهمية . ففي الموضوع التاسع يحدثنا عن غرائب النفس ، فيذكر منها التروي في إصدار الحكم وعدم الأخذ بالظاهر المرئي ، بغية الإنصاف ، ومن عجائب الأخلاق – أيضاً – أن الغفلة مذمومة وأن استعمالها محمود ، وقد يبدو هذا القول متناقضاً إلا أن ابن حزم يقدم الدليل على اختفاء التناقض ، ويستدل على ذلك بإظهار الجزع وإبطانه ، وفي إظهار الصبر وإبطانه أيضاً ، ثم ينتقل بعد ذلك لمواصلة الحديث في الموضوع العاشر عن تطلع النفس إلى ما يستر عنها من كلام مسموع أن شيء مرئي أو إلى المدح وبقاء الذكر . وهي من الأمور التي يكاد لا يخلو منها أحد ، أي الفضول وحب الاستطلاع ، ويبين كيف أن الانشغال بهاتين الصفتين قد يجر على الإنسان الهم ، كما أنه لن يجن من وراء ذلك الشيء الكثير ، فكم من ملوك وعلماء ، وأخيار الأمم ذهبوا أو لم يبق لهم أثر ولا لأحد بهم علم . وبدلاً من ذلك ينبغي أن نشتغل بشكر المنعم ، والاهتمام بأموره وحسن الدفاع عنه والوفاء له ، ونشر محاسنه ، وأن تفعل ما هو أكثر من ذلك مع المنعم الأعظم سبحانه وتعالى ، فهو أساس كل نعمة ، والمجزي عن كل خير .

وفي الموضوع الأخير – الحادي عشر – يقدم ابن حزم وصية غالية يحض فيها على حضور مجالس العلم ، وآداب هذا الحضور ، فيكون الحضور حضور المستزيد من العلم والسؤال سؤال المتعلم ، والمراجعة مراجعة العالم ، وأن من تعلم فليتعلم الخير وليعمل به وفي ذلك جمع لعدد من الفضائل .

الجرجاني ، عبد القاهر – أسرار البلاغة في علم البيان [1]

عرض : د. طريف شوقي

التعريف بالمؤلف : (٤٠٠-٤٧١هـ/١٠١٠-٠٠٠٠م) :

ولد الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني سنة ٤٠٠هـ-١٠١٠م ، بمدينة جرجان ، ولقب بإمام علوم اللغة في عصره ، وقد اهتم بتدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان لما تحكمت في عصره دولة الألفاظ واستبدت على المعاني وطال الوقوف على مدلول الألفاظ المفردة والجمل المركبة ، والانصراف عن المعاني للأساليب ، ومغازي التراكيب .

ومثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل إعجازه (أشهر كتابين له) كمثل ابن خلدون في مقدمته ، فعبد القاهر يعد أول من أسس من هذا الفن (البلاغة) قواعده ، وأوضح براهينه ، وأثبت فوائده ، ورتب أفانينه كما يقول يحيى بن حمزة الحسيني الذي كتب (الطراز في علوم حقائق الإعجاز) وهوأحسن ما كُتِب في البلاغة بعد عبد القاهر .

وكان عبد القاهر بجانب شهرته في علوم اللغة ، مشتغلاً بعلوم الكلام وفقيهاً ، وقد توفي رحمه الله عام ٤٧١هـ .

عرض الكتاب :

مقدمة الكتاب :

يتحدث فيها عن وظيفة اللغة وأهميتها ، ومكانة المعنى والدلالة فيها ، وكيف أن اللغات تتفاضل في حقيقتها بالبيان ، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إل القبول وأدعى إلى التأثير ، فالحسن والقبح لا يتوقف على اللفظ والجرس ولكن العبرة بالمعنى .

كالتجنيس فإنك لا تستحن فيه تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً (حميداً) ، فالألفاظ خدم المعاني ، فمن نصر اللفظ على المعنى ، ربما طمس بكثرة ما يتكلفه المعنى وأفسده ، فاللفظ لا يجتلب من أجل السجع ، فالمتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما (ص٤-١٠) ويردف قائلاً : اعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني وأفصل أجناسها وأنواعها ، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل ، وقرب رحمها منه ، وأن من

(١) تأليف عبد القاهر الجرجاني ، صححها محمد رشيد رضا – ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨ ، ٣٧٢ص .

الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز (لأنه محمل بالمعنى الجلي) ، وجل المعول في شرفه على ذاته ، وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره ، ومنه ما هو (ما لا يحتوي على قدر كاف من المعنى) كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة ، فلها قيمة تغلو ، ومنزلة تعلو ، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابها ، وفجعتهم فيها بما سلب حسنها المكتسب بالصنعة ، فلم يبق منها إلى المادة العارية من التصوير ، والطينة الخالية من التشكيل سقطت قيمتها ، وانحطت رتبتها ، وعادت الرغبات التي فيها زهداً (ص١٩-٢٠) .

يجدر الإشارة إلى أن هذه الزاوية من النظر من حيث التركيز على المعنى في اللغة كانت موضع اهتمام باحثي علم اللغويات النفسية .

ثم ينتقل بعد ذلك ليعرض أهم مباحث هذا العلم ، ويرى أن الاستعارة والتشبيه والتمثيل أصول وأن جل محاسن الكلام - إن لم تقل كلها - متفرعة عنها وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في منصرفاتها ، ويبدأ في عرضها على نحو مفصل فيما يلي :

١- تعريف الاستعارة :

أن يكون لفظ الأصل (المشبه به) في الوضع اللغوي معروفاً ، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمل في غير ذلك الأصل، وينقل إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية وتنقسم إلى قسمين :

أ- الاستعارة غير المفيدة : هي اللفظ الذي استعمل في غير الجنس الذي وضع له في اللغة ، كأن نضع للعضو الواحد أسماء كثيرة بحسب اختلاف الأجناب نحو ، وضع الشفة للإنسان ، المشفر للبعير ، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وضع له ، كأن يستعمل الشفة للبعير ، فقد استعار منه (ص٢٢-٢٣) .

ب- الاستعارة المفيدة : ما بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك ، مثال قولنا : رأيت أسداً ، لتعني رجلاً شجاعاً (ص٢٤).

والاستعارة تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، كما أنها تبرز البيان في صورة مستجدة تزيد من قدره نبلاً ، وتوجب له الفضل فضلاً (ص٣٢-٣٣) .

٢- أقسام الاستعارة :

اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة فإنها لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً ، فإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً في قسمين .

أ- أن تنقله من مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت ومعلوم وذلك قول : رنت لنا

ظبية وأنت تعني امرأة (استعارة تحقيقية) .

ب- أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين منه شيء يشار إليها ، فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه (الاستعارة التخيلية) فالتشبيه في الأول مباشر ، وفي الثاني يتراءى لك بعد أن تخرق إليه سراً ، وتعمل تأملاً وفكراً ، فهو أمر تخيلي كأن تقول كلمتني عيناه عما يحوي قلبه، فثبت الكلام للعين وهو أمر متخيل (ص٣٤-٣٥) .

٣- دلالة الحال :

يروي الشيخ عبد القاهر حديثاً للجمحي عن لغة العيون هذا وصفه : قال أحدهم أتيت للجمحي استشيره في امرأة أردت التزوج بها فقال : أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ قال : فلم أفهم ذلك ، فقال لي : كأنك لم تفهم ما قلت ، إني لأعرف عين الرجل إلا عرف ، وأعرف فيها إذا أنكر ، وأعرف إذا لم يعرف ولم ينكر ، أما إذا عرف فإنها تخاوص (إذا غض من بصره قليلاً مع تحديق) وإذا لم يعرف ولم ينكر فإنها تسجو (تسكن) وإذا أنكر فإنها تجحظ (إذا عظمت مقلتها) (ص٣٩) .

وهذا الحديث يتضمن إشارة إلى أحد الموضوعات الهامة في علم النفس الاجتماعي وهو التخاطب غير اللفظي ، وأهمية عنصر التقاء العيون Eye Contact في إقامة تفاعل احتماعي أكثر فعالية مع الطرف الآخر ، وكيف يمكن استخدام وسائل التخاطب غير اللفظي في توضيح المعنى للطرف الآخر ، وزيادة إمكانية التأثير فيه .

٤- طرق الاستعارة :

ويفصل القول في ضروب الاستعارة وهي عنده تتمثل في :

أ- الاستعارة المتحدة في الجنس المختلفة الأنواع ومثاله : استعارة الطيران لغير ذي الجناح إذا أردت السرعة .

ب- الاستعارة القريبة من الحقيقة كقول المتنبي مادحاً سيف لدولة :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدارهم .

ج- الاستعارة فيما وجه الشبه فيه حقيقي : أي يكون الشبه مأخوذاً من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له .

د- وجه الشبه العقلي في الاستعارة : حيث يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب ، ويشير إلى أهمية ذلك الضرب من الاستعارة بقوله : إن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، وهي على أصول ثلاثة :

أ) أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة المدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة

مثل استعارة القسطاس للعدل ، فهذا شبه أخذ من محسوس (عياني) لمعقول(مجرد) .

ب) أخذ الشبه من المحسوس للمحسوس ثم الشبه عقلي مثل قول الرسول ﷺ : "إياكم وخضراء الدمن" الشبه مأخوذ للمرأة من النبات ، وكلاهما جسم إلا أنه لم يقصد بالتشبيه خصائص النبات من شكل ولون وطعم ، بل القصد شبه عقلي بين المرأة الحسناء من المنبت السوء ، وبين تلك النابتة على الدمنة (الموضع الذي فيه النفايات) وهو ما كان حسن الظاهر في رأي العين مع فساد الباطن .

ج) أخذ الشبه من المعقول للمعقول : كأن نصف الجهل بالموت (ص٤٩-٥١) .

٥- حقيقة التشبيه والتمثيل :

الشيئان إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :

أ- التشبيه : وذلك بأن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج منه إلى تأويل مثل : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة ، والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة .

ب- التمثيل : الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل ، وذلك كأن ترجع وجه الشبه إلى معنى يتحقق في الطرفين بشيء من الحيلة والتلطف ، أي أنه تشبيه عن طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشيئين من حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة ، كقولهم في صفة الكلام : ألفاظه كالماء في السلاسة .

ثم يعقد تفرقة بين التشبيه والتمثيل فيبين أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيل ، وأن التشبيه أقوى من التمثيل في وجه الشبه ، ثم يتحدث على نحو من التفصيل عن الشبه العقلي .

٦- مواقع التمثيل وتأثيره في النفس :

إن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه رفع من أقدارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، فإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وبيانه أبهر ، وإن كان وعظاً كان أدعى للفكر وأبلغ في التنبيه والزجر (ص٩٢-٩٥).

فقابل بين أن تقول : إن الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره - وتقتصر عليه - وبين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن النبي ﷺ قال : "مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه"(ص١٠١) .

٧- أسباب قوة تأثير التمثيل وعلله النفسية :

أ- أول ذلك وأظهره أن أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي (مجرد) إلى جلي (عياني) ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها إلى الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم ، فكما قالوا ليس الخبر

كالمعاينة(ص١٠٢) .

ب- ضرب آخر من الأُنس وهو ما يوجبه تقدم الألف ، ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو إذن أمس بها رحما ، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالفعل المحض إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع ، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم (ص١٠٢-١٠٣) .

ج- إننا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر ، فأنت إذا قلت للرجل " أنت مضيع للحزم في سعيك ، وطالباً لما لا تناله " ، ثم عقبته بقولك " وهل يحصل في كف القابض على الماء بشيء مما يقبض عليه " ، ولو كان الرجل على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل له سعيه على شيء ، فأدخل يده في الماء وقال : انظر ، هل حصل في كفي من الماء شيء كذلك أنت في أمرك " كان ذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون العمل مما يدل على أن التمثيل بالمشاهدة يزيد أنساً (ص١٠٤-١٠٧) .

إن الجرجاني يلخص أسباب تأثير التمثيل في أنه يجسد للفرد المعاني التي يصعب عليه إدراكها ، ويجعله على ألفه بها لأنه ينقلها إليه عن طريق مألوف لديه ، ويقدم نموذجاً عملياً للفرد ، وهذه العناصر مجتمعة من شأنها أن تزيد من القدرة على الإقناع Persuasion والذي يعد من بين الوسائل الرئيسية لتغيير اتجاهات الأفراد حيال موضوع ما .

٨- خصائص التمثيل الجيد :

أ- دقة المعنى : ويريد المعنى الدقيق الذي أتاك ممثلاً فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكر وتحريك الخاطر والهمة في طلبه " إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك " (ص١١٨) .

ب- البعد عن التعقيد : فالتعقيد إنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض ، ويعثر فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك إلى المعنى فيه ، بل وربما قسم فكرك ، وشعب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل إليه وكيف تطلبه (ص١٢٠-١٢٥) .

ج- أن يتم فيه تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة ، فإن الأشياء المشتركة في الجنس ، متفقة في النوع ، تستغني بثبوت الشبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها ، وأنها لصفة تستدعي جودة القريحة أن تجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة ، ويقتضي ذلك إيجاد الائتلاف بين المختلفات ، وذلك بين لك فيما تراه من الصناعات التي تنتسب إلى الدقة فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت

أجزاؤها أشد اختلافاً في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم مع ذلك أتم ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب ، وإذا كان هذا ثابتاً ومعلوماً في حال الصورة المصنوعة والأشكال المؤلفة ، فاعلم أنها القضية في التمثيل واعمل عليها ، واعتقد صحة ما ذكرت لك من أخذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس وينفصل عنه من حيث ظاهر الحال (ص١٢٧-١٢٨) .

واعلم أني لست أقول لك أنك متى ألّفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت ، بل أقوله بعد تقييد ، وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس ، وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً ، وتجد للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهباً ، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجبه تشبيهك من حيث العقل والحدس ، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لا يتصور فلا (ص١٣٠) .

د- إدراك المشابهات الخفية التي يدق المسلك إليها ، والتي لا تنجلي إلا بعد التألق في استحضار الصور وتذكرها وعرض بعضها على بعض ، وتجريدها من سائر ما يتصل بها ، نحو أن يشبه الشيء بالشيء في هيئة الحركة ، فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة ، والهيئة مجردة من الجسم وسائر ما فيه من أوصاف (ص١٣١) . أي كما يشير علماء النفس إدراك أوجه الشبه الجوهرية المجردة بين أشياء تبدو مختلفة ، وهي من بين القدرات الهامة التي تقيسها اختبارات الذكاء ويطلق عليها القدرة على التجريد وكمثال على ذلك إدراك وجه الشبه بين الشجرة ، والذبابة ، ويعد الفرد مدركاً لوجه الشبه المجرد بينهما حين يقول إنهما كائنات حية تنمو وتموت .

٩- الجملة والتفصيل في ضروب التشبيه والتمثيل :

أ- إن الجملة أبداً أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وإنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول ، والوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر ، فالجمل أبداً هي التي تسبق إلى الأوهام (الأذهان) وتقع في الخاطر أولاً ، وتجد التفاصيل مغمورة فيما بينها ، وتراها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة التذكر (ص١٣٨) وهذا التصور يعبر عما هو معروف من حقائق علمية في مجال سيكولوجية الإدراك من أن الفرد يدرك الشكل على نحو إجمالي أولاً ثم يبدأ في إدراك التفاصيل ، وأما قوله " إن معرفة الشيء عن طريق الجملة غير معرفته عن طريق التفصيل " فهو قريب الشبه بالمبدأ الإدراكي السائد في مدرسة الجشتطالت من أن الكل لا يساوي مجموع الأجزاء .

٢- من شأن اعتبار كثرة من التفاصيل في التمثيل أن يزيد التأثير في النفس ،

وخاصة حين يكون الشبه منطبق عبر هذه التفاصيل ، وكذلك كلما كان الشبه يرجع إلى صورة غريبة نادرة وبعيدة عن النظر وقليلة التردد عليه كلما كانت أبدع على عكس تلك التشبيهات المبتذلة التي يكثير رؤيتها أبدا (ص١٣٩-١٤٣) .

ويمضي الإمام الجرجاني في تناوله لمسائل دقيقة في التشبيه والتي من شأنها أن تزيده دقة وتأثيراً مثل : الجمع بين الشكل وهيئة الحركة في التشبيه ، والتشبيه المركب والفرق بينه وبين التشبيه المتعدد ، وقلب التشبيه أو العكس في طرفي التشبيه ، والفرق بين التشبيه والتمثيل ، والاستعارة والتمثيل ، ويعرج إلى موضوع آخر وهو السرقات الأدبية وكيفية الحكم فيها والفرق بين التخييل والاستعارة ، ويختم كتابه بالحديث عن الحقيقة والمجاز ، والفرق بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي ، والفرق بين المجاز والاستعارة ، وكيف أن المجاز أعم من الاستعارة ، ونلمس في سياق استعراضنا لما كتبه عن المجاز اللغوي والمعنوي ذلك التصنيف الأساسي للمعنى في اللغة ، من حيث إن لكل كلمة معنى إشاري ومعنى دلالي ، ومدى اهتمامه بالتعامل مع المعنى الدلالي للغة وبيان مدى تأثيره في المتلقي ، وهي من نقاط الاهتمام الرئيسية في بحوث سيكولوجية المعنى Semantic .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الاجتماعي .

الجرجاني ، عبد القاهر . دلائل الإعجاز [1]
دلائل الإعجاز (في علم المعاني)

عرض : د. عبد المنعم شحاته

صحح أصله كل من الإمام الشيخ محمد عبده ، واللغوي الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، وصحح طبعته وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا (منشيء المنار) .

بيروت - دار المعرفة - ١٩٨٢ ، ٤٢٨ صفحة من القطع المتوسطة .

يقدم (دلائل الإعجاز) نظرية في اللغة تعتمد على ائتلاف اللفظ والمعنى ، وتتفق في كثير من مبادئها مع أحدث ما كتبه علماء لغة أو علم نفس معاصرون .

ويسعى الجرجاني في كتابه هذا إلى التفرقة بين مستويات الكلام ، فمنها ما هو عادي على ألسنة العوام ، ومنها ما هو بليغ أو فصيح على ألسنة الخواص (ومنهم الشعراء) ومنها ما هو معجز يفوق طاقة البشر كالقرآن الكريم ، ودراسة الشعر العربي وتحديد شواهد الفصاحة والبلاغة فيه وسيلة لمعرفة هذا الإعجاز ، لذا يبدأ الجرجاني كتابه ص ٩ بالدفاع عن الشعر ، فهو ديوان العرب ، ثم يدافع ص ٢٣ عن النحو وأهميته كعلم ، وكميزان لتحديد الكلام الفصيح من غيره ، بل وكوسيلة لتحديد مستويات مختلفة من الفصاحة من خلال تحديده للعلاقات الممكنة والمحتملة بين الألفاظ سواء كانت أسماء أو أفعال أوحروف ، والفصاحة - في رأيه (ص٤٠،ص٤٠١) هي نظم للكلام بحسب معانيه أو ترتيب معاني الكلام أولاً ثم ترتيب الألفاظ على حذوها ، وبهذا يرفض الجرجاني (ص ٤٥ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٨ ، ص ٣٦٧) ربط الفصاحة بالقدرة على الأداء الصوتي كما فعل الجاحظ أو اعتبارها صفة للفظ ، مستشهداً على صحة رأيه بعرض نموذجين من الشعر - عبر ذكر عدد من الأبيات لعديد من الشعراء البارزين - يتفقان في المعنى ويختلفان في اللفظ ، ومع ذلك نصف أحدهما - دون الآخر - بالفصاحة ، مما يعني أن الفصاحة تتصل بالمعنى (ص ٦٩ ، ص٣١٢) ، فلا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون في صاحبتها ، .بمعنى آخر ، ففصاحة اللفظ تعود إلى معناه لا إلى ترتيب حروفه (ص٤٠) والكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرفها في فكره ، ويناجي بها قلبه ، ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأناً الخبر ، الذي لا يكون إلا .بمخبر به ومخبر عنه ، ويمكن إثباته ونفيه. ولهذا الكلام ضربان ، أحدهما

(١) عبد القاهر الجرجاني ؛ تعليق محمد رشيد رضا ؛ تصحيح محمد عبده .بيروت :دار المعرفة ، ١٩٨٢.

تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحـده ، وثانيهمـا تصـل منـه إلى معنى المعنـى ، أي يدلك اللفظ علـى معنـاه ، ولهـذا المعنـى دلالـة ثانيـة تصـل بـه إلى الغـرض ، مـن هـذا الاستعارة والكناية ، أي أن أهم ما يوجب الفصاحة هو المجاز (بما فيـه مـن إستعارة) والإيجـاز . (ص٥٣ – ص ٦٣ ، ص ٩٩ – ص ١٥١) . ويقـدم الجرجـاني أمثلـة مـن القرآن الكريم ومن الشعر العربـي تعـد نماذجـاً مـن المجـاز والاستعارة ، وضروبـاً مـن التقديـم أو التـأخير (٨٣ – ١١١) ، التنكـير والحـذف (١١١ – ١٦٩) ، الفصـل والوصل (١٧٠ – ١٨٧) ، العطف (١٨٧ – ١٩١) ، والإثبات والنفـي والقصـر (٢٥٢ – ٢٧٣) ، تبرز لنا مواضع كل منهما التـي فيهـا لطـف وفصاحـة ، ومواضعهـا التي تخلو من البلاغة ، على أسـاس أن معنـى الفصاحـة في أصـل اللغـة هـو الإبانـة عـن المعنى، مؤكداً أن لا يصح فيها التقليد أو الاحتذاء (٢٧٨ – ٣٤٢) ، فقد يغير ترتيـب الكلمات من معناها، كما للمتكلـم دور في هـذا الـترتيب (ص ٢٧٦) ، أي في صنـع أسلوبه الذي هو ضرب من النظم أو طريقة فيه ، وأي تحول في الأسلوب يؤثر في المعنى لا محالة ، إذ يتصل النظم – في جوهره – بالمعنى، وتكتسب الكلمة حسنها من وضعهـا في سياق معين أو ترتيب يقتضيه علم النحو ((٢٨٢ ، ٣١٤، ٣٤٩) ، وتوجيه قوانينه وأصوله . ولا يكون ترتيباً حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة ، إن لم يقدم فيهـا ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبدئ بالذي ثني به ، وثني بالذي ثلـث بـه ، لـم تحصـل لك تلك الصورة وتلك الصنعة .

ويختتم الجرجاني كتابه (ص ٤١٨ – ص ٤٢٨) بتوضيح أهمية تـذوق البلاغـة أو الفصاحة ، وضرورة تعلمها ، وهذا لا يكون دون توفر الاستعداد لدى الفرد لتذوقهـا ، أي أن يكون مهيئاً لإدراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شـأن هـذه الوجـوه والفـروق – في معـاني النحـو – أن تعرض فيها المزية على الجملة ، فيعرف لطف الحذف – أو التنكـير أو القصـر .... إلـخ – في موضع وعدم لطفة في موضع آخر .

ويأتي تأكيد (الجرجاني) على أن النظم يكون بترتيب المعاني في الذهـن أولاً ، ثـم تحذو الألفـاظ حذوهـا في الـترتيب (ص ٤١ – ص ٤٥) متفقـاً مـع مـا تكشـف عنـه البحوث من أن الإنسان يخلق أفكاراً وتصـورات ، ثـم يربطهـا معـاً ، ثـم يبـدع رمـوزاً معبرة عنها .

ويؤكد (الجرجاني) أن اللفظة تكتسب حسنها من ضمها إلى لفظة أخرى في نسق يستوجب تقديم هذا وتأخير ذاك (ص ٣٩ – ص ٤٠ ، ص ٢٧٨ ، ص ٣٦٠) يـأتي هذا متماشياً مع نظرية (الجشطلت) في الإدراك ، حيـث تـدرك المنبهـات – والألفـاظ

منبهات – على أنها تدخل في علاقات فيما بينها ، كما أننا لا ندركها في مستوى واحد من الوضوح ، بل تحتل بعضها بؤرة الانتباه ، ويحتل معظمها بؤرة الانتباه ، ويحتل معظمها هامشه ، وعلى هذا يؤثر السياق في معنى اللفظ وفي تحديد مدى حسنه .

ويتصل بهذه النقطة رفض (الجرجاني ص ٢٧٨ ، ص ٣٤٢) التقليد أو الاحتذاء في الشعر ؛ لأن أي تغيير في الأسلوب يغير في المعنى ، ولكل فرد طريقته الخاصة في النظم أي الأسلوب أو ترتيب المعاني فالألفاظ ، وبمصطلحات علم النفس : لكل فرد بؤرته الانتباهية وهامش الانتباه لديه اللذان يحكمهما عوامل شخصية وموقفية تنعكس – بالضرورة – في ترتيب الفرد للمعاني والألفاظ أي النظم، وبالتالي لا يصح التقليد وتندرج هذه النقطة تحت ما يسمى في علم النفس بالفروق الفردية individual differences.

ثم يؤكد (الجرجاني) أن البلاغة لا يستحسنها إلا من لديه القدرة على تذوقها ، وهذا يتطلب علماً وفهماً ، وهو مالا يتم دون أن يكون الفرد مهيئاً لإدراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لها في نفسه إحساساً بأن من شأن الفروق في النظم – أو في معاني النحو – مزية ، فالحذف – مثلاً – يكون لطيفاً في موضع وغير لطيف في آخر (ص ٢٢٥ ، ص ٤٢٠) .

أي أن تعلم البلاغة يستوجب إستعداداً لها ، هذا ما يؤكده علماء النفس ، فبين الأفراد فروق في الاستعدادات والاهتمامات ، تترجم واقعياً في إختيار موضوعات معينة لدراستها وأعمال معينة للاشتغال بها .

ويبدو أن (الجرجاني) كان باحثاً محنكاً ، يتضح ذلك من نقده لطريقة البلغاء الأولين في تناول الفصاحة ، فهم يصفون الكلام الحسن (بجزالة اللفظ) و (وقوع النظم على طريقة مخصوصة ، وعلى وجه دون وجه) ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة بشيء أو يقولون في المراد بالطريقة والوجه ما يحلى منه السامع بطائل (ص ٣٥٠) .
أي أن (الجرجاني) ينتقد في الأولين بعدهم عن الوصف الإجرائي operational وهي نصيحة يوجهها أيضاً علماء مناهج البحث المعاصرون ، فحينما أتحدث عن (الذكاء) أو (التعصب) فيجب أن أحدد ما أعنيه بلفظ (ذكاء) ويكون هذا التحديد في شكل وصف للإجراءات التي يمكن بها التمييز بين من يتوافر فيه الذكاء ومن لا يتصف به ، أو التميز بين المتعصب وغير المتعصب .

نقطة أخرى مهمة هى قول الجرجاني (أن الكتابة أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح (ص ٥٥) وعلى الرغم من صحة هذا القول من وجهة نظر علماء اللغة ، إلا أن الدراسة النفسية لهذه النقطة لم تظهر بعد ، فنحن بحاجة إلى دراسات

تحدد الفعالية النسبية للأساليب التعبيرية المختلفة ، والمتغيرات التي قد تؤثر في هذه الفعالية ولهذه البحوث قيمة كبيرة ، فاللغة وسيلة تخاطب ومقوِّم لوَحدة الشعوب ، وإذا عرفنا أي الأساليب أكثر تأثيراً في استمالة الناس لفكرة معينة أو لتصرف معين ، سهل اتباعه والاعتماد عليه ، وقد سبقنا الغرب إلى هذا ، فظهرت دراسات تقارن بين ورود أخطاء نُحوية في المخاطبة (أو الرسالة الإعلامية) وبين خلوها من هذه الأخطاء كما ظهرت بحوث أخرى تقارن بين فعالية الأسئلة التعجبية Rhetorical questions وبين الجمل التقريرية Statements وتفتقد المكتبة العربية مثل هذه البحوث على الرغم من ثراء لغتنا . وهنا يظهر التكامل بين علماء اللغة وعلماء النفس ، فدور علماء اللغة هو تحديد الخصائص الأسلوبية للرسائل الإتصالية ، ودور علماء النفس هو اختبار مدى الأثر الذي تحدثه إحدى هذه الخصائص بالمقارنة بالأخريات ، وبهذا التكامل يمكن معرفة أي الأساليب أكثر تأثيراً في نفوس المتلقين .

الشيرازي ، الطب الروحاني [1]

عرض : د. طريف شوقي فرج

المؤلف :

ولد إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي – أبو إسحاق – في فيروز آباد (بفارس) عام ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) .

وانتقل إلى البصرة ومنها إلى بغداد (في ٤١٥ هـ) فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث . وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية ، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره ، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطيء دجلة ، وكان يُدّرس فيها ويديرها .

عاش فقيراً صابراً ، وكان فصيحاً مناظراً ينظم الشعر ، فقيهاً أصولياً وله تصانيف كثيرة منها : التنبيه ، المهذب في الفقه ، التبصرة في أصول الشافعية ، طبقات الفقهاء ، اللمع في أصول الفقه ، الملخص ، المعونة في الجدل .

وسنعرض في الصفحات التالية ملخصاً موجزاً لكتابه الطب الروحاني والذي يشير الإمام في بدايته إلى أن : " أفضل العلوم ما كان ذريعة (وسيلة) للإنسان إلى السعادة الأبدية والبهجة الحقيقية ، ولا يكون ذلك إلا بتزكية الباطن عن الأوصاف المذمومة وتحليته بالأخلاق المحمودة ، والعلم الكافل ببيان قواعد التزكية والتحلية هو علم تهذيب الأخلاق المسمى بالطب الروحاني .

وهذا مختصر في هذا العلم كاف في ضبط أصوله وقواعده ، واف يربط فروعه وأوابده ، جمعت فيه عيون أقوال الحكماء في مكارم الأخلاق وغررها ، وشذرو أمثال الفضلاء في محاسن الأدب ودرها " (ص ٢ – ٣) .

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام نعرض لها على النحو التالي :

أولاً : في الأصول الكلية لعلم الأخلاق :

في بداية هذا القسم يتحدث عن التصنيف الثلاثي للنفس الإنسانية وهي :

١– القوة العاقلة المدركة لكليات بداية وتسمى النفس الملكية .

٢– القوة الغضبية الباعثة لدفع المؤذيات وتسمى نفس سبعية .

٣– القوة الشهوانية الطالبة للمشتهيات الحسية التي بها بقاء الشخص والنوع وتسمى النفس البهيمية .

---

(١) الشيرازي – ط١ مطبعة المفيد ، [١٣٩٩ هـ] . ٥٠ ص .

حين نتناول هـذا التقسيم بـالفحص نخال أنفسنا إزاء الجوانـب الثلاثـة للشـخصية الإنسانية التي يُعنى بدراستها حالياً ولكن تحت مسميات أخرى ، فالقوة الغضبية يقابلها في علم النفس الحديث جانب (انفعالي دافعـي) (الغضـب ودوافـع الغلبـة والعـدوان) والقوة الشهوانية يقابلها الجانب الدافعي الفسيولوجي .

وهناك تفاعل مستمر بين الجوانب الثلاثة للنفس الإنسانية وتمثل نتيجة ذلك التفـاعل الحال الذي يكون عليه سلوك الإنسان .

وفي هذا الصـدد يقـول الإمـام : " وهيئة إستيلاء النفـس الناطقـة (العاقلـة) علـى النفسـين الأخريـن (الجـانبين الأخريـين) تسـمى فضيلـة ، وهيئـة إسـتيلائهما عليهـا تسمى رذيلة ، وإذا ثبتت هذه الهيئة في النفس واستقرت تسـمى ملكـة ، وإذا عرضـت تسمى حال " (ص ٦) .

أي أنـه يفـرق بـين السـمة (الملكـة) والتى يُعـد الـدوام النسـبي حجـر الزاويـة في تعريفهـا ، وبين الحالة (الحال) التي تتسم بأنها مؤقتة .

وأصول الفضائل أربعة : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة .

وأصول الرذائل سبعة : الجربزة ، والبله وهما طرفا الحكمة ،

والتهور ، والجبن وهما طرفا الشجاعة ،

والشره ، والجمود وهما طرفا العفة ،

والسابع الجور وهو مقابل العدل لأن طرفي

العدالة جور (ص ٧) .

هنا نلاحظ اهتمامه بالمفهوم التكميمي والتعـامل مـع تلـك الصفـات في ضـوء أحـد المفاهيم السائدة في علم النفس حالياً وهو مفهوم البعد .

وثمة جانباً آخر لأسلوب تنـاول الإمـام لتلـك الصفـات وهوالتعـامل مـع المكونـات الفرعية لها ويتجلى ذلك في قوله " أما عن فروع الفضائل ولوازمها :

فلوازم الحكمة : اللب ، وثقابة الرأي ، وجودة الذهن ، وسرعة الفهم .

ولوازم العفة : الحرية ، والحياد ، والخيرية ، والسخاء .

ولوازم التهور :التكبر ، والترفع ، والصلف ، والقساوة .

ولوازم الشر : الوقاحة ، والشرارة ، والتبذير .

ولوازم العدالة : هي جملة لوازم الفضائل كلها .

ولوازم الجور : هي لوازم هذه الرذائل كلها . (ص ٧) .

أي أنه يتعامل مع الصفات على أنها تنتظم في ثلاثة مسـتويات : عامـة ، وطائفيـة ، ونوعيـة ، فالصفـات العامـة المركزيـة (كالعدالـة) تتكـون مـن مجموعـة مـن الصفـات

الطائفية (العفة والحكمة) ، والتي تكون بدورها من مجموعة من الصفات النوعية (فالحكمة تتكون من ثقابة الرأي – جودة الذهن – سرعة الفهم) .

ثم يقدم تعريفاً لتلك المفاهيم كل على حدة : " فالشجاعة على سبيل المثال هي مطاوعة القوة الغضبية للقوة العاقلة في الإقدام والإحجام على مقتضى الرأي الصحيح .

والعفة : قلة شوق القوة الشهوية إلى اللذات البدنية بحيث يسهل عليها الصبرعما يذم عقلاً وشرعاً .

والحلم : أن يكون الإنسان غير منفعل من المغضبات انفعالاً يحمله على سرعة الأنتقام .

والتهور : أن تكون مطاوعة النفس في الإقدام أشد من مطاوعتها في الإحجام بحيث يقوم على مالا يجوز الإقدام عليه شرعاً وعقلاً .

والشره : شدة الشوق والشّبَق إلى اللذات الحسية " (ص ٨ – ٩) .

ثم يقدم تعريفاً لعلم الأخلاق حيث يقول : " اعلم أن المقصود من علم الأخلاق هو علاج الأخلاق الفاسدة (تعديل السلوك) وحفظ الأخلاق الفاضلة (العلاج التحفظي الوقائي) كما أن المقصود من علم الطب الجسماني هو علاج المرض وحفظ الصحة ، ولذلك سمي علم الأخلاق طب روحاني ، وكما أن للطب قوانين يُعرف بها حفظ الصحة وإزالة المرض ؛ فكذا لهذا العلم قوانين يعرف تحصيل الفضائل وإزالة الرذائل (قوانين التعلم وتعديل السلوك) " (ص ١٠) .

وفي طب الأبدان يميز بين المرض والسبب والعرض والعلاج فيعرف المرض والسبب بالعرض ثم يعالج بالضد ليزول السبب فيزول المرض . وكذا يفصل قوانين طب النفوس إلى المرض والسبب والعلاج تفصيلاً كلياً على النحو التالي :

" ١– أما المرض فهو شدة ميل النفس إلى البدن ومحبتها له وهذا الميل وهذه المحبة هو أصل سائر الأمراض النفسانية . (ص ١١) .

٢– أما السبب هو : الإدراك والشعور بالإدراك أولاً ثم يلزم من الشعور حكم النفس بأنه خير مع أنه ليس بخير ، وهذا الحكم إما أن يلزم من تقليده وإما أن يلزم من رأي فاسد ، ثم إذا ثبت هذا الحكم في النفس اعتقاداً ، وإذا ثبت الاعتقاد لزم منه الخلق ، وإذا تحرك الخلق لزم منه الانفعال ثم صدر منه الأفعال المذمومة كالحسد مثلاً : إنه يثبت في نفس الحاسد اعتقاداً أن الخير لا يجوز أن يكون لغيره ، ويغتم لحصوله لغيره، ثم إذا عرض بسبب من الأسباب المحركة إلى الفعل يحصل الانفعال في النفس الحاسدة وهو المحاسدة ولزم منه الفعل وهو التوجه نحو خير الغير وقصد دفعه عنه ومنعه بأفعال مذمومة عقلاً وشرعاً ؛ فهذا هو تحقيق أسباب المرض " (ص ١٢) .

نلاحظ أنه يتعامل مع تلك السلسلة السلوكية التي تنتهي بالفعل ولكنها تبدأ بالاعتقاد والانفعال والسلوك .

٣- وأما العَرَض : فهو العلامات الصادرة عن تلك الانفعالات من الأفعال المذكورة المذمومة كالسعي في صرف الغير عن الخير . (ص ١٢) .

ويتحدث عن المظاهر الداخلية والخارجية للانفعالات بقوله :

أ- وأما الانفعالات (المظاهر الداخلية) فهي أيضاً : أعراض خفية في النفس يعرفها أصحاب تلك الانفعالات .

ب- وأما الأفعال (المظاهر الخارجية للانفعالات) فهي : الأعراض الظاهرة الصادرة من النفس المناسبة لتلك الانفعالات فتكون هذه الأفعال دلائل على تلك الانفعالات . (ص ١٢) .

٤- وأما العلاج : " فهو استعمال الأضداد لأن الضد يُقمع بالضد الآخر وذلك إنما يكون بإثبات الأحكام اللازمة عن الرأي الصحيح في النفس بأن إرادة البدن وتوابع البدن من الملائمات الجسمية إنما هي أمراض للنفس مضرة في الحال (مؤلم لصاحبه ويجعله في الهم والغم) والمآل (في الدنيا والآخرة) .

وإذا ثبتت هذه الأحكام لزمه منه ترك الإرادة الأولى وترك الإرادات التابعة لها ، ثم إذا تحققت هذه الأحكام في نفس وجب أن يُخطرها بالبال ويقررها .

(نلمح ثمة إشارة إلى العلاج المنطقي باستخدام الحوار الداخلي لتغيير السلوك) .

ويكررها في النفس دائماً إلى أن تصير مَلَكَات (عادات) ، وكلما تكرر خطورها بالبال لا تزال تنفسخ تلك الإرادات إلى أن تضعف . وكلما انفسخت تلك الإرادات التي هي الرذائل لا تزال تثبت مقابلاتها بالتدريج ، وهي الفضائل ، وهذا هو القانون الكلي لإزالة أمراض النفس " (ص ١٣ - ١٤) . ينطوي هذا الوصف على اقتراح أسلوب لتعديل السلوك يعتمد على استخدام كل من المنطق الاستدلالي العقلي ، والحوار الداخلي مع الإحلال التدريجي للسلوك المضاد ، وشبيه بهذا الأسلوب ما يطلق عليه حالياً الأسلوب المنطقي الانفعالي في تعديل السلوك .

" وأما حفظ صحتها (الوقائية) و هو محافظة الفضائل فهو أن يتعهد النفس أبداً لمراعاةالأخلاق الفاضلة ، والمحافظة عليها بالآراء الصحيحة ، ويجعل هذه الآراء في تعهد الأخلاق ملكة دائمة ، ويجب أن لا يغفل عن صدمة إهمال النفسين (الشهوانية ، والانفعالية) فإنهما إن إهملتا عادتا إلى طبيعتهما (أي خمود العادة الجديدة : الفضيلة ، وعودة العادة القديمة : الرذيلة) الخاصة بهما . وأن لا يحركهما بالتخيل والتفكر والتذكر (هاديات الفعل إلى العادة القديمة) في شيء من أسباب حركتهما وهيجانهما.

وإذا اتفق أن خطر شيء من أسباب هيجانهما بالبال فيجب أن يُخطر نقائضهما بالبال حتى تكرهها النفس وتتركها .

ومن الأمور المعتبرة في حفظ النفس المواظبة على الوظائف العملية والعلمية ، ومجالسة الأبرار ، ومجانبة الفجار ، وقد قيل : بليد نشأ في العلماء أفضل من اللبيب الذي نشأ في الجهلاء" (ص ١٤).

وينتقل إلى قضية أخرى وهي أهمية أن يراعي القائم بالاتصال أن يتناسب مضمون الاتصال (١٦) أو الرسالة الإعلامية مع خصال وطبيعة المتلقين حتى يصبح تأثيره فيهم أعظم حيث يقول " واعلم أن دعوة العلماء (كمتلقين) إلى الفضائل الخلقية بالبراهين الدالة على وجوب التخلق بمكارم الأخلاق ، ودعوة الأوساط إليها بالجدليات والإقناعات الدالة على وجوب التخلق بها ، ودعوة النسوة والصبيان ومن في مراتبهم ممن لا يفهم الحجة والبرهان بمدح الأفعال الجميلة ، وتحسينها لهم ، وذم الأفعال الرديئة ، وتهجينها ، وتكريهها لهم ، وحكاية شمائل الأخبار من السلف الصالح ، وحسن سيرتهم ، ومحاسن عواقبهم ، وسوء خاتمة الأشرار ، وما يلحقهم من تبعات أفعالهم في الدنيا والآخرة (ص ١٥) .

ثانيا : القسم الثاني : في الفروع الجزئية لمحاسن الأخلاق :

يجب على صاحب الكمال أن يعرف أصول الأمور وفروعها ويتقدم لإحراز الأصول ، فإن أصاب الفروع بعد إحراز الأصول فهو أفضل ، وأصل الأمر في الدين الإيمان واجتناب الكبائر وأداء الفرائض ثم إن تجاوز هذا إلى الفقه والعبادة فهو أفضل .

واعلم أن لكل شيء سبباً وعلة ، فسبب العفة : غض البصر ، وسبب الفجور : الخلوة ، وسبب المحبة : الهدية ، وسبب القطيعة : كثرة المعاتبة ، وسبب الأخوة : البشاشة ، وسبب البلاء : المراء ، وسبب المذلة : المسألة ، وسبب الخير كله : غلبة العقل على الهوى (ص ١٨) .

ويذكر جملة من آداب السلوك الاجتماعي والتي تعبر أساليب التفاعل مع الآخرين وتعد مؤشرات أو مكونات فرعية للمهارات الاجتماعية Social Skill حيث يقول : " وقر من فوقك ، ولِنْ لمن دونك ، وأحسن موافاة أكفائك فإن هذا يشهد لك بأن إجلالك لمن فوقك ليس بخضوع ، وأن لينك لمن دونك ليس بطمع فيهم ، وليكن استحياؤك من نفسك أكثرمن استحياؤك من غيرك ، واعلم أن دواعي الشهوات إذا اتصلت بها حاجاتها كانت كالحطب للنار وغذا منعتها عنها وحلت ما بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عن فقدان الحطب " (ص ١٩) .

" ولا تستفسد صديقاً لهفوة تصدر منه ، ولا تلم أحداً على ما يكون في مثله العذر

حتى تعلم ما اعتذاره ، ولا تعد لكل فارطة عتاباً ، وليكن عتابك تأديباً لا تأنيباً"(ص٢٠) .

"وعذب حسادك بالإحسان إليهم ، وعود نفسك الصبر على من خانوك من ذوي النصيحة ، وإن ابتليت من سفيه سفاهة فإياك أن تحتذي مثله وتعارضه بسفه"(ص٢١).

" ولطفك بصاحب صاحبك أحسن موقعاً عنده من لطفك به نفسه ، واتق الفرح عند المحزون واعلم أنه يحقد على المنطلق ويسكن للمكتئب ، واجتنب اللجاج والمراء مع الإخوان .وإن كنت لَسِناً – فلا تكثر من ادعاء العلم في كل ما يعرض " (ص٢٢) .

" ولْتَعْرِف العلماءُ منك إذا اجتمعت معهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وإذا رأيت الرجل يحدث حديثاً قد علمته أو يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تقبحه عليه حرصاً منك أن تعلم الناس أنك قد علمته فإن في ذلك خفة وسوء أدب وشحاً ، ولا تحدث إلا من يرى حديثك مَغْنَماً ؛ فمن لم يَبْسُط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع مالم يغلبك الاضطرار ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يقضي كلامه، وقلة التلفت إلى الغير ، والإقبال والنظر إلى المتكلم حتى يقضي كلامه بتمامه " (ص ٢٣).

ويشير إلى ظاهرة يمكن أن نطلق عليها الخداع الإدراكي الاجتماعي (١٧) .

-وذلك في معرض تحذيره من الزنا والنهي من الوقوع فيه وخاصة للمحصن – حيث يدرك الفرد ما عند الناس خير مما عنده حيث يقول : " واعلم أن أوقع الأمور في الدين وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الإغراء بالنساء ، ومن البلاء على الغرور بهن أنه لا يزال يكره ما عنده ويطمع فيما عند الناس وإنما النساء أشباه وما يظهرن في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة وكثير مما يرغب فيه الراغب ما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه وإنما المرتغب عما في رحله منهن إلى ما في رحال غيره كالمرتغب من طعام بيته إلى مافي بيوت الناس من الأطعمة بل النساء أشبه من الطعام بالطعام فاحذر من هذه الرذيلة أشد الحذر " (ص ٢٦) .

وينصح بضرورة محاسبة النفس كل مساء ، والوفاء بالوعد والتواضع ، وتبني نظرة إيجابية للحياة ، والابتعاد عن السلبية والابتلاء . (ص ٢٧ – ٢٩) .

ثم يذكر مجموعة من الأمثال الشهيرة والأقوال السائرة التي تحض على المكارم وتنهي عن المثالب مثل : الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع ، من اكتفى بالكفاف اكتسى بالعفاف ، لقاء الإخوان جلاء الأحزان (ص ٣٠ – ٣١) .

من رضي عن نفسه أكثر الساخطين عليه ، لا خير في من لا تعظه التجارب (ص٣٢) .

لا داء أعيى من الجهل ، إذا تم العقل نقص الكلام . (ص ٣٣) .

ثالثاً : القسم الثالث : فيما يتعلق بمكارم أخلاق الملوك وآداب أتباعهم :

ويتحدث فيه عن أهمية الرئاسة ودورها في صلاح المجتمع ، وعن أولى الناس بالملك ويقول : " أولى الناس بالملك أشدهم سلطاناً على هواه وأقرهم له فيما يتعلق بمصالح المملكة وأقدرهم على بسط العدل فيها ورفع الظلم عنها " (ص ٣٥) .

ويشير إلى الكيفية المثلى لاستثمار وقت الملوك بما يعود بالنفع على العامة والخاصة ، ويشجعهم على تقريب العلماء واستشارتهم ، وقد قيل إن المستشير متحصن والمستبد متهور في الغلط (ص٣٦-٣٧) .

ويقدم نصائح عديدة للملك تفيده في إختيار عماله وإدارة أعماله ويوجه نصيحة هامة تندرج تحت موضوع الاختيار المهني (١٨) والذي يعني بتوجيه الفرد إلى العمل الذي يتناسب مع قدراته حيث يقول : " وليعلم الملك أن تمهيد قواعد المملكة لا تتم إلا بحسم بوائق الأشرار وحسن رعاية الأخيار وصلاح الأعوان والاجتهاد في انتقاء صالحي العمال ؛ لأن أعمال الملك كثيرة ولا يمكن أن يجتمع استعداد جميع الأعمال في واحد فالوجه في ذلك أن يكون الملك عارفاً شرائط كل عمل واستعداد كل واحد معرفة تامة حتى يفوض إلى كل عامل عملاً يليق به ويشتهر بالكفاية والأمانة فيه " (ص٣٨) .

ويشدد على أهمية متابعة من تم إختيارهم للتأكد من صدق الاختيار على محك الممارسة ، ويشجعه على تفويض السلطة (١٩) معتمداً على المنطق التالي " وإنما الأمور كلها أمران صغير لا ينبغي أن يباشره بنفسه ، وكبير لا ينبغي أن يكله إلى غيره ، فمتى باشر صغار الأمور شغلته عن كبارها ، ومتى وكل كبارها إلى غيره أضاع أكثر مما حفظ " (ص٤٠) .

وضرورة التذرع وألا ينفذ حكماً عند غضبه ، وعدم الفرح بالمدح ، وأن يقمع الحزن بالصبر ، ويتفكر في أحوال من سبقه ، وأن يكون للفقير والضعيف أشد نظراً وأتم رعاية ، وليبدأ بإصلاح نفسه إن رغب في إصلاح رعيته ، وعليه بالتأمل والتأني فقد قيل " أصاب المتأمل أو كاد وأخطأ المستعجل أو كاد " (ص ٤١ - ٤٤) .

ويختتم كتابه بجمله من الآداب التي على من يتعامل مع الملك أن يلتزم بها في مجالات شتى كالملبس ، والكلام ، والحركة ، والتصرفات ؛ حتى ينال القرب ويحافظ على المكانة (ص ٤٥ -٥٠) .

عبد الله بن محمد الأنصارى ، أبو إسماعيل (ت ٤٨١ هـ)
منازل السائرين إلى الحق عز شأنه [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو عبد الله بن محمد على الأنصاري الهـروى ، وكنيته أبو إسماعيل ، وُلِد سنة ٣٩٦ هـ الموافق لسنة ١٠٠٦ م ، وهو من كبار الحنابلة ، وكان شيخ خراسان في عصره ، وينتسب إلى ذرية أبي أيوب الأنصارى ، وكان الهروى بارعاً في اللغة حافظاً للحديث ، عارفاً بالتاريخ والأنساب مظهراً للسنة ، داعياً لها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : " عرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لى ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لى أسكت عمن خالفك ، فأقول : لا أسكت " .

وتوفى الهروى سنة ٤٨١ هـ ، الموافق لسنة ١٠٨٩ م .

ومن كتبه :

١- ذم الكلام وأهله .

٢- الفاروق في الصفات .

٣- " الأربعين " في التوحيد .

٤- " الأربعين " في السنة .

٥- منازل السائرين .

٦- سيرة الإمام أحمد بن حنبل .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٥ صفحة من القطع الصغير ، ويتكون من عشرة أقسام ، هي قسم البدايات ، وقسم الأبواب ، قسم المعاملات ، قسم الأخلاق ، قسم الأصول ، قسم الأدوية ، قسم الأحوال ، قسم الولايات ، قسم الحقائق ، وقسم النهايات .

القسم الأول: البدايات : ويتضمن عشرة أبواب نعرض لها على النحو الآتي :

١- باب اليقظة : اليقظة ثلاثة أشياء : لحظ القلب إلى النعمة مع اليأس من عدها والوقوف على حدها والعلم بالتقصير في حقها والتفرغ إلى معرفة المنة بها . والثاني مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها وتدراكها وطلب النجاة بتمحيصها . والثالث الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام . والتنصل من تضيعها ، والنظر إلى الضن بها لتدراك فائتها وتعمير باقيها .

(١) لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى . القاهرة : دار الكتب العربية ، [د . ت] .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي يرتبط بها هـذا البـاب : مفهـوم اليقظـة Vigilance والانتباه Attention (ص ٤) .

٢- **باب التوبة** : وشروطها ثلاثة أشياء هي الندم والاعتذار والإقـلاع ، وحقائقهـا ثلاثة أشياء أيضاً هي : تعظيم الجناية ، واتهام النفس في التوبة ، وطلب إعذار الخلقيـة ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء هي : تمييز الثقة من الغرّة ونسـيان الجنايـة والتوبـة مـن التوبة أبداً .

ويرتبط هـذا البـاب بموضـوع الانفعـالات Emotions حيـث يعتـبر الشـعور بـالندم Remorse أحد أنواع الانفعالات (ص٥) .

٣- **باب المحاسبة** : ولها ثلاثة أركان أحدها أن تقيس بين نعمتـه وجنـايتك وهـذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء : نور الحكمة وسوء الظن بـالنفس وتمييـز النعمـة مـن الفتنة . والثاني أن تميز ما للحق عليك ممـا لـك أو منـك . والثـالث أن تعـرف أن كـل طاعة رضيتها منك فهي عليك وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك .

٤- **باب الإنابة** : وهـي ثلاثـة أشـياء الرجـوع إلى الحـق إصلاحـاً كمـا رجـع إليـه إعتذاراً ، الرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهداً ، والرجوع إليه حـالاً كمـا رجـع إليـه إجابة . والرجوع إليه إصلاحاً يتم بثلاثة أشياء : بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات .والرجوع إليه وفاء يتم أيضاً بثلاثة أشياء هـي : التخلـص مـن لـذة الذنب ، وترك استهانة أهل الغفلة ، والاستقصاء في رؤية علل الخدمة . أما الرجوع إليه حالاً فيستقيم بأنه لا يأس من عملك وبمعاينة اضطرارك وبشيم برق لطفه بك .

٥- **باب التفكر** : التفكر هو تلمس البصيرة لاستدراك البغية . وهو ثلاثـة أنـواع : فكرة في عين التوحيد وفكرة في لطائف الصنع وفكرة في معانى الأعمال والأحوال .

ويرتبـط هـذا البـاب بمفهـوم التفكـير Thinking ، والعمليـات المعرفيـة Cognitive Processes والاستبصار Insight (ص ٦) .

٦- **باب التذكر** :التذكر فوق التفكـر ، فـالتفكر طلـب والتذكـر وجـود ، وأبنيـة التذكر ثلاثة أشياء الانتفاع بالعظة والاستبصار للعبرة والظفر بثمرة الفكرة .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم التذكر :Memory (ص ٦) .

٧- **باب الاعتصام** : الاعتصام بحبل اللّه هـو المحافظـة علـى طاعتـه مراقبـاً لأمـره والاعتصام باللّه هو الترقيعن كل موهوم والتخلص عن كل تردد .

٨- **باب الفرار** : والفرار هـو الهـروب ممـا لـم يكـن إلى مـالم يـزل . ولـه ثـلاث درجـات : فرار العامة من الجهل إلى العلم . وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومـن الحظوظ إلى التجريد . وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق ثم من شـهود الفـرار

إلى الحق ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

٩- باب الرياضة : الرياضة هي تمرين النفس على قبول الصدق ، وهي على ثلاث درجات : الأولى رياضة العامة وهي تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالإخلاص . والثانية رياضة الخاصة حسم التفرق وقطع الالتفات إلى المقام الذى جاوزه وإبقاء العلم يجرى مجراه . والثالثة رياضة خاصة الخاصة ، تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ورفع المعارضات .

ويرتبط بهذا الباب مفاهيم التعلم **Learning** وتعديل السلوك **Behavior Modification** (ص ٢٧) .

١٠- باب السماع : السماع حقيقة الانتباه وهو على ثلاث درجات : الأولى سماع العامة ، والثانية سماع الخاصة ، والثالثة خاصة الخاصة سماع يغسل العلل ويصل الأبد والأزل ، ويرد النهايات إلى الأول .

ويرتبط هذا الباب بشكل غير مباشر بمفهوم الإحساس **Sensation** والانتباه **Attention** (ص ٧) ، والتعلم **Learnig** وتعديل السلوك (ص ٧) .

القسم الثاني : الأبواب : ويتضمن عشرة أبواب نعرض لها على النحو الآتي :

١- باب الحزن : وهو توجع لفائت أو تأسف على ممتنع وله ثلاث درجات : الأولى : حزن العامة على التفريط في الخدمة ، والثانية حزن أهل الإرادة ، وهو حزن على تعلق القلب بالتفرقة ، والثالثة التحزن للمعارضات دون المخاطر .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم الانفعالات **Emotions** وبخاصة انفعال الحزن (ص ٨) .

٢- باب الخوف : وهو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر . وهو على ثلاث درجات : الأولى الخوف من العقوبة ، والثانية خوف المكر في حال جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة . والثالثة هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة وتصون المشاهد أحيان المسامرة وتقصم المعاين بصدمة العزة .

ويرتبط هذا الباب أيضاً بمفهوم الانفعالات وبخاصة انفعال الخوف (ص ٨) .

٣- باب الإشفاق : وهو دوام الحذر مقروناً بالترحم .

٤- باب الخشوع : وهو خمود النفس وخمود الطباع لمتعاظم أو مفزع . وله ثلاث درجات الأولى : التذلل للأمر والاستسلام للحكم ، والثانية : ترقب آفات النفس ، والثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة .

٥- باب الإخبات : والإخبات من أوائل مقام الطمأنينة ؛ وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد. وترتبط بهذا الباب مفاهيم ضبط النفس **Self - Control** والتحكم في شهواتها ولوم النفس أو الشعور بالذنب **Feeling of Guilt** والإرادة Will (ص ٩) .

٦- باب الزهد : الزهد إسقاط الرغبة عن الشيء - وهو للعامة قربة وللمريد ضرورة وللخاصة خشية . ويرتبط بهذا الباب مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩) .

٧- باب الورع : وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للمريد . ويرتبط بهذا الباب مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩) .

٨- باب التبتل : وهو التجريد المحض والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى كلية . ويرتبط بهذا الباب أيضاً مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩ - ١٠) .

٩- باب الرجاء : الرجاء أضعف منازل المريد لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدة ، فهو يغني حرارة الخوف حتى لا يعدو إلى اليأس .

١٠- باب الرغبة : الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء وهي فوق الرجاء ؛ لأن الرجاء طمع يحتاج إلى التحقيق والرغبة هي سلوك على التحقيق .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم الرغبة desire (ص ١٠) .

القسم الثالث : قسم المعاملات ، ويتضمن عشرة أبواب :

١- باب الرعاية : وهي صون بالعناية ، ولها ثلاث درجات ؛ رعاية الأعمال ورعاية الأحوال ، ورعاية الأوقات .

٢- باب المراقبة : وهي دوام ملاحظة المقصود ، ولها ثلاث درجات : مراقبة الحق في السير له على الدوام ، ومراقبة نظر برفض المعارضة ، ومراقبة الأزل .

٣- باب الحرمة : وهي التحرج من المخالفات والمجاسرات .

٤- باب الإخلاص : وهو تصفية العمل من كل شوب .

٥- باب التهذيب : وهو محنة أرباب البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة .

٦- باب الاستقامة : وهي روح تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال ، وهي برزخ بين وِهَاد التفرق وَرَوَابي الجمع .

- وترتبط الأبواب ٤ ، ٥ ، ٦ بموضوع القيم الأخلاقية Moral Values (ص١١-١٢) .

٧- باب التوكل : التوكل وَكْلُهُ إلى مالكه ، والتعويل على وكالته وهو من أصعب منازل العامة عليهم ، وأدهى السبل عند الخاصة لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه .

٨- باب التفويض : وهو ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل ، فإن التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده .

٩- **باب الثقة** : الثقة سواد عين التوكل ويقظة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم .

١٠- **باب التسليم** : و في التسليم والثقة والتفويض ما في التوكل من الاعتلال - وهو من أعلى درجات سبل العامة .

القسم الرابع : قسم الأخلاق : ويتضمن الأبواب العشرة التالية :

١- **باب الصبر** : وهو حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد .

٢- **باب الرضا** : وله ثلاث درجات : الأولى رضا العامة وهو الرضا باللّه ربا ، والثانية الرضا عن اللّه تعالى ، والثالثة الرضا برضا اللّه تعالى .

٣- **باب الشكر** : وهو اسم لمعرفة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ومعانى الشكر ثلاثة أشياء معرفة النعمة ثم قبول النعمة ثم الثناء بها .

٤- **باب الحياء** : وهو أول مدراج أهل الخصوص يتولد من تعظيم منوط بود .

٥- **باب الصدق** : وهو اسم لحقيقة الشيء حصولاً ووجوداً .

ويرتبط هذا بمفهوم الصدق إحدى القيم الأخلاقية (ص ١٥) .

٦- **باب الإيثار** : الإيثار هو تخصيص واختيار والأثرة تحسن طوعاً وتصح كرهاً .

ويقترب هذا الباب من مفهوم الغيرية أو الإيثار Altruism (ص ١٥) .

٧- **باب الخُلق** : الخلق هو ما يرجع إليه المكّلف من نعته - ويرتبط بمفهوم التصورات الأخلاقية. Moral Conceptions (ص ١٥) .

٨- **باب التواضع** : وهو أن يتواضع العبد لصوت الحق .

٩- **باب الفتوة** : وهي أن لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا .

١٠- **باب الانبساط** : وهو إرسال السجية والتحاشى عن وحشة الحشمة ، وهو السير مع الجبلة ويقترب هذا الموضوع من موضوع سيكولوجية الشخصية ، وخاصة بعد الانبساط Extraversion أحد الأبعاد الأساسية للشخصية الإنسانية (ص١٦- ١٧).

القسم الخامس : قسم الأصول ، ويتضمن الأبواب العشرة التالية :

١- **باب القصد** : وهو الإزماع على التجرد للطاعة من مفهوم القصد أو النية (ص ١٧) .

٢- **باب العزم** : وهو القصد طوعاً أو كرهاً .

٣- **باب الإرادة** : وهى الإجابة لدواعى الحقيقة طوعاً ويرتبط بمفهوم الإرادة (ص١٧) .

٤- **باب الأدب** : وهو حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ويرتبط

بمفهوم العدوان Aggerssion ، والانفعالات Emotions (ص ١٧ - ١٨) .

٥- **باب اليقين** : وهو على ثلاث درجات ؛ الأولى علم اليقين ، والثانية عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال ، والثالثة حق اليقين .

٦- **باب الأنس** : وهو إشارة إلى روح القرب .

٧- **باب الذكر** : وهو التخلص من الغفلة والنسيان - ويرتبط بمفهوم الذاكرة Memory والنسيان Forgetting (ص ١٨) .

٨- **باب الفقر** : وهو على ثلاث درجات : الأولى فقر الزهاد ، والثانية الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل وهو يورث الإخلاص ، والثالثة فقر الصوفية وهو صحة الاضطرار والوقوع في يد المنقطع الوحداني في بيداء التجريد .

٩- **باب الغنى** : وهو اسم للملك التام ، الدرجة الأولى منه غناء القلب والثانية غناء النفس ، والثالثة الغنى بالحق .

١٠- **باب المراد** : أكثر المتكلمين في هذا جعلوا المراد والمريد اثنين - جعلوا مقام المراد فوق مقام المريد - وأشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر .

القسم السادس : قسم الأدوية :

١- **باب الإحسان** : وهو اسم جامع لجميع أبواب الحقائق ، وهو أن تعبد اللّه كأنك تراه .

٢- **باب العلم** : وهو ما قام بدليل ورفع الجهل .

٣- **باب الحكمة** : اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه .

٤- **باب البصيرة** : وهو ما يخلصك من الحيرة ، ويقترب من مفهوم الاستبصار Insight أحد المفاهيم الأساسية في نظرية الجيشطالت ، والمفسرة لعملية الإدراك والتعلم (ص ٢٠) .

٥- **باب الفراسة** : والتوسم التفرس وهو استئناس حكم غيب ، يشي بلا استدلال بشاهد ولا اعتبار بتجربة ، ويقترب مما يطلق عليه البعض : " الذكاء اللماح " .

٦- **باب التعظيم** : التعظيم هو معرفة العظمة مع التذلل لها .

٧- **باب الإلهام** : وهو مقام المحدَّثين ، وفوق مقام الفراسة ؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتاً واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد .

٨- **باب السكينة** : وهي حالة من الرضا والخشوع ومحاسبة النفس - ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (ص ٢٢) .

٩- **باب الطمأنينة** : وهي سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبينه وبين

السكينة فرقان . أحدهما أن السكينة تورث جمود الهيبة أحياناً ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة .

ويقترب هذا المفهوم من مفهوم الأمن النفسى Feeling of security (ص ٢٢) .

١٠- باب الهمة : وهى ما يملك الانبعاث إلى المقصود .

ويقترب هذا الباب من مفهومى الباعث Drive والدافع Motive (ص ٢٢) .

القسم السابع : قسم الأحوال . ويندرج تحته ما يلى :

١- باب المحبة : وهى تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع على الأفراد .

٢- باب الغيرة : وهي سقوط الاحتمال ضناً والضيق عن الصبر .

٣- باب الشوق : وهو هبوب القلب إلى غائب .

وترتبط الأبواب الثلاثة السابقة بأنماط الانفعالات Type of Emotions .

٤- باب القلق : وهو تحريك الشوق بإسقاط الصبر .

ويرتبط بموضوع القلق النفسى Anxiety (ص ٢٣) .

٥- باب العطش : وهو كناية عن غلبةِ ولوعٍ بمأمول .

٦- باب الوجد : وهو لهب يتأجج من شهود عارض تعلق .

٧- باب الدهشة : والدهشة بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه .

٨- باب الهيمان : وهو ذهاب عن التمالك تعجباً أو حيرة وهو أطول نسبياً من الدهشة .

٩- باب البرق : وهو باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق .

١٠- باب الذوق : وهو أبقى من الوجد وأجلى من البرق .

وبوجه عام ترتبط أبواب القسم السابع بسيكولوجية الانفعالات : أنماطها ودرجاتها (ص ٢٢ ٢٥) .

القسم الثامن : الولايات :

١- باب اللحظ : وهو لمع مسترق .

٢- باب الوقت : اسم لظروف الكون .

٣- باب الصفا : اسم للبراءة من الكدر .

٤- باب السرور : وهو اسم لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح ؛ لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان .

ويقترب هذا الباب من موضوع الانفعالات Emotions (ص ٢٦) .

٥- باب السر : أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر .

٦- باب النفس : سمى النفس نفسا لترويح المتنفس به ، وهو على درجات مختلفة.

٧- باب الغربة : وهى اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء .

٨- **باب الغرق** : وهو اسم يُشار به إلى من توسط المقام وجاوز حد التصرف .

٩- **باب الغيبة** .

١٠- **باب التمكن** : وهو فرق الطمأنينة وإشارة إلى غاية الاستقرار .

القسم التاسع : الحقائق :

١- **باب المكاشفة** : وهي مهاداة السر بين متباطنين . وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً .

٢- **باب المشاهدة** : وهي سقوط الحجاب يتهاوى فوق المكاشفة .

٣- **باب المعاينة** : وهي ثلاثة أنواع ، معاينة الأبصار ، ومعاينة القلب ، ومعاينة عين الروح .

٤- **باب الحياة** : فيها حياة العلم من موت الجهل ، وحياة الجمع من موت التفرقة ، وحياة الوجود .

٥- **باب القبض** : وهو اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق عز وجل.

٦- **باب البسط** : البسط أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم .

٧- **باب السكر** : وهو سقوط التمالك في الرطب ، وهذا من مقامات المحبين .

ويرتبط بموضوع سيكولوجية الحب Love (ص ٣٠) .

٨- **باب الصحو** : وهو فوق السكر ، وصاعد عن الانتظار ؛ يغني عن الطلب ، طاهر من الحرج .

٩- ، ١٠- بابا الاتصال ، والانفصال .

القسم العاشر : التوحيد :

١- **باب المعرفة** : وهي إحاطة بعين الشيء كما هو ، وهي على ثلاث درجات ، الأولى معرفة الصفات ، والثانية معرفة الذات ، والثالثة معرفة مستغرقة لا يوصل إليها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد .

ويرتبط هذا بمفهوم المعرفة Knowledge (ص ٣١) .

٢- **باب الفناء** : وهو اضمحلال ما دون الحق علما ثم جحدا ثم حقا .

٣- **باب البقاء** : وهو اسم لما بقى قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها .

٤- **باب التحقيق** : التأكد من الأشياء بإثبات الدليل والشواهد .

٥- **باب التلبيس** : وهو تورية بشاهد معار عن موجود قائم .

٦- **باب الوجود** : وهو اسم للظفر بحقيقة الشئ .

٧- **باب التجريد** : وهو إخلاع عن شهود الشواهد .

٨- **باب التفريد** : وهو اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم بالحق ثم عن الحق .

٩- باب الجمع : وهو ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين .

١٠- باب التوحيد : وهو تنزيه اللّه عز وجل عن الحدث ، وهو على ثلاث أوجه ؛ الأولى توحيد العامة ويصح بالشواهد ؛ الثانى توحيد الخاصة ويثبت بالحقائق ، والثالث هو توحيد خاصة الخاصة . وقد اختصه الحق تعالى لنفسه واستحقه لقدره .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

المبشر بن فاتك : مختار الحكم ومحاسن الكلم [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف : (٤٠٠ – ٤٨٧ هـ ؟) :

هو المبشر بن فاتك الآمرى وكنيته أبو الوفاء محمود الدولة الأمير . وأصله من دمشق ولكنه استوطن مصر حتى صار يعد من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها . وكان في الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر وأحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها .ولم تذكر المصادر التى أرخت له تاريخ مولده ووفاته ، وإنما اكتفى القفطى بالقول : وكان في آخر المائة الخامسة للهجرة ، ويمكن تحديد سنى حياته عن طريق من تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه . فأبو الوفاء المبشر بن فاتك ألف كتابه " مختار الحكم " سنة ٤٤٥ هجرية وبالتالى يفترض أنه ولد في السنوات العشر الأولى من القرن الخامس أى ما بين سنة ٤٠٠ وسنة ٤١٠ هجرية . وتبعاً لهذا يكون قد تتلمذ على ابن الهيثم فيما بين سن الخامسة عشر والخامسة والعشرين . وأن ملازمته لابن رضوان كانت وهو في سن بين الخامسة والثلاثين والخمسين ، ومهما عمر فلن يتجاوز ٤٨٧ هجرية (وإذن فليس بصحيح ما زعمه القفطى من أنه كان في آخر المائة الخامسة للهجرة) . وقد أخذ عن أساتذته علوم الهيئة والعلوم الرياضية ، وفروع الفلسفة ، والعلوم الحكمية ، والطب .

وله مؤلفات في علوم الأوائل نذكر منها ، البداية في المنطق ، والوصايا والأمثال والموجز من محكم الأقوال ، وكتاب في الطب ، والكتاب الذى نحن بصدده . ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب سيرة المستنصر (٣ مجلدات) (استمدت هذه الترجمة مما ورد في بداية هذا الكتاب) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٧٢ صفحة من القطع المتوسط ، ويشتمل على تصدير عام يضم نبذة عن كتاب مختار الحكم ، وترجمة للمؤلف ، ثم ما نقل عن كتاب مختار الحكم وما نشر منه ، والمخطوطات العربية له ، وكتاب مختار الحكم في الأسبانية ، والترجمة اللاتينية ، والفرنسية ، والبروفنصالية ، والانجليزية ، والرواية الأصلية في الترجمة الأسبانية ، وبعد ذلك طبعات الترجمة الأسبانية الملفقة ومنها طبعة أشبيلية في ١٦ مايو١٤٩٥ ، وطبعة طليطلة في ١١ ديسمبر سنة ١٥١٠ ، وطبعة بلد الوليد في

(١) لأبى الوفاء المبشر بن فاتك ؛ تحقيق عبد الرحمن بدوى . – ط ٢ . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ .

٢٣ديسمبر سنة ١٥٣٧ ثم خاتمة ، ورموز المخطوطات . ويضم الكتاب أيضاً مقدمة للمؤلف ثم الحديث عن إحدى وعشرين شخصية يذكر حياتها ونسبها ، وشيئاً من أدبها أو حكمتها ، ثم باب جامع لأقوال جماعة من الحكماء ، وباب آداب لم يعرف قائلها . ويضم أيضاً مجموعة من الفهارس منها فهرس الأعلام وفهرس أسماء الأماكن وفهرس الموضوعات .

يبدأ المؤلف كتابه بفصول من كلام شيث النبى وآدابه ، ويذكر فيها أنه ينبغى أن يكون في المؤمن والحنيفى ست عشرة فضيلة ، الأولى المعرفة بالله ، والثانية معرفة الخير والشر والثالثة السمع والطاعة للملك الذي استخلفه الله في الأرض ، والرابعة بر الوالدين ، والخامسة اصطناع المعروف بقدر الطاعة، والسادسة مواساة الفقراء ، والسابعة التعصب للغريب (ومفهوم التعصب Prejudice من المفاهيم التى درست وما زالت تدرس في علم النفس الاجتماعى (ص ٤) والثامنة الشجاعة في طاعة رب العالمين ، والتاسعة العصمة عن الفجور ، والعاشرة الصبر بالإيمان واليقين (ص ٥) والحادية عشرة صدق اللهجة ، والثانية عشرة العدل ، والثالثة عشرة القنوع في الدنيا ، والرابعة عشرة تقديم الضحايا والقرابين لله ، والخامسة عشرة الحلم (وهو يقابل ضبط النفس Self- Control أحد سمات الشخصية كما يدرس في علم النفس (ص٥) والسادسة عشرة الحياء وقلة الممار . كما يحدد أيضاً خصال الملك أو القائد (ويركز فيها على لطف العقل ، وصحة الرأى ، والعلم بالحكمة والإعلاء من شأن العلم (وموضوع القيادة – عموماً – من موضوعات علم النفس الاجتماعى (ص ٥ – ٦) كما يحدثنا أيضاً عن الصداقة (وهي من موضوعات علم النفس الاجتماعى أيضاً ، (ص٦) ، ويلفت النظر إلى ضرورة التجريب وإمعان النظر (ص ٦) . وأخيراً يحدد الحكمة بأن بها تنال معرفة الأمور وتحسن النية (ص ٧) .

وبعد ذلك ينتقل إلى حكم آرميس وآدابه ، والذى دعا إلى دين الله والقول بالتوحيد ، وتخليص النفوس من العذاب ، وحرص على الزهد في الدنيا ، والعمل بالعدل وطلب الخلاص في الآخرة ، والنظر في العاقبة . (ص ٧ – ١٠) .

وبعد آرميس ، يتحدث عن مختار مواعيظ هرمس وآدابه ، ويعرفه بأنه ادريس النبى المثلث بالنبوة والحكمة والملك ، ويحدد فيها كيفية شكر الله ، وكيفية بلوغ العلم وصالح العمل ، وتقوى الله ، والدعاء الخالص لله ، والسعى للخير ، وإتمام فروض الله والخشوع والخضوع من غير عجب ولا استكبار ، وينهى عن التفاخر والتكاثر ، ومخالطة الخونة والفسقة (وكأنه ينبهنا إلى كيفية اختيار الأصدقاء ص ١٢ – ١٥) . ومن مواعظه أيضاً الحرص على التقوى باعتبارها فاتحة أبواب الفهم والعقل . ويأمرنا

كذلك بالتروى في الأمور وعدم العجلة . ومن الموضوعات التى لها صلة بعلم النفس حديثه عن التعلم بالاقتداء Modeling (ص ١٣ ، ١٩ ، ٢٠) وانفعال المحبة (ص١٤) وانفعال الغضب (ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) وسلوك المساعدة Helping behavior ، وحسن التخاطب ويدرسا في علم النفس الاجتماعى (ص١٤،١٦).

وسمات الشخصية خاصة ضبط النفس (ص ١٧ ، ١٨) والقيادة Leadership وخصال القائد (ص ١٧) ومفهوم الغريزة والشهوة (وهى مفاهيم أهملت وحل محلها الدوافع ص ١٨ ، ١٩) ، وبعض اضطرابات الإدراك كالخداع البصرى Visual Illusion (عند حديثه عن السراب ص ٢١) كما يتحدث عن قوى النفس ، كالنفس المنطقية ، والقوة الشهوانية ، والقوة الغضبية (ص ٢٢) وأخيراً يحدثنا عن الفهم وعلاماته خاصة السرور(والفهم Comprehension يدخل تحت باب الذكاء أو القدرات المعرفية ، ويدرس أيضاً في علاقته باللغة ، أما السرور فيدرس تحت باب الانفعالات ص٢٢) .

ويحدثنا بعد ذلك باختصار عن حكيمين هما " صاب ابن إدريس " الذي يحذرنا من الغضب لأنه يفقد العقل ، (والغضب من الموضوعات التى تدرس في علم النفس العام ، وكذلك العقل إذا نظرنا إليه باعتبار مكوناته كالذكاء والتفكير والعمليات المعرفية ص ٢٦) ثم يحدد سمات الشخصية الخاصة بالملك (أو القائد) وهو ما يدخل في موضوع القيادة أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ٢٦) . ويركز على فوائد الفهم (وهو موضوع ينتمي للجانب العقلي في الإنسان ص ٢٧) . والثاني هو إسقلبيوس الذي كان تلميذاً لهرميس . ويركز على الصمت ، والبحث عن المعرفة ، وتحرى الصدق (ص ٢٩) .

الحكيم الثاني في هذه السلسلة من الحكماء هو هوميروس الشاعر الذي عرف العاقل بأنه من عقل عن الذم لسانه ، كما يرى أن الحيل فوائد الفكر (وقد سبق أن أشرنا إلى أن الجانب العقلي أو القدرات العقلية حظيت باهتمام كبير في دراسات علم النفس ص ٣٠ ، ٣١) . ثم يبدى رأيه في المشورة وطلب النصيحة (وهو ما يقابل الإرشاد النفسي Counceling أحد فروع علم النفس الحديث (ص٣٠) ويطالبنا بالاقتداء بالله ، والحلم (أو ضبط النفس وهو من سمات الشخصية (ص٣٢،٣٣) .

ويزلف مباشرة بعد ذلك إلى الحديث عن سولون الحكيم الذي رفع قيمة العلم وأعلى شأنه ونصحنا بالأدب والتأديب (أو حسن التنشئة ، والتنشئة أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص٣٦) ويقدم لنا مبدأ من المبادئ المعمول بها الآن في التخلص من سوء التوافق – أعني التحكم في الأفكار المأساوية حيث يأمرنا بدفع

الأفكار السيئة (ص ٣٧) . ويذكر أيضاً بعض سمات الشخصية وأهمها ضبط النفس (الحلم) ص٣٧، ويرسى مباديء الإرشاد والنصح (ص ٣٧) كما تعرض لموضوع الصداقة (٣٨) ، وتحدث عن بعض الانفعالات كالفرح والحزن (ص ٣٨) وحدد بعض خصال القائد (٣٩) ، وانتهى بالحديث عن التقويم . كما تعرض المؤلف لحكم وآداب زينون باختصار ، وأهم ما جاء بها - من وجهة نظر علم النفس - اختيار الأصدقاء والإخوان لأنهم شفاء النفس (ص ٤٣) ، وقوله إن النفس الناطقة لا تموت . وينقل لنا بعد ذلك أخبار أبقراط الطبيب وحكمه وآدابه وأهمها تركيزه على التجربة ، كما يبين لنا كيفية الاعتدال والتوسط في إشباع الدوافع (خاصة الدوافع البيولوجية) وموضوع الدوافع وإشباعها من موضوعات علم النفس العام ، ويذكر آفات القلب وأهمها الغم والهم (وهي قد تدخل تحت مسمى الانفعالات كالحزن ـ أو كوصف لبعض أعراض الأمراض النفسية كالاكتئاب Depression وهو موضوع عناية الأطباء النفسيين وعلماء النفس الإكلينيكيين (ص ٤٩) . وتحت باب الانفعالات تحدث عن المحبة ودرجاتها كالعشق (ص ٥٠ ، ٥٢) . وتعرض كذلك لموضوع الفكر Thinking (ص ٥٢) .

وتبدأ آداب وحكم فيثاغورث الحكيم بضرورة محبة اللّه تعالى من خلال محبة الحكمة ، ثم يأمرنا بالتروى قبل الفعل للنجاة من الخطأ (ص ٦٣) ويتعرض بالحديث أيضاً وكما سبق أن ذكرنا للاعتدال في إشباع الدوافع (٦٣) ويزيد على ذلك موضوعاً آخر هو التيقظ VIGIALNCE والذي يدخل تحت دراسة الانتباه ATTENTION كموضوع من موضوعات علم النفس العام (ص ٦٣) . كما يحدد أيضاً آداب المخاطبة أو التخاطب COMMUNICATION (وهو أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي ص ٦٤ ، ٦٧) ويستخدم أيضاً مفهوم العادة HABIT (وهو من المفاهيم التي استخدمت في نظريات التعلم ص ٦٤) .

وينهانا عن العجلة أو التواني ، ويأمرنا بضبط النفس (وهو من سمات الشخصية ص ٦٦ ، ٦٨). ثم يتحدث عن موضوع الانفعالات EMOTIONS فيذكر منها الغضب ، والحزن والهم (ص ٦٩). ثم يفرق بين الإحساس ، والشهوات والعقل (وهي ثلاثة موضوعات من موضوعات علم النفس ، غير أن الشهوة يمكن استبدالها ليحل محلها الدوافع ص ٦٩ ، ٧١) .

ولعدد من الموضوعات التى ذكرها فيثاغورث في حكمه وآدابه يتعرض ذيوجانس المتجرد ، ومن هذه الموضوعات ذات الصلة بعلمنا موضوع الدوافع (٧٤) والصداقة (٧٤) والانفعالات كالغضب ، والحب (ص ٧٥ - ٨١) والتعلم LEARNING

(ص٧٦) والتخاطب (ص ٧٩) ، والأخلاق الحسنة (ص ٨٠) .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أحد أهم الحكماء الذي تحدث عنهم وهو سقراطيس الزاهد ، الذي ينصحنا بمعرفة حق الله تعالى وتقواه ، ويوصينا بالتربية ثم يفرق أيضاً بين الأنفس فيذكرمنها النفس الزكية ، والنفس الرديئة والنفس الفاضلة ، والنفس الناقصة (وكأنه يصنف الناس على أساس سمات شخصياتهم وهنا نجد بداية لأحد موضوعات علم النفس ص ٩٢ ، ٩٨) . ويحضنا كذلك على محاولة معرفة الخطأ والتحرز منه ومن الموضوعات التى تعرض لها وتعتبر ذات أهمية خاصة موضوع إدراك الكلام أو فهمه SPEECH PERCEPTION (ص ١٠٠) . ويحذر سقراط من التسرع ، ويربطه بالغضب ففيهما علاقة وثيقة (والتسرع يمكن النظر إليه كسمة من سمات الشخصية ، أو من خصائص الأداء المعرفى والحركى والإدراكي ص ١٠٠ ، أما الغضب فهو يدخل تحت باب الانفعالات وقد أضاف إليه الحزن أيضاً ص ٩٨ ، ١٠٣) . وكسابقيه ومن صابروا بعده يفرد جزءاً من حكمه لبيان أهمية التفكير (١٠٤) . كما يقدم مجموعة من المواعظ عن الموت وما يتصل به (ص ١٠٥ - ١٠٦) . ويعدد محاسن الخلق (السمات الجيدة للشخصية ص ١١٠ - ١١١) . ويرشدنا إلى الاستعداد للبلاء قبل وقوعه (وهو من المبادئ المعمول بها في دراسات المشقة والتوافق STRESS & ADJUSTMENT حيث يقلل ذلك من وطأة المشقة على الشخص ص ١١٧) . وأخيراً يبصرنا بمضار المسكرات وآثارها على العقل (وهو من الموضوعات التى تقع على الحدود بين علم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس الإكلينكي وأعنى الإدمان ADDICTION أو الاعتماد DEPENDENCE (ص ١٢٢) .

وبعد أن انتهى المؤلف من الحديث عن سقراط انتقل ليقدم لنا آداب أفلاطون وحكمه .ويوصى أفلاطون بضرورة العناية بقوام البدن لأنه آلة النفس ، وأن من يطلب فضائل النفس تصح قواه ، ويستمر بعد ذلك في سرد حكمه ومشوراته وآدابه وهي كثيرة جداً . ومنها عدد غير قليل ذو صلة بعلم النفس . فهو يحدثنا عن العادة وعن استخدام مبدأ المكافأة المادية والمعنوية (والاثنان من المفاهيم التي شاع استخدامها في نظريات التعلم ص ١٣١ ، ١٦٧) ، ويتعرض بعد ذلك لموضوع العقل وما يدخل تحته كالحفظ (أو التذكر ص ١٣٢) ويحدد معنى العقل وعمله بأنه تمييز الأشياء وتفصيلها (وهو - كما نعرف - من أهم موضوعات علم النفس ص ١٣٣) .

كما يتحدث حديثاً مستفيضاً عن النفس ، ويشير إلى أن هناك عدة قوى للنفس (أو قدرات بمصطلحات علم النفس الحديث ص ١٤٣) . ولا ينسى أن يذكر لنا عدداً من خصال الشخصية ، سواء كانت حسنة أم سيئة (ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ،

١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١) ويعطينا دروساً في كيفية سياسة الناس (مما يمكن أن يدخل في إطار موضوع القيادة LEADERSHIP ص ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٠ ، ١٦١) ويضيف له أيضاً كيفية اختيار الأصدقاء وكيفية معاملتهم (ويدرس موضوع الصداقة في إطار المهارات الاجتماعية SOCIAL SKILLS ضمن حدود علم النفس الاجتماعي ص ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٦٥) ، وكما وجدنا عند من سبقه ، فهو يذكر عدة حكم ونصائح في كيفية ضبط النفس والتحكم في الانفعال خاصة الغضب وكيف ومتى نعبر عن انفعال الحب (وهو باب من أبواب علم النفس العام ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥) . وينعطف بعد ذلك إلى موضوع الشهوة وعلاقتها بالغضب وبقية أخلاق النفس (نحن نرى أن الشهوة يمكن أن تقابل اصطلاح الدوافع البيولوجية في علم النفس الحديث ص ١٤٩ ، ١٦٧) . لذا نجده يقسم النفس إلى قوة شهوانية وقوة غضبية ، وقوة فكرية (وهي المفاهيم التى ترددت بعد ذلك كثيراً في فلسفة وحكم بعض العرب والمسلمين كابن سينا ، والفارابي ، والغزالى .. إلخ ويمكن أن نجد لها مقابلاً في دراساتِ علم النفس الحديث مثل الدوافع ، والانفعال ، والتفكير ص ١٥٠ ، ١٧٥) . ولا تخلو موسوعة أفلاطون من كلام يفيد الدراسين لسيكولوجية اللغة ، أحد المجالات الحديثة لعلم النفس ، وكذلك المهتمين بالتخاطب فهو يقول : إذا طابق الكلام نية المتكلم ، حرك نية السامع ، وإن خالفها لم يحسن موقعه ممن أريد به ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦). ومن قطوف بستان الحكمة عند أفلاطون مما يتعلق بطلب المشورة وممن نطلبها (وكأنها دروس شديدة التبكير في الإرشاد النفسي COUNSELING ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ويختتم هذه الحكم النفسية بتحديد منبع الذكاء والفهم الذي يراه في الطبيعة الصافية ومدارسة الحكماء (وموضوع الذكاء والفهم من أهم موضوعات علم النفس الحديث ص١٧٨) . ومما يمكن استشفافه من دروس في القياس النفسي حديثه عن الاختبار (١٤٥) وتعريفه للصدق بأنه ثبات الأشياء في مواضعها .

ونأتي إلى ثلث الفلاسفة اليونانيين العظام وهو أرسطو طاليس (أو أرسطو) ولعل أرسطو هو الذي ذكر علم النفس صراحة حيث قال : إذا كانت النفس هي معدن الحكمة فأول ما ينبغى لطالبها أن يطلب علم النفس ، قيل وبما يطلب علم النفس قال بقوة نفسها (ص ٢٠٧) ونظراً لأن معظم الموضوعات ذات الصلة بعلم النفس ، والتى استشففناها من حكم أرسطو وآدابه ، قد وردت عند سابقيه فسوف نشير إليها باختصار ، فقد تحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكومين وشروط الرياسة (مما يدخل ضمن موضوع القيادة ص ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣) . ثم تعرض للعقل والتفكير ،

والذكاء وعلاقته بالتحصيل وهى نقطة من نقاط البحث في علم النفس والتى لم ترد عند غيره ص ١٩٢ ، ٢٠٤) . والتحكم في الشهوات (إشباع الدوافع ص ١٨٨) ، وما يمكن أن يدخل تحت مسمى المشقة STRESS وعلاقتها بالتوافق (ص ١٩٤) ، والتعلم (ص ١٨٩) ، وأمراض النفس (كالكذب) (ص ٢١٧) ، وكيفية علاجها ورعايتها (ص ١٩٨ وهي من موضوعات علم النفس الإكلينيكى والطب النفسى) ، وتحدث عن الانفعالات كالغضب ، والحزن ، والحب (ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١) وعن الصداقة (ص ٢١٣ ، ٢١٤) ، ويعنى خصال الشخصية كضبط النفس (ص ٢٢١) ، والاندفاعية (ص٢٠٨ ، ٢١٧) ، وسيكولوجية اللغة (الإنتاج والفهم ص ٢٠٦ ، ٢١٣) وسيكولوجية الاعتماد أو الإدمان (٢٠٦) .

ومما أمكن استنباطه من آداب ومواعظ الإسكندر : إعلاء شأن العلم ، والعقل واللسان (ص ٢٤٣) ، وخصال الحاكم (موضوع القيادة ص ٢٤٤) واستخدام المكافأة (وهي من مبادئ التعلم ص ٢٤٥) ، وحسن التخاطب ، والشروط الواجب توافرها في الرسالة (ص ٢٤٦) والصداقة (ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

أما بطليموس فقد عرف الإنسان العاقل ، وبيَّن العلاقة بين العقل والنفس ، وفائدة التفكير (ويمكن إجمالها في دراسة القدرات العقلية ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩). كما أضاف لها حديثاً عن وظيفة معرفية أخرى هي التذكر (ص ٢٥٥) وذكر بعض الأخلاق الحسنة ، والأخلاق السيئة (وتدخل إما في أصول التنشئة ، أو سمات الشخصية ص ٢٥٢ ، ٢٥٦) ، وحدد أهم سمات الصديق (موضوع الصداقة ص٢٥٤) ، وأهمية الأمن للإنسان (وهو من الدوافع التى يصنفها البعض باعتبارها دوافع اجتماعية ص ٢٥٤) ، وأهمية الأمن للإنسان النصيحة والمشورة وممن تطلب (مما يدخل في باب الإرشاد النفسي ص ٢٥٨ ، ٢٥٨) وأخيراً الهم باعتباره من أمراض الروح (أو إن شئت قلت النفس ، وهو يقابل - بشكل غير مباشر - أحد الأمراض النفسية هو الاكتئاب التفاعلي REACTIVE DEPRESSION- كما يرى البعض ص ٢٥٣ ، ٢٥٦) .

ومن آداب لقمان الحكيم الكثيرة ، ومواعظه النافعة ، نستخلص حديثاً عن بعض سمات الشخصية التي تدل على العلم والحكمة (ص ٢٦٥ ، ٢٧٩) والخصال العقلية ص ٢٧١ ، ٢٧٢) والتفكير ، الفهم (قدرات عقلية ص ٢٧٧ ، ٢٧٨) ، وحسن التخاطب (٢٦٩ ، ٢٧٥) والانفعالات كالحب والبغض ، والغضب (ص ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، وقبول النصيحة والإرشاد (ص ٢٧٠ ، ٢٧٨) والصداقة(ص٢٧٤،

٢٧٦ ، ٢٧٨) وأخيراً خصال الرئيس أو القائد وينتمي ذلك لموضوع القيادة ص٢٧٩) وعملية التقويم (ص ٢٧٩) .

وأمكننا أن نستخلص من حكم مهادرجيس وآدابه ، مايمكن أن نجمله في ثلاثة موضوعات تنتمي لدراسات علم النفس الحديث هي الانفعالات كالغضب ، والمحبة ص٢٨١ ، ٢٨٢) وإشباع الدوافع والسيطرة عليها (ص ٢٨٢ - ٢٨٣) وخصال الشخصية كضبط النفس ، والأمانة ، والشكر (ص ٢٨١ ، ٢٨٣) .

وإذا انتقلنا إلى باسيليوس الحكيم نجده قد تعرض لحسن التخاطب وأصوله (ص ٢٨٣) ، كما تحدث عن أفعال النفس ، وعلاقتها بالبدن وضرورة العناية بأشرفها (أي العقل) (ص ٢٨٤) وينصحنا بضرورة استشارة من يسميه طبيب النفس حتى في حالة الصحة (٢٨٤ ، ٢٨٥) ، ثم يذكر الحواس النفسانية ويقصد بها الإدراك عن طريق البصيرة أو القوى الروحية في الإنسان (ص ٢٨٦) ، وكيف يمكن للإنسان أن يتحكم في الغضب (ص ٢٨٦) ، أما غريغوريوس فقد تكلم في اللاهوت ، وما ذكر عنه مختصر جداً وتعرض لموضوع واحد هو الصداقة (٢٨٧) .

وآخر هؤلاء الحكماء هو جالينوس الحكيم ، الذي ركز على قيمة العلم والعمل به ، وحدد أمراض القلب وهي الهم والغم (ويمكن أن تماثل ما نسميه الأمراض النفسية وأعراضها كالاكتئاب ص٢٩٣).

ثم تعرض لبعض أنواع الانفعالات وخاصة الحب ودرجاته (ص ٢٩٤) ، ولفت الأنظار إلى ضرورة إصلاح الأخلاق والمعرفة بالنفس (٢٩٥) ، وأخيراً قسم قوى الدماغ إلى ثلاث : التخيل وهو مقدم الدماغ ، والفكر وهو في وسطه ، والذكر وهو في مؤخره (وهذا الحديث يقابل الكلام عن القدرات العقلية ، وتحديد مواضعها في المخ مما يدرس في علم النفس العصبى neuro psychology ص ٢٩٤) .

ونصل إلى الباب قبل الأخير ، وهو باب جامع لأقوال جماعة من الحكماء عرفت أسماؤهم ولم يوجد لكل واحد منهم ما يصلح أن يفرد له باب يجمعه في موضع واحد، وأول النصائح أن نترك الاستحياء في التعليم (ص ٢٩٨) ، وأن نضبط أنفسنا ، من خلال التحكم في ألسنتنا ، وضبط شهواتنا (ص ٢٩٩ ، ٣٠٥) . كما تعرض هؤلاء الحكماء لبعض أنواع الانفعالات كالمحبة (٣٠١)، والغضب (ص ٣٢١ ، ٣٢٢) ومن الوظائف المعرفية التى ورد بشأنها أقوال في هذا الباب التذكر والنسيان أو الذاكرة Memory (ص ٣٠٢ ، ٣٠٣) ، وكذلك بعض خصال الشخصية كالاندفاعية (العجلة) Impulsivity ، أو كخاصية من خصائص الأسلوب المعرفي أو للأداء بصفة عامة (٣٠٣) . ثم هناك إشارة إلى ما يفسد الفكر وأهمية الشراب (الخمور) ، كما

أن له مضاراً أخرى (ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢١) . كما جاء ذكر بعض مبادئ التعلم كالمكافأة (ص ٣٠٥) . والاعتبار بالغير (٣٠١) .

ونصل للباب الأخير وهو عن آداب لم يعرف قائلها فجمعت في موضع واحد . وورد فيها حديث عن فائدة العلم وقيمة الأدب . وكيف نحسن التخاطب (٣٢٣) وأن نقتدى بالعلماء (٣٢٣) وبيان في العقل وماهيته (ص ٣٢٥ ، ٣٣٢) ، وبعض أنواع الانفعالات كالمحبة (ص ٣٢٨) والفرح والحزن (ص ٣٣٢ ، ٣٣٣) ، والغضب (ص ٣٣٩) وكذلك الذكاء (ص ٣٢٨) وبعض سمات الشخصية كضبط النفس (ص ٣٣٤ ، ٣٣٦) وضبط اللسان (ص ٣٣٧) ، والرضا عن النفس ، والتأني والتواضع (٣٣٥) وبعض اضطرابات الإدراك كالخداعات Illusions (ص٣٢٨) وأخيراً طلب المشورة والنصيحة (٣٤٦) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

المرادي الحضرمي ، أبو بكر (توفي سنة ٤٨٩)
السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة [1]

عرض : د. جمعه سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو بكر محمد بن الحسن المرادى الحضرمي ، ويذكر المحقق في مقدمته التي كتبها أنه لا يعرف الكثير عن أسرته ولا عن نشأته – وإن كان يرجح أن أصله من القيروان ويثبت هذا كلمة القروى المنسوبة إليه ، كما أن ابن الأباد أرخ لابن على ، وذكر أن أصله من القيروان (كما أننا لم نعثر على ترجمة بقاموس تراجم الأعلام لخير الدين الزركلي وهو قاموس جامع لعدد كبير جداً من الأعلام) وكان الحضرمي – فيما روى – رجلاً نابهاً وعالماً وإماماً في أصول الدين . وله توجهه في علم الاعتقادات والأصول ومشاركة في الأدب وقرض الشعر ، وكان ذا حظ وافر في البلاغة والفصاحة ، أي أنه كان يتقن علوم اللغة إتقاناً كاملاً ، وكان عالماً بالفقه ، وقد أهله ذلك لتولى منصب القضاء ، وعلى يديه ازدهر علم الكلام في المغرب الأقصى .

انتقل المرادى إلى الصحراء وعاش فيها فترات طويلة ، ويحكى أنه قام برحلة إلى قرطبة سنة ٤٨٧ هجرية ، ثم عاد إلى الصحراء حيث توفى في مدينة "أذكى" سنة٤٨٩هـ . وترك مدرسة علمية في المغرب ، وله ابن من كبار علماء المسلمين في علم الكلام ، والحديث ، وهو أبو الحسن على بن محمد بن الحسن المرادى الحضرمي المعروف باسم المرادى (استمدت هذه الترجمة مما ورد في مقدمة محقق هذا الكتاب) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٧٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويشتمل على مقدمة للمحقق ، وصور المخطوطات الأصلية للكتاب ، ومقدمة المؤلف ، وبعد ذلك أبواب الكتاب وعددها ثلاثون . وفي نهاية الكتاب توجد مجموعة من الملاحق ، وفيها ملحق عن حياة المرادى من الذخيرة لابن بسام ، وملحق عن حياة تلميذ المرادى يوسف بن موسى الكلبى ، وملحق عن ضريح محمد بن الحسن المرادى ، ومصادر مقدمة المحقق ، والمصادر التى اعتمد عليها المحقق ، وأسماء الكتب الواردة في نص الكتاب ، وأسماء الأعلام الواردة في نص الكتاب .

وينقسم الكتاب كما سبق أن أشرنا إلى ثلاثين باباً . وسوف نتعرض لما كان منها

---

(١) لأبي بكر محمد بن الحسن المرادى الحضرمي ؛ تحقيق سامي النشار . ط ١٠ – الدار البيضاء : دار الثقافة ، ١٩٨١ .

متصلاً بدراسات علم النفس سواء بشكل مباشر أو غير مباشر . فإذا بدأنا بالباب الأول نجده في الحض على القراءة والتعلم ، فالعقل كما ذهب الحكماء ، هو الذي يميز بين الإنسان والبهائم ، كما أن العلم هو الذي يفرق بين الشريف والخسيس من البشر ، وبالتالى فالعقل المتعلم خير من العقل غير المتعلم ؛ لذا وجب التعلم ، والحرص عليه ؛ لأنه يعين على الفهم ، ويبلغ السرور (ونجده هنا يتعرض لثلاثة مفاهيم مما يدرس في علم النفس الحديث أو لها العقل ، ولدراسته في علم النفس وجوه متعددة كدراسة ارتقائه ، وكشف قدراته وقياسها ، والكشف عن اضطراب هذه القدرات وكيفية تقويمها وتنميتها . والثاني هو الفهم comperhension ويدرس أيضاً من زاويتين إما باعتباره قدرة نوعية من قدرات الذكاء ، والتفكير ، أو عندما يدرس في مجال سيكولوجية اللغة ، وكيف تفهم Language comperhension . والثالث هو مفهوم التعلم Learning وهو مجال مستقل نسبياً من مجالات علم النفس وله نظريات ومناح وتجارب عديدة ، وقوانين مشهورة وُظِّفت في مجالات تطبيقية عديدة ، كالتربية ، والعلاج السلوكى ، والصناعة وغيرها (ص ٥٧ ، ٥٨) وفي الباب الثاني يستمر في تعميق معنى العقل والتفهم وفوائدهما للبشر (ص ٥٩ - ٦٠) .

وينتقل بنا لموضوع آخر في الباب الثالث ، فيحدثنا عن الاستشارة وصفة المستشار . فالاستشارة - في رأيه - تفيد المستشير عقلاً يزيده إلى عقله ، وهداية يجمعها مع هدايته . وللاستشارة أربعة أوجه: التقصير عن معرفة التدبير ، والخوف من الغلط في التقدير ، ومحاولة تبين الخطأ من الصواب ، والحصول على مشاركة المستشار ، ومن هنا وجب انتقاء المستشار من حيث توافر خصائص معينة فيه كأن يكون عاملاً فطناً ، محباً صافياً ، كاتماً للسر ، أميناً ، غير حاسد ... إلخ ، (وهذا الباب يتناول موضوعاً من موضوعات علم النفس ، ألا وهو الإرشاد النفسى Counseling أو الاستشارة النفسية وهو أحد الفروع المستقلة وله نظريات كثيرة ومناهج لتقديم النصح والإرشاد لمن يطلب هذه الخدمة لتخليصه من المعاناة النفسية (ص ٦١ - ٦٦) . كما يمس موضوعاً آخر في ثنايا الحديث ألا وهو موضوع الاختبار Testing (أو التثبت من خلال التجربة) . والاختبار أو القياس بصفة عامة أحد الأعمدة التي يقوم عليها علم النفس العلمى في كافة الفروع (ص ٦٢) .

ويوصي المرادى الحضرمى - في الباب الرابع - بالاعتدال في جميع الأحوال سواء في المطعم أو في المشرب أو الملبس أو المنكح ، أو النوم أو اليقظة ، أو التعب أو الراحة ، ثم يصف بعد ذلك الأحوال والصفات التي ينبغي أن يبحث عنها الإنسان لإشباع حاجاته السابقة (وكأنه هنا يحدثنا عن إشباع الدوافع ، وهو موضوع من موضوعات علم

النفس العام (ص ٦٧ – ٦٨) . كما يلفت النظر أيضاً لتصنيف العلوم وفوائدها (٦٩) ويقدم أيضاً عدداً من الصفات التي يجب أن نتحلى بها مع المتوسط منها وعدم الإسراف وأهمها عدم الانقباض عن الناس تماماً ، وعدم الانبساط إليهم كل الانبساط (وبُعد الأنطواء – الانبساط Introversion - Extraversion من أبعاد الشخصية الأساسية في نظرية إيزنك Eysenck والتى تلقى رواجاً كبيراً منذ ظهورها ص ٧٠) . ومن خلال وصفه لهذه الصفات ، ينهانا عن عدم الانشغال بأمور كثيرة وغير هامة في ذات الوقت؛ لأن ذلك يشغل عن اللذات ، ويقطع الراحات (والمتأمل لهذا الوصف يستنتج مقابلته لما يسميه العلماء في الوقت الحاضر بالنمط "أ" من السلوك " A " Type Behaviour وهو نوع من البشر ذي خصائص معينة أهمها الانشغال بعدة أمور في وقت واحد ، وعدم الراحة مما يجعلهم عرضة للمشقة Stress والأمراض الحادة والمزمنة ص٧٠) .

والباب الخامس في الفرار من سوء العادة ورياضة النفس قبل الحاجة ، فالعادة طبيعة خامسة ، وهي – كما يرى – تسهل الأمور الصعبة ، وتصعب الأمور السهلة ، والعادة السوء إذا استحكمت تكون كالطبع الردئ في الثوب الجديد ، إذا أصابه الوسخ ، وربما سهل إزالة الوسخ ، واستحال تغيير العادة السيئة . والتحرز من سوء العادة يكون بوجهين : أحدهما التدريب على العادة الجميلة قبل اتخاذ القبيحة في سن الحداثة . وإن كان في السن بقية والعادة السوء غير مستحكمة فهنا يرجى الصلاح بالانتقال عنها بالتدريج (وهو هنا يقدم لنا درساً مبكراً في كيفية تغيير الاتجاهات Attitude change ، وتعديل السلوك غير السوى أو غير المرغوب كالتدخين مثلاً Behaviour Modification كما أن مبدأ الانتقال بالتدريج يقابل أحد طرق العلاج السلوكي Behaviour Therapy وهو التحصين التدريجي أو التسكين المنظم systematic desensitization (ص٧١،٨٢) . والثانية أن يروض المرء نفسه عليها لو نزلت به ، لأن ذلك يعين على الدربة ، ويشحذ خواطر قبل الحاجة (وهو هنا يقدم أحد الأساليب التي يدعو إليها علماء النفس المحدثون للتعامل مع المشقة Stress ألا وهو توقع المشقة والتعرف على جوانبها قبل حدوثها لأن ذلك يقلل من آثارها إذا حدثت بالفعل ص ٧٥) .

ونأتي إلى الباب السادس وهو من الأبواب الهامة ، وهو مخصص للخلطاء ، والأصحاب ويحدد فيه الصديق السوء وصفاته كدناءة الطبع ، وسوء اللفظ ، وفساد الأدب ، وإذاعة السر ، وإظهار النقص ، وقلة الدين ، والجبن ، وفي مقابل ذلك يقدم الصديق الفاضل ونفعه وصفاته كالعلم ، والوقار ، والرأي السديد ، والحلم ، والمعاونة على الشدائد ، والكرم وغير ذلك (وهو في ذلك يسوق لنا كلاماً يجد صدى في

دراسات علم النفس سواء في مجال سمات الشخصية أو الصداقة Friendship والتى تدرس تحت المهارات الاجتماعية Social Skills في علم النفس الاجتماعي ص ٧٧،٧٨ . كما يتحدث أيضاً في هذا الباب عن أشكال الانفعال كالفرح ، والحزن وهي أيضاً من الموضوعات المطروقة في علم النفس ص ٨٠) . أما في الأبواب السابع ، والثامن ، والتاسع ، فيمضى على نفس المنوال ليحدد صفات الأعوان والمساعدين ، وكيفية التعامل مع بقية الناس .

وإذا انتقلنا إلى الباب الرابع عشر ، وهو في أقسام الناس وما تقابل به طبقاتهم ، ونجده ينقل عن العلماء المتقدمين تقسيمهم للناس على ثلاثة أجناس : كريم فاضل ، ولئيم سافل ، ومتوسط بينهما . والناس طبقات في الطباع والأخلاق ومذاهبهم شتى في جميع الأحوال (ونلمح هنا نقطتين هامتين هما تقسيم الناس على أساس سمات شخصياتهم ، ثم إرساء مبدأ الفروق الفردية Individual Differences ، وهما من النقاط التى تجد عناية من علماء النفس ص ١١٣ - ١١٤) .

ويسوق في الباب الخامس عشر الأدلة التي يستدل على أهل الفضل والنقيصة والتوسط . وهم أصناف الناس الذين قسمهم العلماء . ويرى أن الناس ضربان : منهم معروف الأصل والأبوة والمنشأ والمروءة ، ومنهم طارئ غير معروف الأصل ، فإذا أشكل على المرء معرفة عقل الرجل يجب أن يشاوره (أو قل يمتحنه) في أمر مهم لم ينزل بعد ، والمرء ليس في حاجة إليه . أما إذا أشكل عليه كريم الطباع وجب اختباره بلطف المرء ولحظه (أو ملاحظته) (والحضرمى هنا يقدم لنا طرقاً مبكرة لقياس الذكاء واختباره ، وكذلك قياس الشخصية ، والمناهج التي يمكن استخدامها في هذا الغرض ، وهي من الموضوعات الحيوية في القياس النفسي Psychometry ص ١١٧ - ١١٨).

وفي حديثه عن الكلام والصمت ، في الباب السادس عشر ، يقدم المؤلف دروساً قيمة في كيفية التخاطب وإجادته ، وكيفية إنتاج الكلام الحسن ، السهل ، البسيط ، المنتقى بعناية مع البعد عن الحشو الذى لا يفيد شيئاً ، مع مراعاة الآداب العامة والذوق السليم أثناء التخاطب وأهمها حسن الاستماع ، وعدم المقاطعة ، وعدم الهزل (ويجد علماء النفسي في هذا الباب موضوعات هامة مما يعينهم وأولها التخاطب Communication وأهم عناصره وهى المرسل (المتكلم) والمستقبل أو المتلقى (المستمع)، والرسالة أو ما يرغب في نقله للآخرين ،والوسيلة (وأهمها اللغة) . هذا بالإضافة إلى نقاط تهم على وجه الخصوص علماء النفس المعنيين بسيكولوجية اللغة Psycholinguistics وخاصة ما يعرف بالحشو Redundancy وهي ظاهرة بدأ الاهتمام بها في الوقت الحاضر (ص ١١٩ - ١٢٢) .

ثم يخصص الباب السابع عشر للحديث عن الحلم الصبر : فالصبر محمود عند الحكماء ، وهو نوعان صبر على ما نكرهه ، وصبر على ما نحبه ، أما الحلم فهو الصبر على مكافأة الظالم والسفيه مع القدرة على الانتصار عليه (وهاتان الصفتان -في رأينا- تقابلان سمتين من سمات الشخصية التى درسها علماء النفس ، فالصبر في أحد معانيه ، وهو الصبر على أداء نشاط معين حتى يتحقق الهدف المطلوب ، يقابل مفهوم المثابرة في دراسات علم النفس الحديث . أما السمة الثانية التى نقصدها ، والتى تقابل الحلم فهى سمة ضبط النفس Self Control (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وننتقل إلى الباب التاسع عشر ، الذي يحدثنا فيه المؤلف عن الغضب والرضا ، وهو يرى أن الحب والبغض والغضب والرضا يُعْدُلْنَ بالفكر عن الإصابة ويُصَوِّرْنَ الأشياء على غير الحقيقة ، ولكل واحد منها صورة ينفى معها السقط ويخشى منها التناقض والغلط (والموضوعات التى يحدثنا عنها المؤلف هنا تدرس في علم النفس العام تحت مسمى الانفعالات Emotions . كذلك فإن أحد معانى الرضا - وهو الرضا عن العمل Job Satisfaction من المفاهيم كثيرة الاستخدام في علم النفس الصناعي Industrial Psychology (ص ١٢٩ - ١٣-) .

وبداية من الباب العشرين يقدم " المرادى الحضرمى " أبعاداً عريضة أو سمات نوعية من سمات الشخصية أفرد لكل واحدة منها باباً مستقلاً . في الباب العشرين يحدثنا عن التجبر - الخضوع (ودرس في علم النفس باسم السيطرة - الخضوع أما كبعد من أبعاد الشخصية أو أسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية Socialization ص ١٣١) .

ثم ينتقل إلى الباب الحادي والعشرين ليتحدث عن الحزم والتفريط ، فيعرف الحزم بأنه النظر في الأمور قبل نولها وتوقى المهالك قبل الوقوع فيها وتدبير الأمور على أحسن ما يكون من وجوهها (وهذا الوصف - كما سبق أن أشرنا في موضوع سابق- يؤكده علماء النفس المحدثون باعتباره وسيلة للتقليل من وقع المشقة Stress على الشخص إذا ما استعد لها قبل حدوثها . كما أنه يقدم بعض السمات الشخصية التى ينبغي أن يتحلى بها الشخص ويوظفها لصالحه ، وهو يذكر كذلك في ثنايا حديثه مفهوماً من مفاهيم علم النفس هو التيقظ Vigilance والذي درس في علم النفس الفسيولوجي أو إطار موضوع الانتباه والإدراك ص ١٣) .

ويستمر بعد ذلك في تقديم عدد آخر من هذه السمات ، كالكتمان والإذاعة وهى من الصفات التى ينبغى أن تتوفر في الصديق الحق (وهو هنا يعود لموضوع الصداقة والصديق وهى موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي ص ١٣٩) .

ويخصص الباب الثالث والعشرين للحديث عن العجلة والتواني والتوسط ، فالعجلة

مذمومة من زوايتين وممدوحة من زوايتين والزاوية الأولى المذمومة هي العجلة في الأمـور قبل تأملها وتدبرها ، والثانية هي طلب الشيء قبل أوانه ، والزاوية الأولى الممدوحة هي إنتهاز الفرص بعد إحكام المعرفة ، والثانية العجلة التي هي ضد التواني المذموم أي تـرك الأمور إلى آخر أوقاتها (وهو هنا يقدم لنا وصفاً لأحد أبعاد ما يسمى بالأسلوب المعرفي Cognitive style أو كخاصية من خصائص الأداء بصفة عامة وهو بعد الاندفاعية-التروى Impulsivity - Reflectiveness (ص ١٤١ - ١٤٢) .

وفي إطار الحديث عما يمكن أن نسميه إطار الشخصية يقدم المؤلف في الأبواب التالية عدداً منها ، فيتحدث عن الكرم والبخل في الباب الرابع والعشرين (ص ١٤٣) وعن الشجاعة والجبن في الباب الخامس والعشرين (ص ١٤٧) ، وفي الباب السابع والعشرين يفصل القول عن التعجب والمواصلة (وهنا يضيف إلى سمات الشخصية ، ما يمكن أن يدخل تحت باب الانفعالات وهو ما يدرس في علم النفس العام ص ١٥٣) . وفي البابين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين يتحدث عن الحيلة والمكر والخديعة (ص١٥٥) وعن التداهى والتغافل (ص ١٥٧) وهو يظهر قيمة العقل ، وما للحيلة من فوائد ، ويرى أنها أكثر من أن تحصى ، وهى مواد للعقل ونتائج الفكر والتجارب (وغنى عن البيان أن موضوع العقل ، أو التفكير من الموضوعات الأساسية في علم النفس قديمه وحديثه . هذا بالإضافة إلى التجربة وهي من أعمدة التقدم في علم النفس الحديث) .

وينهى الحضرمى كتابه القيم بالباب الثلاثين فيقدم فيه فنوناً من الحكم والآداب . فالأدب من أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة ، وبه ترتفع الأحساب الوضيعة ، وتفاد الرغائب الجليلة ، وهو المؤنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمجمل في المغيب والحضرة . وأدب النفس أصل أدب الدرس ، فلا ينمى الشيء دون مادته ، ولا يطول الفرع إلا بأصله . (وهذا الختام إنما يمثل دروساً قيمة في أصول التربية والتنشئة ، وفيها ما ينبغي للمرء أن يتحلى به ، وأن يغرسه في أبنائه وتلاميذه من بعده . والتنشئة الاجتماعية أحد الموضوعات الهامة في علم النفس الاجتماعي ص ١٥٩ -١٦١) ..

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

السراج ، جعفر بن أحمد ، مصارع العشاق [1]

عرض : د. عبد المنعم شحاته

التعريف بالمؤلف :

جعفر بن أحمد بن الحسن السراج ، الملقب بـ" القارئ " والمكنى بـ " أبي محمد " ولد في بغداد عام ٤١٩ هـ ، ١٠٢٦ م ، وتوفي بها عام ٥٠٠ هـ ، ١١٠٦ م ، كان شاعراً وراوياً وقد وضع عدة تصانيف .

(المصدر : مقدمة كتابه : مصارع العشاق ، الجزء الأول ، ص ٥) .

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على روايات عن عشاق صرعهم الحب ، منهم من كان عشقه معتاداً أو طبيعياً كعشق الرجل إمرأة أو جارية ، ومنهم من كان عشقه شاذاً أو غير سوى Abonormal كعشق الرجل لغلام أو رجل مثله (انظر الروايات التى أوردها أبو محمد القارئ في الصفحات ٢٤٢ ، ٢٤٥ من الجزء الأول ١٦٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥٨ من الجزء الثاني) ، ومنها ماهو غير معقول أو غير واقعى (كالروايات التى أوردها في الصفحات ٨٥ - ٨٧ ، ٢٦٥ - ٢٦٦ ، من الجزء الأول ، وغيرها من روايات العشق التى أبطالها من الجن) .

وتتميز الروايات بأنها مسندة إسناداً جيداً ، ويكثر فيها الاستشهاد بالشعر ، كما أنها في مجملها تشير إلى عشق عفيف يظله الخوف من الله ومن عذابه في الآخرة أو يتبعه توبة نصوح .

والكتاب بهذه الصورة لا يشتمل على مفاهيم أو تفسيرات يمكن إدراجها في علم النفس المعاصر، إلا أنه بالإمكان الإشارة إلى ظواهر نفسية كان الشعراء المروى عنهم في هذا الكتاب يدركونها وعلى استبصار جيد بها كما يستدل من تعبيراتهم التى تعد إرهاصات للتفسيرات اللاحقة لهذه الظواهر ، والتى منها :

الظاهرة الأولى والشائعة عبر دفتى الكتاب بجزئيه هى أن الحب يحدث مرض وسقم الجسم ونحوله وذبوله ، ولا تخلو رواية وردت في الكتاب من هذه العلاقة بين الحب والسقم ، ففي ص ٦٢ من الجزء الأول يقول الشاعر : -

ظفر الشوق بقلب دَنِف ... منك السقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى ... تركانى كالقضيب الذابل

وفي ص ١٧٦ يقول آخر :-

ونفس محب الله نفس عليلة ... وأي محب لا تراه عليلاً

(١) أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين ، السراج القارئ . بيروت : دار صادر ، [د . ت] .

وفي ص ٢٥٦ يقول ثالث :-

ضاعف وجدى وزاد سقمى   أن لست أشكو الهوى إلى أحد

وفي ص ٧٤ من الجزء الثاني يقول رابع :-

الحب أسقمنى والحب أضنانى   والحب انحلنى والحب أبلانـــى

وفي ص ٢٦١ من الجزء الثاني يقول خامس :-

أليس شوقى وفيض دمعى   وضعف جسمى شهود حبــى

هذه بعض الأبيات التى نوردهـا علـى سـبيل المثـال - لا الحصـر - عـن تبـين إدراك العرب لعلاقة الانفعال (الحب) بالجسم (النحول والمرض) والتـى تعـد إرهاصـاً بفئـة أساسية في أية دليل تشخيص للأمراض النفسية هي فئة الأمراض النفسجسمية التى تعـد نتيجة للقلق والاكتئاب أو كما يقول الشاعر :

فهما بين اكتئاب وضنى   تركانى كالقضيب الذابل

ويؤدى التحكم الزائد في الانفعالات وعدم التعبـير اللفظـى عنهـا إلى إجهـاد الجهـاز العصبى مما يؤثر على إفراز الغدد الصماء مما يحدث تغييرات فسـيولوجية عـدة تصـاحب الانفعال وكل هذا يسبب نحول الجسم وإرهاقه ، ولعلنا نذكر قول الشاعر " وزاد نحول سقمى أن لست أشكو الهوى إلى أحد " ويصل السقم - في كثير مـن الروايـات - إلى الموت أو الجنون ، وهذا يمكن قبوله إذا عرفنا أن الحب عنـد العـرب يـرادف الإحبـاط ، فالمحب لا ينال حبيبته أبداً ، لا بالزواج لأنه قد شهر بها ، ولا دون زواج لأنـه يخـاف اللّه وعذابه ، فيحزن المحب لفقد حبيبته ، وقد يصل الحزن إلى الاكتئاب الـذي يفضـي إلى العزلة والزهد والانطواء وربما الموت .

وتترجم تعريفات العرب للعشق وللحب هذه الظاهرة ، فالعشق كما يقول يحيى بـن أكثم - ص ١١ من الجزء الأول - " سـوانح تسـنح للمـرء فيهتـم بهـا قلبـه ، وتؤثرهـا نفسه " أو كما يقـول ثمامـة : " العشـق جليـس ممتـع وأليـف مؤنـس وصـاحب ملـك مسالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضه ، وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأعطى عنان طاعتها ، توارىَ عـن الأبصار مدخله ، وعمى في القلوب مسلكه " . أى أن العشق يتضمن " تركـيز مشـاعر الفرد في المحب وتوجيه نشاطه نحو التقرب منه ويؤدى هذا التركيز إلى إدراك متحيز ، أو بالأحرى تشويه إدراكى ، يعبر عنه وصف الأصمعى - ص ٣١ من الجـزء الثـاني - للعشق ب : " أن يكون ريح البصل منها أطيب من ريح المسك والعنبر " وهـو يـرادف ظاهرة نفسية معروفة " فنحن غالباً ما نعزو كثيراً من الخصال المرغوبـة الجذابـة إلى مـن نحبهم وذلك لأننا ندرك الحبيب بعين خاصة وصفها الشاعر في ص ٣٦ من الجـزء الأول

كما يلي :-

يراك الفؤاد بعين الهوى　　　وعين المحبة لا تخلف

وترجمها شاعر آخر بقوله :-

عين الرضا عن كل عيب كليلة　　　كما أن عين السخط تبدى المساويا

وتشير الرواية التي أوردها القارئ في الصفحات ٢١ - ٢٣ من الجزء الثاني إلى إدراك الدوافع Motives وأهميتها في توجيه السلوك ، ووعي المتقدمين بهذا الدور للدوافع فقد أراد " بهرم جور " إعداد ابنه لتولى مسئولية الملك بعده لكنه وجده خاملاً لا يستجيب لأساتذته ومؤدبيه ، وأدرك أنه عشق فتاة ، فدعا والدها وأمره بأن يأمر ابنته بإطماع ابن الملك في نفسها ومراسلته دون أن يراها ، وشجع المؤدب ابن الملك على مراسلتها فلما استحكم العشق فيه هجرته البنت ؛ لأنها لا تصلح إلا للملك ، فجد في طلب الحكمة والعلم والفروسية .... إلخ حتى مهر في كل ذلك فزوجه أبوه فتاته.

وهكذا أدرك الملك أهمية الحب كدافع يحث ابنه إلى أداء أعمال معينة يرغب منه أداءها وتوصله إلى الحصول على حاجته أو الحبيبة .

وهذا الأسلوب له قيمته التربوية العظيمة واستخداماته المتعددة ، وهو مبدأ نفسى معاصر ، أي "الحاجة تخلق التوتر ، الذي يحث الفرد إلى خفضه من خلال إرضاء هذه الحاجة " .

ورد في صفحة ٨٣ من الجزء الأول قول الشاعر :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى　　　إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وهو يشير إلى أن انفعالين متضادين لا يجتمعان في النفس معاً ، وهو مبدأ نفسي صحيح ، ويمكن الاعتماد على أحد الانفعالين لابعاد الآخر ، كما يمكن الاعتماد على الانفعال المركز حول شخص لابعاد التركيز حول شخص آخر ، أو كما قال الشاعر في ص ٢٤٥ من الجزء الأول " تبدلت " " قسطاً " بعد " أروى " وحبها كذلك لعمرى ، الحب يذهب بالحب .

ورد في صفحة ٨١ من الجزء الأول ، قول الشاعر : " وأدركها ضعف النساء فخرت " وهي تشير إلى الفروق بين النوعين (الرجال والنساء) في التأثر بالأحداث المختلفة وهذه الفروق جذبت انتباه الباحثين في مختلف موضوعات علم النفس . لمزيد من التفصيل حول الفروق بين النوعين في القدرات المعرفية .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

الراغب الأصبهاني ، أبو الحسين (ت ٥٠٢ هـ)

تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (١)

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف : (٤٩٩ – ٥٠٢ هـ) :

حياته : هناك غموض حول حياة الراغب الأصبهاني رغم مكانته العلمية وكثرة مؤلفاته وانتشارها . وقد ترجم له كثير من مصنفي التراجم والطبقات ، ولكن ترجمته جاءت فقيرة فيما يتعلق بأحداث حياته ، كما جاءت متناقضة في بعض ما ذكرت من أحداث .

وقد جاء التناقض ابتداء من ضبط اسمه ، فهو في بغية الوعاة للسيوطي " المفضل بن محمد " وفي فهرس الخزانة التيمورية " الحسين بن المفضل بن محمد " ، ولكن أغلب المصادر التي ترجمت له اتفقت على أنه : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ، الملقب بالراغب .

ولم تذكر المصادر تاريخ مولده إلا البيهقي في تاريخ الحكماء فقد ذكر تاريخاً موهوماً هو سنة ٤٩٩ هـ .

أما عن نشأته وحياته فلم تأت فيها مصادر ترجمته بشيء ، مما جعل الباحثين يلجأون إلى التخمين في ذلك ، فربما كان متنقلاً في حياته بين أصبهان وبغداد ، وربما كان مشتغلاً بالتدريس .

وفيما يتعلق بتاريخ وفاته وقع خلاف بين المترجمين له أيضاً ؛ فالسيوطي أنه توفي في أوائل المائة الخامسة ، ولا شك أنه وهم ، والمقصود أوائل المائة السادسة ، وتشير أغلب الآراء أن وفاته كانت سنة ٥٠٢ هـ .

أما فيما يتعلق بتوجهه المذهبي فيبدو أن الراغب كان شافعي المذهب في الفقه ، أما مذهبه العقائدي فاختلف مترجموه فيما إذا كان شيعياً أو معتزلياً .

ثقافته ومكانته العلمية : للراغب مؤلفات عديدة متنوعة بعضها موجود وبعضها مفقود ، ومن كتبه الموجودة : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ومفردات ألفاظ القرآن ، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، و مقدمة التفسير . أما مؤلفاته المفقودة فمنها : الأخلاق ، أفانين البلاغة ، وتحقيق البيان في تأويل القرآن ، وتفسير القرآن . وفي ضوء هذه المؤلفات يبدو أن الراغب توفر على ثقافة إسلامية متنوعة جمعت العلوم العقلية

---

(١) للراغب الأصبهاني أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل ؛ تقديم وتحقيق عبد المجيد النجار – ط١ . بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ . ٢٣٣ ص .

والعلوم النقلية إلى جانب علوم اللغة وفنون الحكمة . وهذه العلوم المتنوعة التى برز فيها الراغب كان تنوعها سبباً في إكسابه عقليه واسعة نافذة تمكن بفضلها من حسن استخدام المعارف الحاصلة لديه في عرض آرائه . فكان يبدو في طرح قضاياه غير متعصب لمذهب معين بل مستفيداً من سائر المذاهب مع نزعة سنية متفتحة .

وهذه الخصال الثقافية في تأليفه جعلته عالماً مرموقاً في الوسط الفكرى الإسلامي ، وجعلت تأليفه محل اهتمام واسع من قبل المسلمين . فكان الإمام الغزالى معجباً بكتابه الذريعة ، وكان يستصحبه معه دوماً ، وما ذكر أن الإمام الرازي كان يقرنه بالغزالي ، وقال عنه الذهبي : " إنه العلامة الماهر ، المحقق الماهر ... كان من أذكياء المتكلمين " .

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة وثلاثين باباً ، انتظمت في ترتيب متصاعد منطقياً بحيث يؤدى الواحد منها إلى الذي يليه بعده ابتداء من أصناف الموجودات التى من بينها الإنسان ومروراً بحقيقة الإنسان المادية والمعنوية ، وبغاية وجوده ، وبما يحقق تلك الغاية وانتهاء بالموت وما يحصل بعده . ونعرض لأبواب هذا الكتاب على النحو التالى :-

المقدمة والباب الأول : فضل معرفة الإنسان نفسه :

أوضح المؤلف في مقدمة الكتاب ، والفصل الأول منه أن الناس كثيراً ما يخطئون في تصور حقيقة الإنسان فيظنون أنه الصورة الحيوانية المخصوصة ، ويغفلون عن جوهر الإنسان فيه ، وبالتالى يقعدون عن تحقيق ذلك الجوهر فلا يكونون إلا صوراً إنسانية دون حقيقة . ولذلك فإن أول ما يجب على الإنسان في سبيل تحصيل السعادة الإنسانية أن يعرف حقيقة نفسه ، أي حقيقة الإنسان . وفي معرفة النفس فوائد كثيرة : أحدها أنه بواسطتها يتوصل إلى معرفة غيرها ، والثاني أن نفس الإنسان مجمع الموجودات ، فمن عرفها عرف الموجودات ، والثالث : أن من عرف نفسه عرف العالم ، ومن عرفه صار في حكم المشاهد للّه تعالى وهويخلق السموات والأرض ، والرابع : أنه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحاني وبقاءه ،والخامس : أن من عرف نفسه عرف أعداءه الكامنة فيها ، والسادس : أن من عرف نفسه عرف أنه يسومها ، والسابع : أن من عرفها لم يجد عيباً في أحد إلا رآه موجوداً في ذاته ، والثامن : أن من عرف نفسه فقد عرف اللّه .

ويرتبط ما ورد في هذا الباب بشكل غير مباشر بما يتبع أساليب العلاج والإرشاد النفسى ، حيث تسعى بعض أساليب الإرشاد إلى تنمية وعى الفرد وحل مشاكله عن طريق استبصاره بالمشكلة ومعرفته حدود إمكانياته (ص ٦١ - ٦٧) .

الباب الثاني : ذكر أجناس الموجودات وموضع الإنسان منها :

في الوجود طرفان : إله خالق ، وموجودات مخلوقة ، والموجودات نوعان : معقولات علوية ومحسوسات سفلية ، والمعقولات العلوية هي العقول الشريفة ، والروحانيات . والمحسوسات السفلية هي العناصر والجمادات والنباتات والحيوانات . والإنسان من بين هذه الموجودات ينتمي بجسمه إلى المحسوسات السفلية ، ولكن عقله منبعث عن العقول العلوية .

وهو بذلك مكون من عنصر مادي وعنصر روحى ، وكماله لا يتم إلا بقوة العقل والفكر والمنطق .

الباب الثالث : ذكر العناصر التى منها أُوجد الإنسان :

ذكر اللّه تعالى العناصر التى خلق منها آدم عليه السلام ، ونبه على أنه جعله إنساناً في سبع درجات ، وأشار إلى ذلك في مواضع مختلفة ، فقال في موضع : خلقه من تراب إشارة إلى المبدأ الأول . وفي آخر : من طين ، إشارة إلى الجمع بين التراب والماء ... قال تعالى : ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار**﴾. [الرحمن : ١٤ ، ١٥] . فنبه على أن الإنسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من أثر النار . أما الدرجات السبع لخلق اللّه آدم فتتلخص في قوله تعالى : ﴿ **ولقد خلقناه من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين** ﴾ [المؤمنون : ١٢ : ١٤] .

ويرتبط مضمون هذا الفصل من ناحية بمفهوم الغريزة INSTINCT أحد المفاهيم الأساسية خاصة لدى المحللين النفسيين كفرويد FREUD وماكدوجل ، كما يقترب أيضاً من علم النفس الارتقائي DEVELOPMENTAL PSYCHOLOGY خاصة فيما يتعلق بنمو وارتقاء الجنين منذ لحظة الإخصاب ثم الميلاد، وحتى نهاية العمر (ص ٧٢ ـ ٧٥) .

الباب الرابع : ذكر قوى الأشياء التى جُمعت في الإنسان :

يجمع التركيب كل العناصر التى يتكون منها العالم ، البسيطة منها والمركبة ولذلك فإن الإنسان كالمختصر في العالم ، فهو صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته ، ومن ثَم قيل : الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير .

الباب الخامس :تكون الإنسان شيئاً فشيئاً حتى يصير إنساناً كاملاً :

ولا يحصل الإنسان بإجتماع هذه العناصر دفعة واحدة ، ولكنه يتكون بالتدرج مادياً بالنمو الذي تدفع إليه قوة الشهوة ، ومعنوياً بالعلم والفضيلة وهو ما يحصل بقوة العقل ، إلا أن قوة الشهوة قد تكون عائقاً دون الاكتمال بالعلم والفضيلة .

الباب السادس :ظهور الإنسان في شعار الموجودات ، وتخصصه بقوة شيء فشيء منها : ولما كان الإنسان خلاصة لموجودات العالم ، فإن فيه قابلية لأن يأخذ من طبائع هذه الموجودت ، وربما تغلبت عليه بعض الطبائع فينحرف عن طبيعته الجامعة . وإنما يكون إنساناً إذا وضع كل واحد من هذه الطبائع في موضعه حسبما يقتضيه العقل المستضيء بالشرع .

الباب السابع : ماهية الإنسان :

للإنسان ماهية خاصة هي التى كان بها إنساناً ، وهى متكونة من صورته المحسوسة المتمثلة في الصفات البدنية التى يتميز بها عن الحيوان ، ومن صورته المعقولة المتمثلة في العقل والفكر والروية .

الباب الثامن : كون الإنسان مستصلحاً للدارين :

وهذه الماهية المزدوجة التى أُعد بها الإنسان ليكون صالحاً للحياة في الدارين : الدنيا والآخرة ، فعندما رشح اللّه تعالى الإنسان لعبادته وخلافته وعمارة أرضه ، وهيأه لمجاورته في جنته ، اقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين معاً في ماهيته ، القوة الحيوانية ، والقوة العقلية والروحية .

الباب التاسع : تمثيل ذات الإنسان وتصويره :

ذكر الحكماء لذات الإنسان وقواها أمثالاً صوروها بها ، فقالوا : ذات الإنسان لما كان عالماً صغيراً كما تقدم جرى مجرى بلد أو مدينة أحكم بناؤها . وتضمن الباب أيضاً الصفات التى يجب أن يتسم بها الوالى ، وهى : أن يتبع الحق ولا يصغى إلى الأشرار ، وأن يجاهد أعداء المسلمين ، كما يجب عليه أن يسالم أعاديه إذا لم يقو عليهم ، وأن يكون عادلاً .... إلخ .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية القيادة LEADERSHIP أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي SOCIAL PSYCHOLOGY . حيث تضمن الإشارة إلى الصفات التي يجب توفرها في القائد أو الرئيس وهي قريبة الشبه إلى حد كبير بما نجده في نتائج البحوث والدراسات النفسية (٩٢ - ٩٩).

الباب العاشر : كون الإنسان هو المقصود من العالم وإيجاد ما عداه لأجله :

إن وجود الإنسان هو الغاية من إيجاد العالم كله ، فالمقصود من العالم وإيجاده شيئاً فشيئاً هو أن يوجد الإنسان ، ولذلك كان كل شيء مسخراً للإنسان ميسراً لمنفعته .

ويرتبط هذا الباب بالدراسات النفسية على النحو الآتي :-

أوضح هذا الباب قيمة الإنسان ومنزلته في الكون ، وهو أمر خصه القرآن الكريم بالبيان في مواضع كثيرة من التنويه بشأن الإنسان والإعلاء من منزلته بين الكائنات ،

وهو جانب جاء في عملية تقدير الإنسان لذاته SELF ESTIMATION وتحقيق الذات - SELF ACTUALIZATION فمن يستشعر تفاهة ذاته لا يكون له نزوع إلى الحركة الفعالة والأداء والإنجاز (ص ١٠٠ - ١٠٣) .

الباب الحادي عشر : في الغرض الذي لأجله أُوجد الإنسان وفي منازل الناس :

الغاية من وجود الإنسان هو أن يعبد اللّه ويخلفه وينصره ويعمر أرضه ، وقد نبه اللّه سبحانه وتعالى لذلك بآيات كثيرة في مواضع مختلفة حسبما اقتضت الحكمة ذكره ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

الباب الثاني عشر : تفاوت الناس واختلافهم :

الإنسان الواحد لا توصل له إلى إعداد جميع ما يحتاج إليه ليعيش المعيشة الحميدة ، ويحقق بالتالى الخلافة فلم يكن بد للناس من المشاركة والتعاون . وهذه الحياة الجماعية التى تتم بها الخلافة تقتضى أن لا يكون الأفراد طرازاً موحداً ؛ لأن ذلك لا يحصل به التعاون ، فاقتضت الحكمة أن تختلف جثثهم وقواهم وهممهم فيكون كل ميسر لما خلق له .

ويرتبط هذا الباب ببعض الموضوعات والمفاهيم السيكولوجية ، فهو يرتبط بموضوع الفروق الفردية INDIVIDUAL DIFFERENCES ، فهناك اختلاف بين الأفراد في الخصال والطباع وسمات شخصيتهم ، ومستواهم العقلى والاجتماعي والاقتصادي ... إلخ ، كما يرتبط أيضاً بمفهوم النمط TYPE أحد المفاهيم الأساسية في نظريات الشخصية PERSONALITY THEORIES . وخاصة نظرية إيزنك H.EYSENK . وكذلك بموضوع سيكولوجية الجماعة والتعاون والمشاركة داخل هذه الجماعة (ص١١١ - ١٤٤) .

الباب الثالث عشر : سبب تفاوت الناس :

وتتلخص في سبعة أشياء ، منها اختلاف الأمزجة ، واختلاف الخلقة ، واختلاف أحوال الوالدين في الصلاح والفساد ، واختلاف ما تتكون فيه النطفة ، واختلاف الطعام والشراب ، والرضاعة ، واختلاف أحوالهم في تأديب وتلقن وتعويد الأبناء العادات الحسنة والقبيحة أو اختلاف من يخالطه ، واختلاف اجتهاده في تزكية النفس بالعلم والعمل .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الفروق الفردية وأسبابها ومظاهرها المختلفة ، مثل الفروق في الحالة الانفعالية والمزاجية ، والفروق في ظروف التنشئة الاجتماعية SOCIALIZATION للأبناء ودورها إلى جانب العوامل الوراثية والبيولوجية في تشكيل سلوك الفرد . كما يرتبط بموضوع التعلم الاجتماعي ودور العوامل البيو لوجية في تشكيل سلوك الفرد ، كما يرتبط بموضوع التعلم الأجتماعى SOCIAL LEARNING وأثر القدرة MODELS الحسنة في تعلم العادات والقيم الإيجابية (ص ١١٥ - ١٢٠) .

الباب الرابع عشر : بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية :
الشجرة النبوية هي صنف مفرد ، أو نوع واقع بين الإنسان والملك ، ومشارك لكل واحد منها على وجه ، فالأنبياء كالملائكة في إطلاعهم على ملكوت السموات والأرض، وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب .

الباب الخامس عشر : هداية الأشياء إلي مصالحها :
كل ما أوجده الله تعالى فإنه هداه لما فيه مصلحته ، فهدايته للجمادات مثلاً بالتسخير فقط ، وللملائكة بالتسخير والإلهام وبداهة العقل ، فأما الإنسان فهدايته تعالى له بكل ذلك وبالفعل والمعارف ، والاستنباط وغير ذلك من القدرات .

الباب السادس عشر : سعادة الإنسان ونزوعه إليها :
للإنسان سعادات أبيحت له ، تتمثل في النعم التى منحها الله سبحانه وتعالى له ، وتنقسم هذه النعم أو العادات إلى قسمين : قسم دائم لا يبيد ولا يحول وهو النعم الأخروية ، وقسم يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية .
ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات ، وخاصة الشعور بالسعادة HAPPINESS فالسعادة الدنيوية هي سعادة وسيلية INSTRUMENTAL تؤدى إلى سعادة غائية END OR ULTIMATE تتمثل في السعادة الأخروية (ص ١٢٨ - ١٣٤) .

الباب السابع عشر : حال الإنسان في دنياه وما يحتاج أن يتزود منها :
جعل الله سبحانه وتعالى للإنسان حرثين مفيدين في الدارين : أحدهما روحانى كالمعارف والحكم والعبادات والأخلاق الحميدة ، وثمرته الحياة الأبدية والغنى الدائم ، والاستكثار منه محمود . والثانى جسمانى كالمال والأثاث ، وثمرته أن تحصل به الحياة الدنيوية الفانية ، ولا ينتفع منه بشيء إلا بقدر ما استعان به في الوصول إلى الزاد الأخروي .

الباب الثامن عشر : تظاهر العقل والشرع وافتقاد أحدهما إلى الآخر :
العقل لا يهتدى إلا بالشرع ، والشرع لا يتبين إلا بالعقل . فهناك علاقة متبادلة بينهما ، فلا يتم أحدهما دون الآخر . والعقل لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الشيء دون جزيئاته أما الشرع فيعرف كليات الشيء وجزيئاته .

الباب التاسع عشر : فضيلة الشرع :
فهو من ناحية دواء معجون مفروغ عنه تولى اتخاذه من له الخلق والأمر ، وهو دواء مفيد للحياة الأبدية والسلامة الدائمة ، ومن ناحية : تعتبر أحكام الشرع أيضاً ماءً مطهراً مزيلاً للأنجاس والأرجاس النفسانية . ومن ناحية هي نور سراج مزيل لظلمة الحيرة ، كما أنها وسيلة إلى الله تعالى.

الباب العشرون : البيان في أن من لم يتخصص بالشرع وعبادة اللّه فليس بإنسان :
ويشير مضمونه إلى أن من لم يسترشد إلى غاية وجوده بالشرع المنبى على العقل لن يكمل بل لا يكون عقلاً إلا بعد اهتدائه بالشرع .

الباب الحادى والعشرون : فيما يتعلق به الشرع من الأفعال :
للإنسان ضربان من الأقوال : ضرب لا يلحق فيه محمدة ولا مذمة ولا في جنسه تكليف (كالعرق والتنفس ، وما يقع على سبيل السهو والخطأ) . وضرب يلحقه فيه المحمدة والمذمة وفي جنسه التكليف ، منها الأفعال المختصة بالجوارح (كالقيام والركوب والمشى) ، وحفظ عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والغضب والغيرة وما أشبه ذلك . ومنها أيضاً ما يختص بالتمييز والعلم .
وهناك إشارة في هذا الفصل لأنماط الانفعالات TYPES OF EMOTIONS (كالخوف ، والغضب ، والشعور باللذة ، والغيرة) (ص ١٥٤ - ١٥٦) .

الباب الثاني والعشرون : تحقيق العبادة :
ويعرض المؤلف لتعريف العبادة على أنها فعل إختيارى مناف للشهوات البدنية ، تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى اللّه طاعة للشريعة .

الباب الثالث والعشرون : أنواع العبادة من العلم والعمل :
العبادة ضربان لا تتحقق الخلافة إلا بهما : علم وعمل ، فالعلم ضربان : نظرى وهي الكافى بذاته كمعرفة اللّه ، وعملى وهو مالا يغنى حتى يعمل به . أما العمل فثلاثة أضرب : ما يختص بالقلب ، وما يختص بالبدن ، وما يشارك فيه البدن والقلب .
وبالباب إشارة لبعض المفاهيم السيكولوجية مثل مفهوم التصورات CONECPTIONS والمعتقدات BELIEFS (ص ١٥٩ - ١٦٤) .

الباب الرابع والعشرون : الغرض من العبادة تطهير النفس واجتلاب صحتها :
أوضح المؤلف في فصل سابق أن غاية الوجود الإنساني هو العبادة ، وفي هذا الفصل بين أن غاية العبادة هي تطهير النفس لتحصيل حياة أبدية وسلامة باقية .

الباب الخامس والعشرون : بيان الأمراض والأنجاس التى لا يمكن إزالتها إلا بالشرع :
هناك جملة من الأمراض التىتلحق بالإنسان ، كالكسل والجهل والظلم والشح وغيرها ، وهي أمراض معوقة لحركة تقدم الإنسان ، ولا يمكن إزالتها إلا بالتوجه إلى اللّه .

الباب السادس والعشرون : في ذكر القوى التى يجب إزالة أمراضها وأنجاسها والمعانى التى تحصل بذلك .

وهـي ثلاثـة أنـواع : قـوة الشـهوة ، وبإصلاحهـا تحصـل العفـة ، وقـوة الحميـة وبإصلاحها تحصل الشجاعة ، وقوة الفكر وبإصلاحه تحصل الحكمة .

ويرتبط ماورد في هـذا البـاب ببعـض أسـاليب التوجيـه والإرشـاد النفسـى ، والتى تهدف إلى تغيير وتعديل السلوك ، وتنمية القيم والدوافع الإيجابيـة في الفـرد (ص١٧٣-١٧٤) .

الباب السابع والعشرون : كون الإنسان مفطوراً على إصلاح النفس :

فالإنسان مفطور في أصل الخلقة على أن يُصلح أفعاله وأخلاقه وعلـى أن يفسـدها ، وميسر له أن يسلك طريق الخير والشر .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع والغرائز MOTIVES & INSTINCTS الفطريـة ، كمـا يقترب من حديث علماء النفس عن أثر الوراثة والبيئة في تحديد وتشـكيل سـلوك الفـرد (ص ١٧٥ - ١٧٧) .

الباب الثامن والعشرون : سبب رذيلة الإنسان وتأخره عن الفضيلة :

إما أن يكون نقصـاً في أصـل خلقتـه ، وعجـزاً مركبـاً في جبلتـه ، أو لا يجـد هادياً يرشده . وإما أن يكون غير عاجز عن ذلك لكن لم يساعده على بلوغـه عمـره ، وإمـا أن يتفق له مرب ومعلم مضل فيضله عن الطريق . وإما أن تكون ضلالته من جهة نفسه لا من جهة شيء مما سبق . وذلك المتوعد بالعذاب .

الباب التاسع والعشرون :أحـوال النـاس ، ومنـازلهم في تعـاطى الأفعـال المحمـودة والمذمومة ، وطرقها :

الناس في إقامة العبادات على أربعة أضرب : الأول من له العلم بما يجـب أن يفعـل ، وله مع ذلك قوة العزيمة على العمل به ، والثاني من عدمها جميعاً ، والثالث من له العلم وليس له قوة العزيمة على فعله ، وهو في مرتبة الجاهل . والرابع من ليس له علم ، لكـن له قوة العزيمة .

الباب الثلاثون : ارتداد الإنسان من طريق الخير والشر :

فالمطلوب من الإنسان أن يسلك ويغلب طريق الخـير ، ولـه مـن العقـل والإرادة مـا يمكنه من ذلك ، فإن لـم يفعل فهو ملوم ، والمتـدرب في فعـل الخـير المتقـوى فيـه يصـير بحيث يكون له من الله تعالى واقية تحفظه من الأفعـال القبيحـة ، والمتـدرب بفعـل الشـر المتقوى فيه يصير بحيـث يكـون لـه بما ارتكبـه مـن القبـائح بـاعث يبعثـه علـى الأفعـال القبيحة، ويسد عليه طريق الأفعال الحسنة .

الباب الحادى والثلاثون : قدر ما في الوسع من اكتساب السعادات :

يجب على الإنسان أن يجتهد في أداء ما أمكنه ، وتطهير نفسـه بقـدر مـا تيسـر لـه ،

والرغبة إلى الله في تكفير ما قصر فيه ، فإذا فعل ما أمكنه يكون قد ترشح أن يزيل اللّـه عنه باقى السيئات .

ويرتبط مضمون هذا الباب بموضوع العلاج السلوكى الحديث : حيث يشير المؤلف إلى ما يطلق عليه " الإبدال " أى إحلال الأفعال والسلوكيات الذميمة بـأخلاق وأفعـال حميدة (ص ١٩٠ – ١٩٦) .

الباب الثاني والثلاثون :إثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل بعده من السعادة :

فمصير الإنسان بعـد رحلـة حياتـه يكـون في حيـاة أخـرى بعـد هـذه الحيـاة تشـهد بأحقيتها شواهد العقل الملزمة بأن الإنسان في بديـع تركيبـه وتصـاريف حياتـه لابـد أن يكون له مصير مخالف لمصير الحيوان ، وهو مصير الخلود ، ومصـير الخلـود يمـر بـالموت الذي هو نقطة الانتقال بين الحياتين ، وهو طريق لكمال الإنسان ، والسعادة الحقيقية لا تكون إلا بعده .

الباب الثالث والثلاثون : في فضيلة الإنسان إذا شرف على الملائكة :

فإذا أدى الإنسان دوره في الحياة ، وحقق غاية وجوده ، فإنه يحظى بالنعيم الدائـم ، ويكون قد حصل منزلة يفضل بها على كثير من الملائكة .

الأصبهاني ، أبو قاسم [1]
الذريعة إلى مكارم الشريعة

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى سبعة فصول أساسية هي على النحو التالي :

الفصل الأول : في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه :

يتناول هذا الفصل عدداً من الأفكار منها أحوال الإنسان في الدنيا والآخرة وتركيب الإنسان جسماً ونفساً ، وقوى الإنسان وصفاته ، فمن قواه قوة الغذاء والحس والتخيل والنزوع والتفكير ، مع إشارة إلى مواقع الفكر والخيال والحفظ والتذكر في الدماع ، ويتصل هذا المعنى بفرع علم النفس العصبي (ص١٩-٢٠) Neuro - Psycholgy ، كما تتصل بعض المصطلحات مثل الخيال والتفكير والتذكر والحس والدافع بعلم النفس العام . وتتعاون قوى الخيال والتفكير والذاكرة معاً لأداء مهمتها ، كما أن هناك فرقاً بين الإنسان والحيوان في التركيب الجسمي والنفسي ، حيث يفضل الإنسان الحيوان في هذا، لأنه يتميز بالعقل . ويحتل الإنسان مكانة متوسطة بين الحيوان والملك لأنه يجمع في تركيبه بين الشهوات والقوى الروحية .

كما يتناول هذا الفصل غاية الإنسان وهي الوصول إلى الجنة وتحقيق خلافة الله في الأرض والسياسة التي يستحق بها هذه الخلافة ومنها طهارة النفس التي تتحقق بالعلم والعبادات ، وتتفاعل مكونات النفس ، ويتلازم الهوى مع العقل ، فالعقل يختار الأفضل والأصلح في العواقب ولكن الهوى على الضد من ذلك . ويتصل ذلك بسيكولوجية الشخصية (ص٣١) ويتخذ الخطر مساراً معيناً حتى يصبح عملاً ، فيبدأ بالسانح ثم الخاطر ثم الإرادة فالعزم ثم العمل ، ويكتسب الخلق المحمود بطهارة النفس التي تتم بإصلاح قوة الفكر والشهوة والحمية والتي تؤدي إلى العدالة والإحسان ، وهنا يشير الكاتب إلى وجود فرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة ، ويمكن تغيير الخلق في بعض جوانبه ، وهناك جوانب أخرى لا تتغير ، ومن أصعب القوى في التغير هي قوة الشهوة ، ولكنها أكثرها احتياجاً للقمع والكبت (ص٣١-٤١) .

وهناك إشارة إلى أن ممارسة السلوك تؤدي إلى تثبيته ويتصل ذلك بعملية التعلم (ص٤٣) وينقسم التخلق إلى محمود ومذموم ، فالأول إذا كان هدفه التدريب ، والثاني

---

(١) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد -ط١ . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٣ ، ٢٣٢ص .

إذا كان هدفه الرياء . ويتباين الناس في أخلاقهم نتيجة للتدريب والفطرة ويرتبط ذلك بموضوع الفروق الفردية وأسبابها البيئية والفطرية (ص٤٦) وينبغي على الإنسان أن يكتسب الفضائل الحسنة بقصد العبادة ، وتنقسم نعم الله على الإنسان إلى خمس هي : السعادة الأخروية والفضائل النفسية والفضائل البدنية ، والفضائل المطيفة بالإنسان وتوفيق الله عز وجل ، وكلها من عند الله ، ولا دخل للإنسان في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط ، وتتفاعل هذه الفضائل فيما بينها .

ومن الفضائل المطيفة بالإنسان كرم العشيرة ، وهذه الفضائل هامة للوصول إلى السعادة الأخروية ، وكذلك الفضائل الجسمية ، ومنها الجمال الذي يعد مرآة لفضائل النفس .

وأما عن الفضائل النفسية فيتولد عنها عندما تقوى فضائل أخرى مثل جودة الفكر التي تتولد عن قوة العقل . وتتصل هذه الموضوعات بالقيم وسمات الشخصية .

وهناك بواعث لتحري الخيرات الدنيوية أدناها الترغيب والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره والثاني رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده ، والثالث تحري الخير وطلب الفضيلة .

وهناك أيضاً بواعث لتحري الخيرات الأخروية ، وهي الرغبة في ثواب الله والخوف من عقابه ، ورجاء حمده ومخافة ذمه ، وطلب مرضاته تعالى في المتحريات .

وما يمنع من تحري الفضائل إما أن يكن قصوراً أو تقصيراً .

ويرتقي الإنسان في الخيرات بأربع درجات هي هجر الآثام وإتيان العبادات ومجاهدة الهوى والرضا بقضاء الله ، كما ينحدر عن الفضائل بأربع درجات هي الكسل والغباوة والوقاحة والانهماك في الباطل .

وفي نهاية هذا الفصل يتطرق المؤلف إلى تصنيف الناس ويتبع في ذلك أكثر من أسلوب ، فهم من وجه خاص وعام ، وهم من وجه آخر خاصة وعامة وأوساط ، أو أصحاب شهوات وأصحاب كرامات وأصحاب حكمة ، وهم من وجه آخر ملكي وشيطاني وإنسي ، أو أبرار وفجار ، ويتصل هذا التصنيف للناس بنظريات الشخصية الإنسانية في فرع سيكولوجية الشخصية (ص٧٠-٧٣) .

الفصل الثاني : في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها :

يتناول هذا الفصل أهمية العقل حيث إنه أول ماخلق الله عز وجل ، وبه يهتدي الإنسان إلى تزكية نفسه ، وهو نوعان أحدهما غريزي والآخر مكتسب ، وهذه إشارة إلى أن الذكاء محصلة للوراثة والبيئة ويتصل ذلك بعلم النفس العام (موضوع الذكاء ص٧٤-٧٦) .

ثم يَفْرِق المؤلف بين عدد من المفاهيم هي العلم وهو إدراك الشيء بحقيقته ، والدارية وهي المعرفة المدركة بضرب من الحيل ، والحكمة وهي اسم لكل عمل صالح وعلم حسن . ويشير بعد ذلك إلى أن هناك توابع للعقل ، حيث ينتج عن العقل العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر والتخيل وغيرها . وتحتوي هذه المفاهيم على بعض العمليات والقدرات العقلية العليا ، وتدخل تحت موضوع الذكاء في علم النفس العام (ص٨١-٩٣) .

وللعقل ثمرات أشرفها معرفة الله وعدم معصيته ، وهداية الإنسان إلى الحق ، ويتناول هذا الفصل أيضاً وجوب بعثة الأنبياء وعلامات صحة النبوة وأن العلوم النبوية من المتعذر إدراكها ما لم تدرك العلوم العقلية ، ومفهوم الإيمان والتقوى والبر ، ويتطرق بعد ذلك إلى أنواع الجهل ومنها الاعتقاد في رأي فاسد ، وعدم الاعتقاد ، حيث لا يعتقد الإنسان اعتقاداً صالحاً أو اعتقاداً طالحاً في شيء معين .

وبالنسبة لأنواع العلم منها ما يوجد من غير تعلم بشري كعلم الأنبياء ، ومنها ما يوجد بأدنى تعلم ومنها ما يصعب وجوده كحال عوام الناس ، كما يعرف العلم بثمرته.

وهناك أيضاً أنواع من المعلومات ، فمنها نوع يتعلق باللفظ ، ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ونوع ثالث بالمعنى دون اللفظ .

وينبغي على الإنسان أن يعرف معلومات من شتى العلوم بحسب أهميتها له ولا يستهين بشيء منها ، كما لا ينبغي تنفير الناس من بعض العلوم ، وعلى الإنسان أن يفيد غيره من العلم الذي اكتسبه ، وأن يطهر نفسه من الأخلاق الرديئة ويقلل من الانشغال بالأمور الدنيوية حتى يوفر فراغه للعلوم الحقيقية ، وينبغي على المعلم أن يعامل المتعلمين منه كالأب فتتسم معاملته باللطف ، ويجب منع الجهلة عن حقائق العلوم والاقتصار بهم على قدر أفهامهم ، ويجب التصدي لمن يحاول الزعامة دون علم ، كما يجب أن يقتبس الواعظ من الحكماء وعلمهم ، وأن يكون قدوة تحتذى ، وينبغي عدم إباحة الجدال للعامة من الناس ، وفيما يتعلق بالنطق والصمت ، فالنطق من خصائص الإنسان وحده ، والصمت من حيث هو صمت مذموم ولكنه يحمد إذا جلب الكلام مضرة .

وبالإضافة إلى ما سبق يتناول هذا الفصل أيضاً عدداً من المفاهيم الأخلاقية مثل الصدق، والكذب وأنواعه ومتى يحسن أو يقبح كل منهما . وأيضاً المدح والثناء والشكر ، والغيب والنميمة والكلام القبيح والمزاح والضحك والحلف .

وتتصل هذه المفاهيم بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة والأخلاق في إطار علم النفس الاجتماعي (ص١٣٤-١٤٥) .

الفصل الثالث : فيما يتعلق بالقوى الشهوية :

يتناول هذا الفصل عدداً من المفاهيم ذات الصلة بالأخلاق وسيكولوجية العلاقات الاجتماعية ، ومنها الحياء والذي يشير إليه المؤلف باعتباره انقباض النفس عن القبائح ، وهو أول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان .

والخجل هو حيرة النفس لفرط الحياء ويحمد في النساء والصبيان ويذم في الرجال .

والوقاحة هي لجاج النفس في تعاطي القبيح وهي مذمومة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهومي الحياء والخجل يتصلان ببعض المصطلحات الحديثة في سيكولوجية الشخصية كسمة الانطواء (ص١٤٥-١٤٧) .

ويتناول أيضاً كبر الهمة والذي يعني أن الإنسان لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة .

ويتضمن هذا الفصل أيضاً إشارة لمعنى الوفاء والعذر والمشاورة والنصح وكتمان السر والتواضع والكبر والفخر والعجب ، وهذه المفاهيم تتصل بسيكولوجية العلاقات الاجتماعية أو العلاقات الشخصية المتبادلة في علم النفس الاجتماعي (ص١٤٨-١٥٧).

ويتناول أيضاً أنواع اللذات وتفاصيلها وهي : لذة عقلية كلذة العلم والحكمة ، ولذة بدنية كالمآكل والمشرب ولذة الرياسة والغلبة .

وتصنيف اللذات بهذا الشكل يتصل بموضوع الدوافع في علم النفس العام (ص١٥٧-١٥٩) . ويتضمن إشارة لما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح منه وما ينبغي من عدم الإفراط ، وأيضاً ما يحسن من المنكح وما يقبح منه ، فما يحسن منه هو ما شرعه الله تعالى بالوسائل الحلال أي بالزواج وينبغي عدم الافراط ، أما ما يقبح منه فهو الزنا واللواط . وفي نهاية هذا الفصل يشير المؤلف إلى عدد من الوسائل التي يمكن للإنسان من خلالها أن يهذب نفسه . ويوجه دوافعه الفطرية ويضبط القوى الشهوية لديه ، ومنها العفة وهي أس الفضائل ، وأيضاً القناعة والزهد والورع .

الفصل الرابع : فيما يتعلق بالقوى الغضبية :

يتناول هذا الفصل ما يتبع من القوى الغضبية ، فعندما تتحرك قوة الغضب يتحرك دم القلب ، وينتج عن ذلك ثلاثة أحوال هي الغم والغضب والحقد .

ويتصل ذلك بموضوع فسيولوجية الانفعالات في علم النفس الفسيولوجي (ص١٦٧) .

ويتضمن هذا الفصل أيضاً إشارة لأنواع الصبر ومنها الصبر الجسمي والصبر النفسي . والصبر الجسمي لا يعد فضيلة ولكن الفضيلة للصبر النفسي .

ويتناول الشجاعة باعتبارها فضيلة بين التهور والجبن ، والفرق بين الفزع والجزع فالفزع ما يعتري الإنسان من الشيء المخيف ، وأما الجزع ما يعتريه من الشيء المؤلم .

وينبغي على الإنسان مداواة نفسه من الغم والخوف . ويشير المؤلف هنا أيضاً إلى الفرق بين السرور والفرح وهو ما يتصل بموضوع الانفعالات في علم النفس العام ويميز بين الحلم والعفو ، ويشير إلى فضل كظم الغضب ويتصل بمفهوم ضبط الانفعالات (ص١٠٧-١١١) .

ويتحدث المؤلف في نهاية هذا الفصل عن الغيرة وهي ثوران الغضب ، والغبطة والمنافسة والحقد والفرق بينهما . وهي تتصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص١٨١-١٨٣) .

الفصل الخامس : في العدل والظلم والمحبة والبغض :

يتناول هذا الفصل مفهوم العدل وفضله وأنواعه ، فالعدل يقتضي المساواة ، والعدل نوعان مطلق ومقيد ، كما أن العدل المحمود هو الذي يتحرى فعله لا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة وإنما يكون تحرياً للحق عن سجية . ويجب أن يستعمل الإنسان العدل مع الله والناس والسلف . وترك العدل إلى الظلم المذموم ، وأما الظلم فهو الانحراف عن العدل .

ويتضمن هذا الفصل كذلك مفاهيم المكر والخديعة والكيد والحيلة والفرق بينهما ، وتتصل بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة (ص١٨٨-١٩٠) .

كما يتناول هذا الفصل ماهية المحبة وأنواعها وفضيلتها ، فالمحبة هي ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً ، وهي نوعان أحدهما طبيعي والآخر اختياري ، وتتمثل فضيلتها في أن العدل خليفة المحبة ، فهو يستعمل حيث لا توجد المحبة ، ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة .

وتناول المؤلف هنا أيضاً فضيلة الصداقة ، وذكر أن الإنسان محتاج إلى صديق سواء في سوء الحال أو حسنه ، فمن الصعب الاستغناء عن الصديق الوفي كما أنه لا يوجد بسهولة .

ويتصل بسيكولوجية الصداقة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص١٩١-١٩٢) .

ثم يشير في نهاية هذا الفصل إلى فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته ، فهناك اختلاف بين الناس في تفضيلهم للتفرد أو الاختلاط ، والأصل أن اجتماع بعضهم من بعض أمر ضروري لتعلق بعضهم ببعض ، ويتصل هذا المعنى بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة ، وهناك إشارة أيضاً إلى مفهوم العداوة ، وهو يتصل بسيكولوجية العدوان في علم النفس الاجتماعي (ص١٩٤-١٩٦) .

الفصل السادس : فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل :

يتناول هذا الفصل عدداً من الأفكار أهمها أن الإنسان كائن اجتماعي ولابد له من التعاون مع الآخرين ، كما أن الله تعالى قد سخر همم الناس لصناعات مختلفة ، فكل

إنسان مهيأ لصناعة معينة ، وبهذا يحدث التكامل بين الأفراد جميعاً ، كما قسم الأرزاق بينهم بطريقة تسمح بحاجة كل منهم للآخر . وجعل الإنسان دائم السعي مخافة الفقر . ولذلك فإن التكسب واجب ، والسعي نحوه محمود ، والكسل عنه مذموم .

ويتضمن ذلك تقسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض ، وهي ثلاثة أضرب إما أصول لا قوام للعالم بدونها كالزراعة والحياكة ، وأما مرشحة وخادمة لكل واحد من ذلك مثل الحلاجة للحياكة ، وقد تكون ثمرة لكل واحد من ذلك مثل الطحانة للزراعة ، وأشرف أصول الصناعات هي السياسة ، ويشير الكاتب إلى أهمية المال وخطورته في المعاملات بين الناس باعتباره أحد أسباب قوام الحياة الدنيوية ولذلك فإن كنزه مذموم ، ويتناول هذا الفصل بعد ذلك أنواع من يطلبون الدنيا وتفاوتهم في هذا ، وبيان الآيات الواردة في شأن الدنيا ، وكذلك أحوال الناس في مراعاة أمور الدنيا والآخرة ، وبيان حال من يجوز له الاستكثار من أعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك ، والعقوبات الدنيوية التي ينالها أرباب الدنيا .

ويتطرق المؤلف إلى موضوع الإنفاق المحمود والإنفاق المذموم وفقاً لأحكام الشرع، وحقيقة السخاء والجود والشح والبخل ، وفضيلة الجود وذم البخل ، وأنواع البخل وهي بخل الإنسان بماله ، وبخله بمال غيره على غيره ، وبخله بمال غيره على نفسه وأنواع الجود هي جود الله تعالى ، وجود الملوك وجود السوقة وجود الصعاليك وجود عوام الناس والمحمود من ذلك كله الجود الإلهي .

الفصل السابع : في ذكر الأفعال :

يتناول هذا الفصل أنواع الأفعال وهي اثنين إلهي وإنساني .

والأفعال الإلهية أربعة، إبداع وتكوين وتربية وإحالة ، وكلها تسمى خلقاً .

أما الأفعال الإنسانية فهي ثلاثة : نفساني فقط كالأفكار والعلوم وما ينسب إلى أفعال القلوب ، وبدني وهو الحركات التي يفعلها الإنسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود ، وأما الثالث فهو صناعي ويعني ما يفعله الإنسان بمشاركة البدن والنفس كالحرف والصناعات .

وهذا التصنيف يتصل بمفهوم السلوك وأنواعه في علم النفس العام (ص٢١٩-٢٢٠).

ويميز بين العمل والفعل والصنع ، فالفعل لفظ عام يقال لما كان بإجادة أو غير إجادة أو علم أو غير علم أو قصد من الإنسان والحيوان .

والعمل : يقال لما كان من الحيوان دون النبات وما كان بقصد وعلم .

أما الصنع : فيكون من الإنسان دون سائر الحيوان ولا يقال إلا لما كان بإجادة .

ثم يقسم الصناعات إلى علمية وعمليه ، والأفعال إلى إرادية وغير إرادية وهذا

التقسيم للأفعال يتصل بتصنيف السلوك إلى سلوك إرادي وسلوك لا إرادي في علم النفس الفسيولوجي Physiological Psychology (ص٢٢١) .

وفي نهاية هذا الفصل يشير المؤلف إلى الأفعال التي تستحق اللوم والأخرى التي لا تستحق ذلك ، ويتوقف هذا على نتيجة الفعل ، وهل الفعل إرادي أم لا إرادي ، ومدى حرص القائم بالفعل على عدم ارتكاب خطأ أثناء تأدية الفعل .

وأخيراً يتناول المؤلف الأسباب التي يمكن نسبة الفعل إليها وهي الفاعل ، والمادة التي تستخدم في الفعل ، والعمل نفسه ، والزمان والمكان والآلة والهدف البعيد والقريب ونموذج يقلد ومرشد يوجه .

الغزالي ، أبو حامد (ت٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين [١]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

التعريف بالمؤلف : (٤٥٠-٥٠٥هـ الموافق ١٠٥٨-١١١١م) :

هو زين الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المعروف باسم أبي حامد الغزالي وبلقب حجة الإسلام : فيلسوف ، متصوف له نحو مائتي مصنف مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) ، وقد وُلد عام٤٥٠هـ الموافق ١٠٥٨م في الطابران من مدن طوس من خراسان في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية ، وكان والده فقيراً صالحاً ، وكان كثير الدعاء لولده بأن يصبح فقيهاً واعظاً ، ولكنه توفي قبل أن يصل الغزالي إلى هذه المكانة من العلم .

عاش الغزالي فترة صباه في مدينة طوس ، وتتلمذ على أيدي عدد من المتصوفين الذين غرسوا البذور الأولى للتصوف في نفسه ، وعند بلوغه سن العشرين رحل إلى جرجان ، وظل فيها فترة من الزمن يتلقى العلم ، ومنها وصل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، ثم عاد إلى بلدته طوس مرة أخرى ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى توفي في عام ٥٠٥هـ الموافق عام ١١١١م .

نسبته إلى صناعة الغزل (عن مَنْ يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قاله بالتخفيف .

ولقد اعتمد الغزالي على الحفظ كوسيلة لاكتساب العلم طيلة حياته ، واشتهر بذلك بين زملائه حينما انتقل إلى نيسابور وكانت فيها المدرسة النظامية التي وجد فيها الغزالي ، المعرفة والعلم بأبوابها العريضة ، فأخذ يحصلها بجد وجهد دؤوب ، وبعقل وذهن صاف مما أعده علمياً ونفسياً حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق والحكمة والفلسفة ، وصنف في ذلك كتباً أحسن تأليفها وأجاد وصفها ، كما سيأتي بيانها في الفقرة التالية . كان شديد الذكاء وعجيب الفطرة مفرط الإدراك ، حتى قال عنه إمام الحرمين بأنه " بحر مغرق " .

أما عن مؤلفاته وكتبه فنعرض منها الآتي [٢] : إحياء علوم الدين (في أربعة

---

(١) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (القاهرة) : دار نهر النيل ، (د.ب.) ٥مج ، مع : المغني عن حمل الإسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار / عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، يشتمل على ثلاثة كتب أخرى .

(٢) مراجع الترجمة :

– خير الدين الزركلي ، الإعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين =

مجلدات)، تهافت الفلاسفة ، وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، ومحك النظر ، ومعارج القدس في أحوال النفس والفرق بين الصالح وغير الصالح ، ومقاصد الفلاسفة ، والمضنون به على غير أهله ، وهذا الكتاب نسبته إليه فيها كلام . وكتاب المنقذ من الضلال ، وجواهر القرآن ، والقسطاس المستقيم ، وكيمياء السعادة ، وياقوت التأويل في تفسير التنزيل (٤٠ مجلداً) وكتاب الوقف والابتداء ، في التفسير ، وكتاب التبسيط في الفقه ، وكتاب بداية الهداية ، وفضائح الباطنية : قسم منه ، ويعرف بالمستظهري ، وبفضائح المعتزلة ، وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك : كتبه بالفارسية ، وترجم إلى العربية ، والرسالة الوليدية : رسالة أكثر فيها من قوله : أيها الولد . وكتاب منهاج العابدين : وقيل إن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه . وكتاب إلجام العوام من علم الكلام ، وكتاب الطير : رسالة . والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة . وشفاء العليل ، في أصول الفقه ، والمستصفى من علوم الأصول (في مجلدين) ، والمنخول من علم الأصول ، والوجيز " في فروع الشافعية " وأسرار الحج ، والإملاء عن إشكالاً الأحياء ، وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، وكتاب عقيدة أهل السنة ، وكتاب ميزان العمل ، وكتاب المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى ، وله كتب أخرى كثيرة بالفارسية .

وهناك من المؤلفين ، سواء من العرب أو من الموالي ، من تصدوا للكتابة عن الإمام الغزالي ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : طه عبد الباقي سرور له كتاب عن سيرة الإمام الغزالي باسم : الغزالي ، في سيرته ، ويوحنا قمر : الغزالي في سيرته ، ومثلهما لكل من جميل صليبا ، وكامل عياد ، محمد رضا ، وزكي مبارك لهما كتاب : الأخلاق عند الغزالي ، أحمد فريد الرفاعي كتاب : الغزالي . محمد رضا : الغزالي ، حياته ومصنفاته ، أبا بكر عبد الرازق : في صحبة الغزالي ، سليمان دنيا : الحقيقة في نظر الغزالي . الشيخ محمد الخضري ، رسالة في ترجمته وتعاليمه وآرائه ، ونشرت في

والمستشرقين ، المجلد السابع : ص٢٣ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦.

– مجموعة ببليوجرافيا تشتمل على الآتي: وفيات الأعيان ١:٤٦٣ ، طبقات الشافعية ٤:١٠١، وشذرات الذهب ٤:١٠ ، وإشراق التاريخ "خ، s. 1 : 744 , (419) 535 : Brock 1 والوافي بالوفيات ١:٢٧٧، ومفاتح السعادة ٢:١٩١-٢١٠، وتبين كذب المفترى ٢٩١ -٣٠٦ ، ومعجم المطبوعات ١٤٠٨-١٤١٦ ، و **Princeton** : انظر فهرسته ، وآداب اللغة ٣:٩٧ ، والفهرس التمهيدي ١٦٤ ، وفي اللباب ٢:١٧٠ ما يستفاد منه أن تخفيف الزاي في الغزالي ، خلاف المشهور وقد أشار المؤلف إلى ذلك في ترجمة أخيه أحمد بن محمد المتوفي سنة ٥٢٠هـ .

المجلد ٣٤ من مجلة المقتطف ، وهناك من كتب عنه بالتركية فهذا هو ، رضاء الدين بن فخر الدين الذي كتب : إمام غزالي ، في تاريخه وفلسفته ، وذلك عبد اللطيف عزام الفيومي الذي كتب : رسالة في " ما للغزالي وما عليه " .

عرض الكتاب : يقسم الإمام أبو حامد الغزالي كتابه " إحياء علوم الدين " إلى أربعة أجزاء على النحو التالي :

الجزء الأول : العبادات .

الجزء الثاني : العادات .

الجزء الثالث : المهلكات .

الجزء الرابع : المنجيات .

وهو ما نعرضه لتفاصيله على النحو التالي :

الجزء الأول : العبادات .

ويشتمل هذا الجزء على عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١- كتاب العلم :

ويتناول بيان فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل ، فيشير إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين فضل العلم وتحث على طلبه وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومنزلة العلماء ومن ينقل علمه للآخرين وثواب ذلك عند الله تعالى ، ثم يسوق الشواهد العقلية التي تدل على أن أصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم ولذلك فهو أفضل الأعمال كما يوضح العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ، فالعلوم تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، والشرعية هي ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وهي محمودة ، أما العلوم غير الشرعية فتنقسم إلى ما هو محمود وما هو مذموم وما هو مباح ، فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وهو فرض كفاية ، والمذموم كالسحر والشعوذة ، والمباح كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها .

وينقسم علم طريق الآخرة إلى علم مكاشفة وهو علم الباطن وهو نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة ، وإلى علم معاملة وهو علم أحوال القلب ، وما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص وغيرها .

وأما ما يذم منها كخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغدر وطلب العلو وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبذخ ، وعلم الآخرة فرض عين .

ويوضح الغزالي بعد هذا علة ذم العلم المذموم وهي ثلاثة :

١- أن يودي إلى ضرر كالسحر والطلسمات .

٢- أن يكون مضراً بصاحبه غالباً كعلم النجوم .

٣- عدم الاستفادة من العلم كالبحث عن الأسرار الإلهية .

كما يبين ما يدل من ألفاظ العلوم حيث تم تحريف خمسة ألفاظ محمودة هي الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة إلى معان مذمومة ، ويبين السجع المحذور والشعر المذموم وشطح المتصوفة ، والمقدار المحمود من العلوم المحمودة ، حيث يقسم العلم في هذا إلى :

١- قسم مذموم قليله وكثيره كعلم السحر والطلسمات .

٢- قسم محمود قليله وكثيره كالعلم بالله تعالى .

٣- قسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه كالطب والحساب والسياسة .

ثم يتناول سبب إقبال الخلق على علم الخلاف ، وآفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها ، وشروط وعلامات التعاون على طلب الحق ، ويشير إلى أن المناظرة الموضوعة بقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والمباهاة والممارة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة .

وينتقل الغزالي بعد هذا إلى الحديث عن آداب المتعلم والمعلم ، فمن آداب المتعلم ووظائفه : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ، وأن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ، وألا يتكبر على العلم ، وأن يذعن لنصيحة المعلم ، وألا يصغي إلى اختلاف الناس في بدء تعلمه ، وألا يدع فناً من العلوم المحمودة إلا وينظر فيها ، وألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويبدأ بالأهم ، وألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله في الترتيب ، وأن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، ومحك شرف العلم يتمثل في شرف الثمرة ووثاقة الدليل وقوته ، فأشرف العلوم هو العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، وأن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وأن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد .

وأما وظائف المرشد المعلم فتتمثل في : الشفقة على المتعلم ، وأن يعامله كأبنه ، وأن يقتدي بالرسول ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاءً ولا شكراً بل يعلمه لوجه الله تعالى ، وألا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بالتوبيخ ، وينبغي على المتكفل ببعض العلوم ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، وأن يقتصر بالمتعلم

على قدر فهمه ، كما ينبغي أن يلقي إلى المتعلم القاصر الجلي اللائق به ولا يذكر لـه أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه ، وأن يكون المعلم عاملاً بعلمه .

ويبين بعد ذلك آفات العلم وعلامات علماء الآخرة وعلمـاء السـوء الـذي وصفهـم الله بأكل الدنيا بالعلم لأن قصدهم من العلم التنعـم بالدنيـا ، وشـرف العقـل وحقيقتـه وأقسامه ، فالعقل هو منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلـم يجـري منـه مجـرى الثمـرة مـن الشجرة . ويطلق لفظ العقل على أربعة معان هي :

١- الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهـائم ، وهـو الـذي استعد بـه لقبـول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، أي بمعنى أن العقل غريزة ، يتهيـأ بهـا إدراك العلوم النظرية .

٢- العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفـل المميز بجـواز الجـائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد .

٣- علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال ، فإن من حنكته التجارب يقال إنه عاقل ومن لا يتصف بهذه الصفة يقال إنه غبي غَمْر جاهل .

٤- أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمـع الشـهوة الداعيـة إلى اللذة العاجلة ، ويتفاوت الناس في العقل .

وفي نهاية هذا الكتاب يتناول الغزالي أنواع التذكر وهما نوعان :

١- أن يتذكر الإنسان صورة كانت حـاضرة الوجـود في قلبـه ولكنهـا غـابت بعـد الوجود .

٢- تذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة .

والتذكر من النوع الأول يقابل التذكر الذي يدرسه علماء النفس ، أما التذكـر مـن النوع الثاني فليس له مقابل في علم النفس الحديث .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد تضمن إشارة لعدد مـن المفـاهيم النفسية هـي مفهوم الأخـلاق Morality(ص٢١) ، والتعلـم Learning (ص٩،ص٤٩-٥٨) والذكـاء Intelligence (ص٨٤-٨٧) ، والتذكر Memory (ص٨٦) ، كما يتوصل الحديـث عـن وظـائف المرشـد المعلـم بسيكولوجية الإرشـاد أو علـم النفـس الإرشـادي Counseling Psychology (ص٤٩-٥٨) .

٢- كتاب قواعد العقائد :

ويتناول ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة ، والتدريج إلى الإرشاد وترتيـب درجات الاعتقاد وبيان ما تتضمنه كلمتا الشهادة من أركان أربعة هي :

١- إثبات ذات الإله : ويدور على عشـرة أصـول هـي : العلـم بوجـود اللـه تعـالى

وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان وأنه لا يرى في الدنيا ولكنه يرى بالأعين والأبصار في الدار الآخرة (ص٩٩) .

٢- إثبات صفاته : ويشتمل على العلم بكونه حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً منزهاً عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة .

٣- إثبات أفعاله : ويدور على عشرة أصول هي : أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله وأنه متفضل بالخلق والاختراع ، وأنه له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وإيلام البرئ ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع ، كما أن بعثة الأنبياء جائزة ، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات .

٤- السمعيات وتصديق الرسول ﷺ: ومداره على عشرة أصول هي : إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، ثم شروط الإمامة .

وبعد هذا ، يتناول الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال ، فالإيمان هو التصديق بالقلب ، والإسلام هو التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والعناد وهو بالقلب واللسان والجوارح .

٣- كتاب أسرار الطهارة :

ويتناول مراتب الطهارة وهي :

١- تطهير الظاهر من الأحداث والأجناس .

٢- تطهير الجوارح من الذنوب والآثام .

٣- تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

٤- تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهو الغاية القصوى .

وأما إزالة الفضلات فهي نوعان :

١- أوساخ تزال كالذي تجمع في الرأس من الوسخ والدرن .

٢- أجزاء تحذف مثل قص الشارب والأظافر .

كما يتناول آداب قضاء الحاجة وكيفية الاستنجاء ، والوضوء وفضيلته ، وكيفية الغسل والتيمم .

٤- كتاب أسرار الصلاة ومهماتها :

يتناول هذا الكتاب فضائل الصلاة والسجود ، وصلاة الجماعة ، والأذان ، والخشوع والمسجد ، ويوضح كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله ، وما هو منهي عنه في الصلاة ، وتمييز الفرائض والسنن في الصلاة ، واشتراط

الخشوع وحضور القلب فيها ، وبيان الأعمال الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة وهي حضور القلب ، والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء ، ثم بيان أسبابها وكيفية اكتسابها .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن الإمامة والقدوة وأركان الصلاة وبعد السلام ووظائف الإمام قبل الصلاة وفي القراءة ، وفضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها ، فمن آدابها الاستعداد لها من يوم الخميس والتنظيف وغسل الثياب والاغتسال في يومها ، والتبكير إليها ماشياً ، وعدم تخطي رقاب الناس ، والإقامة في المسجد حتى صلاة العصر ، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ وقراءة سورة الكهف ، والتصدق بما أمكن ، وحسن المراقبة للساعة الشريفة التي يعطي فيه الله من يسأله .

ويتناول أيضاً عدداً من المسائل المتفرقة مثل كراهية الفعل في الصلاة وجواز الصلاة في النعلين ، والبزق في الصلاة ، وصلاة المسبوق والوسوسة في نية الصلاة وسببها وهو خبل في العقل أو جهل بالشرع ، كما يشير إلى أنه ينبغي ألا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما أو سائر الأعمال ، ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه . ويختتم هذا الكتاب ببيان النوافل من الصلوات .

وقد ورد في هذا الكتاب إشارة لمفهوم القدرة Modeling وهو أحد مفاهيم علم النفس الاجتماعي (ص١٧٣-١٧٨) ، وأيضاً مفهوم الوسواس Obsession في علم النفس المرضي (ص١٩١) .

٥- كتاب أسرار الزكاة :

يتناول هذا الكتاب فريضة الزكاة ، من حيث أقسام الزكاة وأسباب وجوبها وآدابها وشروطها الباطنة والظاهرة ، وشروط استحقاق القابض ووظائفه ، وفضل صدقة التطوع ، وآداب أخذها وإعطائها .

٦- كتاب أسرار الصوم :

ويتناول فضل الصوم لمعنيين : أحدهما أنه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء ، والثاني أنه قهر لعدو الله الشيطان ، ويبين سنن الصوم ومنها السحور ، ويستحب الجود في رمضان وفعل المعروف وكثرة الصدقة ودراسة القرآن والاعتكاف ، كما يبين أسرار الصوم وشروطه الباطنة ودرجاته وهي ثلاث :

١- صوم العموم : وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

٢- صوم الخصوص : وهو كف النظر واللسان واليد والرجل والسمع والبصر عن الآثام .

٣- صوم خصوص الخصوص : وهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى .

ويختتم هذا الكتاب بالحديث عن صوم التطوع .

ويتصل هذا الحديث عن الصوم وضبط شهوتي البطن والفرج بموضوع السيطرة على الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية في إطار علم النفس العام (ص٢٣١-٢٣٩).

٧- كتاب أسرار الحج :

يتناول هذا الكتاب بيان فضائل الحج والبيت الحرام ومكة المشرفة والمدينة الشريفة ، وترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع ، فيبين أن من الواجب على من أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع وأن يرد ما عنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه وينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً ، وأن يؤمر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقاً وأن يودع رفقاءه وإخوانه المقيمين .

كما يتناول آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة ، وآداب دخول مكة إلى الطواف ، والأمور التي يجب مراعاتها في الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمرات والنحر والحلق وغير ذلك من أعمال الحج ، ثم ينتقل إلى الحديث عن العمرة وصفتها وطواف الوداع ، وزيارة المدينة وآدابها ، وسنن الرجوع من السفر .

ويختتم هذا الكتاب ببيان الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة في الحج . وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد تضمن مفهوم الصداقة Friendship (ص٢٤٧) وهو أحد مفاهيم علم النفس الاجتماعي ، وذلك عند الحديث عن الرفيق .

٨- كتاب آداب تلاوة القرآن :

ويتناول فضل القرآن وأهله ، وذم المقصرين في تلاوته ، وظاهر آداب التلاوة ومنها الوضوء واستقبال القبلة ، وأن الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة ، ولذلك فإن البكاء مستحب مع القراءة ، مع مراعاة حق الآيات ، والجهر وتحسين الصوت .

كما يتناول الأعمال الباطنة في التلاوة ومنها فهم أصل الكلام والتعظيم وحضور القلب والتدبر والتفهم والتخلي عن موانع الفهم ، والتخصيص والتأثر والترقي والتبري.

ثم يتناول فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ، وأن القرآن مشتمل على إيجاز وتطويل وإضمار وحذف .

٩- كتاب الأذكار والدعوات :

ويتناول فضيلة الذكر ومجالسه ، ويسوق الدلائل التي تحث عليه ، وفضيلة التسبيح والتحميد وآداب الدعاء وفضله ، وفضيلة الاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ .

فمن آداب الدعاء أن يترصد الإنسان لدعائه الأوقات الشريفة ، وأن يدعو مستقبل القبلة،

وخفض الصوت بين المخافتة والجهر ، والتوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل.

كما يتناول بعض الأدعية المأثورة وأسبابها وأربابها ، ومنها دعاء الرسول ﷺ بعد ركعتي الفجر ، ودعاء السيدة عائشة ، ودعاء فاطمة وأبي بكر ، رضي الله عنهم أجمعين ، وكذلك الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث كدعاء الخروج إلى المسجد ، وغير ذلك من المواقف والأحداث .

١٠- كتاب ترتيب الأوراد وتفضيل إحياء الليل :

ويتناول الإمام الغزالي في هذا الكتاب الأخير من ربع العبادات ، فضيلة الأوراد ، وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله ، لأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب ، والمواظبة عليه ، كما أن المعرفة به لا تحصل إلى بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله ، ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها ، ويبين أيضاً أعداد الأوراد وترتيبها في الليل والنهار .

ويختتم الغزالي هذا الكتاب ببيان الأسباب الميسرة لقيام الليل ، والليالي التي يستحب إحياؤها ، وكيفية قسمة أجزاء الليل .

الجزء الثاني : العادات :

يتضمن هذا الجزء عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١- كتاب آداب الأكل :

يتناول الآداب التي تتقدم على الأكل ومنها أن يكون حلالاً في نفسه وطيباً في جهة مكسبه وغسل اليدين ، وإحسان الجلسة على السفرة والرضا بالموجود من الرزق ، وأما آداب حالة الأكل فمنها البدء ببسم الله ، والأكل باليمنى وأن يأكل الإنسان مما يليه ويحمد الله في نهايته ، وهناك من الآداب ما يستحب بعد الطعام ومن ذلك أن يمسك قبل الشبع وليحمد الله .

كما أن هناك آداباً أخرى تتعلق بالاجتماع والمشاركة في الأكل منها :

ألا يبدأ بالطعام ومعه من يستحق التقديم ، وعدم السكوت عليه ، وألا يأكل أكثر من رفيقه إلا برضاه ، وألا يفعل ما يستقذره غيره ، ثم يتناول آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين ، وآداب الزائر والضيافة ومن ذلك ما يتعلق بالدعوة والإجابة والحضور ، ويختتم هذا الكتاب بعدد من الآدات والمناهي الطبية والشرعية المتعلقة بالطعام وتناوله ، ويتصل هذا الحديث عن آداب الاجتماع والمشاركة في الأكل ، وآداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين وآداب الضيافة ، وذلك بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص٧-١٤) والأخلاق Morality وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي (ص٧-١٤) .

٢- كتاب آداب النكاح :

يتناول هذا الكتاب الترغيب في النكاح والترغيب عنه ، والأدلة من القرآن والسنة التي تحث على النكاح وترغب فيه لفوائده ومنها الولد والتحصن من الشيطان بدفع غوائل الشهوة ، وترويح النفس وإيناسها بمخالطة الزوجة ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل ، وأما آفات النكاح فمنها العجز عن طلب الحلال ، وأن يكون الأهل والولد شاغلاً له عن الله تعالى ، ويشير الغزالي هنا إلى أن من الأفضل الجمع بين فضل العبادة والنكاح كما فعل الرسول ﷺ .

ثم يتناول عقد الزواج وأركانه وشروطه ، وآداب المعاشرة ، وما على الزوج والزوجة من واجبات ، أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال في عدة أمور منها الوليمة والمعاشرة والدعابة والغيرة والتعليم والوقاع . وأما حقوق الزوج على الزوجة فمنها طاعته مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه ، والستر والصيانة والقناعة وتدبير البيت .

وفيما يتعلق بالمفاهيم السيكولوجية الواردة في كتاب النكاح ، فيمكن القول إن هذا الحديث عن الزواج وما يتعلق به يتصل في مضمونه العام بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص٢٢-٦٢) حيث يتناول الحديث العلاقة بين الزوج والزوجة ، ونظراً لخصوصية هذه العلاقة فيمكن إدراجها في إطار سيكولوجية العلاقة الزوجية .

٣- كتاب آداب الكسب والمعاش :

يتناول هذا الكتاب فضل الكسب ، والأدلة النقلية التي تحث على الكسب وتبين فضله ، كما يتناول علم الكسب بطريق البيع والربا والإجارة والقراض والشركة ، فيبين شروط وأركان عقد البيع ، وأقسام الربا ، وأركان عقد الإجارة والقراض ، وأنواع الشركة الباطلة والصالحة .

ثم يبين أنواع الضرر والظلم التي تلحق بالغير ، فمنها ما يعم ضرره كالاحتكار وهو منهي عنه لما فيه من غلاء السعر ، ومنها ما يخص المشتري كأن يثني البائع على السلعة بما ليس فيها أو يكتم بعض عيوبها .

ويتناول أيضاً الإحسان في المعاملة كالمسامحة في البيع ، والحديث عن شفقة التاجر على دينه فيما يخص ويعم آخرته ، فلا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، ولكن يجب عليه أن يلازم ذكر الله تعالى في السوق ، وألا يكون شديد الحرص على التجارة ، وأن يتقي مواقع الشبه والريب .

ويتصل هذا الحديث عن البيع والشراء والمعاملات التجارية بموضوع سيكولوجية التسويق

Marketing ومراعاة القيم الخلقية والدينية في المعاملات التجارية (ص٦٦-٨٨) .

٤- كتاب الحلال والحرام :

ويتناول فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وأنواع كل منهما ودرجاته ، وبيان مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ، والظروف التي يجب فيها البحث والسؤال وتحري الحلال ، ثم بيان كيفية خروج التائب عن المظالم المالية ، وبيان مصارف إخراج الحرام وتنحصر في ثلاثة أحوال هي :

١- أن يكون له مالك فيجب الصرف إليه .

٢- إن يئس من معرفة المالك فليتصدق به .

٣- إن كان من الأموال المرصدة لصالح المسلمين صرف إلى ماينفعهم .

ويختتم هذا الكتاب ببيان ما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم ، وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم .

٥- كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق :

يتناول الإمام الغزالي في هذا الكتاب بيان فضيلة الألفة والأخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها ، فيشير إلى أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، كما يبين معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا ، وأنواع الصحبة وتنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وإلى ما ينشأ اختياراً ومنها الأخوة في الدين ، ويوضح معنى الحب في الله تعالى ولله ومظاهره ، والبغض في الله ومراتبه ، ثم يذكر الصفات المشروطة في اختيار الصاحب وهي أن يكون عاقلاً ، حسن الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا .

ويتناول هذا الكتاب أيضاً بيان حقوق الأخوة والصحبة ومنها الحق في المال والإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والسكوت عن عيوبه والنطق بالمحاسن والعفو عن الزلات والهفوات والدعاء له في حياته وبعد مماته .

ثم يتناول آداب العشرة والمجالسة ومنها أن تتوقر من غير كبر وتتواضع في غير مذلة ، وأن تلقى الصديق والعدو بوجه الرضا من غير ذل لهم ولا خوف منهم .

ثم يبين حقوق المسلم على المسلم ومنها السلام وإجابة الدعوة وزيارته في المرض وبر قسمه إذا أقسم ، والنصح له إذا طلب النصيحة ، وكذلك حقوق الجار والأقارب وصلة الرحم .

وهذا الحديث عن الصحبة والألفة والأخوة قد تضمن إشارات لعدة مفاهيم نفسية هي : مفهوم الصداقة Friendship (ص١٥٩-١٨٨) ، ومفهوم العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص١٨٩-٢٧٤) ، ومفهوم الانفعالات

Emotions وبخاصة انفعال الحب والكراهية (ص١٦٧-١٧٨،ص١٨٤-١٨٥) ، ومفهوم الأخلاق Morality (ص١٥٥-٢١٤) ، ثم مفهوم العداوة Hostility (ص١٦٦-١٦٧) .

٦- كتاب آداب العزلة :

يتناول بيان اختلاف الناس من حيث تفضيل العزلة أو المخالطة ، وحجج كل فريق من وجهة نظره ، وأن لكل منهما فوائد وغوائل ، فمن فوائد العزلة الفراغ للعبادة والتخلص عن المعاصي ، والفتن ، والخصومات ، وانقطاع طمع الناس ، والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ، وأما آفات العزلة فتبدو من فوائد المخالطة وهي : التعلم والتعليم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من هذه الأحوال والاعتبار بها .

كما يتناول آداب العزلة ومنها أنه ينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شره عن الناس ، وطلب السلامة من الأشرار ، والخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ، ثم تجريد الهمة لعبادة الله تعالى ، وأن يكون في الخلوة مواظباً على العلم والعمل والذكر والفكر ، والصبر على أذى الناس ، وأن يكون كثير الذكر للموت .

يتضمن هذا الحديث عن العزلة والمخالطة إشارة لبعض المفاهيم النفسية هي مفهوم الانسحاب الاجتماعي Social Withdrawal (ص٢٢٢-٢٤٣) ، وسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص٢٢٢-٢٤٣) ، ومفهوم التعلم Learning (ص٢٣٦-٢٣٧) ، ومفهوم الخبرة Experience (ص٢٤١-٢٤٢) .

٧- كتاب آداب السفر :

يتناول الغزالي في هذا الكتاب آداب السفر وفوائده وفضله ونيته ، وفيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات ، فيشير إلى أن السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب معين أو الوصول إلى مرغوب فيه ، وأن السفر سفران أحدهما بظاهر البدن عن الوطن ، والثاني بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السموات وهذا أشرف النوعين .

ومن فوائد السفر الهرب من الولاية والجاه وكثرة العلائق ، وأما آدابه فمنها : رد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد الودائع واختيار رفيق صالح ووداع الأهل والأصدقاء ، ولابد للمسافر أن يتزود للدنيا بالمطعم والمشرب وما يحتاج إليه ، وأن يتزود للآخرة بالعلم الذي يحتاج إليه في جميع عباداته .

٨- كتاب آداب السماع والوجد :

ويتناول بيان اختلاف العلماء في إباحة السماع (الغناء والموسيقى) ، وكشف الحق

في ذلك ، فالسماع يؤدي إلى حالة في القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص .

ويبين الدليل على إباحة السماع ومواضع الإباحة وما هو محرم من السماع بأدلة الشرع ، والعوارض المحرمة للسماع ، وحجج القائلين بتحريمه والجواب عنها ، كما يبين آثار السماع وآدابه ، ومنها مراعاة الزمان والمكان والإخوان ، والإصغاء لما يقوله القائل ، والتحرز عن النظر إلى وجوه المستمعين والتماسك عن التصفيق والرقص ، وموافقة القوم في القيام ، فإذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة ، فلابد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن السماع والوجد يتصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص٢٢٦-٣٠٢) وبخاصة فيما يتعلق بانفعالات الفرح والسرور وعلاج الحزن بسماع الألحان (ص٢٦٨) ، كما تضمن إشارة لمفهوم الصداقة Friendship (ص٣٠١) .

٩- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يتناول هذا الكتاب الحديث عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفضيلته ، والمذمة في إهماله وإضاعته لأنه القطب الأعظم في الدين ، وبيان الدلائل العقلية والنقلية من القرآن والأخبار والآثار التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوضح فضله ، وبيان أركانه ، وهنا يذكر الغزالي أربعة أركان للحسبة تعد شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي : المحتسب والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب ، وأن لكل منها شروطه ، فشروط المحتسب هي التكليف والإسلام والإيمان والعدالة ، وهنا يشير إلى خمس مراتب للحسبة هي : التعريف ، والوعظ بالكلام اللطيف ، والسب والتعنيف ، وليس المقصود بالسب الفحش بل أن يقول مثلاً : يا جاهل ألا تخاف الله ؟ والمنع بالقهر ككسر الملاهي ، والتخويف والتهديد بالضرب حتى يمنع عما هو عليه .

وأما شروط ما فيه الحسبة أن يكون منكراً موجوداً في الحال ظاهراً للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد .

وبالنسبة لشروط المحتسب عليه فيكفي في صفته أن يكون إنساناً ، وبعد ذلك يبين درجات وآداب نفس الاحتساب ، فالدرجات أولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع

الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود .

وفيما يتعلق بآداب المحتسب فجميعها مصدره العلم والورع وحسن الخلق .

ويختتم هذا الكتاب ببيان المنكرات المألوفة في العادات ، ومنها منكرات المساجد والأسواق والشوارع والحمامات ومنكرات الضيافة ، ثم الحديث عن أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

يمكن أن يتصل هذا الحديث عن كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بموضوع الإرشاد النفسي Counseling Psychology (ص٣٠٢-٣٥١) ، كما يتضمن إشارة لمفهوم العادات Habits (ص٣٣٠-٣٣٦) ، ومفهوم الأخلاق Morality (ص٣٢٨-٣٣٥) .

١٠- كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة :

يتناول هذا الكتاب بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن ، ويسوق جملة من محاسن أخلاقه ومنها الحلم والسخاء والحياء والعطف وأنه كان ﷺ يخدم في مهنة أهله ، ويجيب دعوة المملوك ، ويعود المرضى ، ويمضي وحده ويردف خلفه ويقبل الهدية ويكافئ عليها ، ويلبس ما وجد ، ويكرم أهل الفضل ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله ، وكان يعفو مع المقدرة ، كما كان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً وأوفاهم ذمة وأكرمهم عشرة ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة التي لخصها قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

وينتقل الإمام الغزالي بعد هذا الحديث عن أخلاق النبوة إلى بيان عدد من المعجزات التي اختص بها الرسول ﷺ ومن أعظمها القرآن الكريم ، وهو المعجزة الخالدة ، وهناك معجزات أخرى منها انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وإطعامه الخلق الكثير من الطعام اليسير ، وحنين الجذع إليه ، إلى غير ذلك من المعجزات التي شاعت ولم يوجد سبيل إلى كتمانها .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن أخلاق النبوة يتصل بموضوع سيكولوجية الأخلاق Morality وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي (ص٣٥١-٣٨٤) .

الجزء الثالث : المهلكات :

يتضمن هذا الجزء عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١- كتاب شرح عجائب القلب :

يتناول الغزالي في هذا الكتاب بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل ، فيرى أن لفظ القلب يطلق على معنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، والثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان .

ويطلق لفظ الروح على معنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، والثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، والنفس كذلك لها معنيان أحدهما يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان ، والمعنى الثاني هو اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته .

وأما اللفظ الرابع وهو العقل فيراد به معنيان أيضاً ، أحدهما أن يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور ، والثاني يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

ويتناول بعد ذلك ، جنود القلب وهي ثلاثة : الأول باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق للشهوة وإما إلى دفع المضار كالغضب ، والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عنه بالقدرة والثالث هو المدرك المتعرف للأشياء وينقسم إلى الحواس الخمس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ، كما ينقسم إلى خمسة أخرى هي الخيال والحفظ والتفكير والتذكر والحس المشترك الذي يجمع جملة معاني المحسوسات في الخيال ، وتقع هذه الخمسة في تجويف الدماغ .

ثم ينتقل إلى الحديث عن خاصية قلب الإنسان ومجامع أوصاف القلب ، وحال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدنيوية والأخروية ، حيث يرى أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وشرعية ، كما تنقسم العلوم العقلية إلى ضرورية ومكتسبة ، وتنقسم المكتسبة إلى دنيوية وأخروية ، وتأخذ العلوم الدينية عن طريق التقليد والمحاكاة من الأنبياء صلوات الله عليهم .

ثم يبين الفرق بين الإلهام والتعلم ، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار ، وشواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد ، ويبين كذلك تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ، ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ، فيشير إلى أن الغضب والشهوة هما المدخل لتسلط الشيطان بواسطة الهوى .

ويختتم هذا الكتاب ببيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها ومقاصدها ، وما يعفي عنه ولا يؤاخذ به ، واختلاف العلماء في أن الوسواس هل ينقطع كلية مع ذكر الله أم لا ، ثم بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات.

وقد تضمن هذا الكتاب إشارة لعدد من المفاهيم النفسية هي : الإحساس Sensation (ص٤-١٤) والإدراك الحسي Perception (ص٤-١٤) والانفعال Emotion (ص٤-١٤) وبخاصة الدوافع البيولوجية (ص٢٥-٣٧) ، ومفهوم الحافز Incentive (ص٤-١٤) ، والذكاء Intelligence (ص٤-١٤) ، والقدرة Ability (ص٤-١٤) ، والتخيل

Imagination (ص٤-١٤) ، والتعلـــم Learning (ص١٥-١٨) ، والتقليـــد Imitation (ص١٦) ، والغريـــزة أو الفطـــرة Innate (ص١٥-١٦) ، والوســـواس Obsession (ص٢٥-٣٩،ص٤٢-٤٤) .

٢- كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب :

يتناول بيان حقيقة حسن الخلق وفضيلته ، ومذمة سوء الخلق وأن هناك أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق وهي : قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل .

ويمكن للأخلاق أن تتغير برياضة النفس .

كما يتناول بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق فحسن الخلـق يرجع إلى اعتـدال قوة العقل وكمال الحكمة واعتدال قوة الغضب والشهوة ، ويحصل هـذا الاعتـدال على وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري ، والثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة ، كما أن اعتـدال الأخـلاق هـو صحـة النفس ، ويكـون عـلاج النفس بمحو الرذائـل والأخلاق الرديئـة عنهـا ، وجلـب الفضـائل والأخـلاق الجميلـة ، ويتنـاول أيضاً بيـان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة ، والطريق الذي يعرف به الإنسان عيون نفسه ، والشواهد العقلية والنقلية على أن الطريق في معالجة أمـراض القلـوب هـو ترك الشهوات ، ثم علامات حسن الخلق ومنها الحياء وصدق اللســان وكثرة الصـلاح والعمل وقلة أذى الغير ، والبر والوقار والصبر والشكر والرضـا والحلـم والرفـق والعفـة وعدم الغيبة والنميمـة والحقـد والبخـل والحسـد ، وحسـن الإنصـاف والتمـاس المعـذرة واحتمال الأذى .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان الطريق في رياضة الصبيـان في أول نشـأتهم ووجـه تأديبهم وتحسين أخلاقهم ، فيجب على الوالد أن يودب ولـده ويهذبـه ويعلمـه محاسـن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ولا يستعمل في حضانتـه وإرضاعـه إلا امرأة صالحة متدينة ، وينبغـي أن يحسـن مراقبتـه ، ويسـمح لـه بـاللعب الجميـل لأن إرهاق الطفل في التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وأن يعلمــه الطاعـة وألا يسـامحه في ترك الطهارة والصلاة ويخوفه من السرقة والكذب . ويختتم هذا الكتاب ببيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة ، وتدريج المريد في سلوك سبيل رياضة النفس ومجاهدتها .

تضمـن هذا الكتاب إشارة لبعض المفاهيم النفسية وهي : مفهوم الأخـلاق Morality (ص٤٨-٧١) ، والدوافع Motives (ص٥٢-٦٥) ، والانفعـالات Emotions (ص٥٢-٦٠) ، وتعديـل السـلوك Behavior modification (ص٥٤-٥٦) ، والتعلـم Learning (ص٥٦-٥٩) ، ومفهـوم السـواء Normality (ص٥٩) ، وصـورة الـذات Self-image

(ص٦٢) ، كما يتصل الحديث عن تأديب الصبيان وتحسين أخلاقهم بموضوع التنشئة الاجتماعية Socialization في إطار علم النفس الاجتماعي (ص٦٩-٧٢) ,

٣- كتاب كسر الشهوتين :

يدور هذا الكتاب حول شهوتي البطن والفرج ، فيتناول بيان فضيلة الجوع وذم الشبع ، وآفاته ، وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن ، وآفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام ، لأنه يعتبر شركاً خفياً ، ثم يتناول بيان القول في شهوة الفرج ، فيذكر فائدتين لها وهما : أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة ، وبقاء النسل . ثم يذكر آفاتها ومنها قهر العقل والدين في الإفراط فيها ، وذلك مذموم ، وفي التفريط فيها بالعنة أو بالضعف وهو مذموم أيضاً ، وأما المحمود هو الاعتدال فيها وأن تكون للعقل والشرع .

ويختتم هذا الكتاب ببيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ، فالثواب الجزيل في ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن شهوتي الفرج والبطن يتصل بموضوع الدوافع Motives (ص٧٧-١٠٣) وبخاصة الدوافع الأولية أو البيولوجية ، ويتناول الحديث هنا الدافع الجنسي ودافع الجوع .

٤- كتاب آفات اللسان :

يتناول الإمام الغزالي هنا بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت ، حيث يذكر عشرين آفة من آفات اللسان ومنها الكلام فيما لا يعني الإنسان ، وفضول الكلام ، والخوض في الباطل والمراء والجدال والتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع ، ومنها أيضاً الفحش والسب وبذاءة اللسان اللعن والغناء والشعر والمزاح والسخرية وإفشاء السر والوعد الكاذب ، والغيبة والنميمة والمدح في بعض المواضع .

ويمكن أن يتصل هذا الحديث عن آفات اللسان بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص١٣٨-١٥٨) وموضوع الأخلاق Morality في إطار علم النفس الاجتماعي (ص١٣٨-١٥٨) .

٥- كتاب ذم الغضب والحقد والحسد :

ويتناول بيان الغضب وحقيقته ، وهل يمكن إزالة أصله برياضة النفس أم لا ، وبيان الأسباب المهيجة للغضب وكيفية علاجه ، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ والحلم ، والقدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام .

ويتناول هذا الكتاب أيضاً بيان معنى الحقد ونتائجه ، وفضيلة العفو والرفق والإحسان ، فيشير إلى أن الحقد ثمرة الغضب وأنه يودي إلى الحسد ، ثم بيان ذم الحسد وحقيقته

وحكمه وأقسامه ومراتبه وأسبابه ومنها العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فـوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس . ثم يتناول بعد هذا ، السبب في كثرة الحسـد بين الأمثال والأقران والإخوة والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم، والدواء الذي ينفـي الحسـد عن القلب وهو معرفة الضرر الذي يلحق بالحاسـد في الدنيـا والديـن ، وأن يكلـف الإنسـان نفسه بنقيض كل ما يتقاضاه الحسد من قول أو فعل .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن الغضب وحقيقته يتصل بموضوع الانفعـالات Emotions وبخاصـة انفعـال الغضـب ، وذلـك في إطـار علـم النفـس العـام (ص١٦٠-١٧٧)، كما أن الأسلوب الذي استخدمه الغزالي في علاج الغضب والحقد والحسد قـد سبق به المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين .

٦- كتاب ذم الدنيا : يدور هذا الكتاب حـول بيـان ذم الدنيـا ، والآيـات القرآنيـة والأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن ، ثم بيان صفة الدنياوحقيقتها وماهيتها في حق العبد وفي نفسها ، وأشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى أنستهم أنفسـهم وخـالقهم ومصدرهم وموردهم .

٧- كتاب ذم البخل وذم حب المال :

ويتناول بيان ذم المال وكراهة حبه لأنه ينبت النفاق في القلب ، مشـيراً إلى أن المـال قد يكون خيراً كما سماه الله في بعض المواقع في كتابه العزيز وذلك لما للصدقـة والحـج من الثواب ، إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به ، ثم يبين تفصيل آفـات المـال وفوائـده ، فأما فوائده فتنقسم إلى :

١- دنيوية : وهي معروفة ومشتركة بين أصناف الخلق .

٢- دينية : كالإنفاق منه في العبادة أو الاستعانة عليها ، أو فيمـا يصرفـه إلى النـاس كالصدقة وفي الخير العام كبناء المساجد .

وأما آفاته فمنها :

أنه يجر إلى المعاصي غالباً ، ويلهي عن ذكر الله .

ثم يتناول بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس ، حيـث يجر الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق ، وارتكاب المنكرات ، وأن غنى النفس وهناء العيش في القناعة ، ويبين أيضاً علاج الحرص والطمع والدواء الـذي تكتسـب بـه صفـة القناعة وذلك من خلال ثلاثة أمور هي الصبـر والعلـم والعمـل ، ويتنـاول بيـان فضيلـة السخاء عند وجود المال لأنه من أخلاق الأنبياء وأصل من أصول النجاة ويروي مجموعة من حكايات الأسخياء ، ثم بيان ذم البخل لأنه من المهلكات كما ورد ذلك في القـرآن والسنة ، ويسوق عدداً من حكايات البخلاء ، مشيراً إلى الإيثار وهو الجـود بالمـال مـع

الحاجة إليه يمثل أرفع درجات السخاء .

وينتقل الإمام الغزالي بعد ذلك إلى بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما وكيفية علاج البخل من خلال علاج أسباب حب المال ، ومثال ذلك أن يعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت .

ويختتم هذا الكتاب ببيان الوظائف التي على العبد في ماله ومنها معرفة مقصودالمال ومراعاة جهة دخل المال وجهة مخرجه ، ثم بيان ذم الغني ومدح الفقر .

ونلاحظ مما سبق أن الأسلوب الذي يتبعه الغزالي في علاج الحرص والطمع يقترب من أساليب المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين في التخلص من العادات السيئة ، وهو بذلك قد سبقهم في استخدام هذه الأساليب .

٨- كتاب ذم الجاه والرياء :

يتناول هذا الكتاب بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت وهما أصل الجاه ، وفضيلة الخمول وذم حب الجاه ، وبيان معنى الجاه وحقيقته ، فيشير إلى أن الجاه يعني قيام المنزلة في قلوب الناس ، أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه ، ثم بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع ، حتى لا يخلو عنه قلب بشديد المجاهدة ، ويتناول ما يحمد وما يذم في حب الجاه . إذ لابد للإنسان من جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، وسلطان يحرسه ورفيق يعينه ، وحب ذلك ليس بمذموم .

أما طلب المنزلة في قلوب الناس باعتقادهم صفة غير موجودة فيه كالعلم والورع والنسب فذلك محظور .

ويبين الغزالي هنا أيضاً السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه ، وبغضها للذم ونفرتها منه ، ومن ذلك شعور النفس بالكمال .

كما يقدم وصفاً لكيفية علاج حب الجاه من خلال العلم والعمل ، وعلاج حب المدح وكراهة الذم من خلال معرفة أسبابهما .

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم ، فمنهم من يفرح بالمدح ومنهم من يكرهه ، وبيان ذم الرياء ، فيشير إلى أن الرياء حرام وأن المرائي ممقوت عند الله تعالى ، مستشهداً على ذلك من القرآن والسنة ، ويبين حقيقة الرياء وما يراءى به ، فيذكر أن الرياء هو طلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها . وأن المراءى به كثير ومنه البدن والزي والقول والعمل والأتباع ، كما أن هناك درجات متباينة في الرياء باختلاف أركانه الثلاثة وهي المراءى به ، والمراءى لأجله ، ونفس قصد الرياء .

ويقسم الرياء إلى رياء خفي وآخر جلي ، ويبين ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط ، ودواء الرياء وطريق معالجة القلب منه باستئصال أصوله ودفع ما

يخطر منه في الحال ، ويرى الغزالي هنا أن في الإسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاه من الرياء ، وفي الإظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ، ولكن فيه آفة الرياء ، فالسر أحرز العلمين ولكن في الإظهار أيضاً فائدة ، ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية .

كما يتناول هذا الكتاب أيضاً الرخص في كتمان الذنوب ، وكراهة اطلاع الناس عليها ، وبيان أن من ترك العمل والطاعات خوفاً من الرياء ودخول الآفات يعد موافقاً لمكايد الشيطان ، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح . ويختتم هذا الكتاب بذكر ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه به قبل العمل وبعده وفي أثنائه وهو القناعة بعلم الله في جميع طاعاته .

تضمن هذا الحديث عن الجاه والرياء إشارة لبعض المفاهيم النفسية هي مفهوم الذات Self-concept أو صورة الذات Self-image (ص٢٧٩-٢٨٥) عند الحديث عن ارتياح النفس للمدح والثناء وشعورها بالكمال ، وكذلك مفهوم الاقتداء Modeling (ص٣٠٨-٣١٠) والأخلاق Morality (ص٢٨٦-٣٠٧،ص٣١٣-٣٢٠) وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي . كما أنه مما يجدر الإشارة إليه هو الأسلوب الذي اتبعه الغزالي في علاج الرياء وهو يقرب من أساليب المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين .

٩- كتاب ذم الكبر والعجب :

ويتناول بيان ذم الكبر والاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب ، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث الواردة في ذم الكبر والمتكبر ، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة .

ثم يبين فضيلة التواضع وثوابه عند الله تعالى ، وحقيقة الكبر وآفته وأن من شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له ، وقد يكون المتكبر عليه هو الله تعالى وذلك أفحش أنواع الكبر ، أو رسله أو سائر خلقه .

وأما ما يتكبر به فقد يكون لسبب ديني وهو العلم والعمل ، أو لسبب دنيوي وهو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار .

وفيما يتعلق ببواعث الكبر والتكبر فهي ثلاثة :

١- العجب : ويتعلق بالمتكبر .

٢- الحقد والحسد : وذلك للمتكبر عليه .

٣- الرياء : ويتعلق بغيرهما .

ثم يتناول أخلاق المتواضعين ، وما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر من الأقوال والأفعال ، ويبين الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع باستئصال أصله وقطع

شجرته ، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه وربه ويتواضع لله وللخلق ، ثم يدفع العارض من الكبر بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره ، مشيراً إلى أن خلق التواضع كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة ، فطرفه الذي يمثل إلى الزيادة يسمى تكبراً، وطرفه الذي يمثل إلى النقصان يسمى تخاسساً ومذلة ، ويسمى الوسط تواضعاً ، والمحمود هو التواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس .

وينتقل الإمام الغزالي بعد هذا ، إلى بيان ذم العجب ، فيعرف العجب بأنه إعجاب المرء بنفسه ، ويذكر آفاته ومنها أنه يدعو إلى الكبر ونسيان الذنوب ، كما يبين السبيل لعلاجه ، ثم يقسم ما به العجب إلى ثمانية أقسام هي : العجب بالبدن ، والقوة ، والعقل ، والنسب ، والعجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم ، والعجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع ، والعجب بالمال ، ثم العجب بالرأي الخطأ وهو من أصعب أنواع العجب علاجاً .

يتصل هذا الحديث عن الكبر والعجب بموضوع سيكولوجية الأخلاق Morality (ص٣٢٧-٣٦٧) ، والعلاج النفسي السلوكي لهذه الآفات الخلقية (ص٣٢٧-٣٦٧).

١٠- كتاب ذم الغرور :

يدور هذا الكتاب الأخير من ربع المهلكات حول بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته ، وأن الله تعالى قد ذمه في كتابه العزيز ، فيعرف الغرور بأنه سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان ، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور .

ويختلف الناس في أصناف ودرجات غرورهم ، وأشد هذه الأصناف وأظهرها : غرور الكفار وغرور العصاة والفساق .

كما أن هناك أربعة أصناف للمغترين هي :

١- أهل العلم .

٢- أرباب العبادة والعمل .

٣- المتصوفة .

٤- الأغنياء .

ويندرج تحت كل صنف من هذه الأصناف الأربعة فرق متعددة ، ويختتم هذا الكتاب بالإشارة إلى أنه يمكن التخلص من الغرور بثلاثة أشياء لابد منها جميعاً وهي : العقل ، والعلم بكيفية سلوك الطريق إلى الله ، ومعرفة الإنسان بنفسه وربه وبالدنيا والآخرة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث عن الغرور يمكن أن يتصل بموضوع سيكولوجية الشخصية Personality (ص٣٦٨-٤٠٢) ، وأن علاج الغرور يدخل في

إطار العلاج النفسي السلوكي (ص٣٦٨-٤٠٢) .

الجزء الرابع : المنجيات :

يتضمن هذا الجزء الأخير من إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١- كتاب التوبة :

ويتناول بيان حقيقة التوبة وهي أنها عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور هي:

١- العلم : وهو معرفة عظم ضرر الذنوب .

٢- الحال: وهو الندم .

٣- الفعل : وهو العزم على ترك الذنوب الحالية والمستقبلة .

ويبين وجوب التوبة وفضلها مستشهداً بالأخبار والآيات ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى كل الأشخاص وفي كل الأحوال . كما أن لها شروطاً إذا اجتمعت فإنها مقبولة لا محالة .

ثم يقسم صفات الذنوب إلى أربع صفات هي :

١- صفات ربوبية : كالكبر والفخر وحب المدح والثناء ، وهي مهلكة .

٢- صفات شيطانية : كالحسد والبغي والخداع والنفاق.

٣- صفات بهيمية : كالحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج ، فينتج عن ذلك الزنا والسرقة .

٤- صفات سبعية : وهي الغضب والحقد والقتل وأخذ أموال الناس .

وتنقسم الذنوب إلى ما بين العبد وبين الله ، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد ، فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم ، وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة والقتل وغصب الأموال وشتم الناس .

كذلك تنقسم الذنوب إلى صغائر وكبائر ، فأما الكبائر فهناك اختلاف في ما يتعلق بعددها ، ولكن منها الشرك بالله والسحر والقتل وأكل الربا ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ، وعقوق الوالدين وقول الزور ، وأما أصغر الصغائر من الذنوب فلا سبيل لمعرفته .

ويوضح الغزالي بعد ذلك كيفية توزيع الدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا ، فيذكر أن الناس يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا ، وينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ومعذبين وناجين وفائزين .

ويتفاوت كل قسم من هذه الأقسام في النعيم والتعذيب بحسب أحوال الناس في كل قسم منها .

ثم يبين ما تعظم به الصغائر من الذنوب حيث تكبر الصغيرة بأسباب الإصرار

والمواظبة على فعلها ، واستصغار الذنوب ، والفرح بالصغيرة والتمدح بها ، والتهاون بستر الله تعالى وحلمه عنه وإمهاله إياه ، والجهر بالذنب ، وأن يكون المذنب عالماً يقتدي به فإذا علم منه الذنب كبر ذنبه .

كما يتناول هذا الكتاب تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر ، ومن ذلك العزم على عدم العودة مستقبلاً إلى تلك الذنوب وأمثالها ، ويقسم العباد في دوام التوبة إلى أربع طبقات هي :

١- تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره ، وهي التوبة النصوح ، وتصبح نفسه مطمئنة .

٢- تائب قد سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش ، إلا أنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه بغير عمد ويلوم نفسه عليها ، وهي النفس اللوامة .

٣- أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب ويندم .

٤- أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى الذنوب منهمكاً من غير أن يحدث نفسه بالتوبة وهي النفس الأمارة بالسوء .

وفي نهاية هذا الكتاب يشير الغزالي إلى أنه ينبغي للتائب أن يأتي بحسنات تضاد ما عمل من السيئات لتمحوها وتكفرها ، والحسنات المكفرة تكون بالقلب واللسان والجوارح ، ثم يوضح دواء التوبة وطريق علاج حل عقدة الإصرار وذلك من خلال العلم والصبر .

تجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن التوبة يتصل بمفهوم الشعور بالذنب Guilt (ص٢-٥٩) ، كما يتضمن إشارة لمفهوم تأنيب الذات أو لوم الذات Self-blame (ص٤٣-٤٤) .

٢- كتاب الصبر والشكر :

يتناول بيان فضيلة الصبر وحقيقته ومعناه ، حيث يعرف الصبر بأنه عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوة ، وهو من خاصية الإنسان ، ويمثل نصف الإيمان .

وينقسم الصبر إلى ضربين أحدهما بدني كتحمل المشاق بالبدن ، والثاني نفسي وهو صبر عن مشتهيات الطبع والهوى .

والعبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال ؛ لأن جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين :

الأول : ما يوافق هواه من الصحة والسلامة والمال والجاه والاتباع وغير ذلك ، والبعد محتاج للصبر في جميع هذه الأمور .

الثاني : المخالف للهوى وهو ثلاثة أقسام :

أ- الطاعات : كالصلاة والزكاة والحج وهي تحتاج للصبر في أدائها .

ب- الصبر عن المعاصي .

ج- ما لا يدخل تحت الاختيار كالمصائب ومنها موت الأحبة وهلاك الأموال ، والصبر في هذا النوع من أعلى المقامات .

كما يتناول دواء الصبر والاستعانة عليه بالعلم والعمل ومجاهدة النفس ، وهنا يشير الغزالي إلى أن أشد أنواع الصبر والمجاهدة هو كف الباطن من حديث النفس لأن الوساوس لا تزال تجاذبه .

وبعد ذلك ، ينتقل إلى الحديث عن الشكر وفضيلته وحقيقته ، فيشير إلى أن الله تعالى قد قرن الشكر بالذكر في كتابه العزيز ، وأنه يعد من جملة مقامات السالكين ، وينتظم من علم وحال وعمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم ، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه ، وأما العمل بما هو مقصود المنعم ومحبوبه وهو متعلق بالقلب واللسان والجوارح .

ثم يبين تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه ؛ لأن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى ، ويتم تمييز ما يحبه الله عما يكرهه من خلال أمرين أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار ، والثاني هو بصير القلب أي النظر بعين الاعتبار .

كما يوضح حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ، فيذكر أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية وهي النعمة الحقيقية ، وأما الوسائل فهي أربع :

١- فضائل النفس كالإيمان وحسن الخلق .

٢- فضائل البدن كالقوة والصحة .

٣- النعم المطيفة بالبدن من المال والجاه والأهل .

٤- الهداية والإرشاد والتسديد والتأييد .

كما يبين كثرة نعم الله تعالى وتسللها وخروجها عن الحصر والإحصاء ، وهنا يعطي مثالاً لصحة البدن كنعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فمن أسبابها المتعددة: الأكل ، ومن الأسباب التي تتم بها نعمة الأكل : خلق أسباب الإدراك وهي الحواس الخمس ، وخلق الإرادات والقدرة وآلات الحركة ، وخلق أصول الأطعمة ، والأسباب الموصلة للأطعمة إلى الإنسان ، وإصلاحها وطبخها حتى تكون صالحة للأكل ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تحصى ، وليس ذلك إلا قطرة من بحر واحد من نعم الله تعالى .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر وهو الجهل والغفلة ، وبيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد هو البلاء غير المطلق في الدنيا أي الذي قد يكون متضمناً نعمة من وجه معين ، ولذا فهو يقتضي من الإنسان

صبراً عليه وشكراً لله في نفس الوقت ، ويختتم هذا الكتاب ببيان فضل النعمة على البلاء ، وبيان الأفضل من الصبر والشكر ، وينتهي إلى أن لكل من الصبر والشكر درجات .

ويتضمن هذا الحديث عن الصبر وأنواعه إشارة لمفهوم الوسواس Obsession (ص٧٣-٧٧) ، ومفهوم الاحساس Sensation (ص١٠٧-١٠٨) ، والإدراك الحسي Perception (ص١٠٧-١٠٨) وكذلك مفهوم الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية عند الحديث عن الحاجة إلى الطعام ودافع الجوع (ص١٠٨-١٠٩) .

٣- كتاب الخوف والرجاء :

يدور هذا الكتاب حول بيان حقيقة الرجاء وفضيلته والترغيب فيه ، فيعرف الرجاء بأنه ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ، وهو من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وهو محمود لأنه باعث على العمل ، وهنا يسوق الأدلة من الأخبار التي تبين فضيلته ، ثم يتناول دواء الرجاء والسبب الذي يحصل به ويتمثل في طريقين أحدهما الاعتبار وهو تأمل نعم الله تعالى التي لا تحصى ، والثاني هو الأخبار والآيات التي تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين .

وينتقل الغزالي بعد هذا إلى الحديث عن الخوف وحقيقته ودرجاته وأقسامه فيعرف الخوف بأنه تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وهو سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب منه ، ويذكر أن الخوف له قصور وإفراط واعتدال ، والمحمود منه هو درجة الاعتدال والوسط .

ويقوم الخوف بوظيفة أساسية هي كف الجوارح عن المعاصي وقيدها بالطاعات ، وإذا جاوز الخوف حده وأدى إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يحتاج لعلاج .

كما أن مقامات الخائفين تختلف ، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة ، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم ، أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف سوء الخاتمة .

كما أن من أقسام الخائفين من يخاف سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير ، أو عذاب القبر ، ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى ، والعبور على الصراط ، والخوف من النار ، أو حرمان الجنة ، أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى ، وهو أعلى هذه الأقسام رتبة ، ويشير الغزالي هنا إلى أن معرفة فضل الخوف تتم من خلال التأمل والاعتبار ، أو بالآيات والأخبار .

كما أن الخوف أصلح لأكثر الخلق من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصي ، وبالنسبة للتقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه فالأصلح له أن يعتدل خوفه ورجاؤه .

ويستجلب الخوف إما بمعرفة الضرر أو بالتقليد ، وينقسم الخوف من الله تعالى إلى مقامين أحدهما الخوف من عذابه ، وهو خوف عامة الخلق ، والثاني الخوف منه وهو خوف العلماء العارفين . ويختتم هذا الكتاب ببيان معنى سوء الخاتمة ، وأحوال الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم في الخوف ، وكذلك أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث عن الخوف ودرجاته وأنواعه يتصل بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الخوف ، وذلك في إطار علم النفس العام (ص١٥٢-١٨٥) .

٤- كتاب الفقر والزهد :

يتناول هذا الكتاب بيان حقيقة الفقر ، واختلاف أحوال الفقير وأساميه ، فيعرف الفقر بأنه فقد ما هو محتاج إليه ، ويذكر أن هناك خمسة أحوال للإنسان بالنسبة للمال ، فهناك الزاهد فيه ، والراضي ، والحريص عليه ، والقانع ، والمضطر .

ثم يتناول بيان فضيلة الفقر مطلقاً ، وفضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين ، وبيان فضيلة الفقر على الغنى واختلاف الناس في ذلك ، وآداب الفقير في فقره ومن ذلك الرضى بفعل الله تعالى في ذلك والرضى بالفقر والفرح به ، وإظهار التعفف والتجمل ، وبيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال حيث يجب عليه أن يراعي نفس المال فيجب أن يكون حلالاً ، وأن يراعي غرض المعطي فإذا كان هدية أو صدقة قبله ، وكذلك غرضه في الأخذ فإذا كان محتاجاً إليه وسلم من الشبهة أخذه .

وينتقل بعد ذلك إلى بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه ، ومقدار الغنى المحرم للسؤال ، وأحوال السائلين ، وبيان حقيقة الزهد ، وأنه مقام شريف في الدنيا من مقامات السالكين ، وينتظم من علم وحال وعمل كسائر المقامات، وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه .

ثم يتناول بيان فضيلة الزهد ، ويسوق الآيات والأخبار والآثار الواردة في هذا ، ودرجات الزهد وأقسامه ، ويفصل القول في الزهد فيما هو من ضروريات الحياة مثل المطعم والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح والمال والجاه .

ويختتم هذا الكتاب ببيان علامات الزهد ومنها استواء الغني والفقير ، والعز والذل ، والمدح والذم ، وذلك لغلبة الأنس بالله تعالى .

تضمن هذا الكتاب إشارة لمفهوم الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية أو البيولوجية والسيطرة عليها ، وقد اقتصر الحديث هنا على الدافع الجنسي ودافع الجوع

وذلك عند الحديث عن المطعم والمنكح (ص٢٢٥-٢٢٦،ص٢٣٣-٢٣٤) .

٥- كتاب التوحيد والتوكل :

يتناول هذا الكتاب بيان فضيلة التوكل مستشهداً بالآيات والأخبار والآثار ، وبيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل ، فالتوحيد طبقات منها قول " لا إله إلا الله " وتصديق القلب بالوحدانية ، ورؤية الأشياء المختلفة على أنها صادرة عن الواحد ، وأنه لا فاعل سوى الله ، فمنه الخوف وله الرجاء وبه الثقة وعليه التوكل .

ثم يتناول بيان أحوال التوكل وأعماله ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل ولا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً ، وأما أعمال المتوكلين فتنقسم إلى أربعة :

١- جلب النافع كالكسب .

٢- حفظ موجود كالادخار .

٣- مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف كالنوم في مجاري السيل ، أي دفع ضرر لم ينزل بعد .

٤- السعي في إزالة ضرر قد نزل بالفعل كعلاج المرض .

ويختتم هذا الكتاب ببيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله ﷺ ، ثم بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال ؛ لأن ذلك ليس من شرط التوكل ، وبيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكتمانه .

٦- كتاب المحبة - الشوق والأنس والرضا :

يتناول هذا الكتاب عدداً من المفاهيم المرتبطة فيما بينها وهي المحبة والشوق والأنس والرضا . فيبين شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى ، وإجماع الأمة على أن حب الله تعالى ورسوله ﷺ فرض ، ثم يبين حقيقة المحبة وأسبابها ، وتحقيق معنى محبة العبد لله ، مشيراً إلى أن المحبة لا تتم إلا بعد معرفة وإدراك المحبوب ، وكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك ، إذ أن معنى الحب هو ميل الطبع إلى الشيء الملذ . ومن أسبابه : الإحسان للشخص نفسه أو الناس ، والجمال في ذاته ، والمناسبة بين المحب والمحبوب .

ويتناول أيضاً بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده لأن أسباب الحب لا تجتمع في جملتها إلا في حق الله ، ولا يوجد في غيره إلا آحادها ، وبيان أن حب رسول الله ﷺ محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب . وبيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله ، والنظر إلى وجهه الكريم . ثم بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة علىالمعرفة في الدنيا ، والأسباب المقوية لحب الله

ومنها قطع علائق الدنيا ، وإخراج حب غير الله من القلب وقوة معرفة الله واتساعها واستيلاؤها على القلب بعد تطهيره من العلائق ، وبيان السبب في تفاوت الناس في الحب وهو تفاوتهم في المعرفة وحب الدنيا ، وكذلك السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه ، وبيان معنى الشوق إلى الله ، ومعنى محبة الله للعبد وشواهدها ، وعلامات محبة العبد لله والتي هي نفسها علامات حب الله للعبد ، ومنها حب لقاء الله في الجنة وإيثار ما يحبه الله وعدم معصيته وحب ذكره وحب القرآن وحب رسوله ﷺ .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان معنى الأنس بالله تعالى ، فيشير إلى أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة ، وأن الأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال . وبيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس ، ومعنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وفضيلته . فالرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين ، وقد ورد في الآيات والأخبار والآثار ما يدل على فضيلته ، كما أن الدعاء لا يناقض الرضا ، وأن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا لأنه ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه . ويختتم هذا الكتاب بعرض جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم ثم مجموعة من الأقوال المتفرقة المتعلقة بالمحبة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث عن المحبة والمعاني المرتبطة به يتعلق بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب والفرح والخوف (ص٢٨٦-٣٥٠) . كما يتضمن إشارة لمفهوم الانبساط Extraversion (ص٣٣١-٣٣٣) والأخلاق Morality (ص٢٩١-٢٩٢) ، والغريزة Instinct (ص٢٩٩-٣٠٣) ، والخيال Imagination (ص٣٠٣-٣٠٥) وكذلك مفهوم الرضا Satisfaction (ص٣٣٣-٣٤٤) .

٧- كتاب النية والإخلاص والصدق :

يتناول هذا الكتاب بيان فضيلة النية وحقيقتها من خلال الآيات والأخبار والآثار ، فالنية هي عماد الأعمال ، وهي حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران هما العلم والعمل . كما يتناول بيان سر قوله ﷺ : " نية المؤمن خير من عمله " وهو أن النية عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له ، ثم بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية وهي ثلاثة أقسام : الطاعات والمعاصي والمباحات ، مشيراً إلى أنه ليس المقصود بالنية أن يقول المرء " نويت كذا " ولكن النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً ، وهذا الميل إذا لم يكن فلا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة .

ونيات الناس في الطاعات أقسام ، إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف

واتقاء للنار ، ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء رغبة في الجنة .

ثم ينتقل الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته . ويختتم هذا الكتاب ببيان فضيلة الصدق وحقيقته ومعناه ومراتبه ، ومنها الصدق في القول والنية والإرادة والعزم والوفاء به ، والصدق في الأعمال ، والصدق في مقامات الدين ويمثل أعلى الدرجات ، ومثاله الصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضا والحب والتوكل .

وفيما يتعلق بالمفاهيم النفسية المتضمنة في هذا الكتاب ، يمكن القول إن هذا الحديث عن الإخلاص والصدق يتصل بموضوع القيم Values (ص٣٦٤-٣٨٠) ، كما أنه يتضمن إشارة لمفهوم الحافز Incentive وهو من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدوافع Motives (ص٣٥٤-٣٥٥،ص٣٦٣) ، وكذلك مفهوم الميل Tendency وهو أيضاً من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدوافع في علم النفس العام (ص٣٦٢-٣٦٣) .

٨- كتاب المراقبة والمحاسبة :

يتناول هذا الكتاب مقامات مرابطة النفس ، فيذكر ستة مقامات هي :

١- المشارطة : ويقصد بهذا المقام أن العقل يحتاج إلى مشارطة النفس ، فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها شروط الطاعة وعدم المعصية ، ويرشدها إلى طريق الفلاح.

٢- المراقبة : فإذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها لم يبق إلا المراقبة لها وملاحظتها قبل العمل وأثنائه ، وهناك مراقبة العبد في الطاعة وهو أن يكون مخلصاً فيها ، ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع عنها .

٣- المحاسبة بعد العمل : إذ ينبغي للعبد أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها ، وتعني المحاسبة النظر في رأس المال والربح والخسارة ، حتى يتبين الزيادة والنقصان ، فرأس المال هو الفرائض وربحه النوافل والفضائل ، وأما الخسارة فهي المعاصي .

٤- معاقبة النفس على تقصيرها : فإذا حاسب الإنسان نفسه ورأى منها تقصيراً أو فعلت شيئاً من المعاصي فلا ينبغي أن يهملها فإنه يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ، بل عليه أن يعاقبها عقوبة مباحة .

٥ - المجاهدة : إذا حاسب الإنسان نفسه ، فينبغى عندما يراها قد قارفت معصية أن يعاقبها كما سبق القول ، فإن رآها تتوانى بحكم الكسل فى شئ من الفضائل فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ، وإذا لم تطاوعه على الأوراد فإنه يجاهدها ويكرهها ما استطاع .

٦ – معاتبة النفس وتوبيخها : وفى هذا المقام الأخير من مقامات المرابطة تجب ملازمة النفس باللوم والتوبيخ ، وعدم الإغفال عن تذكيرها ، وعندما يقبل الإنسان على نفسه يخاطبها قائلاً مثلاً : " أنت جاهلة " أو " أنت غبية " حتى تصبح نفسه مطمئنة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب وما تضمنه من معان ومفاهيم ينطوى على بعض المفاهيم النفسية ذات الصلة بمصطلح الذات Self وهى : مراقبة الذات Self - monitoring ثم مفهوم تأنيب أو لوم الذات Self - blame (ص ٤٠٣ – ٤٠٩) ، مفهوم تهذيب النفس وتعديل السلوك (ص ٤٠٣ – ٤٠٩) .

٩– كتاب التفكر :

يتناول فضيلة التفكر ، مشيراً إلى أن الله تعالى قد أمر به فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين ، ثم يبين حقيقة الفكر وثمرته ، فيذكر أن التفكر هو إحضار معرفتين فى القلب يستثمر منهما معرفة ثالثة . مثال ذلك من أراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار فعليه أولاً أن يسمع من غير أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرد القول ويسمى هذا تقليداً ولا يسمى معرفة . ثم يعرف بعد هذا أن الأبقى أولى بالإيثار ، ويعرف أن الآخرة أبقى ، ويحصل نتيجة لهاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهى أن الآخرة أولى بالإيثار ، وهذه العملية تسمى تفكراً .

وأما ثمرة الفكر فهى العلوم والأحوال والأعمال ، وثمرته الخاصة العلم فقط .

وينتقل الغزالى بعد ذلك إلى بيان مجارى الفكر ، فالفكر قد يرى فى أمر يتعلق بالدين، أوما فيما يتعلق بغيره وهو ليس موضع الاهتمام هنا ، فأما ما يتعلق بالدين فيجرى فى أربعة أنواع هى : الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات ، والصفات المنجيات . حيث ينبغى أن تكون له جريدة يثبت فيها جملة هذه الأنواع الأربعة ويعرض ذلك على نفسه كل يوم .

ويكفى من المهلكات النظر فى عشرة هى : البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع ، حب المال ، وحب الجاه . وهى خصال مذمومة .

كما يكفى من المنجيات عشرة : الندم على الذنوب ، الصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء والزهد فى الدنيا والإخلاص فى الأعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع . وهى خصال محمودة .

ويختتم الغزالى هذا الكتاب ببيان كيفية التفكر فى خلق الله ، وأن التفكر فى ذاته

سبحانه ممنوع منه . وأما التفكر فى نعمه وآياته فهو مطلوب ومحمود وقد حث الله تعالى عليه فى كتابه العزيز .

ويتصل هذا الحديث عن الفكر والتفكر بموضوع التفكير Thinking(ص ٤٠٩ - ٤٣٢) كما يتضمن الإشارة لمفهوم التقليد Imitation (ص ٤١٢) وكذلك مفهوم المعرفة Cognition (ص ٤١٢ - ٤١٣) ، القيم الدينية (٤٠٩ - ٤٣٢) .

١٠ -كتاب ذكر الموت وما بعده :

يتناول الغزالى فى هذا الكتاب الأخير من ربع المنجيات عدداً من الموضوعات المتفرقة والتى تدور حول الموت . فيبدأ بالحديث عن فضيلة ذكر الموت وبيان الطريق فى تحقيقه فى القلب ، وفضيلة قصر الأمل ، وأن السبب فى طول الأمل هو حب الدنيا والجهل . ثم يتناول كيفية علاج ذلك . ويوضح مراتب الناس فيما يتعلق بطول الأمل وقصره ، وأنه لابد من ضرورة المبادرة إلى العمل والحذر من آفه التأخير .

ويتحدث بعد هذا عن سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده ، كما يتناول أيضاً وفاة الرسول ﷺ ، ووفاة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، وكلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين وأقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور ، والدعاء للميت وما يتعلق به .

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حقيقة الموت ، وكلام القبر للميت ، عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام ،وبيان منامات المشايخ رحمهم الله ، ثم يتناول صفات مجموعة من الأشياء المتعلقة بالقيامة والحساب وهى : نفخة الصور ، وأرض المحشر وأهله وطول يوم القيامة ، ومساءلة الله للعبد ، والميزان ، والخصماء ورد المظالم لهم ، والصراط ، والشفاعة والحوض ، وجهنم وأهوالها وأنكالها ، والجنة وأصناف نعيمها ، وحائطها وأراضيها وأشجارها وأنهارها ، ولباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وطعامهم ، والحور العين والولدان ، وكذلك الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

ويختتم الغزالى هذا الكتاب بحديث حول سعة الله تعالى من أجل غرس التفاؤل فى نفوس البشر

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس .

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس التربوى وعلم النفس الدينى ، وعلم النفس الاكلينيكى .

الغزالى ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)
معارج القدس فى مدارج معرفة النفس [١]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ٢٠٧ صفحة من القطع المتوسط ويشتمل على خطبة الكتاب . ثم بيان بترتيب الكتاب ، ومقدمة . وبعد ذلك موضوعات الكتاب الرئيسية ثم تنبيه ، ويختتم الكتاب بقصيدتين أولاهما القصيدة الهائية ، والثانية القصيدة التائية ، وأخيراً فهرس لموضوعات الكتاب .

ويبدأ الغزالى مقدمة الكتاب بتعريف المترادفات المتعلقة بموضع الكتاب ، وهى أربعة : النفس ، والروح ، والعقل . ويقدم معنيين للنفس ، الأول المعنى الجامع للصفات المذمومة ، وهى القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية ، وهو المفهوم عند الصوفية والمعنى الثانى يراد به حقيقة الآدمى وذاته ، لأنه نفس كل شئ حقيقته . أما القلب فيطلق ويراد به معنيان أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى جوف الإنسان من جانب اليسار (وهو ما عرف من خلال التشريح) وهو لكل الحيوانات ، وليس للإنسان فقط ، وهو يغنى بالموت والثانى الروح الإنسانى المتحمل لأمانة الله المتجلى بالمعرفة ، و مركز العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد . ومفهوم الروح يطلق ويراد به البخار اللطيف الذى يصعد من منبع القلب ويتصاعد إلى الدماغ بواسطة العروق إلى جميع البدن ، فيعمل فى كل موضع بحسب مزاجه واستعداده ، وهو مركب الحياة . كما يراد به أيضاً الروح الذى فى مقابلة جميع الملائكة وهو المبدع الأول ، وهو روح القدس . وفى معان أخرى يراد به القرآن . وأخيراً يطلق العقل ويراد به الفعل الأول ، وهو الذى يعبر عنه بالعقل ، ويعبر عنه أيضاً بالقلم كما ورد فى أحاديث الرسول ﷺ ويراد به كذلك النفس الإنسانية ، ويراد به صفة النفس وهو بالنسبة للنفس كالبصر بالنسبة للعين (وفى هذه الفقرة يعلمنا الغزالى درساً فى مناهج البحث العلمى ، فالمعروف الآن أن المدخل لدراسة أى مفهوم يكون بتعريفاته الإجرائية Operational definitions الدقيقة ، وهو ما قدمه للمفاهيم الأربعة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يحدثنا عن الإدراك البصري Visual perception وهو أحد الموضوعات التى تدرس فى علم النفس العام ، وعلم النفس التجريبى (ص ١٥ – ١٨) .

(١) تحقيق لجنة إحياء التراث ط ٥ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨١ . ٢٠٤ ص .

وبعد ذلك يحاول الغزالى أن يثبت وجود النفس ، فيؤكد أن النفس لا تحتاج إلى دليل لإثباتها ، فقد ثبت وجودها ، وهي جوهر ، منزه عن المادة والصور الجسمانية . ثم يقدم لنا تقسيماً يظهر فيه مبادئ الأفعال ، فيقول : إن مبادئ الفعل موجودة فى قوى الطبيعة ، وفى النبات ، وفى الحيوان . ويتميز الإنسان بأنه له تعقل ، ومع التعقل اختيار فى الفعل والترك وهو النفس الإنساني . كما يفرق كذلك بين النفس النباتى والحيوانى ، والإنسانى ، والفلكى .ويرى أن النفس الإنسانى هى الكمال الأول لجسم طبيعى آلى يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلى والاستنباط بالرأى من ناحية ، ويدرك الأمور الكلية من ناحية أخرى . ويستطرد الغزالى بعد ذلك ليبرهن على أن النفس جوهر ، وليس بعرض ، ويرى أن ذلك ثابت من جهة الشرع والعقل . فجميع خطابات الشرع ، والعقوبات الواردة فى الشرع بعد الممات تدل على أن النفس جوهر . ومن جهة العقل ، يثبت ذلك من وجهتين ، أحدهما عام يمكن إثباته مع كل فرد ، إذا علمنا أن حقيقة الإنسان ليس عبارة عن الجسم فحسب . والثانى خاص يلتفت إليه الخاصة والمنصفون ومن لديه دقة الفهم والتصور . ويزيد هذا البرهان وضوحاً من جهة الإدراك ، لأننا ندرك ذواتنا فى جميع الأحوال . وموضوع الإدراك قد يكون أحد المشاعر الظاهرة أو العقل أو قوة غير المشاعر (والغزالى هنا يقترب كثيراً من بعض موضوعات علم النفس أو بالأدق موضوعه الرئيسى ، وهو السلوك Behaviour ظاهراً كان أم غير ظاهر (ص ١٩ – ٢٥) . والنفس وإن كانت جوهر ، فليس لها مقدار ولا كمية ولا مساحة ، ولا تدرك حساً ولا يدركها جسم ، وإدراكها لا يكون بآلات جسمانية . ويبرهن الغزالى على ذلك من خلال براهين عقلية ، وأمثلة من واقع الحياة تدل على اتصال بعلم الهندسة . ثم يناقش مسألة انطباع النفس فى البدن . ويستدل على عدم انطباعها ، بأنها لا تضعف مع ضعف البدن . بل إنه بعد عمر الأربعين تكون القوة البدنية فى انحطاط ، والقوة العقلية فى الزيادة والارتفاع (ص٢٧ –٣٥) (وهو هنا مبدأ من مبادئ الارتقاء التى يعني بها علماء النفس الارتقائى Developmental Psychology فى مختلف جوانب السلوك . وبرغم الاتفاق حول المبدأ فإن هناك خلافاً بسيطاً بين كلام الغزالى هنا ، وما توصل إليه علماء النفس المحدثون حول ارتقاء ونمو القدرات العقلية . فهى تخضع لنفس مبدأ الارتقاء وهو النمو المطرد السريع فى البداية ، ثم النمو البطئ ، فالاستقرار ، فالانخفاض البطئ ، فالتدهور السريع بعد ذلك وإن كانوا فى نفس الوقت يعترفون بأن الهبوط فى القدرات العقلية ليس عاماً وإنما نوعيا Specific أى يصيب بعضها ، بينما يستمر البعض الآخر فى النمو ، أو يظل فى نفس مستواه) .

وينتقل بنا الغزالى – بعد ذلك – ليحدثنا عن القوى الحيوانية التى تنقسم إلى قوى

محركة وقوى مدركة . والمحركة إما أن تكون محركة على أنها باعثة على الفعل أو على أنها فاعلة ، والباعثة إما أن تكون على جذب النفع (وهو مـا يعبر عنـه بالشـهوة) أو دفع الضرر (وهى التى يعبر عنهـا بـالغضب) (ويلاحـظ أن الشـهوة يمكـن أن تقـابل الدافع Motives ، والغضب أحد الانفعالات والموضوعات ممـا يـدرس فـى علـم النفـس العام ص ٣٧) . أما القوة المحركة كفاعلة فهى قوة تنبعث فـى الأعصـاب والعضـلات (وهى ما يعبر عنه بالقدرة) والباعثة هى الإرادة . ويقسم القـوى المدركـة إلى قسـمين : مدركة من الظاهر ، وتنقسـم بدورهـا إلى خمسـة أقسـام ، هـى الحـواس الخمـس . أمـا القوى المدركة من باطن فتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، منها ما يدرك ولا يحفظ ، ومنهـا مـا يحفظ ولايعقل ومنها ما يدرك ويتصرف . ثم المدرك إمـا أن يـدرك الصـورة وتـارة فـى المعنى (ص٤١ - ٤٨) (وهـو هنـا يحدثنـا مفصـلاً ممـا يدخـل فـى دراسـات الإدراك بمختلف أنواعه من ناحية ، ويدخل فـى سيكولوجية اللغـة Psycholinguistics خاصـة حديثه عن المعنى) . وينتقل بعد ذلك إلى القوى الخاصة بالنفس الإنسانية ، ويرى أنهـا تنقسم إلى قوة عاملة وإلى قوة عالمة ، وكل منها تسمى عقلاً . والعاملة هى مبدأ تحريك البدن إلى أفاعيل (أو بلغـة علـم النفـس الحديـث إلى استجابات Responses أو أنمـاط السلوك Types of behaviour (ص٤٩) . والعالمـة توجـه إلىالمبـادئ العاليـة والعقـول بالفعل ، وإذا كانت النفس الإنسانية متشابهة فـى النـوع ، فهـى مختلفـة فـى الشـخص والعين بحسب اختلاف العوارض المشخصة . ويبين الغـزالى مراتـب العقـل اشـتقاقاً مـن الآية القرآنية ﴿ **الله نور السموات والأرض ...** ﴾ وذلك على سـبيل التشبيه . كمـا يحدثنا عن تظاهر العقـل والشـرع وافتقـار أحدهمـا إلى الآخـر . فـالفعل لا يهتـدى إلا بالشرع والشرع لم يتبين إلا بالعقل . فالعقل كالاساس ، والشرع كالبناء .

ويعود الغزالى للحديث عن حقيقة الإدراك (وهو موضوع رئيسى فـى علـم النفـس الحديث كما أسلفنا القول) ويعرف الإدراك بأنه أخذ صورة المدرك ، ومراتب الإدراك فى التجريد وهى أربع : الأولى الحس ، والثانية إدراك الخيال وتجريـده ، والمرتبـة الثالثـة إدراك الوهـم وتجريـده ، والرابعـة والأخـيرة ، إدراك العقـل ، وهـو التجريـد الكـامل . (ص٦١ - ٦٢) . وتحت عنوان "سؤالات وانفصالات ، تحتها نفائس من العلوم" يقـدم الغزالى إجابات عن ١٦ سـؤالاً تـدور حـول العقـل ، والمعقـولات ، وملابســة النفـس للبدن ، وتفاوت النفوس فى قبول المعقولات واتصال الفيـض الإلهـى بهـا ، وكيـف أن النفس الإنسانية تعقل المعقولات مرتبة ، وأن الصورة المعقولة إذا اتصلـت بـالنفس فهـى مدركة ، وعندما تقوى النفس تستغنى عن التفكير وتحصيـل المقدمـات . وأخيراً وجـه تأثير الطاعات والمعاصى والفضائل والرذائل فى النفس . ويعرج بعد ذلك ليحدثنـا عـن

منشأ الفضائل والرذائل . ويرى أن أكثر الفضائل والرذائل إنما تنشأ من ثلاث قوى فى الإنسان : قوة التخيل ،وقوة الشهوة ، وقوة الغضب ، وهى معينات للنفس ومثبطات . والقوة المتخيلة ذات وجهين : أحدهما يلى جانب الحس ، والثانى يلى جانب العقل . والقوة الشهوية فيها مضرة منفعة ، وهى أصعب إصلاحاً من سائر القوى لأنها أقدم القوى وجوداً فى الإنسان . أما القوى الغضبية فهى شعله نار ، تنزع إلى الشيطان الرجيم ، ومن استفزته نار الغضب فقد قويت قرابة الشيطان (والحديث هنا مقابل بعض موضوعات علم النفس الحديث كالدوافع ، والانفعالات ، والجانب العقلى بصفة عامة) . (ص ٦٣ – ٧٥) . وبعد ذلك يذكر لنا أمهات الفضائل وهى الحكمة ، والشجاعة والعفة ، والعدالة .

وبعد ذلك يوصل حديثه عن النفس وحاجتها إلى البدن ، ويناقش مسألة ما إذا كانت الأرواح البشرية حادثة أم لا ، والأدلة على ذلك . كما يقدم البراهين المنقولة والمعقولة على بقاء النفس ، وأنها لا تموت بموت البدن ، ولا تفنى مطلقاً .

ويرى الغزالى أن مسألة إثبات العقل المفارق الفعال ، والعقل المنفعل فى النفوس الإنسانية ومرتب العقول ، أظهر من أن تثبت شرعاً لورود ذلك واضحاً فى النصوص .

ويذكر قاعدة فى النبوة والرسالة ، ويحاول أن يبين أن الرسالة لا تقتنص بالجد ، ويبين كذلك ما إذا كانت الرسالة مكتسبة أم أثرة ربانية . ويزلف بعد ذلك إلى عالم ما بعد الموت وما به من سعادة أوشقاوة ، وهو ما يعرف من الأنبياء لأنهم الذين اطلعوا على أحوال الموت وحيا وإخباراً . وعلى أى حال ، فإن النفس بعد المفارقة ، إذا كانت قد فارقت الحياة قبل أن تكتسب حقاً أو باطلاً فهو من أهل النجاة لا مستريح منعم ولا معذب . إن كانت متعقدة وهمية فاسدة مضادة للحق وأضاف إليها أعمالاً على خلاف الشرع فهو فى عذاب مقيم .

ويختتم الغزالى كتابه ببيان حقيقة اللقاء والرؤيا كما ورد فى الآيات القرآنية ومراتب الناس فيها . ويشرح معرفة الحق جل جلاله ، ومعرفة صفاته وأفعاله ، لأن المبادئ إنما تراد للنهايات ، والنهايات إنما تظهر للمبادئ فكل علم لا يودى إلى معرفة البارى جل جلاله ، فهو عديم الجدوى والفائدة . ومن عرف صفات الله وأفعاله ، عرف ترتيب أفعال الله وأقسامها .

وقد وجدنا فى خاتمة الكتاب قصيدتين أحدهما القصيدة الهائية ، والثانية القصيدة التائية ، وقد نشرت دون شرح أو تعليق .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام .

الغزالى ، أبو حامد (ت – ٥٠٥ هـ) [1]
المحبة والشوق والأنس والرضا

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط ، ويدور مضمونها حول بيان أن محبة الله تعالى هى الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها ، كالتوبة والصبر والزهد وغيرها ، وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها ، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى . وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال ، ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ، ولابد من كشف الغطاء عن هذا الأمر .

وقد بدأ المؤلف الكتاب ببيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تعالى ، وأن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض ، ثم تناول بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى ، ثم تناول أصول المحبة ، حيث أوضح أن أول ما ينبغى أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك ، إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد ، بل هو من خاصية الحى المدرك . أما الأصل الثانى : فيعنى أن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس ، فكل حاسة إدراك ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، فلذة العين فى الإبصار ، وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ، ولذة الأذن فى النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم فى الروائح الطيبة ، ولذة الذوق فى الطعوم ، ولذة اللمس فى اللين والنعومة .

أما الأصل الثالث : فيعنى أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه ، هـذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته .

والحق أن ذلك متصور وموجود ، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها ، وبيانه أن

(١) د ١ . القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٦١ . ١٣٥ ص .

المحبوب الأول عند كل حى نفسه وذاته . والسبب الثانى الإحسان ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها . والسبب الثالث : أن يحب الشئ لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هوالحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن . أما الأصل الرابع : فهوفى بيان معنى الحسن والجمال . وفيه يوضح المؤلف أن المحبوس فى مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة ، إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان ، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاهم إلى صور الأشخاص ، فيظن أن ما ليس مبصراً ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا متلوناً مقدر فلا يتصور حسنه ، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن فى إدراكه لذة فلم يكن محبوباً وهذا خطأ ظاهر ، فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة . فإنا نقول : هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن ، بل تقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن ، فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا فى الصورة ؟ . ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن ، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ، وما من شئ من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح ، فما معنى الحسن الذى تشترك فيه الأشياء ، فلابد من البحث عنه وهذا البحث يطول ، ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه ، فنصرح بالحق ونقول : كل شئ فجماله وحسنه فى أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يلتق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يلتق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ، ولكل شئ كمال يلتق به ، وقد يلتق بغيره ضده ، فحسن كل شئ فى كماله الذى يلتق به ، فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأوانى بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء .

فإن قلت : فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحسن البصر مثل الأصوات والطعوم ،فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهى محسوسات ، وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها ، وإنما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس .

ويرتبط هذا الجزء ببعض المفاهيم السيكولوجية هى الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب (ص ٤ - ١٧) ، وأسباب الحب (ص ٨ - ١٣) ، والإدراك Perception (ص ٨ -٩) والقيمة الجمالية (ص ١٣ - ١٧) .

وبعد ذلك تناول المؤلف بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى ، وحب الرسول ﷺ محمود لأنه عين حب الله تعالى ، ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ، ولا مستحق للمحبة سواه .

وبعد ذلك تناول بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة ، وبيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا ، وبيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ، وبيان السبب فى تفاوت الناس فى الحب ، وبيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى ، وبيان معنى الشوق إلى الله تعالى ، وبيان محبة الله للعبد ومعناها . ثم تناول بعض الأقوال فى علامات محبة العبد لله تعالى .

ويرتبط الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى الرغبات Desires (ص٣٠- ٤٥) ، والفروق الفردية فى الحب Individual Differences (ص ٥٣ - ٥٤) ، والانفعالات (وبخاصة الحب) (ص ١٨ - ٨٩) .

وبعد ذلك تناول معنى الأنس بالله تعالى ، وبين أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه فى وقته ، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه ، وتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب ، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشره القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسا ، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال و البعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً ، وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات ، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها ، فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال ، حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق ، فقال : لا إنما الشوق إلى غائب ، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشتاق ؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح

بما ناله غير ملتفت إلى ما بقى فى الإمكان من مزايا الألطاف ، ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا فى الانفراد والخلوة ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الانفعالات (وبخاصة الحب) (ص٩٠-٩٢) .

وبعد ذلك تناول المؤلف بيان معنى الانبساط والإدلال الذى تثمره غلبة الأنس ، وبعض الأقوال فى معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد فى فضيلته على أساس أنه ثمرة من ثمار المحبة وأنه من أعلى المقامات ، ثم بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى ، وبيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحب عن مقام الرضا . وبيان أن الفرار من البلاد التي هى مظان المعاصى ومذمتها لا يقدم فى ، وبيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى الانفعالات (وبخاصة الحب) (ص ٩٣ - ١٣٣) والرضا النفسى (ص٩٨-١١٩) .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام .

الغزالى ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، فاتحة العلوم [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على سبعة أبواب نعرض لها على النحو التالى :

الباب الأول : فى فضيلة العلم ومذمة علماء السوء . وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : فى فضيلة العلم ، ويستشهد فيه المؤلف ببعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة التى توضح أهمية العلم والعلماء . ومن ذلك قوله تعالى **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾** [فاطر : ٢٨] .

ولعل ذلك يرتبط بقيمة Value العلم وتقدير العلماء ، مما يعطيهم مزيداً من الثقة وتقدير الذات Self - esteem (ص ٢ - ٣) .

الفصل الثانى : فى فضيلة طالب العلم . فالعلم غير مختص بالرتبة والفضيلة بل طالب العلم وهو يجد فى طلب العلم وإن لم يظفر به له من الرتبة والفضل العظيم ما يعظم قدره .

الفصل الثالث : فى فضيلة الإرشاد والتعليم ، فقد رفع الله سبحانه وتعالى درجة العلماء المعلمين الداعين إلى الله سبحانه وتعالى وإلى طريقه فقال تعالى : **﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾** وقال لرسوله : **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾** .

ويرتبط هذا الفصل بعمليات التوجيه والإرشاد الدينى Religious Counselling (ص٤) .

الفصل الرابع : فى بيان العلم والتعلم من حيث الشواهد العقلية . ويتحدث فيه عن فضل العلم وشرفه على العاقل . والفضل عبارة عن الزيادة والزيادة تتوجه إلى الكمال والكمال هو الغاية المطلوبة بالزيادة ، والفضل والعلم كمال على الإطلاق لا بالإضافة .

يرتبط هذا الفصل بمفهوم التعلم Learning ، والتعليم Teaching (ص ٥ - ٦) .

الفصل الخامس : ويتحدث فيه عن مذمة علماء السوء وسوء حالهم عند الله تعالى ، فعلى الرغم من علو مرتبة العلم وشرفه ، فإن له خطورته - خاصة إذا لم يعمل العالم بعلمه ويرشد ويوجه الآخرين إلى خير الطريق ، وقد شبهه الله تعالى بالحمار وهو أشد الحيوانات حمقاً وبلادة قال تعالى : **﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾** .

---

(١) ط ١ . القاهرة : أحمد ناجى الجمالى ، محمد أمين الخانجى ، [٥ : ١٩] . ٧٠ ص .

الباب الثانى : فى تصحيح النية فى طلب العلم .

وهو أول واجب على المتعلم والمعلم فإن تحصيل العلم عبادة ، بل هو أفضل العبادات وأصل العبادات كلها النية ، قال رسول الله ﷺ : " إنما الإعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امراة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " . ويوضح المؤلف فى الفصل أهمية طلب العلم لوجه الله عز وجل ، وأن من يطلب العلم لغير الله يستوجب العقاب مستشهداً فى ذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة .

ويرتبط ما ورد فى هذا الباب بمفهوم النية أو المقصد intention أحد الجوانب أو المتغيرات الهامة فى عمليات تغيير الاتجاهات (انظر ص : ٨ -١٦) .

الباب الثالث : فى العلامة الفاصلة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة .

ويقسم فيه المؤلف العلماء إلى فئتين هما علماء الدين وهم الأبرار علماء الآخرة ، وعلماء السوء وهم الأشرار علماء الدنيا . ويبين أن من علامات علماء الآخرة : أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرافها وعظم الآخرة وشرفها ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادان ، وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما ارتفعت الأخرى فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وقرب انصرافها فهو فاسد العقل .

ويرتبط ذلك بشكل غير مباشر بقيمة العلم والنظر إليه من زاوتين : الأولى : العلم كقيمة وسيلية فى الحياة الدنيا Instrumental ، والثانية : كقيمة غائية End or teminal لأهداف بعيدة (الحياة الآخرة) . (ص ١٧ - ٣٤) .

الباب الرابع : فى أقسام العلوم .

الفصل الأول : فى أقسام العلوم .

ويوضح فيه أن العلوم تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، ويعنى بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما لا يرشد إليه العقل كالحساب ، ولا التجربة كالطب ولا السماع كاللغة . وتنقسم العلوم الشرعية إلى أضرب : الضرب الأول : الأصول وهى أربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة . الضرب الثانى : الفروع وهو ما فهم من الأصول . الضرب الثالث : المقدمات وهو الذى يجرى منه يجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنه آلة لمعرفة كتابة الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الضرب الرابع : المتممات ، وذلك فى علم القرآن مثلاً ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءة ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير المنقول .

الفصل الثانى : فى بيان فروض الأعيان من جملة العلوم .

فقد قال رسول الله ﷺ " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " . واتفقت الأمة على أن من العلوم ما هو فرض عين على مسلم ، واختلفوا فى تعيينه وتحزبوا فيه أكثر من عشرين حزبا ، ولا نطيل فى ذلك ، ولكن ملخصه أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هوبصدده ولم تسمح نفسه بأن يكون العالم القائم بأهم العلوم غيره والأهم ما هو فرض العين لا محالة فقال المتكلمون هو علم الكلام ، وقال الفقهاء هو علم الفقه ، وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب و السنة .... الخ .

الفصل الثالث : فيما هو فرض كفاية من العلوم .

ويوضح فيه المؤلف أن العلوم الدينية التى ذكرنا من الأضرب الأربعة كلها من فروض الكفايات إذ آحادها قد تصير فرض عين على الآحاد على اختلاف الأحوال فيكون جملتها فرض كفاية على معنى أنه لو خلى البلد عمن يقوم بعلم منها عم الحرج أهل البلد كافة .

الفصل الرابع : فى تفضيل علوم الآخرة .

فالعلوم تنقسم – كما سبق أن أشرنا – إلى ما يتعلق بمصالح الدنيا كعلم الفقه وإلى ما يتعلق بسلوك طريق الآخرة ، والتى تنقسم إلى علم مكاشفة ، وإلى علم معاملة أى ما يراد من علمه العمل ، أما علم المكاشفه فهو ما يراد منه الكشف والمعرفة فقط دون العمل ، وعلم المكاشفة هو غاية العلوم ومقصدها بل هو المراد من جميع العلوم ، وجميع العلوم إنما يراد للتوسل والتضرع بها إليه .

الفصل الخامس : فى بيان العلم الأقصى وبيان نسبة العلوم إليه بالموازنة بمثال لكى تعرف مراتب العلوم فلا تؤثر الأدنى على الأرفع والتابع على المتبوع . ويقول فيه إن العزيز والرفيع إنما يكون عزيزاً بالإضافة إليك وإلى ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة فإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد وهى السعادة الأبدية ، ومنذ ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيا إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله .

الباب الخامس : فى شروط المناظرة وآفاتها وبيان سبب إقبال الخلق عليها .

ويشير فيه المؤلف إلى المناظرة فى أحكام الشرع من الدين ، وأن لها شروطاً ووقتاً ومحلاً فمن اشتغل به وقته ومحله وقام بشرطه فقد اقتدى بالصحابة – فإنهم تشاوروا في مسائل –وبالسلف الصالح ، فإنهم ما تناظروا إلا لله ولطلب ما هو حق عند الله ولكن لمن يتناظر لله وفى الله علامات (الأولى) أن لا يشتغل به وهو فرض كفاية إلا بعد الفراغ عن فرض العين ، (الثانية) أن لا يترك فرض كفاية آخر أهم من المناظرة ، (الثالثة) أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه لا بمذهب غيره ، (الرابعة) أن يناظر فى

واقعة أو فى مسألة قريبة من الوقوع ، (الخامسة) أن تكون المناظرة فى الخلـوة ، فهـى أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك الحق ، والنزاهة ، (السادســة) أن يكـون فـى طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين أن يظهر على يده أو على يد غيره ، (والسابعة) أن ينتقل من دليل إلى دليل ومن سؤال إلى سؤال هكذا كانت مناظرة أهل الدين .

أما عن آفات المناظرة وما يتولد عنها من مهلكات الأخلاق ، فهى من الأمور المنهى عنها . فالمناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والمباهاة والتشوق لإظهار الفضل هو منبـع جميـع الأخلاق المذمومة عند اللـه تعـالى المحمـودة عنـد عـدوه إبليـس ونسـبتها إلى الفواحـش الباطن من الكبر والعجب والرياء والحسد والمنافسة .

الباب السادس : فى آداب المعلم والمتعلم .

فمن آداب المعلم :

١ – تقديم طهارة نفس القلب عن رذائل الأخلاق وخبائث الصفات .

٢ – أن يقلل علاقاته من إشغال الدنيا ويبعد عن الأهل والوطن .

٣ – أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على أهله .

٤ – أن العمر إذا كان يتسع لجميع العلوم فالحزم أن يأخذ من كل شئ أحسنه .

٥ – أن يعرف السبب الذى به يدرك شرف العلوم .

٦ – أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه بنعوت الكمال وفى المآل التقـرب إلى حضرة الجلال والترقى إلى جوار الملأ الأعلـى مـن الملائكـة والمقربـين ولا يقصـد بـه الرياسة والمباهاة والتقدم على الأقران .

وعلى المشتغل بالتعلم أن يحفظ آدابه ووظائفه السبع وهى :

١ – الشفقة على المتعلمين .

٢ – أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فـلا يطلـب علـى إفاضـة العلم أجراً ولا يقصد جزاءً ولا شكراً .

٣ – أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئاً .

٤ – أن يزجـره عـن سـوء الأخـلاق بـالتعريض لا بصريـح النهـى وبطريـق اللطـف والنصح لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة .

٥ – أن المتكفل ببعض العلوم لا ينبغى أن يقبح فى عين المتعلم ما عداه .

٦ – أن لا يلقى إلى المتعلم ما لا يحتمله .

٧ – أن يكون عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله بفعله .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية المعلم والخصائص أو الصفات التى يجـب أن تتوفر به لكى يكون مصدراً تربوياً جيداً فى توصيل رسالته (ص ٥٦ –٦٣) .

الباب السابع : فيما يحل للعلماء أخذه من أموال السلاطين وغيرهم .

ويتحدث فيه المؤلف عن فضل الورع ، وأنواع الورع على أربع درجات هى ورع العدول عن المعاصى ، وورع الصالحين ، وورع المتقين ، وورع الصديقين وهو أن يحترز عن جميع ما هو منفك عن الآفات . ثم عرض المؤلف بعد ذلك لما يأخذه العلماء من أموال السلاطين وهو على ثلاثة أقسام : الأول : ما يعلم حله وهو المال المأخوذمن الكفار على سبيل القهر والغلبة . الثانى : ما يقابل هذا وهو الذى يعلم تحريمه . الثالث : وهو ملتبس يجب البحث عنه . وفى النهاية يختتم المؤلف حديثه عن وجوب رد الحلال على السلاطين الظلمة ولزوم التنزه عن ذلك .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس التربوى وعلم النفس الاجتماعى .

الغزالى ، أبوحامد (ت – ٥٠٥ هـ) ، الاقتصاد فى الاعتقاد [(١)]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب أربع تمهيدات تجرى التوطئة والمقدمات ، وعلى أربع أقطاب تجرى مجرى المقاصد والغايات .

التمهيد الأول : فى بيان أن العلم من المهمات فى الدين .

التمهيد الثانى : فى بيان أنه ليس مهما لجميع المسلمين بل لطائفة منهم مخصوصين .

التمهيد الثالث : فى بيان أنه من فروض الكفايات لامن فروض الأعيان .

التمهيد الرابع : فى تفصيل مناهج الأدلة التى وردت فى هذا الكتاب .

وأما الأقطاب المقصودة فأربعة وجملتها مقصورة على النظر فى الله تعالى فإذا نظرنا فى العالم لم ننظر إليه من حيث إنه عالم وجسم وسماء وأرض بل من حيث إنه صنع الله سبحانه .

وإن نظرنا فى النبى ﷺ لم ننظر فيه من حيث إنه إنسان شريف وعالم فاضل بل من حيث إنه رسول الله . وإن نظرنا فى أقواله لم ننظر من حيث إنها أقوال ومخاطبات بل من حيث إنها تعريفات بواسطته من الله تعالى فلا ننظر إلا فى الله ولا مطلوب سوى الله وجميع أطراف هذا العالم يحصرها النظر فى ذات الله تعالى وفى صفاته سبحانه وفى أفعاله عز وجل وفى رسول الله ﷺ وما جاء على لسانه من تعريف الله تعالى فهى إذاً أربعة أقطاب :-

القطب الأول : النظر فى ذات الله .

وأوضح فيه أنه قديم وأنه باق وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا محدود بحد ولا هو مخصوص بجهة وانه مرئى كما أنه معلوم وانه واحد ، وهذه عشرة دعاوى بينها فى هذا القطب .

القطب الثانى : فى صفات الله تعالى .

وأوضح فيه أنه حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم وأن له حياة وعلماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً وكلاماً . وذكر أحكام هذه الصفات ولوازمها وما يفترق فيها وما يجتمع فيها من الأحكام وأن هذه الصفات زائدة على الذات وقديمة وقائمة بالذات ولا يجوز أن يكون شئ من الصفات حادثاً .

---

(١) ط٢– القاهرة : أحمد ناجى الجمالى ، محمد أمين الخانجى ، [١٩٠٩] . ١٠٠ ص .

القطب الثالث : فى أفعال الله تعالى .

وفيه سبعة دعاوى وهو أنه لا يجب على الله تعالى التكليف ولا الخلق ولا الثواب على التكليف ولا رعاية صلاح العباد ولا يستحيل منه تكليف مالايطاق ولا يجب عليه العقاب على المعاصى ولا يجب عليه بعثة الأنبياء عليهم السلام بل يجوز ذلك وفى مقدمة هذا القطب بيان معنى الواجب والحسن والقبيح .

القطب الرابع : فى رسل الله .

وما جاء على لسان رسولنا محمد ﷺ من الحشر والنشر والجنة والنار والشفاعة وعذاب القبر والميزان والصراط وفيه أربعة أبواب نعرض لها على النحو التالى :

الباب الأول : فى إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ :

حيث توجه ثلاث فرق تفترق فى إثبات النبوة : الأولى : العيسوية وذهبوا إلى أنه رسول إلى العرب فقط لا إلى غيرهم وهذا ظاهر البطلان . الثانية : وهم اليهود الذين أنكروا صدقه لا بخصوص نظر فيه وفى معجزاته بل زعموا ألا نبي بعد موسى عليه السلام ، فأنكروا نبوة محمد وعيسى عليهما السلام . الثالثة :وهم يجوزون النسخ ولكنهم منكرون نبوة نبينا من حيث إنهم ينكرون معجزته فى القرآن .

الباب الثانى : فى بيان وجوب التصديق بأمور ورد بها الشرع وقضى بجوازها العقل وفيه مقدمة وفصلان .

أما المقدمة فهو أن مالا يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل وإلى ما يعلم بهما . أما الفصل الأول ففى بيان قضاء العقل بما جاء الشرع به من الحشر والنشر وعذاب القبر والصراط والميزان .والفصل الثانى فهو فى الاعتذار عن الإجلال بفصول شحنت بها المعتقدات .

الباب الثالث : فى الإمامة ، النظر فيها على ثلاثة أطراف .

الطرف الأول : فى بيان وجوب نصب الإمام . ولا ينبغى أن تظن أن وجوب ذلك فيه فوائد فى الدنيا . ولكن تقيم البرهان القطعى الشرعى على وجوبه ولسنا نكتفى بما فيه من إجماع الأمة بل ننبه على مستند الإجماع ونقول نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام وهذه مقدمة قطعية ولا يتصور النزاع فيها .

الطرف الثانى : فى بيان من يتعين من سائر الخلق لأن ينصب إماماً . فالتخصيص على واحد نجعله إماماً بالتشهى غير ممكن فلابد له من تمييز بخاصية يفارق سائر النزاع فيها .

الطرف الثالث : فى شرح عقيدة أهل السنة فى الصحابة والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

الباب الرابع : فى بيان من يجب تكفيره من الفرق المبتدعة .

فقال من كذب محمد ﷺ فهو كافر أى مخلد فى النار بعد الموت ومستباح الدم

والمال فى الحياة – إلا أن التكذيب مراتب : الرتبة الأولى : تكذيب اليهود . الرتبة الثانية : تكذيب البراهمة المنكرين لأصل النبوات والدهرية المنكرين لصانع العالم . الرتبة الثالثة : الذين يصدقون بالصانع والنبوة النبى ولكن يعتقدون أموراً تخالف نصوص الشرع . الرتبة الرابعة : وهم المعتزلة والمشبهة والفرق كلها سوى الفلاسفة ، وهم الذين يصدقون ولا يجوزون الكذب لمصلحة وغير مصلحة ولا يشتغلون بالتعليل لمصلحة الكذب بل بالتأويل ولكنهم مخطئون فى التأويل فهؤلاء أمرهم في محل الاجتهاد والذى ينبغى أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً .

أما فيما يتعلق بعلاقة ما ورد فى هذا الكتاب : الاقتصاد فى الاعتقاد بعلم النفس فيكمن تحديده إجمالاً وبشكل عام فى الآتى :

١- يرتبط بعدد من المفاهيم التى تدخل فى إطار علم النفس الاجتماعى Social Psychology خاصة مفهوم الاعتقاد Belief ، والإيمان Faith ، والتصديق والشك .... موضحاً مظاهرها وأنواعها ومستوياتها .

٢- موضوع القيادة Leadership وخصائصها خاصة فى الباب الثالث عند حديث المؤلف عن الإمامة .

يلاحظ أن الغزالى فى تناوله للقطب الثالث وأثناء مناقشته للنقطة الثالثة وهي " سبق الوهم إلى العكس فإن ما رؤي مقروناً بالشئ أيضاً لا محالة يكون مقروناً مطلقاً " وقد ذكر الغزالي بعض الأمثلة لتوضيح ذلك فقال : " إن السليم الذي نهشته الحية يخاف من الحبل المبرقش اللون ... وسببه أنه إدرك المؤذي وهو متصور بصورة حبل مبرقش فإذا أدرك الحبل سبق الوهم إلى العكس وحكم بأنه مؤذ فينفر الطبع تابعاً للوهم والخيال وإن كان العقل غير مكترثاً به (ص ٦٩) .. ثم يقول الغزالي بعد ذلك . " خلقت قوى النفس مطيعة الأوهام والتخيلات بحكم إجراء العادات حتى إذا تخيل الإنسان طعاماً طيباً بالتذكر أو بالرؤية سال فى الحال لعابه .... " . وفى مناقشة الغزالي يلاحظ أنه فطن إلى الاقتران بين شئ ما (مثل الحية أو الطعام) وبين استجابة ما مثل الأذى الذي يسبب النفور والتجنب عند رؤية الحية ، أو سيلان اللعاب لرؤية الطعام ؛ فإنه يحدث بعد ذلك أن يستجيب الإنسان بمثل هذه الاستجابة إذا رأى هذا الشئ أو شيئاً فى صورته وهذا هو عملية الاشتراط Conidtioning التي وصل إليها فيما بعد إيفان بافلوف عن طريق التجارب على الحيوانات .. وقد لاحظ ذلك ابن سينا من قبل وأشار إلى ذلك بوضوح أثناء كلامه عن القوة الوهمية ويبدو أن الغزالي قد أخذ هذه الفكرة عن ابن سينا ؛ لأن الغزالي يذكر نفس الأمثلة التي قال بها ابن سينا من قبل . وقد شرحت هذا الموضوع بالتفصيل أثناء كلامى عن القوة الوهمية فى كتاب : الإدراك الحسى عند ابن سينا) (من مطبوعات دار الشروق ، ط٣)

الغزالى ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، ميزان العمل [١]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يتناول هذا الكتاب بيان عدد من الموضوعات المتعلقة بالسعادة الأخروية ، والسبل التى تؤدى إليها ، ومعيار العلم والعمل الذين يحققان هذه السعادة .

يبين الغزالى أولاً أن السعادة الأخروية هى مطلوب الأولين والآخرين ، ولا تنال هذه السعادة إلا بالعلم والعمل ، والفتور عن طلبها حماقة لأنها السعادة الباقية أما لذات الدنيا فهى منقضية ، والعاقل يترك القليل رغبة فى الكثير ، ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة لضعف إيمانهم باليوم الآخر . كذلك فإن فتور الإيمان حماقة أيضاً ، وأن الناس فى أمر الآخرة أربع فرق : فرقة اعتقدوا الحشر والنشر والجنة والنار كما نطقت بها الشرائع وهم المسلمون كافة . وفرقة ثانية هم بعض الإلهين الإسلاميين من الفلاسفة اعترفوا باللذة العقلية وأنكروا وجود الحسيات من خارج وأثبتوها على طريق التخيل فى النوم . وفرقة ثالثة ذهبوا إلى إنكار اللذة الحسية جملة بطريق الحقيقة والخيال . وفرقة رابعة وهم جماهير من الحمقى ، ذهبوا إلى أن الموت عدم محض وأن الطاعة والمعصية لا عاقبة لهما .

كما يبين أن العلم والعمل هما طريق السعادة ؛ ولكن يعرف الإنسان ذلك عليه أن يلتفت إلى ما اتفق عليه آراء الفرق الثلاثة وهى أهل الظاهر والصوفية والفلاسفة حيث أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا يحصلان إلابالعلم والعمل معاً ، كما يجب على الإنسان أن يتعلم أن سعادة كل شئ ولذته وراحته فى وصوله إلى كماله الخاص به ، وأن هذا الكمال الخاص بالإنسان هو إدراك حقيقة العقليات على ما هى عليه دون الحسيات التى يشاركه فيها الحيوانات ، كما أن النفس متعطشة إلى هذا الكمال ومستعدة له بالفطرة ، وما يصرفها عنه هو اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه ، وإذا أقبل الإنسان بالتفكر والنظر على مطالعة الكون ومطالعة نفسه فقد وصل إلى كماله الخاص ، إذ لا معنى للسعادة إلا نيل النفس كمالها الممكن لها .

ويرتبط مفهوم السعادة بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١١ -٢٣) ، كما يتصل مصطلح الشهوة أو اللذة بموضوع الدوافع Motives وإشباعها (ص ١٤) ، ويقع ذلك فى إطار علم النفس العام . ويوضح الغزالى بعد ذلك كيفية تزكية النفس وقواها

(١) ضبطه وقدم له سليمان سليم البواب ، دمشق ؛ بيروت : دار الحكمة ، ١٩٨٦ . ١٦٨ ص .

وأخلاقها ، وهنا يقسم الناس إلى نوعين أحدهما قانع بالتقليد وهو مستغن عن البحث وينهج السبيل التى رسمها له مقلده ، أما الفريق الثانى فلا يقلدون تقليد المريض للطبيب بل يتشوقون إلى نيل رتبة الأطباء ، ولكن يرقى الإنسان عن حضيض التقليد ويصل إلى سواء الطريق عليه بالمجاهدة ومعرفة نفسه وقواها وخواصها ، فالمجاهدة معالجة للنفس بتزكيتها لتفضى إلى الفلاح ، ومعرفة النفس هى ملاك الأمر كله لأن العقل والبصيرة هما وسيلة إدراك النفس ،كما أن هذه النفس الإنسانية من الأمور الإلهية ، أما الجسم فهو مدرك بالبصر .

وإجمالاً فإن للنفس الحيوانية قوتين ، إحداهما محركة والأخرى مدركة . والمحركة قسمان : باعثة ومباشرة للحركة ، فالمباشرة للحركة هى القوة التى تنبت فى الأعصاب والعضلات وأما الباعثة فهى القوة النزوعية الشوقية التى تبعث على الحركة ، فتحمل القوة المباشرة للحركة على التحريك . ولهذه الباعثة شعبتان : إحداهما شهوانية تبعث على تحريك يقرب من الأشياء التى يعتقدها صاحبها ضرورية أو نافعة طلباً للذة ، والأخرى تسمى غضبية وهى قوة تبعث على تحريك يدفع به الشئ الذى يعتقد فيه أنه ضار أو مفسد طلبه .ويتصل هذا الحديث عن القوة المحركة بقسميها بعلم النفس وعلم النفس الفسيولوجى Physio - Psychology (ص ٢٥ - ٢٧) كما يرتبط مفهوم الشهوة بموضوع الدوافع (ص ١٩ - ٢٢) - كما ذكرنا - ، كما يشير مفهوم القوة الغضبية إلى مصطلح الانفعالات Emotions ومصطلح الدافعية Motivotion (فى علم النفس العام) فالقوة الغضبية تدفع إلى البعد عن الأشياء التى يعتقد أنها ضارة أو موذية . وأما القوة المدركة فهى قسمان : ظاهرة وباطنة ، وتشير الظاهرة إلى الحواس الخمس وهى (السمع والبصر والشم والذوق و اللمس) ، ويرتبط موضوع الإحساس Sensation (ص٢٦) بعلم النفس الفسيولوجى ، وعلم النفس العام .وتنقسم القوة الباطنة إلى خمسة أقسام هى :

١- الخيالية : وتبقى فيها صورة الأشياء المحسوسة بعد غيابها .

٢- الحافظة للصور : وهى التي تحتفظ منها صورة المحسوسات ويتصل هذا بموضوع الذاكرة Momory (ص ٢٦) فى إطار علم النفس العام . وهذه القوة القابلة لمدركات الحواس الخمس والحافظة لها تقع فى التجويف الأول من مقدم الدماغ ، وبحلول آفة فيه تختل هذه القوى . وهذه الإشارة إلى موضع الذاكرة فى الدماغ تتصل بعلم النفس العصبى (ص ٢٦) Neuropsychology .

٣- القوة الوهمية : وهى قوة مترتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، وهى تدرك معانى غير محسوسة من المحسوسات الجزئية .

٤- الحافظة لهذه المعاني غير المحسوسة وتسمى ذاكرة ، ويتصل ذلك بموضوع الذاكرة أيضاً وبخاصة ذاكرة المعانى ، ويرى أن هذه الحافظة تقع فى التجويف المؤخر من الدماغ ، ويتصل هذا بعلم النفس العصبى .

٥- القوة المفكرة : ومسكنها التجويف الأوسط من الدماغ ، وهى مرتبة بين خزانة الصور وخزانة المعانى ، وتقوم بتركيب بعض ما فى الخيال مع بعضه ، وتفصل عن بعض بحسب الاختيار ، يتصل هذا بسيكولوجية التخيل Imagination (ص٢٦-٢٧)

وهذه القوى المذكورة تشارك فيها الحيوانات الإنسان إلا المفكرة . القوة التى تقوم بتركيب صور المحسوسات التى فى الخيال بعضها إلى بعض أو يفصلها بعضها عن بعض لدى الحيوانات تسمى متخيلة : هى تسمى عند الإنسان مفكرة.والمتخيلة عند الحيوانات لا ترقى إلى مستوى المفكرة عن الإنسان (ص ٢٦ - ٢٧) .

وأما النفس الإنسانية من حيث إنسانية فتنقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة ، فالعالمة هى قوة ومعنى للنفس هو : مبدأ حركة بدن الإنسان إلى الأفعال المعينة الجزئية المختصة بالفكر والرَّوِيَّة على ما تقتضيه القوة العالمة النظرية .

أما القوة العالمة النظرية فهى تنفعل وتستفيد من الملائكة الموكلة بالنفوس الإنسانية لإفاضة العلوم عليها من الله تعالى . ويعنى هذا أن للنفس وجهين : وجه إلى البدن ووجه إلى الجنبه الشريفة العالية .

وهذه القوة العالمة هى التى من شأنها أن تتلقى المعانى المجردة عن العوارض التي تجعلها محسوسة جزئية .

ويشير الغزالي إلى أن هذه القوى للنفس مرتبط بعضها ببعض ، وهى متفاوتة فى الرتبة فبعضها خادم والبعض الآخر مخدوم ، وقد خلق الإنسان على رتبة بين البهيمة والملك .

ويمكن أن يتصل هذا التقسيم لقوى النفس المختلفة بفرع سيكولوجية الشخصية فى إطار موضوع نظريات الشخصية (ص ٣٣٢٥) Personality theories .

ويبين الإمام الغزالى بعد ذلك نسبة العمل من العلم ، وإنتاجه السعادة التي اتفق عليها المحققون من الصوفية ، إذ يجب على الإنسان أن يطهر نفسه أولاً بالعمل والمجاهدة بكسر الشهوات حتى يخلصها من الهيئات الخبيثة ثم ينظر فى الحقائق الإلهية حتى تتحد النفس بها وعندئذ يكون الإنسان قد بلغ سعادة النفس وكمالها .

وما ينبغى على الإنسان تحصيله من العلم نوعان : نظرى يتعلق بالعلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والسموات والأرض ، وعلم عملى وهو ثلاث شعب :

١- علم النفس بصفاتها وأخلاقها وهو الرياضة ومجاهدة الهوى (علم النفس) .

٢- علم النفس بكيفية المعيشة مع الأهل والولد والخدم والعبيد (سيكولوجية

العلاقات الاجتماعية Psychology of Social -Relationships) (ص ٤٥)
٣- علم الفقه .
ومجامع القوى التي لابد من تهذيبها هي قوة التفكير وقوة الشهوة وقوة الغضب . ويشير التفكير إلى مفهوم الذكاء (ص ٤٦) Intelligence والشهوة إلى الدوافع (ص٤٦) Motives والقوة الغضبية .
وذلك فى إطار علم النفس العام . ويجب أن تقوم القوة العقلية المفكرة بمهمة ضبط الشهوة والتحكم فى القوة الغضبية وهذا التصور لقوى النفس يتصل بسيكولوجية الشخصية (ص ٤٦) Personality . وهناك إمكانية لأن يغير الإنسان من خلقه بالتربية. ولكن قوى النفس تتباين فى إمكانية تغييرها ، فنجد أن قوة الشهوة هى أصعبها تغييراً ، كما يتباين الناس فى السرعة التي يتغير بها خلقهم ، ويمكن للإنسان أن يغير خلقه ويزكى نفسه باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة ، وتكرار هذه الأفعال فى أوقات كثيرة حتى تصبح له بالعادة كالطبع .
ويتصل تغيير الخلق بموضوع تعديل السلوك Behaviour Modification (ص٥٤- ٦٣) والتعلم Learning وكذلك بعلم النفس الإرشادى Counseling Psychology وعلم النفس الإكلينكى Counseling psychology (ص ٥٤ - ٦٣) .
أما الطريق إلى نيل السعادة فيكون بتركية النفس وتكميلها ، ويحصل تكميلها باكتساب الفضائل التى تنحصر فى معنيين : أحدهما جودة الذهن والتمييز ، والآخر حسن الخلق . و يحدث كل منهما بالتعلم البشرى والجود الإلهى .
ويتصل مفهوم الاكتساب والتعلم بسيكولوجية التعلم ، ويتصل مفهوم جودة الذهن والتمييز بموضوع الذكاء (ص ٥٩ - ٦٠) ، أما حسن الخلق فيشير إلى مفهوم الأخلاق Morality فى علم النفس الاجتماعى Social Psychology (ص ٥٩ - ٧٧).
وقد يدخل مفهوم الجود الإلهى الجانب الفطرى والموروث (غير التعلم) من الذكاء والشخصية والذى يصقل بالخبرة والتعلم ، ويسمى الاستعداد Aptitude (ص ٦٠) و كذلك يدخل فيه مفهوم الإلهام الإلهى و يتنقل الغزالى بعد ذلك إلى بيان كيفية تهذيب الخلق ، فيشير إلى أن الإنسان لكى يهذب خلقه ويصل إلى الخلق الجميل عليه بالاعتدال والتوسط بين طرفى الإفراط و التفريط لأن الكمال فى الاعتدال و معيار الاعتدال هو العقل و الشرع . فالسخاء وهو المحمود المعتدل وسط بين التقتير و التبذير .
و هناك أربع فضائل أساسية هى الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة ، فالحكمة فضيلة القوة العقلية والشجاعة فضلية للقوة الغضبية والعفة فضيلة القوة الشهوانية والعدل هو حالة للقوى الثلاث فى انتظامها على التناسب بحسب الترتيب الواجب فى

الاستعلاء والانقياد فهو ليس جزءاً بمصطلح الذكاء والتفكير (ص ٦٠) والقوة الغضبية تتصل بمصطلح الدافعية والانفعالات (ص ٦٤) ، كذلك يتصل مفهوم القوة الشهوانية بمصطلح الدفعية (علم النفس العام) (ص ٦٧ -٦٩) كما يمكن أن يشير مفهوم الفضائل على النحو الوارد هنا إلى مصطلح القيم Values (ص ٦٤ - ٧٧) أو الأخلاق فى علم النفس الاجتماعى ، فيقال قيمة الشجاعة ، و قيمة العفة وقيمة العدل.

ثم يبين الغزالى بعد ذلك ما يتدرج تحت كل فضيلة ورذيلة ، فأما الحكمة فيندرج تحت فضيلتها حسن التدبير وجودة الذهن و ثقابة الرأى وصواب الظن (الذكاء) و بالنسبة لرذيلتى الحكمة وهما الخبث و البله ، فيندرج تحت الخبث الدهاء و الجريزة ، ويندرج تحت البله الغمارة والحمق (الضعف العقلى) و الجنون .

و تتصل هذه المفاهيم المتعلقة بالحكمة ورذيلتها بموضوع الذكاء Intelligance والتأخر العقلى Mental Retardation . (ص ٧٠ - ٧١) .

وما يندرج تحت فضيلة الشجاعة هو الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار (وكلها يتصل بسيكولوجية الشخصية Personality (ص ٧١ -٧٣) وأما رذيلتا الشجاعة وهما التهور والجبن فيندرج تحتهما البذخ والنذالة والجسارة والنكول والتبجح وصغر النفس والهلع والاستشاطة والانفراك والتكبر والتخاسس والتعجب والمهانة .

وبالنسبة لفضيلة العفة ، فيندرج تحتها الحياء والخجل والمسامحة والصبر والسخاء وحسن التقدير والانبساط والدماثة والانتظام وحسن الهيئة والقناعة والهدوء والورع والطلاقة والمساعدة والتسخط والظرف .

وأما الرذائل المنضوية تحت رذيلتى العفة (وهما الشره والجمود) فهى الشره وكلال الشهوة والوقاحة والتخنث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والكزازة والمجانة والعبث والتحاش والشكاسة و الملق والحسد والشماته . وهذه المفاهيم المندرجة تحت الفضائل والرذائل تتصل بمفهوم خصائص وسمات الشخصية Personality Traits (ص٧٣-٧٦).

ويرى الغزالى أن العدالة جامعة لجميع الفضائل ، والجور وهو المقابل لها فجامع لجميع الرذائل .

ثم يوضح البواعث على تحرى الخبرات الدنيوية وهى ثلاثة :

١ - الترغيب و الترهيب .

٢ - رجاء المحمدة وخوف المذمة .

٣ - طلب الفضيلة وكمال النفس .

ويرتبط البواعث بموضوع الدوافع Motives فى علم النفس العام (ص ٧٧ - ٧٨)

ويقسم الخيرات و السعادات إلى خمسة أنواع هى :
١ - السعادة الأخروية .
٢ - الفضائل النفسية (و هى العقل والعفة والشجاعة والعدالة) .
٣ - الفضائل البدنية (وهى الصحة والقوة والجمال وطول العمر) .
٤ - الفضائل المطيفة بالإنسان (وهى المال والأهل والعز وكرم العشيرة) .
٥ - الفضائل التوفيقية (وهى هداية الله ورشده وتسديده وتأييده) .
والسعادة الحقيقية هى السعادة الأخروية .

ويتصل مفهوم الفضائل النفسية الأربعة المشار إليها هنا بموضوع الذكاء وسمات الشخصية و القيم على نحو ما أشرته من قبل عند الحديث عن كل فضيلة منها على حدة . (ص٨١ -٨٢) .

ويشير الغزالى بعد ذلك إلى ما يحمد و يذم من أفعال شهوة البطن و الفرج و الغضب .وكما ذكرنا من قبل فإن مفهوم الشهوة (سواء شهوة البطن أو الفرج) يتصل بموضوع الدوافع Motives عموماً ، والدوافع البيولوجية خاصة Biological . أما الغضب فيتصل بموضوع الانفعالات emotions (انفعال الغضب) ودوافع الإحجام عن الشيء المؤذى أو عليه (ص ٩١ - ١٠٠) .

و ينتقل إلى بيان العقل والعلم والتعليم ، ويذكر أن العقل هو أشرف موجود فى هذا العالم وبه تنال سعادة الدنيا والآخرة . وأما العلم فهو أصل الأصول ، والتعليم هو أشرف الأعمال .

ويورد هنا وظائف المتعلم والمعلم فى العلوم السعادة ، فمن وظائف المتعلم أن يقدم طهارة النفس عن الأخلاق ، وأن يقلل علائقه بالأشغال الدنيوية ، وألا يتكبر على العلم وأهله وألا يتآمر على المعلم ، و ينبغى أن يرتب العلوم ويبدأ بالأهم ولا يترك منها شيئاً ويكون مقصده من العلم هو كمال نفسه و التقرب إلى الله . وأما وظائف المعلم فمنها أن يجرى المتعلم منه مجرى بنيه ، وأن يقتدى بالرسول ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجراً أو جزاء ، وألا يدخل شيئاً من نصح المتعلم وأن يقتصر بالمتعلمين على قدر أفهامهم ، كما يجب أن يكون المعلم العملى (الشرعيات) عاملاً بما يعلمه حتى لا يفر الناس عن الاسترشاد وهذا الحديث عن وظائف المعلم و المتعلم بسيكولوجية التعلم Learning (ص ١٠١ -١٢٨) فى علم النفس العام ، و يتضمن إشارة لمفهوم القدوة Modeling (ص ١٢٧- ١٢٨) فى علم النفس الاجتماعى . و يوضح الإمام الغزالى هنا أيضاً ما فى كسب المال من الوظائف ، ويقسم المقتنيات إلى ثلاثة : نفسية وبدنية وخارجية . ويعتبر أن المال من المقتنيات الخارجية . ويمكن أن يتصل الحديث عن (المال)

بموضوع التدعيم (ص ١٢٨ - ١٣٧) Reinforcement ، حيث يعتبر المال مدعما ثانوياً أو مدعماً شرطياً ، فهو لا يشبع حاجة Need أساسية فى حد ذاته - كما يشبع الطعام الجوع مثلا - ولكنه وسيلة لإشباع الحاجات لدى الإنسان ولذلك فهو يعد مدعما ثانويا ، بينما الطعام مدعم أولى (علم النفس العام) ، ثم يتحدث الغزالى عن الطريق فى نفى الغم فى الدنيا و يتصل مفهوم الغم بمصطلح القلق anxiety أو الاكتئاب (ص ١٣٨ - ١٤١) Depression فى علم النفس الإكلينيكى ، كما يوضح الطريق فى نفى الخوف من الموت و يتصل مفهوم الخوف بموضوع الانفعالات (ص ١٤١ - ١٤٤) وخاصة انفعال الخوف وذلك فى إطار علم النفس العام ، أما إذا أصبح الخوف من الموت ظاهرة مرضية فعندئذ يقع فى دائرة علم النفس الإكلينيكى Clinical Psychology تحت موضوع المخاوف المرضية Phobias وأما الطرق التى يوضحها الغزالى فى نفى الغم و الحزن والخوف من الموت فتتصل بعلم النفس الإرشادى Counseling Psychology (ص ١٣٨ - ١٤٤) .

و يشير الغزالى بعد ذلك إلى علامة المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله تعالى وهما علامتان : الأول أن تكون الأفعال الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، و الثانية أن يكون حاضر القلب مع الله فى كل حال حضوراً ضرورياً غير متكلف . ثم يبين فى نهاية هذا الكتاب معنى المذهب واختلاف الناس فيه ، ويتصل ذلك بمفهوم المعتقدات (ص١٥٠-١٥٣) Beliefs في علم النفس الاجتماعي : لأن المذهب كما يعرفه البعض هو معتقد ينطق به تعليماً وإرشاداً مع كل آدمي كيفما اختلفت حاله ، وهو الذي يتعصب له كمذهب الأشاعرة أو المعتزلة .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، والإرشاد النفسي والتربوي .

الغزالي ، أبو حامد (ت٥٠٥هـ) – المنقذ من الضلال [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ويشتمل على مجموعة من الأقوال نعرض لها على النحو التالي :

القول الأول : في مداخل السفسطة وجحد العلوم ، فذكر أنه يجب التأمل في المحسوسات والضروريات والتأكد من صحتها لا من خلال الرؤية أوالمشاهدة العابرة التي تؤدي بنا كثيراً إلى الإدراك الخاطئ – ولكن من خلال التجربة والمشاهدة الدقيقة وإحكام أو الاستعانة بالعقل في مثل هذه الأمور .

ويرى المؤلف أنه يضاف إلى ذلك نور الله الذي يمنحه للبشر ، فالكشف عن الحقائق لا يتم من خلال الأدلة العقلية المجردة ، قال الله تعالى ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ .

ويرتبط هذا الجزء بالمنهج العلمي Scientific Method ، خاصة أسلوب المشاهدة العلمية المنظمة Systematic observation وكذلك بموضوع الخداعات الحسية Illusions (ص٦-٨) .

والقول في أصناف الطالبين : وهم أربع فرق ، الأولى (المتكلمون) وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر ، الثانية (الباطنية) وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمختصون بالاقتباس . والثالثة (الفلاسفة) ويزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان . والرابعة (الصوفية) وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة . وذكر أن الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة ، وأن هؤلاء السالكون سبل طلب الحق فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في دَرْك الحق مطمع .

القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله : ويذكر المؤلف أنه طالع كتب المتقدمين في علم الكلام ووجده علماً وافياً بمقصوده ، وأما مقصود علم الكلام فهو حفظ عقائد أهل السنة على أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدع لعقيدة الحق عز وجل ، فقد أنشأ الله طائفة المتعلمين لنصرة السنة المأثورة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة عن خلاف السنة ، ولكنني أرى (المؤلف) أن كلامهم هذا لم يحصل منه ما يمحو ظلمات الحيرة بالكلية ، نظراً لاعتمادهم على مقدمات تسلموها من خصومهم اضطرهم إلى تسلمها إما التقليد أو إجماع الأمة .

---

(١) تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي . القاهرة : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، (د.ت) ٤٨ص.

القول في أحاصيل الفلسفة :

وتحدث المؤلف عن أصنافهم وشمول سمة الكفر فيهم . فهم ثلاثة أقسام : الصنف الأول : (الدهريون) ، وهم طائفة من الأقدمين جحدوا المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة ، الصنف الثاني : (الطبيعيون) ، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة أو عن عجائب الحيوان والنبات. وتشريح أعضاء الحيوانات واعترفوا بفاطر حكيم مطالع على غايات الأمور ومقاصدها ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله تعالى وبصفاته ولذلك فهم أيضاً زنادقة لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر .

الصنف الثالث : (الإلهيون) ، وهم المتأخرون منهم مثل سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو وأما أقسام علومهم فتشمل ستة أقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وإلهية، وسياسية ، وخلقية .

القول في مذهب التعليم وغايته :

ويذكر المؤلف في ذلك أنه بعد أن فرغ من تحصيل وفهم الفلسفة ومعرفته ما يزيف منها علم أن ذلك أيضاً غير واف بكمال الغرض وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات . وبدأ في البحث في حقيقة الباطنية والاطلاع على ما في كنانتهم ، ثم ساق الأدلة والبراهين التي تعارض ما يقولونه من شبهات تمس الدين والعقيدة .

وذكر بعد ذلك أهمية التعليم وتحصيل المعرفة في سبيل الدفاع عن الدين ومعرفة أصوله وفروعه .

القول في طريقة الصوفية :

وبعد أن فرغت من تحصيل هذه العلوم أقبلت على طريق الصوفية ، وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله ، وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت لتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ؛ مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي وغير ذلك .

القول في حقيقة النبوة :

فجوهر الإنسان في أصل الفطرة خلق خالياً ساذجاً لا خبر معه عن عوالم الله تعالى. وخبره عن العوالم بواسطة الإدراك وكل إدراك من الإدراكات يطلع الإنسان به على

عالم من الموجودات ، فأول ما يخلق به الإنسان حاسة اللمس ، ثم يخلق له البصر ، ثم السمع ، ثم الذوق ، إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز قرب سبع سنوات ، ثم يرتقي إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات ، ويستطيع التمييز بعد ذلك وإدراك ما يمكن أن يقع في المستقبل وغير ذلك من الأمور .

وأشار بعد ذلك إلى أن بعض العقلاء قد رفضوا مدركات النبوة واستبعدوها . وذلك عين الجهل ؛ وذلك لأنهم لم يدركوها بالحواس المتعارف عليها .

ويرتبط هذا الجزء ارتباطاً مباشراً بموضوع الإحساس Sensation والإدراك الحسي Perception ، وارتقاء الإحساس والإدراك الحسي Development of sensation (ص٣٢-٣٥) ونمو القدرات العقلية والذكاء .

القول في سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه :

ويذكر فيه أنه عاش في عزلة بعيداً عن الناس حوالي إحدى عشرة سنة ، ثم رجع إلى نشر العلم لوجه الله عز وجل وليس انتظاراً لجاه أو أشياء من هذا القبيل ؛ ويقول المؤلف : أدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه . وأبغي أن أصلح نفسي وغيري وأحمد الله الذي هداني وحركني لذلك .

وأما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوا من أهل التعليم فعلاجه ما ذكرنا في كتاب القسطاس المستقيم ، وأما ما توهمه أهل الإباحة فقد أوضحناه في كتاب كيمياء السعادة . وأما من فسد إيمانه بطريق الفلسفة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل علم خواص الأدوية والنجوم وغيرها .

الغزالى ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) – التبر المسبوك [١]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يبدأ الكتاب ببيان نعم الله وأهمها نعمة الإيمان الذي هو بذر السعادة المؤيدة والنعمة المخلدة ، ولشجرة الإيمان عشرة أصول وعشرة فروع ، فأصلها الاعتقاد بالجنان ، وفروعها العمل بالأركان .

ثم يبدأ في تفصيل ذلك موجهاً كلامه لسلطان الإسلام ، أبتداء بقاعدة الأعتقاد الذي هو أصل الإيمان ، ويعني بها أننا كبشر ، مخلوقون ولنا خلق عظيم . والأصل الثاني في تنزيه الخالق سبحانه وتعالى ، الذي ليس له صورة ولا مثل وأنه لا ينزل ولا يحل في قالب ، والأصل الثالث أنه تعالى قدير على كل شيء ومُلكه في نهاية الكمال ، والأصل الرابع في العلم فهو سبحانه وتعالى عالم بكل معلوم محيط بكل شيء . والأصل الخامس والسادس في أنه سميع بصير ، أى أنه سميع لكل مسموع ، بصير لكل مبصَر . والأصل السابع في الكلام فأمره على جميع الخلق نافذ واجب مهما أخبر به من وعد ووعيد فإنه حق وأمره كلامه ، وهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان ، ولا فهم ولا أسنان . والأصل الثامن في أفعاله تعالى . وأن جميع ما في العالم مخلوق له تعالى وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد . والأصل التاسع في ذكر الآخرة وأنه تعالى خلق العالم من نوعين ، جسد وروح وجعل الجسد منزلاً للروح لتأخذ زاداً لآخرتها من هذا العالم ، وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد ، فآخر تلك المدة هو أجَل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان . والأصل العاشر والأخير في ذكر رسول الله ﷺ .

وينتقل بعد ذلك ليذكر فروع شجرة الإيمان . ويبدأ بالإشارة إلى أن كل ما في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الإيمان والأعمال التى هي فروع الإيمان هي تجنب المحارم وأداء الفرائض وهما قسمان : أحدهما بين الخلق والخالق كالعبادات والثاني بين العبد وبقية الخلق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم .

وأصول العدل والإنصاف عشرة . الأصل الأول هو أن نعرف أولاً قدر الولاية ونعلم خطرها ، فإن الولاية نعمة من نعم الله عز وجل ومن قام بحقها نال من السعادة مالا نهاية له ولا سعادة بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله . (ومفهوم السعادة من المفاهيم التى دخلت لميدان الدراسات السيكولوجية حديثاً وأُفردت لها مؤلفات خاصة ص ١٠). ويتحدث أيضاً في ثنايا هذا الأصل عن العلاقة بين الراعى والرعية (وكأنه يحدد خصال القائد والمسئول ، وهو من

(١) الغزالى . القاهرة : مطبعة الآداب والمؤيد ، ١٩٠٠ ، ١٣٣ ص .

موضوعات علم النفس التنظيمي organizational psychology وعلـم النفـس الاجتمـاعى social psychology ص ١١ - ١٤) .

والأصل الثاني أن يشتاق العبد دائماً إلى رؤية العلماء ويحرص على إستماع نصحهم وأن يحذر من علماء السـوء الذيـن يحرصـون علـى الدنيـا ويسـتعين علـى توضيـح ذلـك بالحكايات والنكات ، والحكم (وبرغم عمومية الموضوع وهو طلب العلم ومجالسة العلماء والذي يصلح لكل طالب علم ، فإن علم النفس الحديث يهتم بالمهارات اللازمة للتعلم ، والقوانين التى تحكمه ، وأنواعه ص ١٥) .

والأصـل الثـالث ، ألا يكتفـي العبـد برفـع يـده عـن الظلـم ولكـن يهـذب غلمانـه وأصحابه وعماله ونوابه ، فلا يرضى لهم بالظلم ، فإنه يسئل عـن ظلمهـم كمـا يسـئل عن ظلم نفسه (ونجد لذلك صدى في دراسات علم النفس الحديث ، وإن كان بشـكل غير مباشر ، فهو من ناحية يدعو إلى حُسن التنشئة socialization والتربية education لمن نكون مسئولين عنهم ، ومن ناحية أخرى يحدد بعض خصال المسـئول أو القـائد leader أياً كان دوره ص ١٨ - ١٩) .

كما يثير في هذا السياق موضوعاً آخر تصل بالعقل وجوهـره ، والشـهوة والغضـب ومصـدر كـل واحـد مـن هـذه القـوى (والعقـل ، والغضـب أو الانفعـالات emotions والشهوة أو الدوافع Motives من موضوعات علم النفس العام (ص ١٩ - ٢٠) .

أما الأصل الرابع في أن الوالى في الأغلـب يكـون متكـبراً ومـن المتكبر يحدث عليـه السخط مـن الداعـين إلى الانتقـام ، والغضـب غـول العقـل وعـدوه وآفتـه (ويتحـدث بالإضافة إلى ذلك عن القدرة على ضبط النفس Self control وهو من سمات الشخصية التى تدل على الاتزان الانفعالى وهو مما يدرس في علم النفس الحديث (ص ٢١) .

والأصل الخامس في أن الوالى في كل واقعة تصل إليه وتعرض عليه يقـدر أنـه واحـد من جملة الرعية وأن الوالى سواه ، فكل مالا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره من المسلمين . فإن رضى لهم بما لا يرضاه لنفسه فقد خان رعيته وغش أهل ولايته . والأصل السادس ألا ينتظر الوالى أرباب الحوائج ووقوفهم ببابه ، وأنه متى كان لأحد من المسلمين حاجة إليه فلا ينشغل عن قضائها بنوافل العبـادات ؛ لأن قضـاء حوائـج المسـلمين أفضـل مـن نوافل العبادات .

والأصل السابع أن لا يعود نفسه الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمـة الطيبة ، وأن يستعمل القناعة في جميع الأشياء لأنه لا عدل بلا قناعة (ونجده هنا يذكـر جانبـاً مـن الدوافع البيولوجية التى يعنى بها علم النفس العام ص ٢٥) . ويرتبط ما يذكره الغزالى عن خصال الوالى بما يدرس في علم النفس الاجتماعى عن خصال القائد أو الزعيم .

والأصل الثامن أنه متى أمكنه أن يعمل الأمور بالرفق واللطف فلا يعملهما بالشـدة والعنف (والعنـف Violence مـن المفـاهيم التـى تـدرس في إطـار دراسـات علـم النفـس الاجتماعى (ص ٢٥) .

والأصل التاسع أن يجتهد الوالى في إرضاء رعيته بموافقة الشرع ، أما الأصل العاشـر والأخير ، أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع فإن من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه .

وبعد أن فرغ من هذه الأصول ينتقـل إلى بيـان العينـين اللتـين همـا مشـرب شـجرة الإيمان ، العين الأولى في معرفة الدنيا ولم أوجد فيها الإنسان ، ثم يستطرد ويذكر حـال الدنيا على عشـرة أمثلـة . والعين الثانيـة معرفـة النفـس الأخير ، ويقسـم بنـى آدم إلى طائفتين نظروا إلى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأمل العمر الطويل وطائفة عقلاء جعلـوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا إلى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون مـن الدنيـا ويفارقونها وإيمانهم سالم .ويذكر في ذلك خمس حكايات .

(والحكاية الأولى تنطوى على بعض سـمات الشـخصية غـير المحببـة مثـل الكبريـاء والخيلاء وتندرج في دراسات علم النفس إما تحت سمات الشخصية أو تحـت موضـوع الصداقة Friendship وصفات الصديق ص ٣٤) .

وينتقل بعد هذا الحديث مباشرة ودون تمهيد إلى البـاب الأول وهـو في ذكـر العـدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم . ويشير منه إلى أن اللّه سبحانه وتعالى اختـار مـن بنـى آدم طائفتين وهم الأنبياء عليهـم الصـلاة والسـلام ليبينـوا للعبـاد علـى عبادتـه الدليـل ، ويوضحوا لهم إلى معرفته السبيل . واختار الملوك لحفظ العباد من اعتـداء بعضهـم علـى بعض ، وهو هنا يخوض في تفاصيل كثيرة ، فيحدد أنواع الظلم وهو نوعـان ، أحدهمـا ظلم السلطان لرعيته وجور القوى على الضعيف والغني على الفقير والثـاني ظلـم العبـد لنفسه ، وبين العدل وفوائده ويورد في ذلك عدداً كبيراً من الحكايات التى رويت عـن الملوك والخلفاء والصالحين (والكلام يدخل بشكل غير مباشر في أحد موضوعـات علـم النفس الاجتماعي التى سبق أن أشرنا إليها وهو موضوع القيـادة Leadership ص ٤١ ، وكذلك خصال القائد كما حددها بعض الحكماء مثل أرسطاطاليس ص ٥٩ - ٦٠).

ويعرج بعد ذلك ليتحدث في فصل مستقل عن ضرورة ابتعاد السلطان عن الاشتغال الدائم بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصولجان والصيد لأن ذلك يمنعه ويشغله عن أمور الرعية (وما يعنينا هنا هو شرب الخمر باعتبارها من المواد التـى إذا دخلت الجسم أثرت في وظائفه الخاصة وخاصـة السـلوك وهـو ممـا يهتـم بـه علمـاء النفس الإكلينيكيون (ص ٦٤) . كما يتحدث في فصل آخـر عـن واجبـات السـلطان متى وقعت رعيته في ضائقة أو حصلوا في شدة وفاقة .

والباب الثاني في سياسة الوزارة وسير الوزراء ، فالسلطان يرتفع ذكره وعلو قدره بالوزير إذا كان صالحاً عادلاً ، ثم يحدد بعد ذلك شكل العلاقة بين السلطان والوزير وكيف يعامله . كما يحدد للوزير مهامه ، وخصاله ومنها أن يكون عالماً عاقلاً ، شيخاً (بما له من تجارب) . ويحتاج الوزير إلى خمسة أشياء لتحمد خبرته وتحسن سيرته وهي: التيقظ (والتيقظ Vigilance أو الانتباه Attention من موضوعات علم النفس الحديث والتى تدرس في حالتى السواء والمرض لصياغة المبادئ الحاكمة لها ص ٨٦) . والعلم والشجاعة ، والصدق ، وكتمان سر السلطان إلى أن يدركه الموت .

والباب الثالث في ذكر الكُتّاب وآدابهم ، فقد قالت العلماء ليس شيء أفضل من القلم لأنه به يمكن إعادة السالف والماضى ، وقد أقسم اللّه تعالى به ، ويرى المؤلف أن الكتاب لا يجوز لهم أن يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الأكابر . وينبغى أن يكون الكاتب عالماً بعشرة أشياء : بُعد الماء وقربه تحت الأرض ، ومعرفة استخراج الإفتاء ، ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما ، وسير الشمس والقمر والنجوم ، ومعرفة الاجتماع والاستقبال ، والحساب بالأصابع ، وحساب الهندسة والتقويم وإختيارات الأيام وما يصلح للمزارعين ، ومعرفة الطب والأدوية ، ومعرفة ريح الجنوب والشمال ، وعلم الشعر والقوافى ، وأن يكون إلى جانب هذا كله خفيف الروح ، طيب اللقاء عالماً ببراية القلم .

والباب الرابع في سمو همم الملك ، وتفسير معنى الهمة وأن يرفع نفسه فإن أنفة القلب من همم الأكابر لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه (ونلمح في هذا الحديث تطرقاً لبعض المفاهيم التى يتناولها علماء النفس المحدثون ويدرجونها تحت سمات الشخصية ، أو تحت ما يسمى بصورة الذات Self image أو مفهوم الذات Self concept ونعنى بها تقدير الذات Self esteem ، والثقة بالنفس Self confidence ، كما أنهم يوفرون المقاييس التى تمكن من قياسها والتعرف عليها بطريقة موضوعية ص ٩٣) .

والباب الخامس في ذكر حلم الحكماء . والحكمة من عطاء اللّه جلبت قدرته ، ويؤيتها من يشاء من عباده ، وثمرة الحكمة الراحة والعلاء . وقد اختصر بعض العلماء الكتب لملوك الهند- فيماروى - في أربع كلمات إحداهما للملوك وهى العدل ، والثانية للرعية وهي الطاعة والثالثة للنفس وهي الإمساك عن الطعام إلى وقت الجوع (وهو أحد أنواع الدوافع البيولوجية أو الأولية التى تعرض لها علماء النفس بالدراسةص١٠٥) والرابعة للإنسان وهي ألا ينظر إلى غير نفسه ، كما يسوق لنا بعض الحكم فيقول : اتفق أهل الدنيا على أن أعمال الخلائق لها خمسة وعشرون وجهاً :

خمسة منها بالقضاء والقدر وهي طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة ، وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهي العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار، وخمسة منها بالطبع وهي الوفاء والمداراة والتواضع والسخاء ، وخمسة منها بالعادة وهي المشى في الطريق والأكل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالإرث وهي الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة (ومن هذه الحكمة نجد تعرضاً لعدد من المفاهيم التى تدخل الآن في إهتمامات علماء النفس مثل بعض سمات الشخصية الحسنة والسيئة وبعض الدوافع الأولية ، كما نجد استخداماً لمفهوم العادة Habit وهو من المفاهيم التى تستخدم في ميدان نظريات التعلم Learning Theories (ص١٠٧) . كما يرتبط ذلك بأثر البيئة والوراثة في السلوك .

والباب السادس في شرف العقل والعقلاء ، فالله سبحانه وتعالى خلق العقل على أحسن صورة وقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال وعزتى وجلالى ما خلقت في خلقى شيئاً أحسن منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب ، وهذا دليل على مكانة العقل من البشر ، وقال الحكماء إن للعاقل أربع علامات يعرف بها ، وهي أن يتجاوز عن ذنب من ظلمه ، وأن يتواضع لمن دونه وأن يسابق إلى فعل الخير لمن هو أعلى منه وأن يذكر ربه دائماً وأن يتكلم عن العلم ويعرف منفعة الكلام في موضعه وإذا وقع في شدة التجأ إلى الله تعالى (والعقل صفة عامة من الموضوعات المحورية في علم النفس القديم والحديث سواء كان هذا العقل ذكاء أو تفكيراً أو عمليات معرفية . ص ١١٥ - ١١٦) كما يذكر في هذا السياق بعض الحكايات التي تشير إلى المحبة والعوامل التى تؤدى إليها بين الأفراد (والحب أو المحبة من بين الانفعالات التى يدرسها علم النفس العام ص١١٩) . كذلك يربط في موقف آخر من خلال الحكمة بين العقل والتجربة ويذكر أيضاً أن من جنود العقل التمييز والحفظ والفهم (وهي كلها وظائف أو عمليات نفسية معرفية درست في علم النفس المعرفى Cognitive Psychology أو في الذكاء Intelligence أو في سيكولوجية اللغة Psycholinguistics أو في نظريات التعلم ص ١٢١) .

والباب السابع في ذكر النساء ، وخيرهن وأبركهن وهي الحسناء الولود الخفيفة المهر ويدلل على ذلك بالأحاديث والحكايات . ويحث على ضرورة التدقيق في إختيار الزوجة ثم يذكر فصلاً في ديانة المرأة وسترها .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي .

الغزالى ، أبو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ)

مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف [1]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٤٨٧ صفحة من القطع المتوسطة ، ويضم خطبة الكتاب ثـم أبـواب الكتاب وعددها ١١١ باباً ونعرض لها فيما يلى :

تتناول الأبواب من الأول حتى الحادى عشر عدداً من الموضوعات هـي الخـوف مـن اللّه تعالى وعلاماته ومنها امتناع اللسان عن الكذب والغيبـة والنميمـة والبهتـان وكـلام الفضول وانشغاله بذكر اللّه وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم ، وخـروج العـداوة والبهتـان وحسد الإخوان من القلب ، وعدم النظر إلى الحرام ، وعدم آكل الحرام ، وعدم مد اليد إلى الحرام ، وعدم المشي في معصية اللّه بل يجب المشى في طاعته ورضاه .

ويتصل هذا الحديث عـن الخـوف بموضـوع الانفعـالات Emotions وخاصـة انفعـال الخوف (علم النفس العام) (ص ٥ - ٩) ثم يتناول الصـبر والمـرض ، ويبـين أن مـن أراد أن ينجو من عذاب اللّه وينال ثوابه فَلْيَنْهَ نفسه عن الشـهوات الدنيـا وليصـبر علـى الشدائد . والصبر على أوجه منها الصبر على طاعـة اللّـه وعلـى محارمـه وعلـى المصيبـة والمرض .

ثم ينتقل إلى الحديث عن رياضة النفس ومجاهدتها لأنها أعدى مـن إبليـس ، وذلـك من خلال احتناب الشهوات النفسانية وقمعها بالجوع وأن يجعل الشيطان عدواً له .

ويتصل ذلك بموضوع الدوافع Motives في علم النفس (ص ١٧ - ٢١) . ويتناول أيضاً الغفلة ، ويروى أنها تزيد الحسرة والحسـد والملامـة والندامـة وتزيـل النعمـة ، ثـم يتحدث عن نسيان اللّه تعالى والفسق والنفاق وعاقبة ذلك .

ثم ينتقل إلى التوبة وهي من الأمور الواجبة على كل مسلم ومسلمة ، وهي الوسـيلة التى يعفو بها اللّه سبحانه ويتجاوز عن سيئات عباده .

وتنتهى هذه الفصول بحديث عن محبة المؤمنـين اللّـه ومظـاهر ذلـك مـن اتبـاع أمـره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته ، وحب اللّه للمؤمنين والذى يبدو في ثنائـه عليهـم وثوابـه لهم وعفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه ، ويشير الإمام الغزالى هنـا إلى أن علامة المحبة وموافقة المحبوب واجتناب خلافه ، ويعرف الحب بأنه عبارة عـن ميـل

(١) ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ .

الطبع إلى الشيء الملذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقاً ، ويذكر أن محبة اللّه تقتضى طاعته وطاعة رسوله ﷺ .

ويتصل هذا الحديث عن المحبة والعشق ، بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب وذلك في إطار علم النفس العام (ص ٣٧ - ٤٦) .

وتدور الأبواب من الثامن عشر حتى العشرين حول موضوعات متفرقة ، فتتناول إبليس وعذابه ، والأمانة بمعنى الطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب والعقاب ، وإتمام الصلاة بالخضوع والخشوع في أدائها ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واتخاذ الشيطان عدواً والحذر منه والتغلب عليه بطاعة اللّه ، ومعرفة مداخله الكثيرة التى تعد صفات للعبد ومنها الغضب والشهوة والحسد والحرص والشبع من الطعام وحب التزين من الأثاث والثياب والدار والطمع في الناس والعجلة وترك التثبت من الأمور والبخل وخوف الفقر والتعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وسوء الظن بالمسلمين .

وتتناول أيضاً الأمانة بمعنى أداء الحقوق لأصحابها وضدها الخيانة ، وكذلك فضل الترحم أى رحمة النفس بترك المعاصى والتوبة وفعل الطاعات والإخلاص فيها وأيضاً رحمة الغير بعدم إيذائه وثواب ذلك المتمثل في دخول الجنة ، وبيان الغيبة والنميمة وما ورد فيهما من نصوص تحرمهما .

وهناك عدد من المفاهيم الواردة في الأبواب السابقة ذات صلة بمجالات علم النفس، حيث يتصل مصطلح الغضب بموضوع الانفعالات Emotions ، والشهوة بموضوع الدوافع Motives والعجلة الاندفاعية Impulsivity وذلك في علم النفس العام .

ويقع مفهوم التعصب Prejudice في علم النفس الاجتماعى ، أما مفهوم الأمانة فيتصل بموضوع القيم Values والأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعى أيضاً (ص٥٣-٩٥) .

وتهتم الأبواب من الحادى والعشرين حتى الثاني والعشرين ببيان الزكاة وأنواعها وعقوبة من يبخل بأدائها ، والزنا وضرورة حفظ الفرج عن الحرام مخافة العذاب ، ثم بيان حقوق الوالدين وصلة الرحم وبر الوالدين وما إلى ذلك من نيل رضا اللّه تعالى .

كما يتناول الإمام الغزالى هنا أيضاً موضوع الأمل في الدنيا وكيف أن صلاح الأمة بالزهد واليقين وهلاكها في طول الأمل والحرص على الدنيا ، وبيان ملازمة الطاعة المتمثلة في القيام بفروض اللّه تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده ، وضرورة ذكر الموت حتى لا ينهمك الإنسان في لذات الدنيا وشهواتها . ثم يتحدث عن خلق السموات السبع من دخان ، ويبين المقصود بالكرسى والعرش والملائكة المقربين والأرزاق والتوكل ، ويعود إلى الحديث عن ترك الدنيا وذمها والآيات القرآنية

الواردة في هذا الصدد والتى تدعو إلى العمل من أجل الآخرة الباقية .

وتدور الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثاني والأربعين حول فضل القناعة بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ، وحول فضل الفقراء الذين يرضون بالكفاف من الطعام وثوابهم عند اللّه تعالى ، كما تتناول من يتخذ من دون اللّه سبحانه ولياً ، وكذلك النفخ والحشر من المقابر يوم القيامة ، والقضاء بين الخلائق وإعطاء كل ذي حق حقه ، ثم يبين ذم المال ومن يحبه ويفضله على ماعند اللّه الذي لا ينفذ .

ويذكر الغزالى بعد هذا عملية الحساب ونصب الميزان للحسنات والسيئات وما يعقب ذلك من دخول الجنة أو عذاب النار والحال التى يكون عليها الخلائق في هذا الموقف المهيب .ويبين فضل الطاعة التى حث اللّه عليها في آيات متعددة وأنها جماع الخير كله ، كما يبين جزاء شكر اللّه على نعمائه وأن هذا الشكر يتم بالقلب واللسان والجوارح في السراء والضراء ، ويشير إلى ذم الكبر وعاقبة المتكبرين في الأرض بغير الحق مستشهداً بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن .

وتتناول الأبواب من الثالث والأربعين حتى السادس والخمسين عدداً من الموضوعات المختلفة حيث يشير الغزالى فيها إلى ضرورة التفكر والتدبر في تعاقب الليل والنهار وخلق السموات والأرض كما أمر اللّه تعالى بذلك في كتابه العزيز وأثنى على المتفكرين، ويذكر في هذا الشأن قول الإمام الشافعي رضى اللّه عنه بأن الفضائل أربعة إحداها الحكمة وقوامها الفكرة ، والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في إعتدال قوى النفس . وهذه المقولة للإمام الشافعى تتضمن بعض المفاهيم النفسية حيث يتصل مفهوم الفضائل الأربعة وهي: الحكمة والعفة والقوة والعدل بمصطلح القيم Values والأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعى، ومفهوم التفكير .

كما يتصل مفهوم الغضب بموضوع الانفعالات Emotions وخاصة انفعال الغضب ، ويتصل مصطلح الشهوة بموضوع الدوافع Motives وخاصة الدوافع الفطرية وذلك في إطار علم النفس العام (ص ٢٢٧ - ٢٩١) .

ويبين شدة الموت وألمه على الإنسان ، وسؤال القبر له وكيف يكون رحمة لمن كان مطيعاً للّه ، ونقمة لمن كان عاصياً له في الدنيا ، والمقصود بعلم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض على نعيم الدنيا من صحة الأبدان والأسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغيرها . ويتناول أيضاً فضل ذكر اللّه تعالى وما أعده اللّه للذاكرين له من ثواب عظيم ومغفرة لذنوبهم ، وفضل الصلوات الخمس المتمثل في تكفيرها لما بينهن من الذنوب والخطايا ، وبيان عقوبة تاركها ، وبيان درجات جهنم

وعذابها التي أُعدت للكافرين والمنافقين ، ويبين أيضاً أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف اللّه تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه .

وينتقل الإمام الغزالى بعد ذلك إلى الحديث عن فضل التوبة والاستغفار وثوابهما ، والنهى عن الظلم وعاقبة الظالمين ونصرة اللّه تعالى للمظلوم ، والنهى عن ظلم اليتيم – على وجه الخصوص – وأكل ماله . ثم يعود إلى بيان ذم الكبر مرة ثانية نظراً لسوء عاقبته .

وتتناول الأبواب من السابع والخمسين حتى السبعين مجموعة من الموضوعات المتفرقة بعضها سبق ذكره من قبل كالحديث عن فضل القناعة وفضل الصلوات ، وذم الدنيا وتركها ، وذم الكبر ، وبيان صفة جهنم والميزان ، أما الموضوعات الأخرى فتدور حول فضل الصدقة التى تؤدى من الكسب الطيب وكيف أن اللّه تعالى لا ينقص بها المال ويمحو بها الخطايا ، وحول معاونة المسلم لقضاء حاجة أخيه المسلم ، وما في ذلك من أجر عظيم ، وحول فضل الوضوء وإسباغه على المكاره وما في ذلك من تكفير لسيئات العبد ، وأيضاً بيان أهوال يوم القيامة ، والإحسان إلى اليتيم وثوابه ، والنهى عن أكل الحرام والربا ، ثم يذكر حقوق العبد وهي السلام عليه عند لقائه ، وإجابته إذا دعا وتشميته إذا عطس ، وزيارته إذا مرض وحضور جنازته إذا مات وبر قسمه إذا قسم ، والنصح له إذا طلب النصيحة وحفظه بظهر الغيب عند غيابه .

أما الأبواب من الحادي والسبعين حتى الثمانين فتتناول ذم اتباع الهوى لأنه يضل عن سبيل اللّه، وهو مفتاح السيئات ، وتبين الزهد ومقاماته الثلاثة وهي : الكف عن المحارم وترك الشبهات والزهد في الحلال ، ثم يتحدث عن صفة الجنة ومراتب أهلها الذين يتكئون على الأرائك ويسقون من رحيق مختوم ويطاف عليهم بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين إلى غير ذلك من أنواع النعيم المقيم .

وتتناول أيضاً فضل الصبر والرضا والقناعة وجزاء ذلك عند اللّه تعالى ، وفضل التوكل على اللّه وفضل بناء المساجد وعمارتها ، وبيان وسائل رياضة النفس ومعرفة عيوبها وهى :

١- أن يجلس المرء بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس ويحكمه في نفسه ويعرفه بعيوبها وطرق علاجها .

٢- أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله وينبهه على ما كره من أخلاقه وعيوبه الظاهرة والباطنة .

٣- أن يستفيد بمعرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه لأن عين السخط تبدى المساوئ .

٤- مخالطة الناس لرؤية كل مذموم بين الخلق وأن يطالب نفسه به وينسبها إليه .

وينبغى على المرء أن ينزع من قلبه محبة الشهوات ويجاهد نفسه في طاعة اللّه تعالى .

وينتقل الإمام الغزالى بعد ذلك إلى الحديث عن الإيمان والنفاق ، ويذكر أن كمال الإيمان هو التصديق بوحدانية اللّه ، ويبين خطر المنافق وخصاله ، والنهى عن الغيبة والنميمة وقد سبق الحديث عنهما ، ثم يشير إلى أن المحبة هى محبة اللّه واتباع رسوله ، وأن محاسبة الإنسان لنفسه قد أمر بها الله عز وجل في كتابه الكريم .

وتتصل الطرق الأربعة المذكورة آنفالمعرفة عيوب النفس بالإرشاد النفسى Counseling كما يتصل مفهوم المحبة بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الحب) في علم النفس العام (ص ٣٥٣ - ٣٥٧) .

وتدور الأبواب من الحادى والثمانين حتى التسعين حول بيان تلبيس الحق بالباطل ، وفضل صلاة الجمعة وصلاة الليل ، وعقوبة علماء الدنيا الذين يقصدون من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، وبيان فضل حسن الخلق وأنه أفضل الأعمال وهو أول ما يوضع في ميزان العبد .

ويتصل الحديث عن حسن الخلق بموضوع الأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعى (ص ٣٩٥ - ٣٩٩) . كما تتناول أيضاً الضحك والبكاء واللباس ، وبخاصة ضحك الاستهزاء من القرآن ، وبكاء الخوف والانزجار لما ورد فيه من الوعيد، ثم تذكر فضل القرآن والعلم والعلماء ، وكذلك فضل الصلاة والزكاة ، وبر الوالدين وثوابه ، وحقوق الأولاد المتمثلة في حسن التأديب والتربية وحسن التسمية ، وتلبية مطالبهم وإرضائهم عند الغضب ، والرحمة بهم .

وتتصل هذه الإشارة عن حقوق الأولاد بموضوع التنشئة الاجتماعية Socialization في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٤٠٥ - ٤٠٨) .

وتبين كذلك حقوق الجوار ومنها الإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه وإحتمال الأذى منه ، وعيادته في مرضه وعزائه في المصيبة وتهنئته في الفرح .... إلخ .

أما الأبواب من الحادى والتسعين حتى الحادى عشر بعد المائة فتتناول ذكر فضائل يوم الجمعة وفضل الجهاد في سبيل اللّه وفضل شهور رجب وشعبان ورمضان وفضل ليلة القدر وعيدى الفطر والأضحى ، والعشر الأوائل من ذى الحجة ، ويوم عاشوراء ، وفضل ضيافة الفقراء .

كما تتناول هذه الأبواب أيضاً بيان عقوبة شارب الخمر ، ويندرج شرب الخمر تحت موضوع الإدمان Addection أو الاعتماد Dependance في علم النفس الإكلينيكي.

وتتحدث عن معراج النبي ﷺ ، وحق الزوجه على الزوج ومنه حسن الخلق وكف الأذى عنها واحتمال الأذى منها الحلم عند طيشها وغضبها .

وكذلك حق الزوج على الزوجة ومنه طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في

نفسها مما لا معصية فيه . ويتصل هذا الحديث عن الحقوق المتبادلة للزوجين بمفهوم الدور الاجتماعى Social Role ومتطلباته ، وبموضوع العلاقة الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationship في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٤٢٣) .

ثم تتناول مكر الشيطان ، وبيان آراء الفقهاء والأئمة في سماع الغناء ، والنهى عن البدعة واتباع الهوى ، والنهى عن وسائل اللهو التى تمنع الإنسان عن ذكر الله .

ويختتم الإمام الغزالى هذا الكتاب بالحديث عن الجنازة وآداب حضورها ، وذكر القبر ، والتخويف من عذاب جهنم ، والميزان والصراط يوم القيامة ، ثم وفاة النبي ﷺ وبيان الظروف المختلفة التى أحاطت بهذا الحديث .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

الغزالى ، أبو حامد (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)
المقصد الأسنى في شرح معانى أسماء الله الحسنى (١)

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فنون :

الأول :في السوابق والمقدمات.

الثاني : في المقاصد والغايات .

الثالث : في اللواحق والتكميلات .

الفن الأول :في السوابق والمقدمات :

ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : في بيان معنى الاسم والمسمى والتسمية ، وهي ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة . وفي بيان حد الاسم وحقيقته ، يقول المؤلف : إن للأشياء وجوداً في الأعيان ، ووجوداً في الأذهان ، ووجوداً في اللسان ، والوجود في الأعيان هو الوجود الأصلى الحقيقى ، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمى الصورى ، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظى الدليلى ، والاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة ، وهو الذي في اللسان دون الذي في الأعيان والأذهان . وكل موضوع لدلالة : له واضع ووضع وموضوع له ، يقال للموضوع له : مسمًّى ، وهو المدلول عليه من حيث إنه يدل عليه. ويقال للواضع : المسميَّ ، ويقال للواضع : التسمية . يقال : سمى فلان ولده إذا وضع لفظاً يدل عليه ، ويُسمى وضعه تسمية . وقد يطلق لفظ التسمية على ذكر الاسم والموضوع .

* ويرتبط هذا الفصل بمفهوم المعنى الإشاري Denotative Meaning والمعنى الدلالي Connotative Meaning ومفهوم التخيل Imagination (ص٢٤-٣٩) .

الفصل الثاني : في بيان الأسامي المتقاربة في المعنى . وهنا يذكر المؤلف أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ، وإن كانت متقاربة المعاني (مثل الواحد ، والأحد) و(الغني والملك) فليست مترادفة . وذلك لأن الأسامي لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها، بل لمفهوماتها ومعانيها .

الفصل الثالث : في الاسم الواحد الذي له معان مختلفة وهو مشترك بالإضافة إليها ،

(١) تأليف أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ؛ بعناية بسام عبد الوهاب الجابى . - ط١ . [ليماسول] [قبرص] : الجفان والجابى للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ . ١٨٣ ص .

كالمؤمن مثلاً ، فإنه قد يراد به المصدق ، وقد يشتق من الأمن ، ويكون المراد إفادة الأمن والأمان ، فهل يجوز أن يحمل على كلا المعنيين حمل العموم على مسمياته ، وقال الشافعي رضي الله عنه : " الاسم المشترك يحمل على جميع مسمياته إذا ورد مطلقاً ما لم تدل قرينة على التخصيص " . فأما التعميم ، فربما خالف وضع الشرع وضع اللسان. ففيما تصرف الشرع فيه من الألفاظ لا يبعد أن يكون من وضعه وتصرفه إطلاق اللفظ لإرادة جميع المعاني . فيكون اسم المؤمن بالشرع محمولاً على المصدق ومفيداً الأمن بوضع شرعي لا بوضع لغوي .

الباب الرابع : في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه ، فحظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة : الحظ الأول : معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة، حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ ، وينكشف لهم اتصاف الله عز وجل بها ، انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة ، التي يدركها بمشاهدة باطنة لا بإحساس ظاهر ، الحظ الثاني : وهو استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام ، يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ، ليقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان ، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً بالملائكة المقربين عند الله عز وجل ، الحظ الثالث : وهو السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها ، وبه يصير العبد ربانياً أي قريباً من الله سبحانه وتعالى .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الكمال المطلق الذي يقتصر على الله سبحانه وتعالى. ثم قسم الموجودات إلى حية وميتة ، وأن الحي أشرف وأكمل من الميت . وأن درجات الأحياء ثلاث : درجة الملائكة ، ودرجة الإنس ، ودرجة البهائم . ودرجة البهائم أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها ؛ لأن الحي هو الدَّراك الفعَّال ، وفي إدراك البهيمة نقص، وفي فعلها نقص . ونقصان الإدراك لديها لأنه مقصور على الحواس، وإدراك الحواس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بقرب منها ، وأما الملك فدرجته أعلى الدرجات لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه ، وأما الإنسان فإن درجته متوسطة - بين الدرجتين وكأنه مركب من بهيمية وملكية والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية إذ ليس له أولاً إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة ، إلى أن يشرق عليه بالآخرة نور العقل .

ويرتبط ما ورد في الفصل الرابع بالموضوعات والمفاهيم السيكولوجية التالية :

١- موضوع الإحساس Sensation والإدراك الحسي Perception (ص٤٧-٤٨) ،

والتفكير أو الإدراك العقلي .

٢- مفهوم الغريزة Instinct (ص٥١) .

٣- الاقتداء Modeling ، والظروف المهيئة أو الدافعة إليه (ص٤٦) .

الفن الثاني : في المقاصد والغايات :

ويتضمن ثلاثة فصول ، نعرض لها على النحو التالي :

الفصل الأول : في شرح معاني أسماء الله التسعة والتسعين ، وهي التي اشتملت عليها رواية أبي هريرة ، رضي الله عنه ، إذ قال رسول الله ﷺ : " إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً ، مئة إلا واحداً ، إنه وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة " . فالله عز وجل هو اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلهية ، والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة تستدعي مرحوماً ولا مرحوم إلا وهو محتاج . والرحمن أخص من الرحيم ، ولذلك لا يسمى به غير الله عز وجل . والرحيم قد يطلق على غيره . وأما الملك فهو الذي يستعف في ذاته وصفاته ، ويحتاج إليه كل موجود . والقدوس هو المنزه عن كل وصف يدركه حس ، أو يتصوره خيال ، والسلام هو الذي تسلم ذاته من العيب وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر . والمؤمن هو الذي يعزي إليه الأمن والأمان . والمهيمن تعني أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم . والعزيز هو الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه . والجبار هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد . كما أنه الخالق البارئ المصور، وهي أسماء مختلفة في معانيها ، فالله عز وجل خالق من حيث إنه مقدر ، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد ، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب . والغفار يعني الذي أظهر الجميل وستر القبيح ، والقهار الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه ، فيقهرهم بالاماتة والإذلال ، والوهاب الهبة هي العطية الخالية من الأعواض والأعراض . والرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم ، وخلق لهم أسباب التمتع بها ، والفتاح هو الذي يفتح بعنايته كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل ، والعليم أن يحيط بكل شيء علماً ، ظاهره وباطنه ، أوله وآخره ، عاقبته وفاتحته ، والقابض الباسط فهو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة والخافض الرافع هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء ، ويرفع المؤمنين بالإسعاد . والمعز المذل هو الذي يؤتي الملك من يشاء ويسلبه ممن يشاء ، والسميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي ، والبصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى ، والحكم هو الحاكم المحكم والقاضي المسلم ، الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، واللطيف ويعني اجتماع الرفق في الفعل

واللطف في الإدراك ، والحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ، ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ . والعظيم والغفور أي تام المغفرة والغفران ، والشكور الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ، والعلي الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه . والكبير هو ذو الكبرياء ، أي كمال الذات . والحفيظ هو الحافظ جداً ، والمقيت معناه خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان ، والحسيب هو الكافي، والذي من كان له كان حسبه . والجليل هو الموصوف بنعوت الجلال ، وهي العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات التي سبق ذكرها . والرقيب هو العليم الحافظ ، والمجيب هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ، ودعاء الداعين بالإجابة . والواسع بعلمه وإحسانه . والحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . وأجل الأشياء هو الله سبحانه . والودود، الذي يحب الخير لجميع الخلق ، فيحسن إليهم ويثني عليهم . والمجيد هو الشريف ذاته ، الجميل أفعاله ، والباعث هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ، ويبعث من في القبور ، والشهيد عالم الغيب والشهادة ، وهو الحق ، والقوي المتين ، والولي هو المحب الناصر ، والحميد هو المحمود المثني عليه . والمحصي هوالعالم ، الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه ، وهو المبدئ المعيد ، والمحيي المميت ، والحي القيوم ، والواحد الذي لا يعوزه شيء ، والماجد بمعنى المجيد ، والواحد الذي لا يتجزأ ولا يثنى ، والصمد هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، والقادر المقتدر ، والمقدم والمؤخر، والأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والبر هو المحسن ، والمنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة ويُنَكّل بالجناة ، والعفو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ، والرؤوف ذو الرأفة ، أي شدة الرحمة . وهو مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، والولي الذي دبر أمور الخلق ووليها ، والمقسط الذي ينتصف للمظلوم من الظالم . والجامع أي الذي يؤلف بين المتماثلات والمتباينات ، والغني المغني ، والمانع ، والضار النافع ، والهادي ، والباقي، والوارث الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك ، والرشيد والصبور الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه .

الفصل الثاني : في بيان وجه رجوع هذه الأسامي الكثيرة إلى ذات وسبع صفات على مذاهب أهل السنة . وقد أشار المؤلف إلى ذلك في عشرة أقسام .

الأول : ما يدل على الذات ، كقول الله ، ويقترب منه اسم الحق .

الثاني : ما يدل على الذات مع سلب ، مثل القدوس والسلام والغني والأحد ، ونظائره ، فالسلام مثلاً هو المسلوب عنه العيوب .

الثالث : ما يرجع إلى الذات مع إضافة ، كالعلي والعظيم والأول والآخر ، والظاهر

والباطن ، ونظائره ، فالعلي ، هو الذات التي هي فوق سائر الذوات في المرتبة ، فهي إضافة .

الرابع : ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافة ، كالملك والعزيز ، فالملك هو الذي يدل على ذات لا تحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء .

الخامس : ما يرجع إلى صفة ، كالعليم والقادر والحي والسميع والبصير .

السادس : ما يرجع إلى العلم مع إضافة ، كالخبير والشهيد والحكيم والمحصي فالخبير يدل على العلم مضافاً إلى الأمور الباطنة .

السابع : ما يرجع إلى القدرة مع زيادة إضافة ، كالقهار والقوي والمقتدر والمتين . فالقوة هي تمام المقدرة ، والمتانة شدتها .

الثامن : ما يرجع إلى الإرادة مع إضافة أو مع فعل ، كالرحمن الرحيم ، فالرحمة ترجع إلى الإرادة مضافة إلى قضاء حاجة المحتاج الضعيف .

التاسع : ما يرجع إلى صفات الفعل ، كالخالق والبارئ والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والقابض والباسط والخافض .. إلخ .

العاشر : ما يرجع إلى الدلالة على الفعل مع زيادة ، كالمجيد والكريم واللطيف ، فالمجيد يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات .

الفصل الثالث : في بيان كيفية رجوع ذلك كله إلى ذات واحدة ، على مذهب المعتزلة والفلاسفة . وهؤلاء وإن أنكروا الصفات ولم يثبتوا إلا ذاتاً واحدة ، فلم ينكروا الأفعال ولا كثرة السلوب ، ولا كثرة الإضافات ، فما سبق ذكره من الأسامي والأقسام هم عليها مساعدون . أما الصفات السبع التي هي : الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والسمع والبصر والكلام ، فيرجع ذلك عندهم إلى العلم ثم العلم يرجع إلى الذات ، وبيانه أن السمع عندهم عبارة عن علمه التام المتعلق بالأصوات ، والبصر عبارة عن علمه التام المتعلق بالألوان ، والكلام عندهم يرجع إلى فعله ، وهو ما يخلقه من الكلام في جسم من الجمادات ، عند المعتزلة ، ويرجع عند الفلاسفة إلى سماع يخلقه في ذات النبي ﷺ حتى يسمع هو كلاماً منظوماً من غير أن يكون له وجود من خارج ، كما يسمعه النائم ، ويضاف ذلك إلى الله تعالى على معنى أنه لم يحصل ذلك فيه بفعل الآدميين وأصواتهم . وأما الحياة فعبارة عندهم عن علمه بذاته ؛ لأن كل ما يشعر بذاته فيقال : إنه حي ، وما لا يشعر بذاته لا يسمى حياً .

وزعموا أن علمنا إنما يحتاج في تحقيق المعلوم إلى القدرة ، ثم زعموا أيضاً أن العلم أيضاً يرجع إلى ذاته ؛ لأنه يعلم ذاته بذاته ، فيكون العلم والعالم والمعلوم واحداً . وزعموا أن نسبة علم الواحد ، هو ذاته ، إلى كثرة المعلومات ، كنسبة علم الحاسب مثلاً .

الفن الثالث : في اللواحق والتكميلات :

ويتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين .

ففي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وردت أسامي أخرى قريبة من تلك الأسامي السابقة ذكرها (مثل الأحد بدل الواحد ، والقاهر بدل القهار ، والشاكر بدل الشكور) . كما وردت أسماء أخرى مثل الهادي والكافي والدائم والبصير والنور والمبين والصادق والمحيط والقريب والفاطر والعلام والملك والمدبر وغير ذلك .

وقد ورد في القرآن الكريم ما ليس متفقاً عليه في الروايتين صحيحاً ، كالمولى والنصير والغالب والقريب والرب والناصر .

الفصل الثاني : في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين ، فالأسامي هي تسعة وتسعون فقط ، سمي الله سبحانه وتعالى بها نفسه ولم يكملها مئة ؛ لأنه وتر يحب الوتر . ويدخل في جملتها المنان والحنان وغيرهما . ولا يمكن معرفة جميعها إلا بالبحث في الكتاب والسنة . ثم ذكر المؤلف أن المسألة اجتهادية لا تعلم إلا بتخمين ، فهي خارجة عن مجاري العقول .

الفصل الثالث : في أن الأسماء والصفات المطلقة على الله عز وجل ، هل تقف على التوقيف أم تجوز بطريقة العقل .

وذكر البعض أن ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع . فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز . وذهب الأشعري إلى أن ذلك موقوف على التوقيف فلا يجوز أن يطلق في حق الله تعالى ما هو موصوف بمعناه إلا إذا أذن فيه .

ويرى المؤلف ، أن كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن ، وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن ، بل الصادق منه مباح دون الكاذب ، ولا يفهم هذا إلا بعد فهم الفرق بين الاسم والوصف .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ)
منهاج العابدين [(١)]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

عرض الكتاب :

يبين الغزالى فى مستهل كتابه " منهاج العابدين " فضل العبادة ويصفها بأنها ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الأقوياء ، وبضاعة الأولياء ، وطريق الأتقياء ، وقسمة الأعزة ، ومقصد ذوى الهمة ، وشعار الكرام ، وحرفة الرجال ، واختيار أولى الأبصار، وهي سبيل السعادة ، ومنهاج الجنة (ص ٢) ، ومن هنا يدعو الغزالى إلى حسن العبادة نظراً لقصر العمر وكثرة الانشغال ، ويقدم كتابه حتى يعين المؤمن على استكشاف طريق العبادة القويمة .

ويبدأ الغزالى بتوضيح أن الطاعة ليست بالأمر الهين وهى تستلزم مقاومة النفس وإخضاع شهواتها ، ويستشهد هنا بحديث رسول الله ﷺ : " ألا وإن الجنه حفت بالمكاره ، وإن النار حفت بالشهوات " ، ويتناول بعد ذلك العوائق والصعوبات التى تواجه العبد فى طريق الطاعة ، ويبين كيفية تخطى كل عقبة منها حتى يستقيم على الطريق الرشيد الموصل إلى الجنة ، ويشير الغزالى إلى أنه ألف كتباً من قبل لتحقيق هذا الغرض ومنها " إحياء علوم الدين " و" القربة إلى الله تعالى " ولكن صعب على بعض الناس فهمها ، وجادل البعض الآخر فيها ، ولذا قدم كتابه " منهاج العابدين " راجياً أن يكون واضحاً ومفيداً وفائزاً بالقبول .

وقبل أن يستعرض الغزالى أصناف العقبات المختلفة يبين أن أول طريق الطاعة يبدأ بتوفيق خاص من الله عملاً بالآية الكريمة : ﴿ **أفمن شرح صدره للإسلام فهوعلى نور من ربه** ﴾ وفى الحديث الشريف : " إن النور إذا دخل قلب المؤمن انفسح وانشرح " ومن علامات ذلك النور الزهد فى الدنيا ، والإنابة إلى الآخرة ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، ثم يوجز الغزالى بعد ذلك العقبات التى تعترض الطاعة موضحاً أنها سبع عقبات وهى وفق تصوره لترتيبها :

١ - عقبة العلم والمعرفة ، ٢ - عقبة التوبة ، ٣ - عقبة العوائق ، ٤ - عقبة العوراض الأربعة ، ٥ - عقبة البواعث ، ٦ - عقبة القوادح ، ٧ - عقبة الحمد والشكر .

---

(١) لأبى حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، [د . ت] . ١٠٨ص .

ثم يتناول كلاً منها تفصيلياً موضحاً الظـروف التـى تنشـأ فيهـا كـل عقبـة وكيفيـة التغلب عليها ، وفيما يلى نلخص رأيه فى كل منها .

١ - عقبة العلم والمعرفة :

يحتاج الإنسان فى أول طريق الطاعة إلى أن يعرف من هوصاحب النعم عليه وما هى تلك النعم ، وكيف السبيل إلى شكر المنعم على نعمته ، وهذه هى عقبة العلم والمعرفة ، وهى عقبة يحتاج العبد فيها إلى التأمل والاستدلال وسؤال أهل العلم والمعرفة حتى يعظم الله ويدرك أنه أنعم عليه بالحياة والقدرة والعقل والمنطق وسير له الخير وأبعد عنـه الشـر ثم كلفه بشكر تلك النعم وبطاعته وبعد أن يجتاز تلك العقبة يجد نفسه متأهبة للعبادة .

ويبين الغزالى فضل العلم فيذكر أن العلم والعبادة جوهران وأن العلم أفضلهما ، وفى هذا المعنى جاء فى الحديث الشريف : " فضل العـالم علـى العـابد كفضلـى علـى أدنـى رجل من أمتى " والعلم عند الغزالى هوالأصل ويستمد الدليل مـن قـول رسـول ﷺ : " العلم إمام العمل ، والعمل تابعه " إذ تلزم المعرفة بالمعبود وبصفاته قبـل عبادتـه وهومـا يسمى بعلم التوحيد ، أيضا لابد من العلم بالطاعات الواجبة وبالمعـاصى المنهى عنهـا ، بالإضافة إلى علم الشريعة ويختص بالمعرفة بكل الفروض وآدابهـا ، ويـلزم العمـل أيضـا بالعبادات الباطنة أى أعمال القلب وهى : التوكل والتفويـض والرضـا والصبر والتوبـة والإخلاص واجتناب أضدادها وهى السخط والأمل والريـاء والكـبر ، ويوضـح الغـزالى تأثير المساعى الباطنة فى الطاعات الظاهرة فهى تصلحها أوتفسدها .

ومن فضائل العلم أنه يسبب خشية الله ، ذلك لأن من لا يعرف الله حق معرفته لـم يعظمه حق تعظيمه ، ويوضح الغزالى أن عقبـة العلـم مـن العقبـات الشـديدة ، ولكنهـا عظيمة النفع وقد يقطعها الإنسان فى مدة قصيرة وقد يتخبط عمـره ، وتخطيهـا معتمـدٌ على صدق النية وقوة العزيمة وتوفيق الله .

ومن المفاهيم النفسية الواردة فى جزء " عقبة العلم والمعرفـة " يـبرز مفهـوم الدافعيـة Motivation خاصة الدافعية للإنجاز Achievement والتعلـم Learning وأهميـة الإرادة والاجتهاد فى التعلم ، ومن المفاهيم ما جاء فى سبل التعلم ومنهـا التـأمل ، والاسـتنباط والسؤال ، والتفكير Thinking (ص٦ -٨)

ومن المفاهيم النفسية أيضاً مفهوم السلوك الضمنـى Implicit Behaviour والسـلوك الصريح Explicit Behaviour أوالخارجى والذى يمكن إداركه ، حيث يتضح أن التفكير Thinking والمعرفـة Cognition ومعالـة المعلومـات Information Processing والقيـم Values التى يتبناها الشخص ومنها الصدق Truth والرضـا Satisfaction والإخـلاص Loyalty هى التى تحدد الاستجابة Response أوالسلوك الصريح حيث بين الغزالى أهمية

المعرفة بالمعبود قبل عبادته ، بالإضافة إلى تأثير العلم والتفكير فى إحداث الخوف Fear وهوانفعال Emotion متوقف على المعرفة بقوة مصدر الخوف أوالرهبة (ص٦-٨) .

٢ - عقبة التوبة : عندما ينهض العبد لأداء واجبات الشكر بعد المعرفة بحقوق الله يجد نفسه مثقلة بالذنوب والخطايا ، ويشعر أن عليه أن يتوب عن تلك الذنوب قبل أن يخلص فى العبادة وتلك " عقبة التوبة " ، ويتخطاها العبد بالتوبة النصوح بكل شروطها. ويدعوالغزالى لطلب التوبة لأمرين : أولهما : أن تكاثر الذنوب يودى إلى الحرمان ويمنع عن طاعة الله ، وثانيهما : بالتوبة تقبل العبادة فلا يجوز التبرع بأى عبادة قبل قضاء الدين بالتوبة عن الذنوب .

ويشرح معنى التوبة فيذكر أنها من أعمال القلب وهى تنزيه القلب عن الذنب ، وهى عزم على ترك اختبار الذنوب وعلى عدم العودة إلى ذنب سبق ارتكابه أوسبق منه مثله فى المنزلة والدرجة ، ومن شروط التوبة أن يكون ترك الذنوب تعظيماً لله وخوفاً من سخطه وليس لرغبة دنيوية أوضعف فى النفس أورهبة من الناس أوفقر أوغير ذلك . ويذكر ثلاث مقدمات للتوبة وهى :

(أ) تذكر قبح الذنوب .

(ب) تذكر شدة عقوبة الله .

(جـ) تذكر ضعف العبد وقلة حيائه عندما يخشى ما هودون الله قوة وقدرة .

ويقسم الغزالى أقسام الذنوب التى يجب التوبة عنها إلى ثلاثة أقسام وهى :

(أ) ترك واجبات الله من صوم وصلاة وزكاة أوكفارة وعلى العبد أن يقضى منها ما أمكنه .

(ب) ذنوب بين العبد وبين الله كشرب الخمر وأكل الربا ، وعلى العبد أن يندم عليها ولا يعود إليها .

(جـ) ذنوب بين العبد وبين الخلق وهى أصعب الذنوب وقد تكون فى المال أوالعرض أوالحرمة أوفى الدين - بالرمى بالبدعة والكفر - وهي ذنوب تحتاج إلى أداء حق العباد أوطلب السماح منهم أوالاستغفار من الله وعموماً فإن عقبة التوبة عقبة شاقة وضررها عظيم .

وتبرز هنا بعض المفاهيم النفسية منها الشعور بالذنب Guilt والتفريغ الانفعالى Catharsis وذلك بطرح الصراع Conflict والتعامل معه فى الشعور Consciousness بدلاً من تركه فى اللاشعور Unconsciousness مما يسبب الاضطراب النفسى Psychological disorder (ص ١٠ - ١٤) .

ويوضح الغزالى أهمية أن يتحلى الإنسان بقيم Values مهمة ومنها الصدق Truth

لأن الله لا يقبل إلا التوبة الخالصة له (ص ١٠ - ١٤) ، وتتضمن التوبة الندم على ارتكاب الذنوب ، والعزم على عدم ارتكابها أبداً . وهذا يرتبط بمفهوم الندم كحالة انفعالية وجدانية ، كما يرتبط بالارادة will وضبط النفس Self cantrol والسيطرة عليها حتى لا ترتكب هذه الذنوب مرة أخرى . والتوبة وسيلة ناجحة لعلاج القلق الناشئ عن الشعور بالذنب . كما تقترب أفكار الغزالى من مفهوم التفاعل الاجتماعى Social Interaction وتماسك الجماعة Group cohesivenen من خلال دعوته إلى أداء حق العباد (ص ١٠ - ١٤) .

٣ - عقبة العوائق :

عندما يشرع العبد فى التوبة يجد أن أربعة عوائق تحول بينه وبين إخلاص التوبة وتكون معاً عقبة العوائق وهى : (أ) الدنيا . (ب) الخلق . (جـ) الشيطان . (د) النفس . ويتغلب العبد على تلك العوائق بالتجرد من الدنيا والتفرد عن الخلق ومحاربة الشيطان وقهر النفس . ويرى الغزالى أن النفس هى أشد تلك العوائق لأن الإنسان لا يستطيع أن يخرج عنها ، كما أنها معتادة على اللهوويطهرها الإنسان بالتقوى حتى يسخرها للطاعة ويبعدها عن الشر .

وعقبة العوائق تظهر فضيلة الزهد فى الدنيا والحرص على الآخرة كما يتبين من حديث رسول الله ﷺ : " من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى " ثم يتناول الغزالى أقسام الزهد فيقسمه إلى قسمين:

(أ) الزهد غير المقدور وهوبرودة الشئ على قلب الزاهد . هويرى أن الزهد المقدور مقدمة للزهد غير المقدور وهو الزهد الصعب والحقيقى لأنه من السهل على الإنسان أن يترك طلب الشئ مع تعلق قلبه به أما ترك إرادته وعدم الرغبة فى الشئ فهما أشق على النفس .

أما التفرد عن الخلق فلأنهم يشغلون عن العبادة ويفسدونها ، وإن اضطر الإنسان إلى مخالفة الناس فعليه أن يعاملهم بحرص وأن يستعين بالحلم ، وأن يعاونهم على الخير وينهاهم عن المنكر ويعطيهم أكثر مما يأخذ منهم ، ولا مانع من زيارة الإخوان الصالحين وهى من العبادة وتقرب العبد إلى الله ، ويصيب منها الكثير من الفوائد ولكن بشرطين هما عدم الإكثار وتجنب الرياء واللغووالغيبة .

أما الطريق إلى جهاد النفس فيتمثل فى ثلاثة أشياء وهى : (أ) منع الشهوات (ب) حمل أثقال العبادات . (جـ) الاستعانة بالله والتضرع إليه . والتقوى من السبل لقهر النفس ولذا يهتم الغزالى ببيان كيف يحفظ الإنسان أعضاءه الخمسة العين والأذن واللسان والقلب والبطن من الحرام أوالإفراط فى الحلال . وفى

القلب يذكر أن هناك أربع آفات تفسد القلب وهى الأمل ، والاستعجال ، والحسد ، والكبر ويقابلها أربعة مناقب تصلح القلب وهى قصر الأمل ، والتأنى ، والنصيحة للخلق ، والتواضع .

وتقترب أفكار هذا الجزء من مفاهيم نفسية منها الذات Self وضبط الذات Self control وضبط الدوافع الأولية Primary Motives وقمع Suppression الرغبات والشهوات وتجنب الإفراط أو التشبع Saturation الزائد ، وأهمية التعود Habituation والعادة Habit فى التعلم Learning وذلك لأن الزهد المقدور يعلم الانسان الزهد غير المقدور ، وفى التعلم أيضاً يبين أن الإنهاك exhaustion وهوهنا بكثرة العبادة يؤدى إلى التخلص أوإطفاء extinction السلوك غير المرغوب وهوهنا اتباع الشهوات (ص١٤-١٥) .

ومن المفاهيم أيضاً ما يقترب من التفاعل الاجتماعى Social Interaction والصداقة Friendship والتخاطب Communication والمهارة الاجتماعية Social Skill ومستويات العلاقات الاجتماعية social Relationships وشروط التفاعل فيها ، فمع عامة الناس ينبغى مراعاة الحرص وتقديم المساعدة Help والتعاون Cooperation ، أما مع الأصدقاء فينبغى عدم الإكثار أوالإفراط وتجنب الغيبة والنميمة (ص ١٦ - ٢٢) .

ومن الأفكار التى قدمها لحفظ القلب تبرز مفاهيم الصحة النفسية Psychological Health من خلال قصر الأمل أوالاعتدال فى مستوى الطموح Aspulsiveness وتقديم النصيحة Giving Advice والتدعيم الاجتماعى Social Reinforcement أى الاهتمام بالآخرين وإثابتهم Rewarding بدلاً من مشاعر الغيرة والحسد (ص٤٩-٥٠).

٤ - عقبة العوارض الأربعة :

بعد أن يتخطى العبد عقبة العوائق وينوي الإخلاص فى العبادة يجد نفسه أمام أربعة أمور تشغلة وتقلقه وتعوقه عن حسن العبادة وهى :

(أ) الرزق الذى تطالبه نفسه به خاصة بعد أن تجرد من الدنيا وتفرد عن الخلق .

(ب) الأخطار من كل شئ يخافه أويرجوه ولا يدرى هل فى هذا الأمر صالحه أوفساده فينشغل قلبه بعواقب الأمور وهى مبهمة فيقعد عن العبادة .

(جـ) الشدائد والمصائب والتى تنصب عليه وتتكاثر فوقه وهنا تزيد أحزانه .

(د) أنواع القضاء والابتلاء من الله بالحلو والمر خاصة وأن النفس ميالة إلى السخط والتبرم .

ويبين الغزالى أن الطريق إلى قطع العوارض بأقسامها الأربعة يتمثل فى السبل الاتية:

(أ) التوكل على الله للتخلص من قلق الرزق بعد التيقن بأن الله الرزاق .

(ب) التفويض إلى الله فى موضع الخطر ومنه يتأتى طمأنينة القلب .

(جـ) الصبر عند نزول الشدائد ، بالصبر تزيد قدرة العبد على تحمل المشقات وبه يتحقق فلاح العبد ونجاته ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ .

(د) الرضا عند نزول القضاء وبذلك يتفرغ العبد للعبادة بدلاً من أن يشغل نفسه بالهموم ويتفادى سخط الله إذا لم يرض بقضاء الله .

ومن المفاهيم هنا نذكر القلق Anxiety وهوشعور غامض يصحبه توقيع غير سار وتوتر Tension وإحساسات جسمية متكررة Frequent بالألم Pain فى أجزاء مختلفة من الجسم ، وقد بين الغزالى مصادر مختلفة للقلق منها القلق على الرزق ، وتقترب أفكاره من مفاهيم نفسية أخرى منها الاكتئاب Depression والمترتب على المرور بخبرات سلبية Negative experiences أومشقة Stress or Fear زائد أوأحداث الحياة Life Events من وفاة أويشعر به الشخص أمام الحياة التى لا يمكن توقعها ، ويرى الغزالى أن وسائل علاج القلق هى الرضا Satisfaition والصبر بقضاء الله عند الشدائد ، فإن من شأن ذلك أن يحقق للإنسان الاتزان الوجدانى والتوافق النفسى (ص٥١-٦٩) .

٥ - عقبة البواعث :

بعد أن يقطع الإنسان عقبة العوارض الأربعة ينظر إلى نفسه فيجد أن الكسل والفتور قد أقعدها عن واجبات العبادة ويلاحظ عليها الميل إلى الراحة والخمول والشر وهنا يحتاج إلى تنشيطها بسائق يقودها إلى الخير وزاجر ينأى بها عن الشر وهما الرجاء والخوف ، فالرجاء فى ثواب الله ووعده لعباده الصالحين ينشط النفس للعبادة ويشجعها على تحمل المشقات والخوف من عقوبة الله يصرفها عن المعاصى .

ويعرف الغزالى الخوف بأنه رعدة تحدث فى القلب لتوقع مكروه يصيبه والخشية نحوه ويقابل الخوف الجراءة أوالأمن ومقدمات الخوف أربع وهى :

(أ) ذكر الذنوب الكثيرة .

(ب) ذكر شدة العقوبة .

(جـ) ذكر ضعف النفس عن احتمال عقوبة الله .

(د) ذكر قدرة الله متى شاء وكيف شاء .

أما الابتهاج فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله وتذكر سعة رحمته وضده اليأس ومقدمات الرجاء أربع وهى : -

(أ) ذكر سوابق فضل الله .

(ب) ذكر ما وعد الله به من جزيل الثواب والذى يربوعلى عمل العبد .

(جـ) ذكر نعم الله فى الدنيا والدين دون سؤال أواستحقاق .

(د) ذكر سعة رحمة الله .

وتقترب أفكار الغزالي هنـا مـن المفـاهيم النفسـية الاتيـة : فقـدان الدافعيـة Lack of Motivation كمـا تتمثـل عنـده فـى الكسـل عـن العبـادة ، وكذلـك مفهـوم تخيـل Imagination المدعمات الإيجابية Positive Reiforcers ممثلة فى الرجـاء أوتخيـل العقـاب Punishment ممثلاً في الخوف ، وتأثير ذلك التخيل في التنشيط Activation وإصـدار الاستجابة Response المرغوبة . وتقترب أفكاره أيضاً من مفهوم الانفعالات Emotions ومنها الخوف Fear حيث يعرف الخوف بأنه رعدة فى القلـب لتوقـع مكـروه والخشـية منه ويقترب تعريفه للخوف من تعريف القلق الذى قدمناه على أنه شعور عـام General Feeling غامض Ambiguous يصحبه توقع غير سار Unpleasant Expectation وتوتـر Tension ومتاعب جسمية ترجع لهذا التوتر النفسى . ومن الانفعالات أيضـاً الابتهـاج أو السرور Pleasure المترتب علـى الرجـاء ويقابلـه اليـأس Hopelessness ، والشـعور بالعجز Helplessness (ص ٦٩ - ٧٩) .

٦- عقبة القوادح :

بعد أن يتخلص العبد مـن عقبـة العوائـق وبعـد أن ترغـب نفسـه فـى العبـادة بفعـل البواعث ينشط للعبـادة فيؤديهـا فـى جـد وشـوق فـإذا نظـر إلى نفسـه وجـد أن آفتـين تفسدان عليه العبادة بعد أن قطع إليها شوطاً بعيداً وهما :

(أ) الرياء فقد يرائى العبد الناس بعبادته فتفسد ، ويحتاج الإنسان هنا إلى الإخلاص وذلك للفوز بثواب الله وحسن قبوله لأن الله لا يقبل إلا العمل الخالص له ، وعلى هذا يقابل الإخلاص الرياء وهوإما رياء محض وهوإرادة نفع الدنيا لا غير بفعل الآخرة أورياء تخليط وهوإرادة نفع الدنيا والآخرة بفعل الآخرة .

(ب) العجب وذلك عندما يعجب العبد بنفسه ويستعظم عملـه الصـالح وهويفسـد العمل كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ : " ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهـوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه " . وضد العجب ذكر المنة وتذكر أن ما به من نعمة فمـن الله وبتوفيقه .

وتقترب أفكار الغزالى هنا من مفهوم القيم Values التى تحكم حياة الشخص وتوجه سلوكه ومنها الصـدق Truth والإخـلاص Loyalty والكـرم Generosity فـى مقـابل البخل، والتواضع Modesty فى مقـابل مشـاعر النرجسـية Nargissism وحـب الـذات وضلالات العظمة Delusions of Grandiose فى شـكلها المرضـى المتطـرف عندمـا يبلـغ إعجاب المرء بنفسه إلى أقصى مداه فيختل تصـوره لحـدوده (ص ٧٩ - ٨٤) ، ومـن المفاهيم أيضاً مفهوم القمع Suppression كما يتمثل فى ضبط الدوافع الأوليـة Primary Motives وعدم اتباع الهوى (ص ٨٣) .

٧- عقبة الحمد والشكر :

بعد أن يقطع الإنسان عقبة القوادح تخلص له العبادة ويستقيم على طريق الطاعة فيجد نفسه محاطاً بنعم الله وفضله وبحراسته وكرمه فيخاف أن يعجز عن شكر النعم فتزول عنه وتقابله هنا " عقبة الحمد والشكر " . وهنا يلزم العبد الحمد والشكر لأمرين هما دوام النعمة وحصول الزيادة فيها .

ويميز الغزالى بين الحمد والشكر فيصف الحمد بأنه من أشكال التسبيح والتهليل ، ولذا فهومن الأمور الظاهرة ، أما الشكر فهومن أشكال الصبر والتفويض وهوالطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلن وهومن المساعى الباطنة ويقابل الحمد اللوم ويقابل الشكر الكفر والحمد أعم وأكثر تكرارا من الشكر والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وقليل من عبادى الشكور** ﴾ .

وتقترب أفكار الغزالى هنا من المفاهيم النفسية الآتية : الخوف Fear من عدم شكر النعمة ، والسلوك الصريح Explicit Behaviour وهوالحمد ، والسلوك الضمنى Implicit Behaviour وهوالشكر ، ومفهوم الندرة Rarity كما يتمثل فى عدم تكرار الشكر وقلة شيوعه Communality ، ولذا يكون أكثر قيمة Value لندرته (ص ٩٤ - ٩٥) .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس المهنى .

الغزالى ، أبوحامد (ت – ٥٠٥ هـ) ، بداية الهداية [1]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٦٠ صفحة من القطع الصغير ، ويتكون من مقدمة وقسمين ، يوضح المؤلف فيها معنى الهداية ويشرح السبل الموصلة إليها ، ويشجع الإنسان على التحلى بمكارم الأخلاق وتجنب المعاصى بكافة أشكالها .

وفيما يلى نلخص أهم الأفكار التى أوردها الإمام فى كل قسم منها ثم نبين بعد ذلك إلى أى حد ترتبط بالمفاهيم النفسية الحديثة .

مقدمة – تقسم طلاب العلم :

يقسم الغزالى الناس وهم يطلبون العلم إلى ثلاثة أقسام :

١ – رجل يطلب العلم لوجه الله والدار الآخرة حتى يكون زاداً ليوم الحساب ، وأولئك هم الفائزون .

٢_ رجل يطلب العلم حتى يستمد منه العز والجاه والمال وهويشعر فى داخله بعدم الرضا عن حاله وأولئك هم المخاطرون لأنه قد يلقى الواحد منهم نهايته قبل أن يعلن توبته .

٣ – رجل يتخذ من العلم سبيلاً إلى جمع المال والتفاخر وكثرة الأتباع ، وهويظن نفسه من المحسنين بما حصله من علم وهؤلاء هم الهالكون لأن التوبة ليست واردة فى تفكيرهم ولأنهم يدعون الناس إلى الانصراف عن الدنيا بألسنتهم ولكنهم يدعونهم إلى الإقبال عليها بأعمالهم وأهوالهم خاصة وأن الأعمال تؤثر فى الناس أكثر من الأقوال . ولذا ينصح الغزالى طالب العلم بأن يكون من القسم الأول ويحذره من أن يكون من الفريق الثانى ، ثم يحذره شديد الحذر من أن يكون من الفريق الثالث .

وترتبط المقدمة السابقة ببعض المفاهيم النفسية هى التعلم Learning ، وتحديد السلوك المقبول للمعلم والمتعلم ، وأهمية القدرة Modelفى التعلم مبيناً خطر طلاب العلم والعلماء وتأثيرهم فى سلوك الآخرين . وأوضح أن الأفعال deeds أكثر تأثيراً من الكلام (ص ١٧ – ١٨) .

القسم الأول فى الطاعات :

يصنف الغزالى أوامر الله إلى فرائض ونوافل ويشبه الفرض برأس المال وهوأصل التجارة ، أما النوافل فهى الربح وبه يتحقق الفوز وتتحسن الدرجات ، ويوضح أن

---

(١)لأبى حامد الغزالى ، قدم له وعلق عليه محمد الحجار . – ط ٥ . [القاهرة] : دار التراث العربى ، ١٩٨٦ .

أساس التقرب إلى الله هومراقبة القلب والجوارح فى كل وقت مع التيقن من أن الله مطلع على السر والعلن . ثم يقدم الغزالى بعد ذلك الآداب المختلفة ونلخصها على النحو التالى :

آداب الاستيقاظ من النوم :

ينصح الغزالى بالاستيقاظ من النوم قبل طلوع الفجر ثم ارتداء الملابس لستر العورة مع تجنب المبالغة فى الثياب .

آداب دخول الخلاء :

ينصح الغزالى المرء بدخول المرحاض بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى ، وألا يدخل حاسر الرأس أو حافى القدمين مع البعد عن عيون الناظرين .

آداب الوضوء :

ينصح الغزالى باستعمال السواك - بعد الاستنجاء - ثم شرح كيفية الوضوء الصحيح والدعاء المستحب فى كل حركة ثم يوضح ما يطلب احتنابه فى الوضوء مثل الإسراف فى الماء ولطم الوجه ورش الماء والحديث أثناء الوضوء .

آداب الغسل :

من آداب الغسل غسيل اليدين ثم ازالة القذارة من البدن ثم الوضوء وصب الماء على الرأس وبعد ذلك على الشق الأيمن من الأيسر مع تدليك اليدين وتخليل شعر الرأس واللحية .

آداب التيمم :

هنا يبين الغزالى الظروف التى تبيح التيمم وكيفية التيمم الصحيح موضحاً أن التيمم يصلح به صلاة فرض واحد وأى عدد من النوافل وذلك على مذهب الشافعية وهومذهب الغزالى .

آداب الخروج إلى المسجد ودخوله :-

يحث الغزالى على صلاة الجماعة لأن صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ويوصى بأن يمشى المسلم إلى المسجد فى هدوء وسكينة ويذكر الأدعية المستحبة فى الطريق إلى المسجد ، ويحذر من التجارة فى المسجد أوالسؤال عن الضالة ثم يوصى بصلاة ركعتى التحيه ثم صلاة الفجر وبعدها ينوى الشخص الاعتكاف ويذكر الأدعية المستحبة وبعد الدعاء لا يشغل المسلم نفسه إلا بذكر أوتسبيح أوقراءة القرآن .

آداب ما بعد طلوع الشمس :

ينصح الغزالى الإنسان أن يشغل نفسه فى نهاره بأربعة أمور وهى :

١ - طلب العلم النافع .

٢ - الانشغال بالعبادة من ذكر وقرآن وتسبيح وصلاة .

٣ – الانشغال بعمل الخير للمسلمين ولإدخال السرور عليهم وتيسير الأعمال الصالحة للصالحين وإطعام الفقراء والمساكين والتردد على المرضى والجنائز .

٤ – السعى للكسب لنفسه ولعياله دون إيذاء للمسلمين بلسان أويد .

وهنا ينصح الغزالى الإنسان بالعزلة إذا لم يستطيع الحفاظ على دينه وهويخالط الناس فى نهاره ، ويتناول بعد ذلك آداب الصلوات من الظهر وحتى العشاء .

آداب النوم :

من آداب النوم استقبال القبلة والنوم على الجانب الأيمن وعلى طهارة . وأن تكون الوصية مكتوبة تحت الرأس مع التوبة عن الذنوب وطلب الخير لجميع المسلمين ، بالإضافة إلى عدم التكلف فى طلب النوم لأن النوم تعطيل للحياة وينصح بألا تزيد عدد ساعات النوم عن ثمانى ساعات وهى ثلث ساعات اليوم وثلث العمر كله .

وفى الصفحات التالية يشرح آداب الصلاة والإقامة وصلاة الجمعة والصيام ويحيل القارئ الذى يبغى مزيداً من المعرفة بالآداب إلى كتابة " إحياء علوم الدين " .

ويرتبط القسم الأول ببعض المفاهيم النفسية هى الدافعية Motivition ، وذلك من خلال تنبيه الغزالى إلى أهمية السعى والنشاط Activity وتقليل عدد ساعات النوم ، وعدم الإلحاح فى طلب النوم (ص ٧٨ – ٧٩) .

القسم الثانى : فى اجتناب المعاصى :

يقسم الغزالى الدين إلى قسمين أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات ، ويرى أن ترك المناهى أشد على النفس لأن الطاعات يقدر عليها كل الناس أما ترك الشهوات فلا يقدر عليها إلا شديدوالورع ويستشهد بحديث رسول الله ﷺ : " المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه " .

ويسترسل الغزالى داعياً الإنسان إلى حفظ كل جوارحه من المعاصى لأنها نعمة من الله وأمانة لدى الإنسان عليه أن يحفظها حتى تشهد له يوم القيامة ثم يوضح الغزالى كيف يحفظ الإنسان أعضاءه السبعة وهى العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل على النحو التالي :

١ – العين : تحفظ من النظر إلى غير محرم : وإلى صورة جميلة بشهوة ، أوإلى مسلم بعين الاحتقار ، أوالاطلاع بها على عيب مسلم .

٢ – الأذن : تحفظ من السماع إلى البدع أوالغيبة والفحش أوالباطل أوعيوب الناس.

٣ – اللسان : يحفظ من الكذب وخلف الوعد ، والغيبة ، والجدال ، وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية .

٤ – البطن : تحفظ من أكل الحرام والإفراط فى الأكل والشراب لأن الشبع يفسد

الذهن ويقسى القلب ويعطل الحفظ .

٥ - الفرج : يحفظ من كل محرم ولا يمكن للإنسان أن يحفظ فرجه مالم يحفظ عينه من النظر وقلبه من الفكر وبطنه من الحرام والشبع .

٦ - اليد : تحفظ من ضرب المسلمين وتناول الحرام وخيانة الأمانة وكتابة السوء.

٧ - الرجل : تحفظ من المشى فى الحرام أوالسعى إلى سلطان ظالم .

ثم يبين الغزالى بعد ذلك - معاصي القلوب ويذكر منها أمهات الخبائث وهى : الحسد والرياء (وهوطلب المنزلة فى قلوب الخلق) ، والعجب (أى الكبر والفخر) ، ويضيف إليها الشح والبخل واتباع الهوى .

ثم يقدم الغزالى جملة آداب يدعوالإنسان إلى الأخذ بها فى معاملته مع ربه وعند التعليم أوطلب العلم أوالصحبة مع الوالدين والإخوان والأصدقاء نلخص بعضها على النحو التالى :

من آداب المعلم الاحتمال ، والحزم ، والهيبة ، والتواضع ، وترك الهزل ، والرفق بالمتعلم ، والتأنى بالمتعجرف ، وإرشاد البليد ، وعدم الأنفة من قول لا أدرى ، وتشجيع السائل وفهم سؤاله ، والانقياد للحق ، ومنع المتعلم عن كل ما يضره ، وصده عن شغل نفسه بفرض الكفاية قبل أن يفرغ من فرض العين .

ومن آداب المتعلم : أن يبدأ بتحية العالم ، وأن يقل فى كلامه ، ولا يتكلم إلا إذا سأله ، وألا يسأل قبل أن يستأذن ولا يعارض ، ولا يشاور جليسه ، ولا يلتفت إلى جانبه ، ولا يطيل عليه عند ملله ، وإذا قام له ولا يسأله فى طريقه إلى أن يبلغ منزله ولا يسيء الظن به .

ومن آداب الولد مع والديه : أن يسمع كلامهما ويمتثل لأمرهما ولا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ويحرص على مرضاتهما ولا يمن عليها بالخير ولا يسافر إلا بإذنهما .

وفى مجال الصحبة والصداقة يقسم الغزالى الناس إلى ثلاثة أصناف إما أصدقاء أومعاريف أومجاهيل . فمع الأصدقاء ينبغى التحقق من استيفاء الصديق لشروط الصداقة وهى خمسة :

١ - العقل .

٢ - حسن الخلق .

٣ - الصلاح .

٤ - الكرم والبعد عن الحرص والبخل .

٥ - الصدق .

أما عن حقوق الصحبة مع الأصدقاء فهى كثيرة ونذكر منها : الإيثار بالمال ، المبادرة بالإعانة ، وكتمان السر ، وستر العيوب ، والسكوت عن تبليغه مذمة الناس وإبلاغه ما يسره من ثناء الناس عليه ، حسن الإصغاء عند الحديث ، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسن أوأن يشكره على صنيعه فى وجهه ، وأن يدافع عنه فى غيبته ، وأن ينصحه باللطف ، ويعفوعن ذلته ، وأن يدعوله فى خلوته فى حياته وبعد مماته ، وأن يحسن الوفاء مع أهله ، والتخفيف عنه فى المكاره ، وإظهار السرور لرؤيته ، والسلام عليه عند لقائه . أما المعاريف أوالمعارف وهم الأشخاص الذين تتوفر عنهم قدر من المعرفة وتربطنا بهم علاقة سابقة ولكن لا تصل لدرجة الصداقة . ويحذر الغزالى منهم لأن الأصدقاء يعينون أما المجاهيل فلا يضرون .

ويذكر من آداب معاملة المعاريف : التأدب ، والتواضع والتحمل وعدم الاطمئنان إليهم ، حتى وإن أظهروا المودة ، مع التماس الأعذار لهم ، والهدوء فى المجلس ، وحسن الحديث ، وعدم الإلحاح فى الحاجات ، والاعتدال فى اللبس وفى التزين ، وعدم الإكثار من الالتفات والإشارة باليد أوالبصق أوالتثاؤب .

ومن آداب التعامل مع المجاهيل : أى الأشخاص الذين لا تتوفر عنهم أية معرفة ولا تربطنا بهم علاقة سابقة وتجمعنا الظروف بهم - يذكر الغزالى قلة الإصغاء إلى أحاديثهم، والتغاضى عن سوء ألفاظهم ، وتجنب كثرة لقائهم ، والحاجة إليهم ، مع التنبيه على ألفاظهم السيئة باللطف والنصح عند توقع القبول منهم .

ومن أهم المفاهيم النفسية التى وردت فى القسم الثانى مفهوم التفاعل الاجتماعى Social Interaction ، حيث تقترب أفكاره من مفاهيم التخاطب اللفظى Verbal Communication والتخاطب غير اللفظى non verbal communiction أثناء تناوله للصحبة أوالصداقة Friendship وفيها يظهر الوعى بوجود مستويات للصداقة Levels of friendship وللعلاقات الاجتماعية Social relationships تبدأ من التعامل مع الغرباء Strangersثم المعارف Acquaintance حتى العلاقة الحميمة intimate relationship .

وفى مجال الصداقة أيضاً يبرز مفهوم سمات الصدق traits وقيمه Values حيث أكد أهمية الذكاء Intelligence والخلق Moral والكرم Generosity والاستقامة rectitude والصدق Truth وتبرز أيضاً مفهوم التوقعات Expectancies وهومفهوم يختص بالسلوك المتوقع من الصدق فى تعامله مع صديقه وهويكون ما نسمية بمكونات الصداقة Components of friendship ومن التوقعات أوالمكونات التى ذكرها الغزالى المساعدة Help والتأييد Support والتعاون Cooperation والدفاع defense وتقديم النصيحة advice والمجاملة Compliment والإيثار Altruism ويعبر عنه من خلال الجمال

Beauty أو الوسامة وحسن المظهر أوالسلوكيات غير اللفظة والحركات الجسمية التى تجعل الشخص مرغوباً ومقبولاً من الآخرين حيث يبين الغزالى أهمية الاعتدال فى الملبس وتقليل الالتفات والبصق والتثاؤب والإشارة باليدين أيضاً يبرز مفهوم العزلة أو الانسحاب Withdrawal من العلاقات الاجتماعية إذا تبين أن للصداقة أضرار تنجم من مخالطة الصالحين (ص ١٤٣ - ١٥٦) .

كما يرتبط مضمون كلام الغزالى فى الجزء السابق بمفهوم التنشئة الاجتماعية Socialization ، عندما يشرح آداب الولد مع والديه أيضاً عندما يبين السلوك المقبول من المعلم أوالمدرب Trainer حيث يوضع أهمية الخصال الآتية : الصبر patience والهيبة والاحترام Respect والتواضع Modesty والجدية Seriousness والإرشاد والتوجيه Guidance والتدعيم Reinforcement وطرح الأسئلة Asking questions (ص١٤٠-١٤٣) . وكذلك مفهوم تأكيد الذات Self - assertion (ص ١٤٠) ، ومفهوم الانفعالات Emotions والغرائز Instincts (ص ١١٢ - ١٣٠) وذلك كما تبين من دعوته إلى كف شهوات ودوافع أولية منها الجوع والعطش والجنس .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ) ، منهاج المتعلم [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يتناول المؤلف فى الكتاب مجموعة من المسائل المتعلقة بالعلم والمتعلم ، وذلك من خلال ثلاثة أبواب نعرض لها على النحوالتالى :

الباب الأول : فى العلم :

وفيه يوضح المؤلف أهمية العلم ودلالته وفضله مستشهداً بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، فقال الله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات** ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذى لا يعلمون** ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول الله ﷺ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ، وقال عليه السلام : أى الأعمال أفضل ؟ قال عليه السلام : " العلم " . فقيل : أى الأعمال تزيد يارسول الله ؟ فقال عليه السلام : " إن العمل القليل مع العلم ينفع ، وإن العمل الكثير مع الجهل لا ينفع " . ويرتبط مضمون هذا الباب بمفهوم القيم العلمية Scientific Values (ص ٥٧ - ٧٢) .

الباب الثانى : فى المعلم :

يجب أن يكون المعلم ماهرًا فى فن يعلمه ، وأن يكون طاهر القلب واللسان ، وأن يكون نظيفاً عن الغيبة ، وعدلاً فى الدين ، وناصحاً فى جميع الأمور ، وملائماً فى العيش ، وشريفاً فى النسب ، وكبيراً فى السن ، وأن لا يكون غضوبا ، وأن لا يخالط الشيطان ، ولا يباشر الدنيا تشغله عن أمر دينه . ويجب أولاً على التعلم إذا جئ به مبتدئاً ، أن يداعبه ويكرمه ويعزره إلى يوم كان مؤنساً معه ، لأن المبتدئ كالطير الوحشى لا يأنس إلا بالتلطف فإن العلم أشق عليه وأمر ، فيجب إصلاحه على ما يقتضيه طبعه . ولا يتعبه حتى لا يسمع كلامه ولا يعمل بأمره . ثم يبدأ ثانياً بالتأديب ثم بالتعليم ، فإن التعليم لا يمكن إلا بعد التأديب ، لأن من ليس له أدب ليس له علم . ويجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء والغباوة ، ويعلمه على مقدار وسعه ، ولا يعلم من لا يعظمه ولا يكرمه ، فإن العلم لا يحصل إلا بالتعظيم والتكريم . ومن الواجب على المعلم حسن العبارة عند التكلم ، وتفصيل الكلام ، وإيضاحه بعد ظهوره . فإن المعلم إذا لم يتصف بهذه الأوصاف الحميدة، لا يستفيد منه المتعلم وإن استفاد لا ينفعه .

---

(١) تحقيق هشام نشابة - ط ١ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ . ٣٠ص .

ويبدأ المعلم فى تعليم المتعلم بأقرب ما يفتقر إليه الطالب وأهم ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، كما يجب عليه أن يعلم كل نوع من المتعلم بما يبلغ عقله ويدرك ذهنه . ولا يشدد عليه فييأس فإن اليأس كفر ، فلا يحدث الجاهل الآمن واليائس لئلا يوقعه فى الكفر ، ولا يكثر على المستمع إكثاراً يورثه الملالة ، ويخبره ما عنده من العلم على وجهه ، أى كما سمعه لا يزيده ولا ينقصه قد يكون كذباً غير مطابق للواقع فربما يقع بسببه فيما يصير وبالاً . ويرتبط مضمون هذا الباب شروط التعلم الجيد (ص٧٣-٧٨). رخصال المعلم (ص ٧٣ - ٧٨) .

الباب الثالث : فى المتعلم :

يجب على الآباء تأديب الأبناء وتربيتهم وإرسالهم إلى المعلم إذا بلغ أربع سنين وأربعة أيام . فإن الأب إذا لم يودب ابنه ، ولم يحسن أدبه ، ولم يجلس بين يدى المعلم، ظهرت آثار الانحراف فى جميع أعضائه ، خصوصاً فى لسانه ، وذهب استعداده وقابليته، وحدث الجهل والطغيان وأنواع المعاصى فيه ، فيحصل الأب حصته من سوء عمله ، فيعاقب عليه بمثل ما عوقب ابنه .

ولا ينال المتعلم العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وأستاذه . ويطلب المتعلم مسرة المعلم بالتواضع ، والتكلم ، والتملق ، والدعاء ، والخدمة ، والنصرة وغير ذلك . ولا يبخل المتعلم بشئ من ماله على أستاذه ويحمل ما يسمع من خطاياه على أحسن التأويل . ولا يضحك فى العلم وسماعه ولا يلعب فيه فيموت قلبه ، ولا يجادل معه فى العلم ، ولا يعارض .

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء ، وتعظيم أولاد أستاذه ومن يتعلق به . والتملق مذموم إلا فى طلب العلم ، فإنه ينبغى أن يتملق أستاذه وشركائه ليستفيد منهم . ويجب على المتعلم تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق . ويجب على المتعلم أن لا يختار نوع العلم النافع بنفسه ، بل يفوض أمره إلى أستاذه ، فإن الأستاذ قد حصل له التجارب فى ذلك فكان أعرف بما ينبغى لكل واحد وما يليق بطبيعته . ويجب على المتعلم الصلاح فإن العلم الحاصل بالفسق والفجور لا ينفع صاحبه ، ولا يخلصه من ظلمات الجهل . هذا بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى المهمة التى ينبغى توافرها فى طالب العلم (ص ٧٩ - ٩٢) ، وكذلك بعض شروط عملية التعلم Learning (ص٧٩-٩٢) .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام ، وبوجه خاص فى موضوع سيكولوجية التعلم .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ)
مجموعة رسائل الإمام الغزالى [1]

عرض : د. شعبان حاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يتناول هذا الكتاب رسالتين من مجموعة رسائل الإمام الغزالى ، تختص أحدهما بالحكمة فى مخلوقات الله عز وجل ، أما الثانية فتتعلق بمعراج السالكين . ونعرض لها كالآتى :

عرض الرسالة الأولى : (الحكمة فى مخلوقات الله عز وجل) :

تنقسم هذه الرسالة إلى عدة أبواب ، يشتمل كل منها ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من المخلوقات ، فتبدأ بباب التفكر فى خلق السماء وفى هذا العالم ، والكيفية التى يوجد عليها وما يحويه من نجوم وكواكب تسير فى نظام دقيق يدل على فاعله وصنعته المحكمة الصمدية ، وفى النظر إلى السماء عشر فوائد ، فهى تنقص الهم وتقلل الوسواس وتزيل الخوف وتذكر بالله وتنشر فى القلب التعظيم لله ، وتزيل الفكر الردئ وتنفع لمرض السوداء وتسلى المشتاق وتؤنس المحبين وهو قبلة دعاء الداعين .

وبعد ذلك يتطرق الغزالى إلى بيان الحكمة فى الشمس وفى خلق القمر والكواكب والأرض التى مهدها الله لاستقرار الحيوان والإنسان وما حوته من معادن ومنافع للناس، وكذلك بيان الحكمة فى خلق البحر وما فيه من الخير للإنسان ، والماء الذى به حياة كل من على وجه الأرض ، والهواء الذى لولاه لهلك جميع حيوان البر ، والنار وما فيها من النعم .

وينتقل الغزالى بعد ذلك إلى بيان حكمة خلق الإنسان من ماء مهين يخرج من بين الصلب والترائب ، ويخلق منه الذكر والأنثى وكيف يمر هذا الخلق بعدد من المراحل بدءًا من النطفة ثم العلقة ثم خلق العظام ثم كسو العظام لحماً حتى يكتمل نموالجنين داخل الرحم ويخرج طفلاً . وتتصل هذه المفاهيم الارتقائية بمراحل النمو والارتقاء فى علم النفس الارتقائى Developmental Psychology (ص ٢٦) ويشير إلى أن الله قد خلق أعضاء الإنسان بحكمة ودقة بالغة ، حيث يقوم كل منها بوظيفة محددة فى نظام متكامل بديع ، فخلق الحواس والعظام والعضلات والشهوات ، والعقل الذى يوجه كل ذلك .

كما خص الله الإنسان بنعم كثيرة منها الحفظ والنسيان والنطق والفكر والعقل والغضب والحياء .

وبعد أن يفصل الإمام الغزالى القول فى بيان حكمة خلق الإنسان ، يبين الحكمة فى

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ . ١٥٩ ص .

خلق الطير وكيف أن الله خلقه على هيئة تقتضى الطيران ، وتعينه على القيام بوظائفه الأساسية والبيولوجية والحصول على حاجاته الضرورية ، كذلك يبين الحكمة فى خلق البهائم واختلاف أنواعها وطباعها ، وفى خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب والسمك ، والنبات وما جعل الله فيه من ضروب المنافع والمطاعم والروائح والمآرب التى لا تحصى .

وفى نهاية هذه الرسالة يبين الغزالى ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلام الغيوب، وذلك من خلال النظر والتفكير فى الآيات البينات والبراهين الواضحة الدالة على جلال البارى وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور عظيمته فى حكم المخلوقات ، وهذا هوالباب لمعرفة الله واليقين بما عنده .

عرض الرسالة الثانية : (معراج السالكين) :

تتضمن هذه الرسالة بيان الآراء الفاسدة التى استهوت عقول الناس ، وكذلك بيان الطريق الأسلم والصراط الأقوم وما يقتضيه ذلك من ذكر الطريق المنحطة عنه حتى يكون ذلك معيناً للسالكين .

وتنقسم هذه الرسالة إلى سبعة معارج على النحوالتالى :

المعراج الأول : ويدور حول الدلالة الظاهرة التى يتبعها معظم الناس للوصول إلى معرفة الله ، ذلك أن العالم هوالسلم إلى معرفة البارئ سبحانه ، لأن الإنسان محجوب عن عالم الغيب وهوالغائب عن إدارك الحس ولم يتوصل إلى معرفته إلا بجد وتيقظ وقوة مفكرة ، فيستدل بما شاهد فى نفسه على ما لم يشاهد وألا يتعدى المحسوس ولا يحمله أكثر مما يحتمل ، وألا يستعمل الاستدلال به فيما لا يصح ، أى لا يقضى على الغائب بما لا يقطع به على الشاهد وبزعم القطع به ، ويقسم الإنسان فى جملته إلى ثلاثة أشياء هى :

١ - الجسم : وهوالشكل المنتصب ذوالوجه واليدين والرجلين ويتكون من المواد والعناصر الحاملة للروح والنفس .

٢ - الروح : وهى ما يجرى فى العروق والضوارب والشرايين .

٣ - النفس : وهى الجوهر القائم بنفسه وليس لها موضع .

وهذا الشكل الإنسانى تنهض منه الدلالة على بارئه ومصوره . ويمكن أن يندرج هذا التقسيم للإنسان تحت سيكولوجية أو بناء الشخصية personality (ص٨٨،٩٨،٩٩) .

المعراج الثانى : ويتعلق بتقرير النفس هل هى باقية أم لا ؟ وهذا المعراج كالقطب لسائل العلوم وله يجتهد المجتهدون ويعمل العاملون ولا فائدة أعظم منه ، ذلك أن نبوة الأنبياء الثواب والعقاب والجنة والنار لا تثبت متى أبطلت هذه المسألة ، فالنفس إذا لم

يكن لها بقاء فجميع ما أخبرنا به باطل . وتنقسم قوى النفس قسمين :

١ - قوى محركة .

٢ - قوى مدركة .

والمدركة قسمان : (أ) ظاهرة : وهى الحواس الخمس (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) .

(ب) باطنة : وهى ثلاثة : ١ - الخالية : وتقع فى مقدمة الدماغ ومهمتها بقاء صور الأشياء المرئية فى القوة المبصرة بعد تغميض العين .

٢ - الوهمية : وهى التى تدرك المعانى وتحفظها .

٤ - المفكرة : ووظيفتها تركيب الصور بعضها مع بعض . وتقع فى التجويف الأوسط بين حافظة المعانى الصور . والخلل فى هذه المواضع يؤدى إلى عطب فى هذه المدركات المرتبطة بها .

وتشير القوة الظاهرة إلى مفهوم الحواس الخمس ، والذى يتصل بموضوع الإحساس Sensation والإدراك Perception أما القوى المدركة الباطنة فتتصل بسيكولوجية العمليات العقلية كالذاكرة بنوعيها البصرية واللفظية والتخيل (علم النفس العام) (ص٣٥-٣٩) . وتتصل الإشارة إلى موضوع هذه القوى فى الدماغ بعلم النفس العصبى Neuro Psychology . (ص ٩٩) .

والقوى المحركة قسمان أيضاً :

١ - باعثة على الحركة وهى القوة النزوعية الشوقية وتقوم بإرسال إشاراتها للقوة المباشرة للحركة لكى تقوم بها .

٢ - مباشرة للحركة وهى القوة القائمة بها .

وتتصل هذه الإشارة عن الأساس العصبى للسلوك بعلم النفس الفيسولوجى ، حيث يرسل المخ إشاراته لكى تقوم أعضاء الحركة بالفعل ، كما يتصل بمفهوم الدافعية Motivation والسلوك Behavior والإرادة Will (ص ٣٤) .

أما تقسيم قوى النفس إلى محركة ومدركة فيتصل بعلم النفس العام وسيكولوجية الشخصية (ص ٩٨ -٩٩) . ويتحدث الغزالى بعد ذلك عن طبيعة النفس والتى تتمثل فى أن النفس جوهر قائم بذاته وهوجوهر روحانى لطيف ، وتكتسب النفس الكمال فى البدن لكى تلحق بالملائكة أوالشياطين وهى حية ، وكونها مع البدن لا يدل على عدمها بعدم البدن لأن عنصريهما مختلفان . ويفصل الغزالى القول فى مسألة بقاء النفس، فيشير إلى رأى أفلاطون وابن سينا فى ذلك ، فيرى أفلاطون أن النفس قديمة وباقية ، أما ابن سينا فيرى أن النفس محدثة ولكنها باقية أيضاً ، وينتهي إلى أن البرهان

يقوم على أن النفس حادثة ولا تعدم .

المعراج الثالث : ويتناول بيان أن الصور الجسمانية الموجودة فى عالم الكون والفساد حادثة ، ويهتم أيضاً بكشف أدلة من قالوا بأن السماء حية ولها نفس ، معتمدين فى ذلك على حركتها التى هى معلومة بالحس ، وكذلك من يزعمون أن السماء ونفوس الأفلاك مستقلة بذلك من جهة إرادتها وعلمها . ويخلص من ذلك إلى القول بأن حركة السموات تابعة لإرادة البارى سبحانه ، وعلمه فى كل دقيقة من الزمان ، وأن الله هوالعالم بالمعلومات ، علم واحد لا يتغير ، والدليل على علمه قائم وتشهد به العقول ، كما أن الله هومريد الكائنات ، فالإرادة الإلهية عبارة عن إيقاعه الفعل مع أنه عير ذاهل عنه ، فالقصد إلى إحداث المحدث والعمد إليه سمى إرادة ، وأن الله تعالى رتب الأسباب على ما جرى به علمه ، فهى مطابقة على ما سبق به العلم، فإن أى ذرة فى السموات والأرض لا تتحرك أوتسكن إلا وهى مقيدة فى علم البارئ .

وتنقسم الحركات إلى ثلاثة أنواع : إما على الوسط كتحرك الأفلاك ، وإما الوسط كحركة الحجر إلى أسفل ، وإما من الوسط كالهواء والأبخرة الصاعدة علواً ، وهذه الحركة ضربان : ضرورية واختيارية ، ولها نسبتان إلى نفسها ونسبة إلى بارئها ، فمتى أضيف فعلها إلى بارئها فهو مختار لها بأجمعها وليس هناك شئ منها إلا بتدبيره وحكمه وقضائه ، وحكمة له اقتضت كونها على جهة مخصوصة وزمان معين وشخص معين ، وأما نسبتها إلى المتحركين فتنقسم إلى مختارة ويختص بالحيوان ، ومضطرة ويشمل الجماد والحيوان .

وتتوقف الأفعال المختارة على إشارة النفس وتحركها .

وتقسم الحركة إلى ضرورية واختيارية إلى السلوك الإرادى واللا إرادى ويتصل ذلك بعلم النفس الفسيولوجى .

المعراج الرابع : ويتناول معنى أن الله نور السموات والأرض ، ويشير أنه ليس المقصود من كون الله نوراً كونه شعاعاً منبسطاً مرئياً ، ويقسم النور إلى ستة أشياء وهى ضوء النيران ونور البصر ونور الشمس ونور محض هوالعقل والنفس ، ويستعار للقرآن والرسول اسم النور ، أما النوع السادس فهوالنور المطلق والحق المبين وهوالبارئ تعالى .

المعراج الخامس : وهومعقود للنبوة والنبى ، وما يتصل بذلك من معجزات وأفعال غريبة تخرق العادة ، فقد ظهر على يد نبينا محمد ﷺ عدد من المعجزات كشق القمر وحنين الجذع واستدعاء المطر ، وغيرها ، ولكن هناك معجزة باقية له هى القرآن وما

ينطوى عليه من الصنائع العلمية من الإلهيات والمنطقيات والجدل والخطابة وسائر العلوم.

المعراج السادس : ويختص ببيان ما أتى من القول عن طريق الرسول ﷺ وهو قسمان : طلب وخبر . والطلب ضربان : أمر ونهى . وكذلك الخبر فينقسم إلى إخبار عمن مضى كأخبار الأمم ، وعما يأتى كأمور الزمن والآخرة . وكل ما نطق به القرآن وتواتر عن الرسول ﷺ فهويقين لا شك فيه . وهو منقسم إلى ما يحتمل التأويل وإلى ما لا يحتمل .

المعراج السابع : وهو المعراج الأخير من هذه الرسالة ، ويدور حول بيان معنى الموت وهل هو كمال أو نقصان ، وفى ذلك يشير الغزالى إلى أن الموت فساد المزاج وقصور الجسم عن الانفعال للنفس لعدم الحس والحركة . والإنسان يرتقى من الأدنى إلى الأعلى بسبب الموت فهومتردد فى أطوار الخلقة من كونه تراباً وغذاء ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحماً يكسوالعظام ثم يكون مولوداً رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً ثم شاباً ثم كهلاً وجاهلاً عالماً وجماداً ثم حياً مدركاً . فكل منزلة من هذه المنازل إذا أضفناها إلى ما قبلها نجدها كمالاً ويعنى هذا أن الموت كمال للأجسام .

وتتصل المراحل المختلفة لنمو الإنسان من مرحلة النطفة حتى الشيخوخة بعلم النفس الارتقائى Developmental Psychology (مراحل النمو والارتقاء) (ص ١٤٣) .

وفى نهاية هذه الرسالة يتناول الإمام الغزالى مفهوم السعادة ، ويرى أن السعادة ضربان : سعادة مطلقة وسعادة مقيدة ، فالمطلقة هى ما اتصلت فى الدنيا إلى ما لا نهاية له ، والمقيدة ما كانت مقصورة على حال أوزمان .

وتحصل السعادة المقيدة بأربعة أسباب هى : إما سفسطة وإما خطابة ، وإما جدل وإما شعر ، كما أن العلوم التى يطلب بها السعادة العلمية النافعة أربعة علوم هى :

١ - طبيعيه : (وهى معرفة العالم وتركيبة وما فيه من نبات وحيوان ومعادن وغيرها) .

٢ - الرياضيات : (الحساب والهندسة والنطق والنجوم) .

٣ - الإلهيات : (العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) .

٤ - السياسة : (وهدفها تهذيب النفس فى جلب المنفعة ودفع المضرة) .

وينتهى من ذلك إلى القول بأن الأمور التى تخوض فيها القوة المفكرة ترجع إلى أربعة أقسام هى : -

١ - المعقولات : وهى ما لا يدرك إلا بالعقل .

٢ - المحسوسات : وهى ما يختص بالحواس الخمس والتمييز بينها .

٣ – المشهورات : وهى العادات الراجعة إلى عادات الخلق والبلاد والأمم والأزمنة .
٤ – المقبولات : وهى ما أخذ بطريق الإخبار ، وهوكل ما أخبر به العدل الثقات .
والعقليات لا تتبدل أحكامها عما هـى عليـه فـى العقـل ، كمـا أن المحسوسـات لا تبدل أحكامها عما هى عليه فى العقل ، كما أن المحسوسات لا تتبـدل ولكـن يتطـرق إليها الغلط بآفات تحدث فى الآلات الجسمية ، وأما المقبولات والمشهورات فغير موثوق بها فهى تختلف باختلاف الأمم والبلاد وحالات الأشخاص .

أما الدلالات النفسية لما سـبق ، فيمكـن القـول بـأن مفهـوم السـعادة ينـدرج تحـت موضوع الانفعـالات Emotions (ص ١٥٢) ، كمـا يتصـل مصطلـح القـوة المفكـرة بموضوع العمليـات العقليـة كـالتذكر والتخيـل والتفكـير ، ويتصـل مفهـوم المعقـولات أوالمجـردات بموضـوع التفكـير التجريـدى Abstract thinking ، كمـا يتصـل مفهــوم المحسوسات بموضوع الإحساس والإدراك الحسى Perception ، ويقـع ذلـك كلـه فـى إطار علم النفس العام (ص ١٥٢ – ١٥٩) .

أما المشهورات فتتصل بموضوعات العادات Habits فى علم النفس الاجتماعى (ص١٥٧).

الغزالى ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)
مجموعة رسائل الإمام الغزالى (٢) [1]

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم ٤٣ باباً بالإضافة إلى فاتحة الكتاب للمؤلف ، ومقدمة فى تمهيد الكتاب وخاتمة لمعرف الكتاب وفهرس الموضوعات .

ويبدأ الكتاب الأول بفصل : فى أن ما سوى الحق حجاب عنه وفيه ذم لحب الجاه والمال وكذلك ذم لحب الرئاسة والشهرة لأنهما يورثان الكبر وهوفساد الدين ، وكذلك ينتقد طول الأمل لأنه يمنع من حسن العمل ويصد عن الحق والتسويف ، ويذكر كذلك أن حجاب الخلق عن الحق أربع هى : النفس والهوى والشيطان والدنيا.

أما عن الباب الأول ، فيتناول أركان الدين ، وأما الباب الثانى : (فى بيان الأدب) وفيه يقسم الأدب إلى قسمين أولهما أدب ظاهرى وهو اتباع أوامر وأخلاق الرسول ﷺ وأدب باطنى ، وهو حسن المعرفة بالخالق عز وجل . كما يشير إلى أن أنفع الآداب التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عليك (ص١٢-١٥) .

ويرد فى هذا الباب كلام عن السلوك الأخلاق والضبط السلوكى Behavioral Control أى كف دوافع السلوك غير المرغوب وخاصة ما يتصل بالدوافع الفطرية Lnnate motives وكذلك الدوافع الاجتماعية كحب السلطة وحب المال والرياسة . كذلك تتصل هذه الموضوعات بسمة المثابرة Persistene وهى درجة تحمل الشخص لضغوط تحول دون إتمام مهمة معينة (ص ١٢ - ١٦) .

أما بالنسبة للباب الثالث والفصول التالية له فهو فى بيان معنى السلوك والتصوف ويعرف السلوك بأنه تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف ، ويذكر أن ما يفسد على السالك سلوكه شيئان : اتباع المرخص بالتأويلات ، والاقتداء بمتبعى الشهوات . وفى فصل فى لزوم العزلة يعرض الغزالى لطرق كبح الشهوات وهى بإيجاز كالتالى :-

١ - تقليل الغذاء بالتدريج .

٢ - ترك الاختيار واتباع شيخ مأمون يختار للفرد ما يصلحه .

٣ - عدد من الأفعال كدوام الوضوء والصوم والسكوت ودوام الذكر بالقلب واللسان .

ثم يعرض لمعنى التصوف فى فضل التصوف ، وهوقطع الشهوات والزهد فى الدنيا

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ . ١٦٠ ص .

والتورع عن جميع حظوظ النفس ، ويذكر أيضاً أن أهل التصوف على ثلاث طبقات هي :

١ - مريد طالب : صاحب وقفة : مقامه المجاهدة والمكابدة وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ .

٢ - متوسط سائر : صاحب حال : ومقامه ركوب الأهوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق والأدب وإن كان تغيره الأحوال .

٣ - منته واصل : صاحب يقين : ومقامه الصحو والثبات وإجابة الحق ، ولا تغيره الأحوال (ص ١٦ - ٢٤) .

ثم يعرض للتفرقة بين الملامتى والصوفى من حيث الإخلاص والصدق وغيرهما .

وفى هذا يعرض لطرق كف الشهوات ودور ترك جلساء السوء فى كف شهوات النفس وهوأسلوب يشار إليه حديثاً بالعلاج الاجتماعى Social therapy .

وعن الباب الرابع : فى بيان معنى الوصول والوصال ، نذكر أنه يتناول معنى الوصول . وهوأن ينكشف للعبد حلية الحق ويصبر مستغرقاً به فينشغل بالله تعالى دون سواه ، ومعنى الوصال : وهوالرؤية والمشاهدة بسر القلب فى الدنيا وبعين الرأس فى الآخرة .

ثم يعرض لما تقوم عليه الصوفية وهى أربعة :

أولهما : الاجتهاد (التحقق بحقائق الإسلام) .

وثانيها : السلوك (التحقق بحقائق الإيمان) .

وثالثها : السير (التحقق بحقائق الإحسان) .

ورابعها : الطير (الجذبة بطريقة الجود والإحسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى) .

يلى ذلك فصل فى الاتصال ، وتعريفه هومكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار فى مقام الذهول ، ويعرض فى ثنايا الفصل لدرجات الاتصال والمواصلة (ص٢٥-٢٦).

وفى حديثه عن الوصول يشير إلى التوحد مع الحق سبحانه ، وهوما يطلق عليه التوحد Identificotion (ص ٢٦ - ٢٧) .

وفى الباب الخامس : (فى بيان معنى التوحيد والمعرفة) ، حيث يعرض لمعنى التوحيد ثم يورد فصلاً عن أصول التوحيد وهى خمسة معتقدات يجب على المكلف اعتقادها وهى :

١ - وجود الخالق .

٢ - وحدانيته تعالى .

٣ - تنزيهه تعالى عن كونه جوهراً أوعرضاً .

٤ -- إبداعه تعالى بقدرته واختياره لكل ما سواه .

٥ - تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته .

وبعد ذلك نجد فصلاً عن أن المسلمين اتفقوا عل أن الله تعالى موصوف بكل كمال وبرىء من كل نقصان .

ثم يعرض لأهل الأهواء المختلفة – فى فصل الأهواء ، وهم ست فرق – كل اثنين منها ضدان : التشبيه – التعطيل ، الجبر – القدر ، الرفض – النصب ، ويشير إلى أن الفرقة الناجية هى أهل السنة والجماعة لأنها توسطت الطرق وسلكت طريقاً معتدلاً .

بعد ذلك يعرض لفصل عن القضاء ، ويقصد أحياناً الأمر المبرم ، وأحياناً الإعلام بوجوب الحكم الواجب لله . ويشير إلى أن قضاء الله يتم بمقتضى الحكمة ويتوقف على فعل العبد ، فالله تعالى خلق الأفعال والأقدار ، والعبد كاسبها ومسببها .

يلى ذلك فصل : الفرق بين العلم والمعرفة ، وفيه يعرض لمعنى المعرفة لدى الصوفية وهوالعلم الذى لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته ، وأن المعرفة سرها التوحيد ، وعلامتها : حياة القلب مع الله تعالى ، وأن المعرفة الحقيقة فى باطن الإرادة وأن حب الدنيا يذهب بنور المعرفة من القلب ، ثم يعرض بعد ذلك لمعنى البصيرة واليقين والإلهام (ص ٢٧ – ٣٦) .

ويتضمن هذا الباب تعريفاً للبصيرة Insight واليقين (ص ٣٨ – ٣٩) وذلك بصفته أرقى مستويات الاعتقاد ، ويشير كذلك إلى حتمية السلوك Deterimination of behavior وتقسيم السلوك إلى سلوك إرادى Voluntary وسلوك لا إرادى Unvoluntary .

أما الباب السادس وفصوله فهو(عن بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل) وفيه يذكر الغزالى أن للقلب معنى عضوى مادى ، وآخر معنوى باعتباره لطيفة ربانية روحانية ، وكذلك معنى الروح كبخار لطيف تنتجه حرارة القلب وتشعه فى الجسم كله وهى أيضاً ذلك الجانب العالم المدرك من الإنسان . ثم يعرض لمعنى النفس ، وهى قوتى الغضب والشهوة فى الإنسان ، وهوالمعنى الغالب لدى الصوفية . أوأنها – أى النفس – حقيقة الإنسان ونفسه وذاته وتوصف بأوصاف مختلفة حسب أحوالها وعن تعريفه للعقل ، فله معنيان ، الأول : العلم بحقائق الأمور ، والثانى : المدرك للعلوم وهوالقلب .

وبعد ذلك يعرض لجنود القلب ، ويذكر أنها ثلاثة وهى :

١ – البواعث : ويقصد بها الغرائز .

٢ – القدرة .

٣ – الحواس الخمسة الباطنة (الحس المشترك ، الخيال ، الوهم ، الحافظة والمتصرف) ويحدد الغزالى موضوع كل حاسة فى الدماغ .

وبعد ذلك يعرض لفصل يتناول بالتعريف والمقابلة بين الروح الحيوانى والروح اللطيفة ، فالأولى جسم لطيف ، والثانية ليست بجسم لأنها من أمر الله تعالى ، والأولى لا تهتدى للعلم ، فى حين الثانية تهتدى إليه ، ولذا فهى تميز الإنسان عن سائر المخلوقات . (ص ٣٩ - ٥٠) .

ويتضمن هذا الباب تعريفاً للنفس بأنها الغضب والشهوة وتعريفاً للعقل Mind بأنه العلم بحقائق الأمور (ص ٤١) ويتحدث أيضاً عن دوافع السلوك عندما يتحدث عن جنود القلب وهى البواعث Incentines (ص ٤٢ - ٤٣) والقدرة Ability والحواس وهى الإدراك الحسى والتخيل Imagination ثم يعرض لموضع كل حاسة فى الدماغ (ص ٤٣) وهومن اهتمامات علم النفس العصبى الحديث Neuropsychology . كما نجده أيضاً يميز بين عملية الإحساس وعملية الإدراك فى إشارته إلى أن عملية الإدراك تكتسب الإحساس معنى وتفسره وهورأى يتفق مع ما يشير إليه علم النفس الحديث .

أما الباب السابع : (فى بيان معنى المحبة) ويعرفها بأنها الميل إلى اللذيذ الموافق ، وهى ميراث التوحيد والمعرفة ، ويلى ذلك عرض لمعانى من المفاهيم كالذوق والصفاء والنفس والغيبة والسكر ، والصحووالفناء . (ص ٥١ - ٥٢) .

وبالنسبة للباب الثامن : (فى بيان معنى الأنس بالله تعالى) يعرض لمعنى الأنس وهو استبشار القلب وفرحه لما انكشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله ويشير إلى أن الأنس يكون بطاعة الله وذكره ، وأن طهور القلب يزيل الحجاب الذى بين العبد وربه . فيحدث نوعاً من الطمأنينة تصاحب الأنس ، مما يؤدى إلى الانبساط فى الأقوال والأفعال . ثم يعرض نوعاً للشوق كأحد ثمار المحبة وهوأفضل من الأنس ، حيث يتضمن شدة الطلب لما يحتاج إليه . (ص ٥٣ - ٥٦) .

وفى الباب التاسع : (بيان معنى الحياء والمراقبة) يعرف الحياء على أنه إطراق عين القلب خجلاً من الله تعالى لتقصير فى طاعته . ويشير إلى أن العلم الذى يحمل على الحياء هوعلم العبد باطلاع الله تعالى عليه . يلى ذلك حديثه عن المراقبة وتعريفها ودرجتها (ص ٥٧ - ٥٩) .

وفى الباب العاشر : (فى بيان القرب) : ويشير فيه إلى أن القرب يتم بأداء العبادات والسجود خاصة ، والحياء . (ص ٦٠ - ٦١) .

أما الباب الحادى عشر : (فى بيان شرف العلم) فيحث الغزالى فيه على طلب العلم والعمل به ، ويوصى بتقديم العلم على العبادة ، وذلك لسببين هما : لتصح العبادة ، ولأن العلم يولد الخشية والمهابة لله تعالى فى قلب العبد . (ص ٦١ - ٦٢)

ويتعرض الغزالى فى هذه الأبواب إلى العواطف (أوالوجدان) Affection التى يكنها

الإنسان للحق سبحانه وتعالى كالمحبة والأنس والشوق (ص ٥١ - ٥٧)

وفى الباب الثانى عشر : (فى بيان معانى الأسماء الحسنى) يقسم الغزالى معانى أسماء الله الحسنى فى عشرة أقسام . ويشير إلى أن معرفة العارفين بالله تعالى تكمن فى معرفة أسمائه وصفاته ، وأن كمال العبد وسعادته تكمن فى التخلق بأخلاقه تعالى والتحلى بمعانى أسمائه وصفاته . (ص ٦٣ - ٦٧) .

وفى الباب الثالث عشر : (فى بيان الاعتقاد والتمسك بعقيدة صحيحة) يشير إلى أن الاعتقاد الصحيح هوعلم جازم يطابق ويخلو من التعطيل والإلحاد والتشبيه والتجسيم وغير ذلك ، وأن يكون معه التنزيه والعظمة والكبرياء ودليله الكتاب والسنة وإجماع الأمة (ص ٦٨ - ٦٩) .

أما الباب الرابع عشر : (فى بيان صفات الله تعالى) فيعرض لكمال صفاته عز وجل والتى تندرج ضمن سبع صفات هى : الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، ويعرض بعد ذلك لصفات ذكرها الأشعرية ومذهب الطبائعية ومذهب أهل الحق . (ص ٧٠ - ٧١) .

وفى الباب الخامس عشر : (فى بيان حقيقة الإخلاص والرياء) حيث يعرض لنوعى الإخلاص : إخلاص العمل وإخلاص طلب الأجر ، ثم التفرقة بين النفاق والرياء وأقسام الأعمال عند بعض العلماء ، يلى ذلك فصل يعرض فيه لعشر خصال تضر العمل يجب على العبد تجنبها وهى النفاق ، والرياء والتخليط والمن والأذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون ، وخوف ملامة الناس . (ص ٧١ - ٧٢) .

أما الباب السادس عشر : (فهوفى الرد على من أجاز الصغائر على الأنبياء صلى الله عليهم وسلم) يتبعه فصل فى حقوق النبى ﷺ على الأنام ومنها تصديقه ومحبته وتوقيره ، ثم فصل لما يجب على النبى ، وما يحرم عليه وما يباح له ، وما خص به فضائل . (ص ٨٣ - ٧٧) .

ويذكر الغزالى فى هذه الفصول بعض المعانى المتصلة بالسلوك الأخلاقى Moral behavior فى واجبات المريد السالك ، وعند حديثه عن حقيقة الإخلاص والرياء (ص٧١-٧٣) . ويتعرض ذلك لمعتقدات المسلمين فى التوحيد ، ويعرف الاعتقاد Belief (وهوأحد موضوعات علم النفس الاجتماعى) (ص ٦٨) . ويورد بعض سمات الشخصية الإنسانية كالإخلاص . (ص ٧١ - ٧٣) .

وبالنسبة للباب السابع عشر فهوفى معرفة الخواطر وأقسامها ومحاربة الشيطان والتدبير فى رفع شره وأن يستعيذ بالله تعالى منه أولاً ، ثم يحاربه بثلاثة أشياء :

١ - معرفة مكائده وحيله .

٢ – الاستخفاف بدعوته .

٣ – إدامة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

ويعرض بعد ذلك لمحكات تمييز خواطر الخير عن خواطر الشر منها الشرع والاقتداء بالصالحين ثم النفس والهوى ، ومدى ثبات أوتردد الخاطر ومدى قوته أوضعفه فى التأثير على سلوك العبد . (ص ٧٨ – ٨٠) .

أما الباب الثامن عشر : (فى بيان معنى آفات اللسان) يختص بعرض عشرين آفة تمثل كل آفات اللسان ومنها الكلام فيما لا يعنى وفضول الكلام والخوض فى الباطل ثم المراء والمجادلة والفحش والسب واللعن والمدح ... إلخ . ويعرض بعد ذلك لدوافع الغيبة كالغضب والحقد والحسد وموافقة الرفقاء فى الهزل والغضب لله تعالى على فاعل المنكر ، ثم دوافع النميمة كإرادة السوء أوالتحبب إلى المنقول إليه ، يتبع ذلك ذكر أركان التوبة منها العلم ، والندم والإقلاع ، والعزم . وواجبات من تنقل إليه النميمة كأن لا يصدقه وأن ينهاه وأن يبغضه فى الله تعالى ، وأن لا ينم عليه . (ص٨١–٨٥) .

أما الباب التاسع عشر : (فى بيان البطن وحفظه) وهو فى ذم آكل الحرام وعقابه، يتبعه بحث فى موضوع حكم الحرام والشبهة ، ثم يعرض لأقسام أحوال المباح . (٨٦– ٨٧) .

أما الباب العشرون : (فى بيان معرفة حيل الشيطان ومخادعاته) ويتبعه فصل عن التحذير من النفس لأنها أضر الأعداء وعلاجها أعسر الأشياء ، ويذكر أن ثمة طرق للحد من هواها وهى :

١ – الخاطر وهوحديث النفس .

٢ – الميل وهيجان الشهوة .

٣ – الاعتقاد .

٤ – الهم بالفعل .

وتتناثر المفاهيم النفسية فى هذه الأبواب فنجد السلوك الأخلاقى (ص ٨٧ – ٨٩) عند بيان معنى بعض آفات اللسان وما يمكن أن يكون قاعدة للعلاج السلوكى خاصة أسلوب التسكين المنظم Systematic desensitiztion (ص ٧٨ – ٨٩) ويتعرض لطرق كف الشهوات (الدوافع) (ص ٧٨ – ٨٠) ، ثم يشير أيضاً إلى دور ترك جلساء السوء فى كف شهوات النفس ، وهو أسلوب يشار إليه حديثاً بالعلاج الاجتماعى Social therapy ويشير إلى أشكال السلوك غير الملحوظ (الباطنى) Covert behavior (ص٨٩–٩٠) . والخاطر أوحديث النفس ويقصد به حديثاً التفكير Thinking ثم الميل وهيجان النفس إلى الشهوة ، وقد يشير إليها بالرغبة Desire أوالميل Tendency ثم الاعتقاد Belief والهم بالفعل . ويلمح أيضاً إلى أشكال السلوك غير المرغوب

Undesirable behaviorors حيث تحدث عن آفات اللسان كالغيبة والنميمة ودوافعها (ص٨١-٨٥) .

وفيما يتصل بالباب الحادى والعشرين : (فى بيان ما يجب رعايته من حقوق الله تعالى يعرض لحقوق الله تعالى على عبده وهى : فعل الواجبات ، وترك المحرمات ثم يعرض فصلاً يتناول فيه أصول العبادة لدى المتقين وهى : التوفيق والتأييد حتى يعمل المتقون ثم إصلاح العمل وإتمامه إذا تم .

ويعرض أيضاً لحد التقوى ومنازله ودرجاته وهى :

١ - ترك المعاصى مع فضول الحلال وهى أدنى درجات التقوى .

٢ - تجنب فضول الحلال (مقاومة الشهوات) .

٣ - الجمع بين الاثنين وهو الورع حيث اكتمال التقوى .

كما يعرض لعدد من آفات النفس وهى الأمل والاستعجال والحسد والكبر . (ص٩٠- ٩٦) .

أما الباب الثالث والعشرون : (فى بيان معنى الفكر) يتناول مراحل عميلة التعلم وتحصيل الفكر وهى : السماع وله شروطه ، والتذكر ، والتفكر . يلى ذلك عرض لأقسام العلم وهى: علوم أصول الإيمان علم العبادات وعلم يتعلق بالحواس الخمس (اللسان والفرج والبطن والسمع والبصر) وعلم الأخلاق المذمومة وعلم الأخلاق المحمودة .(١٠٠ - ١٠١) .

وفى الباب الرابع والعشرين : (فى بيان معنى التوبة)يعرض تعريفا للتوبة وهى الرجوع من المعصية إلى الطاعة ، ثم أركانها وهى العلم والعزم والترك ، يلى ذلك عرض لمفاهيم مشابهة كالفرار ، والإخبات . (ص ١٠٢)

أما الباب الخامس والعشرون : (فى بيان الصبر) ففيه يشير إلى القتال الدائم بين النفس والشيطان والشهوات من جهة والمعرفة والملك الملهم للخير من جهة أخرى . ويعتمد محصله هذا القتال على ثبات باعث الدين فى مقابل باعث الهوى والقدر (أى الصبر) . وإلى جانب ذلك يذكرالغزالى أن الرياضة هى تمرين النفس على الخير ونقلها من الخفيف إلى الثقيل باللطف والتدريج إلى أن يرتقى إلى حالة يصير ماكان عنده من الأحوال والأعمال شاقاً سهلاً هينا . (ص ١٠٣ - ١٠٤).

وبالنسبة للباب السادس والعشرين : (فى الخوف) . يعرف الخوف بأنه تألم القلب وانزعاجه لتوقع مكروه أوعلى فائت ، يتبع ذلك تقسيم للخوف بأنه إما يكون خوفا يراد لذاته ، أو خوفاً لغيره (خوف سلب النعمة أوخوف من عقوبات معينة) (ص١٠٤-١٠٥) .

ثم يعرض لبيان الرجاء) وهوالباب السابع والعشرون ، حيث يعرف الرجاء وهو ارتياح القلب وانشراحه لانتظار محبوب تقدمت أسبابة ، ويكون الرجاء إما مقصودا لذاته أو مراداً لغيره ، ثم يعرض بالتعريف لمفهوم الرغبة ، والبسط (ص١٠٥-١٠٦) .

ونلمح هنا تعرضا لما يسمى حديثا بالعلاج السلوكى behavior therapy وهوأحد أساليب العلاج النفسى . من ذلك مثلاً إشارته إلى تنمية الصبر بالرياضة أى بقمع الشهوات وتمرين النفس على الخير ونقلها من الخفيف إلى الثقيل بالتدريج إلى آخر هذا الكلام الذى يشير بالتحديد إلى أسلوب يسمى التسكين المنظم systematior therapy . (ص ١٠٣) .

واهتم الغزالى أيضا بمفهوم التعليم Learning ومراحله وهى السماع وفيه يشير إلى دور الانتباه Attention ثم الذكر Memory التفكر (ص ١٠٠ – ١٠١). ويتناول مفهوم الحاجة Need وهى الشعور بنقص لشئ ما يدفع الإنسان إلى إشباعها تفادياً لتواترات نتيجة الاحتياج (ص ١٠٦) . وتعرض أيضاً – فى مجال الانفعالات – للخوف (ص ١٠٤) .

يلى ذلك الباب الثامن والعشرون : (فى بيان الفقر) حيث يعرف الفقر بأنه الفقد والاحتياج ، وهونوعان : فقر مطلق يكون لله تعالى ، وفقر مقيد ويكون إلى الوسائل التى تقوم بها ذات الإنسان . (ص ١٠٦) .

أما الباب التاسع والعشرون : (فى بيان الزهد) حيث يبدأ بتعريف الزهد على أنه انصراف الإرادة عن الدنيا لا ستعظام ما عند الله . ويشير بعد ذلك أن ثمرة الزهد هى الإيثار والفتوة (عدم الاشغال بالدنيا عن الله تعالى) . (ص ١٠٦) .

أما الباب الثلاثون : (فى بيان المحاسبة) يبدأ بتعريف المحاسبة على أنها تفقد ما مضى وما يستقبل ، وهى واجبة ، وتقوم على الإيمان بمحاسبة الله تعالى . ويشير أن هذه المحاسبة توجب الاعتصام ، فيعرض للفرق بين الاعتصام والاستقامة . (ص ١٠٧) .

وفيما يتعلق بالباب الحادى والثلاثين : (فى بيان الشكر) يعرض لفضيلة الشكر وهوالفرح والسرور بنعم الله ، وهوثمرة الإيمان بالله تعالى ، وبه تدوم النعم . (ص١٠٨) .

وفى الباب الثانى والثلاثين : (فى بيان التوكل) يعرف معنى التوكل بأنه اعتماد القلب على الله تعالى وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه بالله تعالى . ويقوم التوكل على العلم بأن الله قائم بنفسه وأنه مقيم لغيره .

ثم يعرض لمعانى الثقة والرضى . (ص ١٠٩) .

وفى الباب الثالث والثلاثين : (فى بيان النية) يعرض لمعانى النية والقصد والعزم والإرادة . (ص ١١٠) .

كذلك في الباب الرابع والثلاثين : (في بيان الصدق) يعرف صدق العبد بأنه استواء السر والعلانية ، ثم يعرض الغزالي للعلاقة بين الصدق والإخلاص في صلتهما بالعبادة (ص ١١٠) .

أما الباب الخامس والثلاثين : (في بيان الرضى) يتناول لمعنى الرضى ، وهو سرور القلب بمر القضاء ولأهمية الرضا عن ما اختار الله لعبد ، والسخط عن الذات (ص١١١) .

ثم يتناول الباب السادس والثلاثون : (في بيان النهي عن الغيبة) ذم الغيبة والتحدير من عاقبتها . ويعرض لأحاديث وأقوال في النبي عنها . (ص ١١٣) .

ثم يعرض الباب السابع والثلاثون : (في بيان الفتوة) تعريفاً لمعنى الفتى وخصائصه وخلقه ، يتبعه فصل في السخاء (ص ١١٤ - ١١٦) .

أما الباب الثامن والثلاثون : (في بيان مكارم الأخلاق) يعرض للخصال التي تنم عن كرم الأخلاق كالعفو والسخاء والإحسان إلى من أساء . (ص ١١٧) .

ويهتم الغزالي في الباب التاسع والثلاثين : (في بيان القناعة) بعرض لنماذج من الكتاب والسنة للحث على القناعة والرضى بالقليل ولترك الحرص والحسد . (ص١١٨).

أما الباب الأربعون : (في بيان السائل) وفيه يذم طلب الدنيا والحث على القناعة وطلب الآخرة لأن من يسأل غير الله يجلب لنفسه المذلة . (ص ١١٩) .

ويعرض بعد ذلك للباب الحادي والأربعين : (في بيان الشفقة على خلق الله تعالى) حيث يعرض لمظاهر الشفقة على خلق الله كالعطاء وعدم تحملهم ما لا يطيقون وأن يسر لما يسرهم ، وأن يحزن لما يحزنهم . (ص ١٢٠) .

أما الباب الثاني والأربعون : (في بيان آفة الذنوب) حيث يشير فيه إلى أن من أطاع الله تعالى سخر له كل شئ ، ومن عصاه سخره لكل شئ ، وسلط عليه كل شئ ويذكر أن عقوبة الذنب تتمثل في ارتكاب ذنب مثله . (ص ١٢٠) .

أما الباب الثالث والأربعون والأخير : (في صفة صلاة أهل القرب) يشير الغزالي إلى أهمية الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال عنها بما في الدنيا . وضرورة تذكر خشية الله ورحمته وعظمته وهيبته تعالى . ويعرض لما يحث على ضرورة الانتباه والتركيز أثناء أداء هذه الفريضة (ص ١٢١) .

وفي هذه الأبواب الأخيرة يتكرر عدد من المفاهيم التي سبق ذكرها في مواضع سابقة كسمات الشخصية مثل الرضا والشكر (١٠٨) والقناعة (ص ١١٨) والمروءة والصدق (ص ١١٠ - ١١١) . والانفعالات كالفرح والسرور (ص ١٠٨)

أما بالنسبة لكتاب قواعد العقائد فى التوحيد ، يعرض الغزالى لعدد من القواعد وهى تمثل صفات الله تعالى :

التنزيه - الحياة والقدرة - العلم - الإرادة - السمع والبصر - الكلام - الانفعال.

ومن حيث كتاب (خلاصة التصانيف فى التصوف) فهوكتاب موجز كان قد كتبه الإمام الغزالى رحمة الله إلى تلميذ له ، كان قد أتعب نفسه فى طلب العلم سنين ، وبعد ذلك بعث لأستاذه كى يستفتيه فى عدد من المسائل وطلب النصح والإرشاد ليعلم أى العلوم التى تعلمها أنفع لهدايته .

فيرد عليه أستاذه بأن خير العلوم التى تحيى الشريعة والدين وتهذيب الأخلاق ومع ذلك فإن كثرة تحصيل العلم لا تفيد طالما لا يعمل العبد بما تعلمه لأن العبد يدخل الجنة بعمله وليس بعلمه الذى لم ينفعه ، ويسند نصائحه بالعديد من الحكايات والأمثلة يتبعها آيات قرآنية وأحاديث نبوية .

ثم يحث الغزالى تلميذه على مراعاة الشريعة فى أفعاله فيكف شهواته وهواه ويجاهد نفسه . وبعد ذلك يذكر الغزالى سبعة واجبات لمريد طريق الحق وهى :

١ - الاعتقاد السليم .

٢ - التوبة النصوح .

٣ - إرضاء الخصماء .

٤ - تحصيل علم الشريعة بقدر ما يعمل بأوامر الله ، ويذكر فى ثناياها حكاية عن فوائد تحصيل العلم .

٥ - أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق ، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة .

ويذكر بعد ذلك شروط المرشد الحقيقى ، وأن حقوقه الاحترام .

٦ - مخالفة سياسة النفس ويتم بترك جلساء السوء .

٧ - اختيار جميع أحوال الفقراء ، لترك الأسباب الدنيوية .

وعن ماهية التصوف ، يعرف الغزالى بأنه الجمع بين الصدق مع الله تعالى وحسن المعاملة مع الناس .

وكذا يعرف العبودية ، بأنها دوام حضور العبد من الحق تعالى بلا شعور الغير بل مع الذهول عن كل ما سواه .

ثم يعرف الإخلاص بأن تكون الأفعال كلها صادرة لله تعالى دون التفات لشئ من الخلق أثناء العمل أوبعده .

وبعد ذلك ينصح الغزالى تلميذه بثمانية أشياء (٤ تَرْكِيَّة ، ٤ فِعْليّه) وهى : -

١ - ترك المناظرة وإقامة الحجة على كل من يذكر مسألة ، تجنباً للرياء والحقد والكبر والعداوة ، والمباهاة وغيرها ، ويتبع هذه النصيحة بعرض لإرشادات لتنظيم المناقشة ثم تحديد أربعة أقسام للجهل .

٢ - الاحتراز من الوعظ والتذكير ، إلا بعد أن يعلم أنه يعمل أولاً بما يقوله . وتجنب التكلف فى الكلام ، وأن يكون الكلام فى الزهد والعبودية .

٣ - تجنب مخالطة الملوك والأمراء والحكام .

٤ - عدم تقبل أى هدايا منهم لأن الطمع فى مالهم يكون سبباً لفساد الدين والمداهنة والمحاباة .

٥ - أن يؤدى العبد ما أمر الله به ، وهوراض عنه .

٦ - أن يعامل الخلق بما يحب أن يعاملوه به .

٧ - أن يشغل بالعلم النافع لتطهير النفس من الأخلاق الذميمة ، ومن علائق الدنيا.

٨ - أن يدخر لعياله من القوت ما لا يزيد عن السنة .

وفى الختام ، ينهى الغزالى رسالته بدعاء يقرأ خصوصاً عقب الصلوات .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجالات علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعى ، علم النفس الإكلينيكى .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ)
مجموعة رسائل الإمام الغزالى (٣) [1]

عرض : د. محمد نجيب الصبوة

عرض الكتاب :

هذا الكتاب عبارة عن مجلد من القطع المتوسط يجمع بين دفتيه خمس رسائل دينية وعلمية وأخلاقية وتربوية تقع فى ١٧٤ صفحة مطبوعة . فقد استغرقت الرسالة الأولى، القسطاس المستقيم ، إحدى وستين صفحة ، واستغرقت الثانية ، منهاج العارفين ، تسع عشرة صفحة ، واستغرقت الثالثة ، الرسالة اللدنية ، ثمان وعشرين صفحة ، واسغرقت الرابعة ، فيصل التفرقة ، ستاً وثلاثون صفحة ، واستغرقت الخامسة ، أيها الولد ، اثنتين وعشرين صفحة .

وسوف نعرض فيما يلى الرسائل بنفس الترتيب السابق .

عرض الرسالة الأولى : (رسالة القسطاس المستقيم) .

يعرض المؤلف فى هذه الرسالة لمفهوم المعرفة وجوهرها أوحقيقتها ويرى أن حقيقة المعرفة وميزانها هو القسطاس المستقيم ، والتزامٍ ما ورد فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة عن النبى ﷺ ، ومحاولة تنفيذ ذلك فعلاً وقولاً . أما ميزان الرأى والقياس فهو أمر ظنى وتخمينى ، ولا ينبغى الاعتصام به لأنه ميزان الشيطان . ويرى المؤلف أن هذه دقائق لا تدرك إلا بنور العلم والتعليم المقتبس من إشراق عالم النبوة .

وعرض المؤلف بعد ذلك لمعنى القسطاس المستقيم ، أنه عبارة عن موازين خمسة ذكرت جميعها فى القرآن الكريم ، وعلمها الله أنبياءه وعلمهم كذلك الوزن بها . "فمن تعلم من رسول الله ﷺ ، ووزن بميزان الله فقد اهتدى ، ومن ضل عنها إلى الرأى والقياس فقد ضل وتردى " .

أما هذه الموازين الخمس فهى : ميزان التعادل ، وسمى بهذا الاسم لأنه فيه أصلين متعادلين كأنهما كفتان متجاذبتان ، وميزان التلازم ، وسماه بهذا الاسم لأن أحد الأصلين يشتمل على جزأين : أحدهما لازم والآخر ملزوم ، كقوله تعالى : ﴿ **لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتها** ﴾ . فإن قوله لفسدتا لازم وملزوم قوله : لوكان فيهما آلهة إلا الله ، ولزمت النتيجة من نفى اللازم ، وميزان التعاند ، وسماه بذلك الاسم ، لأنه رجع إلى حصر قسمين بين النفى والإثبات يلزم من ثبوت أحدهما الآخر ، ومن نفى أحدهما ثبوت الآخر ، فبين القسمين تعاند وتضاد . وعاد فقسم ميزان التعادل إلى

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ .

ثلاثة أقسام هى : الأكبر والأوسط والأصغر ، فصار الجميع خمسة .

وانتهى المؤلف من هذه الرسالة إلى معرفتك بالله وبرسوله وتعلمك منهما هوالميزان الحقيقى للمعرفة الحقيقية ، وفى ذلك النجاة فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو طريق العارفين الصالحين الأتقياء . وانتهى إلى ضرورة توخى الحذر التام من الاعتماد على العقل والمعقول أولاً ، وتأخير المنقول عن الله والرسول ﷺ بل يجب أن يحدث العكس أما من حيث ما ورد فى هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد مفهوم المعرفة Cognition فى (ص ٥ - ٦) وهومفهوم قديم حتى فى المباحث الفلسفية . ويعد الذكاء Intelligence أحد عناصره الأساسية بما يشتمل عليه من قدرات نوعية ، وهوفى علم النفس مفهوم قديم حديث ، قديم بمنظور الدراسات والبحوث التى أجريت على الذكاء الإنسانى والحيوانى والقدرة العقلية . وهومفهوم حديث من منظور علم النفس المعرفى Cognitive Psychology الذى ازدادت كثافة بحوثه كماً وكيفاً منذ أواخر الستينات وأوائل السبعينات حتى الآن .

أما مفهوما الرأى والقياس (ص ٦) ، فيوازى الأول وهوالرأى (أى الروية والتفكير) الرأى الشخصى المبنى على التمحيص وإعمال العقل . فى علم النفس الحديث ، أما القياس Measurement فيرادف أحد مناهج التفكير التجريدى الأساسية ، وهومنهج الاستنباط المنطقى deduction method وهوالمنهج الذى تقوم عليه كل قواعد المنطق الصورى ، لدى أرسطووأتباعه وهويعنى قدرة الفرد على تطبيق المبادئ والقواعد الكلية على جزئياتها كما تشيع فى البيئة بمعناها الشامل (ثقافية أوحضارية أوعقلية أوحتى فيزيقية) . ومفهوم التعليم الذى ورد صفحة ٩ Education يرادف مفهوم التعلم Learning . وإن كان كلاهما وردا فى علم النفس الحديث بالنص ، وكل منهما له معناه .

أما مفاهيم التعادل الأكبر والأوسط والأصغر ، والتلازم ، والتعاند ، وكذلك الحديث عن أنواع الموازين التى وردت فى صفحة ١٢ ، ١٣ ، وهى القلسطون والطيار، وهما ميزانان من أنواع الموازين الجسمية ، أوالقبان ، والإصطرلاب ، وهو ميزان لمقادير حركات الفلك ، والمسطرة ، وهى ميزان لمقادير الأبعاد فى الخطوط ، والشاقول ، وهو ميزان لتحقيق الاستقامة والانحناء ، فهى كلها موازين نعرف بها الزيادة أو النقصان بطريقة تجريبية حسية . وهى تقابل فى علم النفس الحديث ، المقاييس النفسية Psychological tests or scales التى ترد عادة فى كتب القياس النفسى أو فى كتب مناهج البحث فى علم النفس عموماً (وهوتشابه فى الوظيفة التى تؤديها كل أداة من هذه الأدوات) .

كذلك فإن الحديث عن التجربة Experiment فى الصفحات من ٢٠ إلى ٣٠ يشبه الحديث فى علم النفس عن التجربة العلمية ودورها فى الدراسات النفسية (مع الفارق بين ما يعنيه الغزالى بالتجربة وما نقصده من ذكر التجربة العلمية فى علم النفس أوالعلوم المختلفة) . والحديث عن التعاند والتضاد (من ص ٢٨ إلى ص ٣٠) يرادف فى علم النفس الحديث والقديم ، الحديث عن بعض قوانين الإدراك والترابط فى المخ ، والتى تحدث عنها الفلاسفة الترابطيون القدماء والمحدثون Associative rules أمثال جون لوك وديفيد هيوم وبير كلى ثم هربرت سبنسر وجميس Associationists ميل وجون ستيوارت ميل ، وأصحاب المذهب الذرى أوالجزئى فى تفسير الظاهرة النفسية عموماً والقدرات وكيفية أداء العقل لمهامه خصوصاً .

كذلك ورد فى صفحتى ٤٥ ، ٤٦ ، الحديث عن مفهومى الثواب والعقاب ، وهما مرادفان لمفهومى التدعيم الموجب والسالب فى مجال التعلم كما يعالج فى علم النفس الحديث . وكذلك ورد فى (ص ٤٨) تصنيف الأسوياء من الناس إلى أقسام ثلاثة ، ثم محاولة وضع خصال لقسم الخواص منهم ، ويتمشى ذلك تماماً مع ما كشفت عنه نظريات وبحوث علم النفس الحديث فى الشخصية الإنسانية كذلك ورد فى نفس الصفحة حديث عن الاعتقاد (فى الخصلة الثالثة للخواص) ويرادف ذلك البحوث التى على الحدود بين موضوع الاعتقادات فى علم النفس الاجتماعى ، والاعتقاد باعتباره أحد سمات الشخصية الإنسانية التى تميز الإنسان عن الحيوان ، كذلك الحديث الذى ورد عنه البُله فى صفحة (٤٨ ، ٤٩) وخصالهم يوازى بحوث علم النفس الحديث فى مجال التأخر العقلى Mental subnormality & Mental defficiency كما يرد هذا المصطلح الأخير فى كتب الطب النفسى والعصبى والعقلى والمتأخرين عقلياً .

كذلك ورد كلام عن الاستقراء Induction فى (ص ٥٩) ، وهذا المفهوم يرادف أحد منهج التفكير التجريدى فى علم النفس ، وهوالوصول من الجزئيات إلى الكليات ، ويشيع هذا المفهوم فى كتابات علم النفس التجريبى ومناهج البحث فى علم النفس ، وتعتمد عليه كل العلوم التجريبية سواء كانت طبيعية أواجتماعية وأشار إلى هذا المفهوم وأكد عليه تحديداً من الطبيعيين والفلاسفة روجر بيكون ومن بعده فرانسيس بيكون .

عرض الرسالة الثانية (رسالة منهاج العارفين) :

بدأ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه هذه الرسالة بخطبة هامة بين فيها سمات وخصال العارفين بالله سبحانه وتعالى ، وتمسكهم بمنهجه ودينه وسنة نبيه ﷺ . وذكر أنهم ذ ى علم يعتبر دواء للذنوب ، وأنهم مصابيح الهدى وأصحاب الحكمة ، وأتباع الرسول ﷺ حقاً ، ولهذا فهم يستحقون الاتباع من بعده ﷺ .

بعد ذلك قسم المؤلف الرسالة إلى أبواب ، على غرار تقسيمات كتب الفقه تعتبر فى مجموعها أومنهج إذا اتبعه أى إنسان وأخلص فى تنفيذه والحرص عليه ، بشرط أن يكون مسلماً ، لابد أن يصل إلى معرفة الله حق المعرفة وهى : باب البيان نحوالمريدين ، وبين فيه ثلاثة أصول لابد للمريد أن يربى نفسه عليها وهى : الخوف والرجاء والحب . وباب الأحكام : وفيه قسم القلوب إلى أربعة أنواع ، القلوب المرفوعة بذكر الله ، والمفتوحة بالرضا عن الله ، والتى لا تشتغل بغير ذكر الله تعالى ، والتى لا تغفل عن ذكر الله وتغفل عن كل ما سواه . وباب الرعاية : ويقصد بها - أى الرعاية - رعاية النفس وصونها عن المفاسد وذلك بطلب العلم ودوام الافتقار إلى الله وذكر الموت والتفكير والزهد والورع . وباب النيه : فصاحب النية نفسه منه فى تعب والناس منه فى راحة وليس شئ أصعب على المريد من حفظ النية " فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ونية المؤمن خير من عمله " . وباب الذكر : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ فاجعل قلبك قبلة لسانك ، ففى الذكر حياء العبودية وهيبة الربوبية . وباب الشكر : يوصى فيه الغزالى بضرورة شكر العارف بالله ربه ويرى أن أدنى الشكر أن يرى العبد نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، أما أعلاه فهوالاعتراف بلسان السر أن الخلق كلهم يعجزون عن أداء شكره على أصغر جزء من نعمه وإن بلغوا غاية المجهود . وباب اللباس ، فاللباس نعمة من الله على عبده يستر بها عورته وبشرته عموماً ولكن لباس التقوى خير وأبقى ، وخير اللباس ما لا يشغل السر عن الله تعالى . وباب القيام : ويقصد به القيام من الفراش ، حيث ينبغى على المرء أن يوقظ النوم عن نوم الجهالة . والنهوض بكلل والحركة الدائبة فى خير والصعود بالقلب إلى الملكوت . ويوصى الغزالى بضرورة أن يجعل المؤمن قلبه تابعاً لله لا للنفس فإن النفس تميل إلى الأرض ، بينما يميل القلب إلى السماء ، ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

أما باب السواك ، فيوصى فيه المؤلف بضرورة استعمال السواك لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب ، وضرورة تطهير الباطن والظاهر عن دنس الإساءة . وباب التبرز ، يوصى فيه أن يعتبر المريد بهذا الأمر ، ففيه راحة من إزالة النجاسة ، ومن ثم ينبغى عليه أن يغلق باب الكبر ويفتح باب الندم ، وأن يغسل شره بترك شره الغضب والشهوة واستعمال الرغبة والرهبة من الله . وباب الطهارة ، وفيه ينبغى على المريد العارف بالله أن يتطهر تماماً فى كل الأوقات وأن يفكر فى صفوة الماء ورقته وتطهيره وتنظيفه ﴿**ونزلنا من السماء ماءً مباركاً**﴾ ومن ثم ينبغى أن تكون صفوة المريد مع الله كصفوة الماء . وفى باب الخروج من البيت إلى الصلاة فلابد للمريد أن يلتزم بحدود الله وحقوقه عليه من ذلك التزام السكينة والوقار والاعتبار بخلق الله برهم وفاجرهم ، وغض البصر

وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وعند دخوله المسجد ، عليه بالتفكير فى صاحبه الملك القدير العليم وأنه ضيفه وأنه فى حضرته وأمامه ، فالله يكرم ضيفه ويعطى سائله ويبر المعرض عنه ، فكيف بالمقبل عليه .

بعد ذلك بين المؤلف فى أبواب افتتاح الصلاة والقراءة فيها والركوع والسجود والتشهد ضرورة التخلى عن التفكير فى الدنيا ومتاعها والنفس وشهواتها واستبدال ذلك بالتفكر فى الملكوت وآلاء الله وإخلاص العبادة له . وفى بابى السلام والدعاء يذكرنا المؤلف بأسماء الله الحسنى والالتفات إليها والدعاء بها حتى يستجيب الله الدعاء . وفى أبواب الصوم والزكاة والحج ينبغى على المريد أن ينصاع تماماً لأوامر الله وإحسان الصحبة والتجرد والبعد عن الحرام والقرب من الحلال . وفى أبواب السلام والسلامة والعزلة والعبادة والتفكير بيّن المؤلف أن المريد الذى يريد أن يقف على منهج العارفين بالله حق المعرفة لابد له من الصمت توخياً للسلامة من كل إثم أو الكلام بما ينفع ، ولابد أن ينعزل بشره عن الناس ولا يفتر عن العمل ، ففى العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وإغلاق أبواب الدنيا وكسر سلاح الشيطان ، ولا بد له من الإقبال على أداء الفرائض والنوافل معاً ، والتفكير فى قوله تعالى : ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً** ﴾ مع ضرورة المجاهدة والرياضة الروحية والزهد فى الدنيا بكل ما فيها ، فهذه هى حياة ومنهاج العارفين بالله ، والله أعلم .

أما من حيث ما ورد فى هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد وردت مفاهيم الخوف والرجاء والحب ، وهى من منظور علم النفس الحديث تندرج تحت علم النفس العام وبصفة خاصة فى موضوع الانفعالات Emotions . وورد فى باب النية Intention (ص ٧٠) مفهوم النية أوالقصد ذاته ، وهويرادف فى علم النفس الحديث مفهوم الوجهة الذهنية Mental set وهو مفهوم عقلى ذوبطانة وجدانية يشير إلى استجماع قوى الشخص وحصر أوحبس بؤرة تركيزه على عمل بذاته أوفى سياق معين ، طال زمنه أوقصر . وباب الذكر بمعنى استرجاع أو استحضار أواستعادة أى شئ إلى بؤرة التركيز والشعور ، يرادف تماماً مفهوم التذكر أوالذاكرة memory بصفة عامة فى علم النفس العام . والنسيان الذى ورد فى (ص ٧١) عكس التذكر والذاكرة وله نفس الموضع فى علم النفس العام . وورد فى (ص ٧٣) الحديث عن الغضب وهومن الانفعالات التى ترد ضمن موضوعات علم النفس العام . وورد الفكر والتفكر والتفكير فى (ص ٧٠ ، ٧٣) والتفكير فى علم النفس المعرفى وعلم النفس العام وتطبيقاته فى مجال المرض النفسي الآن كثيرة . وكل الصفات التى وردت في شأن المؤمنين العارفين ، وبصفة خاصة في الصفحات من (ص ١٧٠ إلى ٧٨) ترادف مفهوم الاتجاه Attitude

فى علم النفس الحديث ومفهوم سمات الشخصية وكذلك ما ورد فى سمات وصفات المتصوفين من خصال فى (ص ٨٣) يرادف ماورد فى علم النفس الحديث من كلام فى تصنيف البشر وفقاً لخصائصهم وخصالهم Characteristics وذلك فى دروس ونظريات الشخصية .

والفصل فى جملته يتضمن أسلوباً خاصاً فى تعديل السلوك وتربية الشخصية .

ثالثاً : أما الرسالة الثالثة فكانت بعنوان : الرسالة اللدنية :

بدأ أبو حامد الغزالى هذه الرسالة بخطبة قليلة الكلمات ولكنها بليغة العبارات حيث أبان أن العارفين بالله فتح الله عليهم باب التوحيد الخالص وباب العلم والدراية واللدنية.

بعد ذلك عرض المؤلف للفروق بين العلم الغيبى واللدنى والعلوم الكونية المكتسبة التى تقوم على التحصيل والاكتساب وتعلم فنونها ، وبين شرف تحصيل العلم لما له تأثير حسن على السلوك وهداية النفس الإنسانية لأنها لوح العلوم ومقرها ومحلها . وحاول المؤلف وضع ترتيب لأنواع النفس والفرق بينها وبين الروح بهدف بيان قابلية النفس العاقلة بالذات لتعلم كل العلوم على عكس النفس الشهوية والغضبية التى تميل ، بسبب ما يسرى فيها من أرواح شريرة إلى الإقبال على ملاذ الدنيا وشهواتها ثم أورد أبوحامد الغزالى فصلاً فى أصناف العلم وأقسامه ، بدأها بالعلم الشرعى الذى يضم كلاً من الأصول والفروع ، وانتهى فيه إلى الحديث عن العلم العقلى الاستدلالى الذى يقع فيه الخطأ والصواب وله ثلاث مراتب أولها العلم الرياضى والمنطقى وثالثها وهو أعلاها علوم النظر فى الموجود وقسمه إلى الواجب والممكن ، ثم النظر فى الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله ثم النظر فى العلويات وأحوال الملائكة والشياطين . ثم تحدث بعد ذلك فى فصل آخر عن علم الصوفية الذى يجمع بين جميع العلوم السابقة فهو علم مركب . وأهم ما يميز المتصوفة الوجد والشوق إلى الله والسكر والصحو والإثبات والمحو والفقر والفناء والولاية والإرادة ، وبين بعد ذلك طرق تحصيل العلم بأنواعه وشروط ذلك ومراتب النفس البشرية عند تحصيلها للعلم . وختم هذه الرسالة بوصف حقيقة العلم اللدنى وأسباب حصوله لدى العارفين بالله فهويرى أن العلم اللدنى هوسريان نور الإلهام الذى يحدث بعد تربية النفس البشرية على فعل الخيرات فقط ، وذلك بتحصيل أكبر قدر ممكن من العلوم ثم الرياضة الصادقة والمراقبة الصحية ، وأخيراً بالتفكير والتفكر ، فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم سلكت طريق الصواب " تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة " .

أما من حيث ما ورد فى هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية : فقد ورد فى (ص٨٨،٨٩) مفهوم العلم بأنه : تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها

المجردة عن المراد بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت مفردة "ويكاد يتفق هذا التعريف مع ما ورد في كتب مناهج البحث في علم النفس عند تعريفها للعلم بأنه : مجموعة من تصورات أوالمفاهيم Concepts المترابطة المتكاملة المتراكمة التي تشكل جسم المعرفة لأي فرع من فروعها . وورد مفهوم النفس الإنسانية، وهوموضوع لعلم هام يطلق عليه علم النفس بما يصدر عنها من سلوكيات وتصرفات ، وكان يشار إلى هذا المفهوم الفرضي قديماً بأنها مجموعة من الوظائف الحيوية التي يؤديها الكائن الحي ، كما ورد ذلك في كتابات أرسطو عن النفس ، ثم ورد بعد ذلك أنها مجموعة من القدرات والوظائف ذات الطبيعة المتكاملة من حيث هي بيولوجية حسية ووجدانية باطنية وعقلية ومعرفية . وينظر إليها الآن على أنها مجموعات السلوكيات التي تصدر عن الكائن الحي ، وكذلك هناك من يقول إن النفس لم تعد موضوعاً لعلم النفس ، ولكن السلوك الذي يصدر عنها هوموضوع علم النفس الإنساني والحيواني على الأقل .

وورد نفس المفهوم (النفس) في فصل كامل عن المقارنة بين النفس والروح الإنساني ، ولا تعليق لنا على هذا المفهوم إلا ما أوردناه سلفاً . فالنفس في نظر الغزالي " ذلك الجوهر الكامل الفردي الذي ليس من شأنه إلا التذكر والحفظ والتفكر التمييز والروية ، ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول الصور المجردة المعراة عن المواد . ولهذا الجوهر عند كل قوام اسم (ص ٩١ وما بعدها) ، فالحكماء يسمون هذا الجوهر النفس الناطقة ، والقرآن يسميه النفس المطمئنة والروح الأمرى ، والمتصوفة تسميه القلب . وعموماً هذا الخلاف اسمي ولكن المعنى خلفها العقلي المعرفي فقط ، بينما هي في علم النفس الحديث ، وكما قلت مجموع السلوكيات أوالتصرفات الصادرة رداً على مؤثرات خارجية (بيئية) أو داخلية (حسية) ، وتأتي هذه السلوكيات نتاجاً للتفاعل الخلاق بين الجوانب الجسمية والوجدانية والمعرفية التي تضمها الشخصية الإنسانية . وأي نقص في أي جانب منها يحدث اضطراباً في السلوك النهائي الصادر عن النفس .

كذلك ترادف مفاهيم التذكر والحفظ والروية والتفكير والإدراك موضوعات أساسية في علم النفس العام . والحديث عن الحاجة إلى العلم أوالرغبة والحاجة إلى الطعام والشراب والحاجة إلى الشهوات التي وردت في (ص ٩٥ ، ٩٦) ، جميعها ترادف مفاهيم الدوافع البيولوجية في مقابل الدوافع المكتسبة (من البيئة) في علم النفس العام وفي علم النفس الحديث عموماً .

يقول أبوحامد الغزالي في الرسالة اللدنية كذلك : (إن علم اللغة سلم ومرقاة إلى جميع العلوم ، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم . فإن من أراد أن يصعد

سطحاً عليه تمهيد المرقاة أولاً ثم بعد ذلك يصعد ، وعلم اللغة وسيلة عظيمة ، ومرقاة كبيرة فلا يستغنى طالب العلم عن إحكام اللغة ، فعلم أصل الأصول ، وأول علم اللغة معرفة الأدوات ، وهى بمنزلة الكلمات المفردة (ص ٩٨) ، ويرادف هذا المصطلح موضوعاً كاملاً وحديثاً فى علم النفس يسمى سيكولوجية فى علم النفس ، بل هناك فرع كامل الآن يسمى علم النفس اللغوى أو اللغويات النفسية Psycholinguistics وورد فى (ص ٩٩) مفهوم العادات أو أبواب العادات ، ويشيع هذا المفهوم فى فرع كامل فى علم النفس الحديث يسمى التعلم : مفاهيمه ونظرياته . وورد فى (ص١٠٠) " أن علم الطبيعة يتولد عن دراسته : النظر فى أحوال مراتب الموجودات وأقسام النفوس والأمزجة وكمية الحواس وكيفية إدراكها لمحسوساتها " ، ويرادف المزاج مفهوم السمة Trait فى سيكولوجية الشخصية ، أما الحواس والإدراك فهى بذاتها تدخل ضمن موضوعات علم النفس العام الذى هو مدخل لكل فروع علم النفس الأساسية والتطبيقية . وورد فى (ص ١٠١) وما بعدها فى السطر الأخير من الصفحة، الحديث عن طرق التحصيل العلمى والتعلم ، وهذه مفاهيم تشيع فى كتابات علم النفس التربوى كعلم تطبيقى وفى طرق ونظريات التعلم كعلم أساسى ، وفى كتب القياس النفسى والتربوى بهدف التقدير والتقويم assessment & Evaluation . ووردت مفاهيم التفكر والفكر والحدس (ص ١٠٣) وكلها مفاهيم تشيع كموضوعات قائمة بذاتها فى علم النفس العام . وورد فى (ص ١٠٤) " وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات " ، وكذلك فإن مفهوم الإلهام يشيع فى كتابات سيكولوجية الإبداع والاختراع والاكتشاف والابتكار Creation ، غير أن معنى الالهام عند الغزالى يختلف عن معناه فى علم النفس الحديث . وورد فى (ص ١٠٧) ما نصه " يحتاج الناس إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم فى الوساوس وانهماكهم فى الشهوات " فالتذكير يرادف التذكر والاستدعاء بطريق التعرف على ما مضى وكذا التنبيه Stimulation يعد من المفاهيم الأصولية فىعلم النفس الحديث عموماً وفى علم النفس العام بصفة خاصة . ويشيع مفهوم الوساوس فى علم النفس الإكلينيكى والمرضى Abnormal & Clinical Psychology والطب النفسى والعصبى . أما الشهوات فترادف مفهوم الدوافع الأولية (أوالغرائز) ، كالحاجة إلى الجنس والطعام والشراب والإخراج فى علم النفس العام وفى نظرية الدافعية Motivation theory عموماً فى علم النفس الحديث .

وورد فى (ص ١٠٨) الحديث عن الصور العقلية (أوالمعقولة mental images وتشيع هذه المفاهيم داخل موضوع الخيال imagination فى علم النفس العام . والنفوس

المريضة ترادف مفهوم الاضرابات النفسية . والنسيان الذى هوالتباس العلم المنقوش فى الحافظة والذاكرة فيكون كالغمام أوالسحاب السائر لنور الشمس عن أبصار الناظرين كلها تشيع فى كتابات سيكولوجية التذكر والنسيان فى علم النفس العام .

أما الرسالة الرابعة التى جاءت بعنوان : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، فقد بدأها المؤلف بخطبة تبين أهمية أن يستجلب المرء الهمة من رب العباد ليستعين بها على إنجاز ما يريد ، ثم عرض أبوحامد الغزالى بعد ذلك للفرق بين الإيمان والكفر أوالإسلام والزندقة وذلك فى معرض حديثه عن تكفير فرق المتكلمين لبعضهم البعض ، وتفكيرهم عموماً ، من أشاعرة ومعتزلة وشيعة ، لأهل السنة والجماعة عامة ، والمتصوفة بصفة خاصة فبين أن الكفر لا يحدث بالوقوع فى خطأ أومخالفة شرعية ، حتى ولوكانت مخالفة جسيمة مادام المرء متمسكاً بالأصول التى على رأسها التوحيد . فالكفر هو تكذيب الله والرسول عليه الصلاة والسلام ، بينما الإيمان تصديق الله والرسول ﷺ فى كل ما جاء به ، ولذلك فاليهودى والنصرانى كافران لتكذيبهما للرسول ﷺ ، والبرهمى كافر بالطريق الأولى لأنه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل، ويلتحق بهم بالقياس الثنوية والزنادقة والدهرية ، فكلهم مكذبون للرسول ، فكل مكذب للرسول كافر . أما كل فرق المتكلمين والمتصوفة مجتهدون ولم يكذبوا الله والرسول ، وإن اختلفت آراؤهم ، فهى تختلف فى الفروع لا فى الأصول ، ناهيك عن المتصوفة العارفين بالله وبرسوله حق المعرفة ، كما سبق بيان ذلك . فكيف نتهمهم بالكفر وكيف يكفرهم المعتزلة والأشاعرة والشيعة على اختلاف فرقهم !!

ثم بين المؤلف بعد ذلك أمارات وأحوال الزنادقة وأحوال أهل الكفر حتى لا يدع مجالاً للظن أوللتخمين ، أويدع مجالاً للخلط بين الإيمان والكفر فكلاهما واضح وضوح الشمس حينما تكون فى وسط السماء الدنيا . وانتهى من رسالته هذه إلى التحذير من رمى المسلمين بالكفر مخالفة لواقعهم أواعتماداً على الظن والتخمين ، لان المسلم إن لم يكن كافراً وقذف بالكفر ، ارتد هذا الكفر على القاذف " إذا قذف أحدكم أوأحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما " .

أما من حيث ما ورد فى هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد فى (ص١١٥) وفى أول صفحة ١١٨ حديث عن الغيرة والحسد وهما من الانفعالات التى هى إحدى موضوعات علم النفس العام ، التى تمثل الجانب المزاجى للسلوك الإنسانى . وورد كذلك حديث عن مفهوم الاستبصار Insight . وورد فى (ص ١٢٤) الحديث عن الوجود الخيالى والتمثيل العقلى Mental representation ، وهذا مفهوم يشيع فى موضوعات حديثة فى علم النفس المعرفى وعلم النفس العصبى Neuro - psychology ،

وفى موضوع الخيال والصور العقلية كما سبق ذكر ذلك . وورد فى (ص ١٢٧) حديث عن القدرة على التأويل أوالتفسير Interpretation ويرادف هذا المصطلح مفهوم التأويل العقلى الذاتى فى موضوع الإدراك الحسى والمعرفى فى علم النفس الحديث . وورد كذلك فى الصفحة ما نصه " وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازاً أواستعارة هوالوجود العقلى والوجود الشبهى " ويرادف الكلام مجازاً أواستعارة مفهوم التفكير المجازى بالألفاظ Metaphor Thinking فى علم النفس الحديث . وأحياناً يسمى Figurative thinking . وورد مصطلح الكلمات فى (ص١٣٠) ، وهويرادف مفهوم الرموز والإشارات ، وهى جميعاً تعد ضمن أدوات التفكير الإنسانى الذى هودرة موضوعات علم النفس العام وعلم النفس المعرفى .

أما الرسالة الخامسة والأخيرة ، فقد جاءت بعنوان : أيها الولد ، بدأها المؤلف بخطبة جامعة كالعادة ، وأكثر فى هذه الرسالة من قوله : أيها الولد ، وسبب ذلك وجود واحد من مريديه وتلامذته وأحد الذين تعلموا على يديه ، هذا الطالب كتب إلى الإمام الغزالى يسأله عن نوع العلم النافع فى الدنيا والآخرة لكى يلتزم به ، التماساً للنجاة وعملاً بهذه النصيحة مدى العمر . فرد عليه الشيخ الإمام بقوله : من جملة ما نصح به رسول الله ﷺ أمته قوله : " علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعينيه ، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار " . وفى هذه النصيحة كفاية لك ولأهل العلم . وبين بعد ذلك أن المشكلة ليست فى كثرة إسداء النصائح والمواعظ ، ولكن المشكلة تكمن فى قبول النصيحة والعمل الدائب بها ، فقد كثر الوعظ وقل الاتعاظ . فلا بد من الجمع بين غزارة العلم والعمل به وصون الجوارح بالعلم، كما أوصاه بضرورة قيام الليل والإكثار من الاستغفار والشكر لله .

وذكره فى النهاية بجوهر العبادة قائلاً له : اعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع سبحانه وتعالى فى الأوامر والنواهى بالقول والفعل . يعنى كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشارع والشرع ، كما لوصمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً أوصليت فى ثوب مغصوب وإن كانت صورة عبادة تأثم . ولقد وجب على السالك أمور أربعة : اعتقاد صحيح لا تكون فيه بدعة ، وتوبة نصوح لا يرجع بعدها إلى الزلة، واسترضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق ، وتحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدى به أوامر الله تعالى ، ثم لا يبقى لأحد عليك حق ، وتحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى ، ثم من العلوم الآخرة ما يكون به النجاة . وفى النهاية أوصاه بضرورة العلم بما ورد إجابة على سؤاله المتقدم ، وبالله التوفيق .

أما من حيث ما ورد فى هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد فى (ص١٤٥) حديث عن التصديق والاعتقاد والإيمان ، وكلها مفاهيم سيكولوجية تشيع فى كتابات علم النفس الاجتماعى وخاصة فى موضوعات الاتجاهات والتخاطب اللفظى الاجتماعى Social Verbal communication والاعتماد والمعتقدات Beliefs والقيم Values . وورد فى نفس الصفحة مفهوم الحافز incentive ، وهو أى منبه أومثير خارجى يزيد من قوة الدافع الإنسانى ، وهويدخل ضمن إطار مفاهيم نظرية الدافعية ، كما وصفت فى كتب ومراجع علم النفس العام .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجالات علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى والشخصية .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ)
مجموعة رسائل الإمام الغزالى (٤) [1]

عرض : د. طريف شوقي فرج

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب فى ١٨٦ صفحة من القطع المتوسط ، ويتضمن ست رسائل للإمام الغزالى وهى :

١ - مشكاة الأنوار .

٢ - رسالة الطير .

٣ - الرسالة الوعظية .

٤ - إلجام العوام عن علم الكلام .

٥ - المضنون به على غير أهله .

٦ - الأجوبة الغزالية فى المسائل الأخروية .

ويصوغ الإمام رسائله فى صورة إجابة عن سؤال يوجهه إليه أحد السائلين ونعرض فيما يلى هذه الرسائل على نحوموجز .

عرض الرسالة الأولى : (١ - مشكاة الأنوار) :

ويجيب فيها عن سؤال حول تفسير الآية الكريمة : **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم﴾** (سورة النور آية ٣٥) . ويشير إلى أن للنور معنى عند العوام (البصر) ، ومعنى عند الخواص (العقل) ، ومعنى عند خواص الخواص (الله) ، ثم يعقد مقارنة بين نور البصر ، ونور العقل ، ويبين أن لنور البصر سبعة أوجه من النقصان تعد أوجه قوة للعقل ، مثل أن العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك نفسه ، وأن العين لا تدرك ما وراء الحجب والعقل ينصرف فيما وراء الحجب ، وأن العين تبصر بعض الموجودات وتقصر عن جميع المعقولات فى حين أن الموجودات والمعقولات كلها مجال للعقل . ويسوق الغزالى مثالاً فى معرض تلك المقارنة ينم عن إدراكه للفارق الجوهرى بين عملية الإحساس والإدراك الحسى حيث يقول : " إن العين الباصرة جاسوس من جواسيس العقل وكلها بأخس خزائنه وهى خزانة الألوان والأشكال لترفع إلى حضرته أخبارها (المحسوسات) ، فيقضى فيها (يدركها) بما يقتضيه رأيه

(١) بيروت : دار الكتب العملية ، ١٩٨٦ .

الثاقب وحكمه النافذ " (ص٨-١٠) . وفوق نور البصر ونور العقل تأتى الأنوار السماوية التى منها تقتبس الأنوار الأرضية ، وهى تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض ، ولكنها لا تتسلل إلى غير نهاية ، بل ترتقى لمنع أول وهوالنور لذاته ، وهوالنور الأقصى الذى منه ينزل النور إلى غيره وهوالله (ص ١٥) . ويتحدث عن إيمان العوام وإيمان الخواص ، ويعقد مقارنة بينهما تنم عن مدى تشبعه بالتراث الفلسفى اليونانى . ويشير إلى أحوال القائلين بالفناء فى الله ، وهوأعلى مراتب الاتحاد ، وكيف أن سلطان العقل لديهم معطل كالسكارى ، فمن يفنى فى الله يفنى عن نفسه ، وعن صفاته ، ولا يشعر بنفسه فى تلك الحال ، وتسمى هذه الحال بالإضافة (بالنسبة) إلى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً ، ووراء هذه الحقائق أيضاً أسرار لا يجوز الخوض فيها (ص١٩) .

ولبيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار يستدعى تقديم قطبين :

(أ) بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعانى بقوالب الأمثلة ، ووجه كيفية المماثلة بينهما ، وكنه الموازنة بين عالم الشهادة (العالم الحسى) التى منها يتخذ طينة الأمثال ، وبين عالم الملكوت (العالم العقلى) الذى منه تنزل أرواح المعانى (ص٢٥) . فعلى سبيل المثال علم التعبير (تفسير الرؤى) يعرفك مقدار ضرب المثال : أما ترى أن الشمس فى الرؤيا تعبر عن السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحانى ، وهوالاستعلاء على المكان مع فيضان الآثار والأنوار على الجميع ، والقمر تعبيره الوزير لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم بعد غيبتها ، كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان (ص ٢٨) .

(ب) بيان طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها ، فإن هذا المثال مسوق لبيان ذلك ، إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن ، وهى :

١ - الروح الحساس : الذى يتلقى ما توره الحواس .

٢ - الروح الخيالى : وهوالذى يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلى فوقه عند الحاجة إليه .

٣ - الروح العقلى : الذى يدرك المعانى الخارجة عن الحس والخيال ، ومدركاته المعارف الكلية الضرورية .

٤ - الروح الفكرى : وهوالذى يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليف وازدواجات ويستنتج منها معارف نفسية .

٥ - الروح القدسى النبوة : الذى يختص به الأنبياء والأولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب ، وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض ، بل من المعارف الربانيا التى تقصر دونها الروح العقلى والفكرى (ص ٣٤ - ٣٥) .

ويلقى بإشارة ذات مغزى عن إمكانية وجود ما يسميه علماء النفس المحدثون ما وراء علم النفس بقوله : " لا يبعد أيها المعتكف فى عالم العقل أن يكون وراء العقل طوراً وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز ، ويختص به قوم من الناس ويحرم منه بعضهم " (ص ٣٥) . وفى نهاية الرسالة يتحدث عن المحجوبين من الخلق ويصنفهم إلى ثلاثة أقسام . ويمضى مفسراً للآية من خلال الاستعانة بنموذج التصنيف الخماسى للأرواح . فالمشكاة (الروح الحاسى) والزجاجة (الخيال) والمصباح (العقلى) والشجرة (الفكرى) والزيت (القدسى النبوى) (ص ٣٧ - ٣٨) .

عرض الرسالة الثانية : (رسالة الطير)

ويروى فيها قصة رمزية عن الطيور واجتماعها لا ختيار ملك لها ، ووقوع الاختيار على العنقاء لعلوشأنها وصعوبة الوصول إليها ، وكيف أنهم هموا فى طلبها فى شتى الأماكن التى يتوقع وجودها فيها بما ينطوى عليه ذلك من مخاطر . وهى قصة رمزية تعبر عن أحوال الناس مع الله فمنهم الغافل عن قدره وقدرته ، ومنهم من يجد فى البحث عنه والتزام طاعته ، ومنهم الواصل الذى يسعى للفناء فيه ، وأن الله فى النهاية هوالداعى والمشوق وحق عليه أن يكرم ضيفه .

عرض الرسالة الثالثة : (الرسالة الوعظية) :

يتحدث عن الوعظ وأهميته وشروطه ، وكيف أن الوعظ زكاة ونصابها الاتعاظ ، وأن الله أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى .

ويجرى الإمام حواراً مع نفسه يعظها ويبين لها ما سيفعله الموت (الواعظ الصامت) بها ويقول لها : اعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت : هذا هوالواجب الذى لا يرخص فى تركه الأحمق ، ثم استمرت على سجيتها، ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن : - رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فطال عليه تفتيشى حتى وقعت على سببه وهواعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب ، فمن يصبح وهويأمل أن يمسى أويمسى وهو يأمل أن يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ، ولم يقدر إلا على يسر ضعيف (ص ٥٦ - ٥٧) . من خلال هذه المناقشة يتطرق الإمام الغزالى إلى مشكلة هامة يعنى بها علماء النفس وهى : عدم الاتساق بين القول والفعل ، أوالاقتناع اللفظى وعدم ترجمته إلى واقع سلوكى ، وهى من بين المشكلات الرئيسية التى يجب تقويمها ومواجهة آثارها .

عرض الرسالة الرابعة : (إلجام العوام عن علم الكلام) :

يقول الغزالي : " ما دعاني إلى تأليف هذه الرسالة الرد على بعض الفئات الضالة الذين اعتقدوا فى الله وصفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة والقدم والنزول ، وزعموا أن هذا معتقد السلف " ومن ثم فقد أخذ على عاتقه أن يشرح ما هو اعتقاد السلف فى هذه المسائل ، وأن يضع حدوداً للبحث فيها لا يجب تجاوزها .

(١) حقيقة مذهب السلف :

حقيقة مذهب السلف وهوعندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور :

١ – التقديس : تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن الجسمية وتوابعها ، فإذا سمع قوله إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فينبغى أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين أحدهما هوالوضع الأصلى وهوعضومركب من لحم ودم (المعنى الحقيقى) ، وقد يستعار هذا اللفظ لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلاً – كالقدرة – (وهوالمعنى المجازى) (ص ٦٢ – ٦٣) .

٢ – التصديق : أن يعلم قطعاً أن هذه الألفاظ أريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته .

٣ – الاعتراف بالعجز : أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته ، وان ذلك ليس من شأنه وحرفته .

٤ – السكوت عن السؤال " لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه وخائض فيما ليس له أهلاً فإن سأل – العامي – جاهلاً زاده جوابه وربما ورطه فى الكفر من حيث لا يشعر وإن سأل عارفاً عجز العارف عن تفهيمه كما يعجز عن تفهيم ولده مصلحته فى خروجه إلى الكتب (الكتاب) ، ولهذا أقول يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة والخوض فى التأويل والتفصيل " (ص ٦٨) . والغزالى بهذا المنطق – أى قصر الخوض فى هذه المسائل على أهل التخصص فى سياقات معنية – يرسخ من قيم البحث الأكاديمى ، والتخصص ووجوب إيجاد قواعد وتقاليد راسخة تعين حدود البحث ومجالاته وتمنع دخول من ليس أهلاً له فيها .

٥ – الإمساك عن التصرف فى تلك الألفاظ سواء بالتبديل بلغة أخرى أوالتأويل أو التعريف ، والتفريع والزيادة منه والنقصان منه ، والجمع ، والتفريق .

٦ – الكف : أن يكف باطنه عن البحث والتفكر فى هذه الأمور وهى مهمة ثقيلة. وينبغى أن يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته بآيات القرآن التى يسهل فهمها وليس بقول المتكلمين ومصطلحاتهم التى يصعب لإدراك محتواها ومغزاها ، فإن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان . وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويفر منه الأكثرون .

٧ – التسليم لأهل المعرفة : وبيانه أنه يجب على العامى أن يعتقد أن ما انطوى عنه من معانى هذه الظواهر وأسرارها ليس منطوياً عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة وعن العلماء الراسخين (ص ٨١ – ٩٠) .

(٢) فى إقامة البرهان على أن الحق مذهب السلف :

وينقسم البرهان إلى :

١ – برهان عقلى : وينقسم إلى برهان كلى وبرهان تفصيلى .

٢ – برهان سمعى .

ويفرد الغزالى عدداً من الصفحات لتفصيل القول فى هذه البراهين .

(٣) فصول متفرقة وأبواب نافعة فى هذا الفن :

يقول الغزالى بأنه مما أدى إلى نشوء مثل ذلك التلبيس ، أن الرسول لم يقل تلك الألفاظ دفعة واحدة ، وإنما جمعها من التأثير فى الإيهام والتلبيس على الأفهام ما ليس لآحادها المتفرقة ، , انه ما ذكر كلمة منها إلا مع قرائن وإشارات يزول معها إبهام التشبيه وقد أدركها الحاضرون كذلك ، فإذا نقل الألفاظ مجردة عن تلك القرائن يظهر الإبهام (ص ٩٩) (أى إدراك المدلولات المعنوية التى يشير إليها اللفظ بمعزل عن السياق الذى يجب أن يفهم ويدرك من خلاله ، فضلاً عن أنه سعياً منه لتقريب المعنى للمستمع كأن يضرب مثالاً عيانياً ولكنه يقصد المعنى المجازى) . ثم يمضى فى مناقشة بعض القضايا الجزئية مثل : القول بنسبة صفة اليد والفرق لله ، والقول بقدم العالم .

ويتحدث عن حقيقة الإيمان ويعرفه : تصديق جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بإمكان وقوع الخطأ منه ، ويمضى فى محاولة تفسير نشأته وتكوينه ، فيقول : إن هذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب ، وفى ثنايا الحديث عن هذه المراتب نورد إشارة إلى مفهوم مصداقية المصدر حين يشير إلى إمكانية حدوث " التصديق لمجرد السماع ممن حسن الاعتقاد فيه بسبب كثرة ثناء الخلق عليه ، فإن من حسن اعتقاده في أبيه وأستاذه أو في رجل من الأفاضل المشهورين قد يخبره عن شيء ما ، فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق ما أخبره عنه " (ص ١١٥) .

وهذا التصور الذى يطرحه الغزالى حول مفهوم مصداقية المصدر يلتقى فى كثير من الجوانب مع التصور المعاصر لهذا المفهوم والذى يشار إليه على أنه " الدرجة التى يكون عندها المصدر قابلا للتصديق Credibility ، وتحدد هذه الدرجة بخصال شخصية المصدر ومكانته وعلاقته بالمتلقى ، وخصال المتلقى ، وطبيعة الاتصال . وسياق تقديمه ، والمصدر مرتفع المصداقية هوالشخص الذى يتمتع بكل من الخبرة والثقة (شحاته١٩٨٥،ص٢١) .

ويحدثنا عن خصال المتلقى ، والاعتقاد ، وكيف أن الأول يشكل مناخاً خصباً تكون الثانى يقوله :

" أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر إلى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاده فى قائله ، ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما فى طباعه ، فالحريص على موت عدوه وعزله يصدق جميع ذلك بأدنى إرجاف ويستمر على اعتقاده جازماً ، ولوأخبر بذلك فى حق صديقه أوشئ يخالف شهوته وهواه توقف فيه وأباه كل الإباء " (ص ٦١٦) .

ويتطرق إلى مسالة نشوء الإتجاهات التعصبية وما ينتج عنها من كراهية متبادلة بين الجماعات المختلفة فيقول : " أكثر الناس آمنوا فى الصبا ، وكان سبب تصديقهم مجرد تقليد الآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثناء غيرهم عليهم ، وتشديد النكير بين أيديهم على مخالفيهم مثل حكايات أنواع النكال النارية بمن لا يعتقد اعتقادهم كقولهم إن فلاناً الرافضى (المخالف لهم) انقلب فى قبره خنزيراً ، ومن حكايات مقامات وأحوال هذا الجنس يتغرس فى نفوس الصبيان النفرة عنه والميل ضده حتى ينزع الشك بالكلية عن قلبه ، فالتعلم فى الصغر كالنقش على الحجر ثم يقع نشوؤه عليه ولا يزال يؤكد ذلك فى نفسه ، فإذا بلغ ستمر على اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذى لا يخالجه فيه ريب ، وذلك ترى أولاد النصارى والروافض والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم فى الباطل والحق جازمة ، ولوقطعوا إرباً إرباً لما رجعوا عنها ، وهم قط لم يسمعوا عليه دليلاً حقيقياً ولا رسمياً وبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الادلة " (ص ١١٧) .

(٥) المضنون به عن غير أهله :

فى هذه الرسالة يتناول مسائل متعددة منها الربوية ، وحقيقة الرؤيا والفرق بين المثل والمثال وأن المثال فى حق الله جائز والمثل مستحيل ، وبين الواحد والأحد ، والفرق بين تكليف الله تعالى عباده ، وتكليف الإنسان عبده ، وتعريف التقوى ، ويعرج إلى الحديث عن الملائكة والمعجزات وأحوال الأنبياء وشفاعتهم ، والأولياء ومقاماتهم ، وعن أحوال ما بعد الموت والحساب والصراط والجنة والنار .

عرض المسألة السادسة : (الأحوية الغزالية فى المسائل الأخروية) :

يفسر فى هذه الرسالة قوله تعالى : **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾** فيعرف التسوية ، والنفخ ، والروح ، ويجيب عن أسئلة متنوعة متصلة بجوانب متعددة لموضوع الروح .

الغزالى ، أبوحامد (ت ٥٠٥ هـ)
مجموعة رسائل الإمام الغزالى (٥) [1]

عرض : د. عبد المنعم شحاته محمود

عرض الرسالة الأولى (بداية الهداية) :

يبدأها بالتمييز بين نوعين من طالبى العلم :

طالب العلم للمباهاة والتفاخر أمام الأقران ، وهذا النوع لا يفضله الغزالى ، حيث يبيع به الفرد آخرته بدنياه .

طلب العلم يقصد الهداية التى هى ثمرة العلم ، والتى لها بداية ونهاية وظاهر وباطن ، ولا يكون الوصول لنهايتها إلا بعد إحكام بدايتها . وبداية الهداية - فى نظر الغزالى - ونهايتها ظاهرها وباطنها هوالتقوى أوامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

ويقسم الغزالى هذه الرسالة إلى ثلاثة أقسام ، يتناول فى القسم الأول أشكال الطاعات المختلفة ، منها آداب كل من الاستيقاظ من النوم ، ودخول الخلاء ، والوضوء والغسل ، والخروج من المسجد ، ودخول المسجد .... الخ .

القسم الثانى ، آداب اجتناب المعاصى ، وحفظ جميع البدن من المعاصى ،والوسائل التى تحفظ كل عضومن أعضائه . ويتناول الغزالى فى هذا القسم بعض معاصى وأمراض القلب وهى الحسد ، والرياء ، والعجب والكبر ، والفخر ، وهى أغراض نفسية تشير إلى عدم التوافق النفسى أوالمرض النفسى (ص ٦٩ - ٧٧) .

القسم الثالث ، القول فى آداب الصحبة ، ويتناول فيه الغزالى آداب العالم ، والمتعلم، وآداب الولد مع الوالدين ومجالسة العوام المجهولين ، ومعاشرة الإخوان والأصدقاء . ويدخل ذلك فى إطار مفهوم التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية فى علم النفس الاجتماعى (ص ٧٨ - ٨٤) . كما تحدث الغزالى فى هذا القسم عن أسلوبين معاصرين فى اكتساب السلوك المرغوب ، أولهما : الممارسة ، كما أوضحته نظريات التعلم . وثانيهما : التعلم من خلال الملاحظة للآخرين ، وهوما ورد فى بعض الفقرات التى عرضها المؤلف مثل " فانظر إلى كذب غيرك ، وإلى نفرة نفسك منه .... فإنك لا تدرى قبح عيونك من نفسك ، بل من غيرك ، فما استقبحته من غيرك ، يستقبحه غيرك منك لا محالة " (ص ٦٢) .

كما يقدم الغزالى إشارة لأحدث أساليب تعديل السلوك ، حينما يصف كيفية علاج الغفلة فى السهوفى الصلاة ، إذ يقول : " فإن لم يحضر قلبك ، ولم تسكن

(١) تحقيق أحمد شمس الدين . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨ . ١٩٢ ص .

جوارحك ، فهذا لقصور معرفتك لجلال الله تعالى ، فقدر أن رجلاً صالحاً ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك ، فعند ذلك تسكن جوارحك ، ثم ارجع إلى نفسك ، وقل : يا نفس السوء ، ألا تستحين من خالقك ، وإذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ، أ هوتعالى عندك أقل من عبد من عباده ؟ ..... فعالج قلبك بهذه الحيل " . (ص ٤٦) .

وتتضمن هذه العبارة إشارة إلى أساليب حديثة فى العلاج النفسى ، مثل : التخيل ، وترديد عبارات تهدف إلى إثارة النفس انفعالياً .

كما يندرج أسلوب الغزالى فى علاج السهوأثناء الصلاة تحت أسلوب " العلاج الذاتى " من خلال ملاحظة - الفرد لسلوكه .

كما يقدم الغزالى عرضاً بصفات المعلم (ص ٧٩) لا تختلف عما تكشف عنه البحوث المعاصرة فى العملية التعليمية من أهمية اتسام المعلم بسمات معينة ، حتى يؤدى دوره التعليمى بكفاءة .

كما تتضمن الرسالة عدداً من الآداب مع الوالدين والأخوة والأصدقاء والمعارف والمجاهيل من الناس (ص ٧٨ - ٨٨) وهى تشير إلى عدد من المهارات الاجتماعية .

عرض الرسالة الثانية (الأدب فى الدين) :

وتتضمن جملاً من الآداب التى أدبنا بها الله تعالى فى القرآن بما أرانا فيه من البيان ، لنتخلق بأخلاق النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين ، ويذكر الغزالى هذه الآداب بشكل مختصر ، وتشمل آداب العباد مع الله ، والعالم مع المتعلم ، والمتعلم مع العالم ، المقرئ ، القارئ ، معلم الصبيان ، المحث ، طالب الحديث ، الكاتب ، الواعظ ، المستمع ، الناسك ، آداب اعتزال الناس ، الصوفى ، الشريف ، النوم ، التهجد ، الخلاء، الحمام ، الوضوء ، دخول المسجد ، الاعتكاف ، آداب العيد ، الخشوع ، المشى فى الجنازة ، المتصدق ، السائل ، الغنى ، الفقير ، الاهداء ، اصطناع معروف ، دخول مكة والمدينة ، والإحرام ، التجارة ، الصيرفة ، الأكل ، الشرب ، معاشرة الزوجة ، خطبة الرجل للمراة ، الجماع ، الاستئذان ، الجلوس على الطريق ، آداب الوالد مع أولاده ، والوالد مع أبويه ، السيد مع العبد ، العبد مع السيد ، السلطان مع الرعية ، والرعية مع السلطان ، القاضى ، الشاهد ، ثم يختتم الرسالة بآداب جامعة .

تتضمن هذه الرسالة عدداً من صفات مصدر المخاطبة (سواء كان معلماً أومحدثاً أوكاتباً أوواعظاً أوإماماً أوخطيباً) بسمات معينة كالمصداقية وما تنطوى عليه من صدق وخبرة وموضوعية فى التناول " يقصد الصدق ويجتنب الكذب ... ويروى عن الثقات .. " (ص ٩٢) و ' اعتقاد فعل ما يقوله لينفع الناس بما يقوله " (ص ٩٥ ، ص ١٠٢) ، و" حسن

الحظ .. حسـن اللباس ، طيب الرائحة ... " (ص ٩٤) وهى صفات تؤكد البحوث المعاصرة لزيادة القدرة model فى اكتساب السلوك ، فمعلم الصبيان يجب أن يلتزم بآداب معينة " مما استحسنه فهوعندهم الحسن ، وما استقبحه فهوعندهم القبيح " (ص ٩٢) .

عرض الرسالة الثالثة (كيمياء السعادة) :

ويقصد بها اجتناب الرذائل واكتساب الفضائل ، وهى صفات الكمال التى لا تطلب إلا من حضرة النبوة ومن منابعها الأصلية أى القرآن والسنة وسرها فى الرجوع إلى الله تعالى بمعرفته جلّ وعلا ، ومفتاح معرفة الله هومعرفة النفس أو باطن الإنسان أو حقيقته ، لم خلق وبأى شئ سعادته ، وبأى شئ شقاؤه ؟

والنفس هى القلب أو الروح الذى هومن عالم الغيب ، فيصعب معرفة حقيقته ، ولكن يمكن معرفة صفاته ، وهوملك النفس ، والعقل وزيرها والقوة الشهوية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها ، ويجب أن يشاور القلب العقل ، ويسيطر على القوى الشهوية والغضبية . (ص ١٢٩) .

ثم يبين قوى النفس المختلفة ، ومراتبها ووظائفها ، ويميز بين الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة ، مفصلاً أنواع كل منهما ، وموقع كل نوع من قوى النفس المختلفة.

ثم يبين أبواب العلوم ، وأحدها للأحلام والآخر لليقظة ، ويفضل الكلام عن الطاقة إلى عالم الملكوت ، حيث التعلم بلا واسطة ، للأنبياء والأولياء والمخلصين المجاهدين من العباد .

ويؤكد الغزالى أهمية معرفة النفس " فالواجب أن تعرف نفسك بالحقيقة ، حتى تعرف أى شئ أنت " (ص ١٢٤) ، وهذه المعرفة هى هم علم النفس المعاصر وهدفه.

وفى تعريف الغزالى للنفس يشير إلى وظيفتها الانفعالية ، فيضمنها قوة الشهوة وقوة الغضب ، كما يشير إلى وظيفتها المعرفية ، فيضمنها قوة العلم ، فى " تمام السعادة مبنى على ثلاثة أشياء : قوة الغضب - قوة الشهوة - قوة العلم ، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً ... فالغضب إذا زاد سهل الضرب والقتل ، وإذا نقص ، ذهبت الغيرة والحمية فى الدين والدنيا ، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة ، وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإذا نقصت كان العجز والفتور ، وإن توسطت كانت العفة والقناعة وأمثال ذلك " (ص ١٣٠ - ١٣١) .

وقد أشار أبونصر الفارابى إلى هذا التوسط ، ومعنى ذلك ، أن أى فعل نفسى يكون أفضل إذا كان وسطاً ، فالقلق ضار إذا ارتفع ، وإذا انخفض أيضاً ، وكذلك الخوف وطلب الطعام .. وما شابه . ويعد هذا التوسط تأكيد لمفهوم "الاتزان الانفعالى"

ووسيلة لتحقيق توافق جيد مع الآخرين .

وجدير بالذكر أن تقسيم الغزالى للنفس إلى قوة الغضب وقوة الشهوة وقـوة العلـم ، إنما هى ترجمة لتقسيم فلاسفة مسلمون آخرون كأبى نصر الفارابى .

ويأتى قول الغزالى " الشهوة والغضب ينبغى أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلا شـيئاً إلا بأمره " (ص ١٣٢) متأثراً برأى " أفلاطون " فى ضرورة أن تأتمر النفسان الغضبية والشهوة بأوامر النفس العاقلة " .

ويشير الغزالى – وهوبمعرض حديثه عن النفس – إلى أحد موضوعـات علـم النفـس المعـاصر ، وهوالدافعيـة Motivation ، والتـى هدفهـــا اسـتعادة " التـــوازن الحيـــوى " Homestasis ، إذ يقوم : " الأمر الذى به إذا غضبت طلبـت الخصومـة ، وإذا اشـتهيت طلبت النكاح ، وإذا جُعْت طلبت الأكل وإذا عطشت طلبت الشرب .. " (ص١٢٤).

معتبراً هذا الأمر جزءاً من النفس الواجب على الفرد أن يعرفها حتى يعرف من هـو.

عرض الرسالة الرابعة (القواعد العشرة) :

يبين الغزالى – فى هذه الرسالة – القواعـد التـى ينبغـى أن يلتزمهـا كـل سـالك فـى طريق التصوف ، وهى :

١ – النية الصادقة الواقعة من غير التواء .

٢ – العمل لله من غير شريك ولا اشتراك .

٣ – موافقة الحق بالاتفاق والوفاق ، ومخالفة النفس بالصبر على الفراق والمشاق.

٤ – العمل بالاتباع لا بالابتداع .

٥ – الهمة العالية عن تسويف يفسدك .

٦ – العجز والذلة ، لا بمعنى الكسل فى الطاعات وترك الاجتهاد .

٧ – الخوف والرجاء .

٨ – دوام الورد .

٩ – المدوامة على المراقبة .

١٠ – علم ما يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهاداً .

تتضمن الرسالة إشارة إلى بعـض محـددات السـلوك الإنسـانى ، فالنيـة محـدد مباشـر للسلوك كما يكشف علمـاء النفـس المعـاصرون ، والانفعـالات لازمـة لضمـان أدائـه ، والمراقبة الذاتية أساس لدقـة هـذا الأداء وهكـذا جعـل الغـزالى القـاعدة الأولى هـى النيـة الصادقة (ص ١٤٧) ، والسابعة هى الخـوف والرجـاء (ص ١٥٢) ، والتاسـعة هـى مداومة المراقبة (ص ١٥٣) .

عرض الرسالة الخامسة (الكشف والتبين) :

فى هذه الرسالة ، يقسم الغزالى الخلق إلى حيوان وغير حيوان ، إلى مكلف وغير مكلف ، والمكلف إلى مؤمن وكافر ، والمؤمن إلى طائع وعاص ، وكل منهما إلى عالم وجاهل ، ويرى أن الغرور يلازم كل هؤلاء ، فمن الكافر من غرته الحياة الدنيا ، ومنهم من غره بالله الغرور ، ومن العلماء المؤمنين من اغتر بعلمه ، ومنهم من غفل عن قلبه فغلبه النفاق ، ومنهم من تعجب بنفسه ، ومن المؤمنين من اغتر بعبادته أوبماله أو بزيه ومنطقه وهيئته ... الخ .

وهكذا يصف الغزالى أوجه غرور كل قسم من أقسام البشر مؤمنين كانوا أو كافرين، طائعين أو عاصين ، علماء جهلة ، مختتماً رسالته بأن أنواع الغرور فى طريق السلوك إلى الله لا تحصى فى مجلدات .

ويعتبر الغزالى الغرور مرضاً نفسياً ، يحاول وصف مظاهره أوأعراضه مبيناً الأسباب التى تودى إلى هذه الأعراض ، وأهم الأسباب أنه متعلم " وأن ممثلهم المريض الذى تعلم الداء .... " (ص ١٦٧) وهذه النظرة لا تختلف عن نظرة علم النفس المعاصر للأمراض النفسية فهى سلوك غير مرغوب يتم تعلمه ، ويمكن علاجه بإعادة التعلم ، ويذكر الغزالى – فى ذات الموضع – أن علاج الغرور قد وصفه فى كتابه " إحياء علوم الدين " .

كما يشير الغزالى إلى أحد الفئات المريضة بقوله : " وفرقة أخرى غلبت عليهم الوسوسة فى نية الصلاة ... وأخرى غلبت عليهم الوسوسة فى إخراج حروف الفاتحة..." (ص ١٧٣) واصفاً هؤلاء بأنهم " فهذا لا شك أنه تقام عليه السياسة ، ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل " (ص ١٧٣) .

والوسواس هوأحد التصنيفات التشخيصية فى الطب النفسى المعاصر .

ابن باجة (ت٥٣٣هـ)
رسائل جديدة [1]

عرض : د. عبد المنعم شحاته محمود

التعريف بالمؤلف :

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة ، عاش في عصر المرابطين في الأندلس ، إذ ولد في " سرقسطة " أواخر القرن الخامس الهجري (غير معروف سنة مولده) ، وغادرها بعد احتلال " الفونس " الأول لها إلى غرناطة ، ثم إلى مراكش حيث صار وزيراً في فاس ، وتوفي فيها مسموماً سنة ٥٣٣هـ ، ١١٣٨م .

تبحر في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلك والموسيقى .

(المصدر : د. محمد علي أبو ريان (١٩٨٠) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام . الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، (ص٥٢٢ - ٥٥٣) .

ومن أشهر رسائله : في الثبات - اتصال العقل بالإنسان - الوداع - تدبير المتوحد - في الغاية الإنسانية - كتاب النفس .

الرسالة الأولى : في المتحرك :

تنسب الحركة إلى المحرك الأول حتى وإن كان لها أكثر من محرك ، والحركة إما عن عارض وإما بالذات ، والثانية تدل على اختيار ، يكون محموداً أو مذموماً . ويختص الإنسان دون سائر الحيوانات بالحركة الاختيارية التي توجبها الرؤية وتوجهها الغاية التي تكون الخير .

والمحرك الأول في الحيوان - الإنسان أحد أنواعه - هو النفس النُزوعية وهي صنفان أولهما المحبة أي الإقدام كطلب الغذاء ، وثانيهما الكراهة أي الترك كالخوف والسأم وما جانس .

ويتميز الإنسان عن الحيوان بأنه يعدل من حركته إذا علم أن الشيء خير فيشتهي بعد ما كان يكره ، كما يتميز بأنه يدرك الخير المجرد وليس بالحس .

يتشابه قول ابن باجة " المحبة ومنها يكون الطلب .. والكراهة وبها يكون الهرب " (ص١٣٨) ، واعتباره لهذا البعد (المحبة - الكراهة) النفس النزوعية المحركة للحيوان والإنسان ، عند الفلاسفة المسلمين بصفة عامة تشير إلى الدافعية في اصطلاح علم النفس الحديث ، وكذلك مفهوم الانفعالات (وبخاصة المحبة والكراهية) ، وهو على علاقة بالدافعية ، لأنها تقوم بدور الدافع ، فالمحبة تدفع إلى الطلب ، والخوف والكراهية يدفعان إلى الهرب .

---

(١) ابن باجة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي . ط٣ ، بيروت : دار الأندلس ، ١٩٨٣ .

الرسالة الثانية : في الوحدة والواحد :

عرض الرسالة :

تعد رسالة في علم المنطق تهدف إلى معرفة صفات " الواحد " الذي يطلق على المعقولات والموجودات والصور الروحانية ، بينما تطلق " الوحدة " على " الواحد " الموضوع الذي يوجد متفرداً ، فتدل الوحدة هنا على أنه واحد لأنه لا يستكثر ، أما ما يستكثر من المعقولات والموجودات ، فالواحد منها يدل على موضوع للعدد .

والعقل " واحد " و " وحدة " أيضاً لأنه يدل على المعقول ، ولا يعقل منه غيره ونحن نتصوره إما بحسب طبيعته ، فيكون تاماً ، أو بحسب طباعنا ، فيكون أتم إذ لا يمكن أن يكون أنقص ، وما نتصوره من سائر الموجودات ، نتصورها ناقصة إما لأنها ناقصة بطبعها أو لأنها كذلك من أجل طباعنا ، وما نتصوره يسمى " مقولات " أي تصور لأمور موجودة في أجسام محسوسة ، أي تكوين صورة مجردة عن الشيء مقترنة بصورته في الطبيعة ، ثم بعد ذلك يكون التركيب والتفصيل بين هذه الصور المجردة .

ثم يذكر ابن باجة القواعد المنطقية التي تحكم عملية التركيب هذه وهي خمس :

يندرج موضوع هذه الرسالة تحت ما يسمى في علم النفس " تكوين المفهوم " Conceptualization أي قدرة الفرد على صياغة مبدأ تجريدي عام من خلال الاستقراء ، بالبدء من جزئيات إلى كليات ، ثم تعميم هذا المبدأ التجريدي على كل ما هو مشترك فيه ، أي يبدأ الفرد بإدراك ما هو مشترك بين الجزئيات التي شاهدها ، ثم يطلق على القاسم المشترك مفهوماً معيناً ، يعممه على كل الجزئيات التي يراها أو يتخيلها .. إلخ .

الرسالة الثالثة : في الفحص عن القوة النزوعية :

لكل حيوان ساعٍ نفس نُزوعية متوسطة ، يشتاق بها الغذاء وما جانس ، فإذا ارتقى أضيف إليها نفس نُزوعية خيالية وبها يتودد ويعشق ويربي ، فإذا كان الإنسان ، أضيف إليهما نفس نُزوعية بالنطق وبها يكون التعليم والتعلم .

وكلُّ متحركٍ له محرِّكٌ غيرُه ، يكون إما بالطبع كالنار ، أو خارج عن الطبع كسهم المنجنيق ، والمتحرك يكون كذلك ، فهو إما بالطبع أوخارجاً عنه ، والمتحرك بالطبع إما من ذاته وهو ما كان محرِّكه فيه كالحيوان ، وإما عن غيره أو صناعياً ، كالماء في الفنجان .

وبيّن ابن باجة كيف تحرك الجمادات ، معتبراً الجسم الطبيعي هو ما يتحرك حركة مستقيمة أي في اتجاهين متقابلين ، أو حركة مستديرة ، ويتميز الحيوان بأنه ذو جسم متميز الجهات ، لذلك تكون حركته انتقالاً كالصعود والهبوط والتقدم والتأخر والتيامن والتياسر ، وقد تكون حركته فرجاً بينها ، وقد تميزت في الإنسان الجهات كلها ، وأغلب حركته تكون بالإرادة .

ترادف " القوة النزوعية " عند ابن باجة Motivation في علم النفس المعاصر ، كما ترادف النزوعية المتوسطة عنده " الدوافع الفسيولوجية " في علم النفس والتي تساعد الفرد على إشباع حاجاته البيولوجية كالجوع والعطش ، أما " النزوعية الخيالية " فترادف " الدوافع السيكولوجية الاجتماعية " أي خارجية المنشأ والتي تهتم بالعلاقات بين الأفراد أما " النزوعية بالنطق " فبها يكون التعلم والتعليم ويشير إلى الرغبة في طلب اللذة العقلية والمتعة العقلية عن طريق تحصيل المعرفة والتعلم .

الرسالة الرابعة : رسالة في القوة النزوعية :

عرض الرسالة :

يتألف كل جسم من صورة وموضوع أو مادة ويتصف بصفات تخصه ، والحيوان جسم يقال إنه متحرك بذاته ومن ذاته أي منفعل وفاعل والمنفعل هو البدن ، والفاعل هو النفس أو النزوع الذي لا يكون إلا بوهم ، فالوهم هو المحرك والمتحرك هو الجسد الذي يحس ، فالنزوع يكون في المحسوس الذي هو آلة الفعل فالقلب مبدأ الحيوان وينبوع الحرارة الغريزية التي تكون بها كل حركات البدن وضروب النزوع أحدها . فالمحرك الأول ليس النزوع وإنما القلب أوالحيوان الذي مبدأه القلب . كما أن النزوع مصدر العادات أي الحركة الناتجة عن تَعَوُّد فعلها ، فالحركة أو الفعل مثل الخشوع قد تكون بالطبيعة أي للكمال وحده ، وقد تكون بالعادة أي نتيجة توهم الكمال .

يقول ابن باجة " الفاعل القريب هو النفس ، وهو النزوع ، ولا يكون نزوع إلا بوهم وقد يكون الوهم ولا يكون نزوع ، والوهم هو المحرك " (ص١٦٦) . فالوهم أو القوة الوهمية عند الفلاسفة المسلمين حاسة داخلية تدرك المعاني الجزئية من المحسوسات ، فمثلاً الشاة تدرك شكل الذئب ببصرها ، ولكنها تدرك أنه عدو وأنه سيؤذيها بالقوة الوهمية ، وإدراك العداوة في الذئب لا يتم عن طريق إحدى الحواس الخارجية ، وإنما يتم عن طريق حاسة داخلية ، يسميها الفلاسفة المسلمون الوهم ، أو القوة الوهمية .

الجيلاني ، عبد القادر ، الفتح الرباني والفيض الرحماني [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف :

عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكى دوست الحسنى ، أبومحمد ،محي الدين الجيلانى ،أوالكيلانى ، أوالجيلي : مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصرفين ولد فى جيلان (وراء طبرستان) عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨م وانتقل إلى بغداد شاباً ، سنة ٤٨٨ هـ ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وبرع فى أساليب الوعظ ، وتفقه ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتهر . وكان يأكل من عمل يده . وتصدر للتدريس والإفتاء فى بغداد سنة ٥٢٨هـ ، وتوفى بها عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦م . له كتب منها (الغنية لطالب طريق الحق) ط و(فتوح الغيب) ط و(الفيوضات الربانية) ط وللمستشرق مرجليوث الإنجليزية رسالة فى ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسيوية والإنكليزية . ولموسى بن محمد اليونينى كتاب - مناقب الشيخ عبد القادر الجيلانى - خ) ولعلى بن يوسف الشطنوفى (بهجة الأسرار -ط) فى مناقبه ، ولمحمد بن يحيى التاذفى (قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبد القادر - ط) وترجم عبد القادر بن محى الدين الأربلى عن الفارسية (تفريخ الخاطر فى مناقب الشيخ عبد القادر - ط) (مصدر الترجمة : كتاب الأعلام للزركلى ، الجزء الرابع ، ص ٤٧) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٧٩ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من أثنين وستين مجلساً يدور مضمونها بوجه عام حول الطريق إلى الله ، والفضل الكبير للإيمان بالله عز وجل من راحة نفسية وثقة فى قضاء الله وقدره .... إلخ . وقد عرض المؤلف فى المجالس العشرة الأولى لأهمية الثقة بالله عز وجل وعدم الاعتراض على الله تعالى ، وما للفقر والصبر من قيمة ، وعدم تمنى المرء للغنى ، وقيمة التوبة النصوحة الخالصة لوجه الله تعالى ،وأسباب حب الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن ، كما عرض لبعض النصائح التى يقدمها المؤمن ، حيث قال رسول الله ﷺ (المؤمن مرآة المؤمن) . فالمؤمن الصادق فى نصحه لأخيه المؤمن يبين له أشياء تخفي عليه ، تفرق له بين الحسنات والسيئات ويعرفه لما له وما عليه . وعرض المؤلف بعد ذلك لقيمة الصبر ، حيث أوصانا الرسول عليه الصلاة والسلام به إذ قال :(اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب والنادر منها غير ذلك) . كما تحدث المؤلف عن قيمة عدم المراءاة ، وابتلاء الله سبحانه للمؤمن ، فقد

[1] تأليف عبد القادر الجيلاني . القاهرة :دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٥ .

قال رسول الله ﷺ : (إن الله أن لا يعذب حبيبه ولكن قد يبتليه) . كما تحدث عن عدم التكلف ، حيث قال رسول الله ﷺ: (أنا والأتقياء من أمتى براء من التكلف).

ومن أهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى المجالس العشرة السابقة هى الإيمان faith (ص٤ -١٢) ، والمثابرة persistence (ص٤-١٠،ص٣٧-٣٨) ، والإرشاد والتوجيه النفسى Counselling (ص٣-٤٨).

ومن المجالس العشرة التالية عرض المؤلف لأهمية معرفة الله عز وجل ، وطاعته وموافقته والرضاء بقضائه ، وأهمية النهى عن الطلب من غير الله تعالى ، وقيمة تقديم الآخرة على الدنيا حتى نربح فى كل شئ وحتى لاتغرنا الدنيا بشهواتها ولذاتها وترهاتها ، كما عرض المؤلف لأهمية النهى عن النفاق ، وفى قيمة إيثار المؤمن للمؤمن على نفسه ، فقد قال رضى الله تعالى عنه : (المؤمن يتزود والكافر يتمتع ، المؤمن يتزود لأنه على طريق يقنع باليسير من ماله ويقدم الكثير إلى الآخرة ، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب يقدر ما يحمله ، كل ما له في الآخرة كل قلبه وهمته هناك ..إلخ) كما عرض لأهمية العمل بالقرآن وبسنة رسول الله ﷺ، وعرض لعدم الاهتمام بالرزق . فقد قال رضي الله عنه : (لا تهتم بالرزق فإن طلبه لك أشد من طلبك له . إذا حصل لك رزق اليوم فدع عنك الاهتمام برزق غداً ، كما تركت أمس مضى ، وغداً لا تدرى هل يصل إليك أم لا . اشتغل بيومك . لوعرفت الحق عز وجل لاشتغلت به عن طلب الرزق .. إلخ) وعرض لأهمية جهاد النفس والهوى والشيطان ، وترك الشهوات المحرمات ، والخوف من الله تعالى ، والنهي عن القول بلا عمل وكثرة النفاق وقلة الإخلاص .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى المجالس السابقة هى قيمة الإخلاص (ص٤٦ – ٦٥ ، ص ٨٩-٩٤) ، والقيم الأخلاقية Moral Values (ص٤٩-٥٣)

والقيم العلمية (ص ٦٢ -٣٦) ، وقيمة الغيرية (من ص ٦٩ -٧٢) . والنفس (ص ٨١ -٨٥) ، والوساوس (ص ٨١ -٨٥) . وضبط النفس Self - Control والإرشاد التوجيه (ص ٤٩ إلى ص ٩٤) .

وفى المجالس العشرة التالية (ص ٢١ إلى ٣٠) عرض المؤلف لقيمة وضرورة عدم اللتفاف إلى الخلق ، والعمل على إخراج حب الدنيا من القلب ، حتى نتجنب تقلبها بأربابها وأبنائها ، والعمل على التخلص من صدأ القلوب بقراءة القرآن الكريم وذكر الموت وحضور مجالس الذكر ، وعدم مشاركة الله تعالى فى تدبيره وعلمه بنفوسنا وأهويتنا وطباعنا ، والزهد فى الدنيا وما فيها ، وعدم الشكوى إلى الخلق فقد قال النبىﷺ : (من كنوز العرش كتمان المصائب) . والنهى عن الكذب ، فالعاقل لا

يخاف لومة لائم فى جانب الله عز وجل ، وهوأصم عن كلام غير الله عز وجـل . وأن يحب المسلم أخيه المسلم في الله عز وجل ، فعن النبى ﷺ: (أنه جاء إليه رجل فقال له: إنى أحبك فى الله عز وجل ، فقال له اتخـذ البـلاء جلباباً) ، أى اتخذ الفقـر جلباباً . وعدم التواضع لغنى لأجل غناه لأن هذه احدى سمات المنافقين .والاعتراف بنعم الله.

وأهـم المفـاهيم السيكولوجية التى وردت فـى المجـالس العشـر السـابقة هـى : الانفعـالات Emotions (ص٩٧ – ١٠٦) ، والعزلة Isolation(ص ٩٧ –١٠٦، ومـن ص ١١٢ –١١٥ ، ومـن ص ١٣٤ –١٣٦)، والطاعـة Obedience(ص ١٠٧ – ١١١) ، والمحبـة Liking (ص١٢٣–١٢٥) ، والاعـتراف (ص ١٣٤ –١٣٦) ، والإرشاد والتوجيه النفسى (ص ٩٥ –١٣٦) .

وفى المجالس العشرة التالية (ص ٣١ – ٤٠) عرض المؤلـف لنوعين مـن الغضـب : محمود ومذموم . فالغضب إذا كـان للـه عـز وجـل فهومحمـود ، وإذا كـان لغـيره فهـو مذموم. والعمل على أداء الأوامر واجتناب النواهى والصـبر علـى الآفـات والتقـرب إلى الله تعالى بالنوافل . كما عرض المؤلف لبعض الدلائل على رؤية الله تعالى يوم القيامة ، فقد قال النبى ﷺ:(سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضامون فـى رؤيتـه). والنهى عن الكبر . ومخافة الله عـز وجـل . والإخـلاص فـى العمـل ابتغـاء مرضـاة اللـه سبحانه وتعالى . والسعى إلى عيادة المرضى فقد قال النبى ﷺ:(عودوا المرضـى وشـيعوا الجنائز فإنه يذكركم بـالآخرة) . كمـا عـرض المؤلـف لفضـل لا إلـه إلا اللـه ، وحـب الأولياء والصالحين ، والتفقة فى الدين .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التى ورت فـى المجـالس العشـرة السـابقة هـى التوجيـه والإرشـاد النفسـى (ص١٣٧ – ١٦٨) والغضـب Anger (ص ١٣٧ – ١٣٩) ، والطاعة Obedience (ص ١٤٠ –١٤١) ، والخوف Fear (ص ١٤٥ –١٥٠) ، وقيمـة الإخلاص (ص١٤٦ – ١٥٠) ، والمودة Intimacy(مـن ص ١٥١ –١٥٤) ، والمحبـة Liking (ص ١٦٠ –١٦٢) .

وفى المجالس العشرة التالية (ص٤١ –٥٠) عرض المؤلف لقيمـة وفـائدة المحبـة فـى الله تعالى ، وتقوى الله تعالى ، فقد قال رسـول اللـه ﷺ (مـن أحـب أن يكـون أكـرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومـن أحـب أن يكون أغنى الناس فليكن واثقاً بما فى يد الله أوثق على ما في يده) ، كما عرض للنفس الأمارة بالسوء وأنه يجب موافقتها فى طاعة الله ، ومخالفتها فى معصيته . والاعتقاد بأن المؤمن غريب فى الدنيا ، والزاهـد غريـب فـى الآخـرة ، والعـارف غريـب فيمـا سـوى المولى، فالمؤمن مسجون فى الدنيـا وإن كـان فـى سـعة الـرزق والمـنزل . والعمـل علـى

التمسك بالعروة الوثقى ، واتباع رسول الله ﷺ فيما أقره من تعاليم ومبادئ إنسانية نبيلة توصل المؤمن إلى الغاية المرتجاة وبغض الخلق عند الضرر ، والاتجاه إلى العمل الصالح ، وإعطاء السائل والكرم ، ووجوب التفرغ من هموم الدنيا .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى المجالس العشرة السابقة هى المحبة Liking(من ص ١٦٧ - ١٧٩) ، والنفس (ص ١٧٠ - ١٧٤) ، والعزلة (١٨٠- ١٨٣) ، والكراهية (ص ١٩٠ - ١٩٢) ، وقيمة العمل (ص ١٩٣ - ١٩٧) ، والتوجيه والإرشاد النفسى (ص ١٦٧ - ٢٠٩).

وفى المجالس الأثنى عشر الأخيرة ، عرض المؤلف لأهمية عدم الركون إلى الدنيا ، والنظر إلى الناس بعين الفناء ، وضرورة الاختبار والابتلاء ، والتفكر فى الحشر ، والرضا بقضاء الله تعالى وبقدره حلوه ومره ، ومراقبه الله عز وجل والخوف منه ، والصدق والإخلاص فى العمل ، وعدم المداهنة ، وترك الإنسان ما لايعنيه . وعرض لخواطر الإنسان ، فقد قال رسول الله ﷺ بعد كلام : سأله سائل عن الخواطر : ما يدريك ما الخواطر ؟ خواطرك من الشيطان والطبع والهوى والدنيا ، همك ما أهمك ، خواطرك من جنس همك ، ما يعمل خاطر الحق عز وجل ، ولا يجئ إلا إلى قلب خال عما سواه كما قال : ﴿ **معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده** ﴾ .

وانهى المؤلف الكتاب بالمجلس الخاص بالتوحيد بالله سبحانه وتعالى ، فقد قال رسول الله ﷺ : (وحد الحق عز وجل حتى لا يبقى فى قلبك من جميع الخلق ذرة ، لا ترى داراً ولا دياراً ، التوحيد يقتل الكل ،كل الدواء فى التوحيد للحق عز وجل وفى الإعراض عن حياة الدنيا)).

وأهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى المجالس السابقة هى : العزلة (ص ٢١٣ - ٢٢٧) ، والتفكير (ص٢٣٣-٢٤٠) ،والرضا النفسى (ص ٢٤١ - ٢٤٥) ، والمراقبة الذاتية (ص ٢٤٦ -٢٥٠) ، وقيمة الصدق (ص ٢٥١ - ٢٥٣ ٩ ، وقيمة الإخلاص (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) ، وقيمة العمل (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) ، والتوجية والإرشاد النفسى (ص ٢١٣ - ٢٨٥).

السمعانى ، عبد الكريم
المذهب التربوى عند السمعانى [1]

عرض : د. جمعه سيد يوسف

التعريف بالمؤلف : (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ /١١١٣ - ١١٦٧ م)

هوعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى المروزى ، وهومن حفاظ الحديث ومؤرخ ورحالة ، فقد كتب فى التاريخ والأنساب والرواة . وقد هاجر فى طلب العلم والحديث ، فلاقى العلماء والمحدثين وحاورهم وانتفع منهم ونفعهم . أما نسبته السمعانى فهى نسبة إلى سمعان ، وسمعان بطن من تميم . إذ يقال له أيضاً التميمى نسبة إلى قبيلة تميم .

وقد ولد السمعاني سنة ٥٠٦ هـ الموافق سنة ١١١٣ م فى مرو، وتوفى بها سنة ٥٦٢ هـ الموافق سنة ١١٦٧م.

ومن مؤلفات السمعانى :-

١- تاريخ مرو.

٢- تذييل تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .

٣- تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة .

٤- كتاب الأنساب .

٥- التحبير فى المعجم الكبير .

٦- فرط الغرام إلى ساكنى الشام .

٧- تبيين معادن المعانى .

٨- كتاب المالى .

عرض الكتاب :

يتضمن هذا المجلد كتابين ، يتمثل الأول منها فى المذهب التربوى عند السمعانى ، أما الثانى فهوالنص الكامل لكتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ويقع الكتابان فى ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط ، يحتل الأول منها ٥٣ صفحة ويحتل الثانى بقية المجلد . وفيما يلى سنقدم عرضاً موجزا لهذين الكتابين :

الكتاب الأول : المذهب التربوى عند السمعانى :

يعد هذا الكتاب كما أشرنا تحليلاً لكتاب الإملاء والاستملاء للسمعانى ، ويقع فى قسمين ، يتناول الأول منها حياة ومؤلفات السمعانى ، والتى عرضنا لها عند التعريف بالمؤلف .

---

(١) عبد الكريم السمعانى ؛ تحقيق شفيق محمد زيعور ط٢ . بيروت : دار اقرأ ، ١٩٨٦ .

أما القسم الثانى فهويتضمن عرضاً للمذهب التربوى عند السمعانى ، حيث يتناول شروط وآداب الأستاذ المحاضر ، والذى يطلق عليه السمعانى (المملى) أى الذى يعطى الأمالى وهى المحاضرات التى تملى على مستمعين يكتبون . فيعرض للآداب الشكلية والتى تتمثل فى المظهر الخارجى للأستاذ وكيفية سيره إلى حلقة الدرس ، وجلوسه أمام مستمعيه ، وتقاليد افتتاح الجلسة ، ومقدمات الدرس ، ووصايا متعددة أثناء العمل .

حيث يشير إلى أنه يجب أن يبدأ الأستاذ باستنصات الناس ، وألا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع الحاضرين .ثم ينتقل إلى عرض قواعد التدريس والتى تمثل المنهج ، ومنها ضرورة الكتاب حيث يجب على المملى ألا يحدث إلا من كتابه فإن الحفظ خوان ، إذ لا نستطيع الاعتماد على الذكراة إلا فى حدود معينة والتى تقدر بحوالى مائة حديث .

ومن ذلك أيضاً ضرورة اللجوء إلى أكثر من كتاب واحد ، أى تنويع مصادر المعرفة، وأفضلية العودة إلى الينابيع واستخدام الكتب والمصادر الموثوقة ، والتنبيه إلى قدرات الطلاب المتفاوتة على الاستيعاب ، حيث لا يجوز هنا إعطاء الجميع المقدار الواحد عينه ،ولا الجرعة عينها ، وتتصل هذه الإشارة الأخيرة بمفهوم رئيسى فى علم النفس هومفهوم الفروق الفردية Individual differences ص ٢٨ .

ومن قواعد التدريس أيضاً الاعتدال فى الفترة التدريسية بغية تجنب الإملال والإضجار حيث يقول المؤلف الإكثار مجلبة للملل والإطالة تولد الضجر . ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم التدريب الموزع Distributed والتدريب المستمر أوالمتصل Conntinual في موضوع التعلم ، أحد موضوعات علم النفس (ص ٢٩) .

ويتناول كذلك شروط وواجبات مساعد المملي ، ومنها أن يكون جهور الصوت ومتيقظاً ومحصلاً ولا يكون بليداً مغفلاً ، كما يجب أن يكون أفصح الحاضرين لساناً وأوضحهم بياناً وأحسنهم عبارة وأجودهم أداء ، ومن ثم فلا يؤدى هذا الدور إلا الحاذق الحريف لأنه دور الوسيط بين المملى والطلبة ، بين المعلم والمتعلمين .

ويتناول هذا الكتاب أيضاً آداب الطالب ، حيث يعرض لعدة قواعد عامة تختص بالسلوك الأمثل ومنها أن يتميز فى عامة أموره عن العوام ، وأن يبكر فى طلب العلم ليجلس فى الصف الأول ، وأن يمشى الطالب على تؤدة من غير عجلة .

ثم يعرض لقواعد السلوك الطالبى عند الدخول على المدرس ، ومنها طلب الاستئذان وتقديم الأسن فى الدخول أى الأكبر سناً ، وخلع النعلين . وقواعد الجلوس فى الحلقة ، ومنها عدم تقدم الطالب إلى الصفوف الأولى القريبة من الأستاذ إلا إذا استدناه إليه .

وسلوك الطالب إزاء المدرس ، حيث يفرض على الطالب أن يجلس فى الحلقة الدراسية بشكل يظهر الإجلال والخشوع ، وإظهار أقصى ما يمكن من التقدير والطاعة للمعلم ، كما أن من مبادئ السلوك المثالى أن يكنى الطالب أستاذه لا أن يسميه .

ويشير كذلك إلى المستحبات عند دخول الأستاذ ومنها النهوض ثم التوسيع لـه وإلى ضرورة توقير المجلس بالتزام الصمت أثناء الدرس .

وفى نهاية هذا الكتاب يعرض الكاتب لما يحتاج إليه فى كتابة الإملاء وآلاتها وكيفية الكتابة وهوما يطلق عليه آدابية أدوات التعليم ، ومن ذلك استعمال الحبر والمحبرة والقلم والمقلمة ، والاستعمال الأمثل للخط حيث يجب على الطالب أن يبالغ فى تحسين الخط وتجويده .

كما يشير إلى التعاون بين الطلاب وآداب إعارة الكتب ، ويوصى الطلاب بأن يعارضوا ما كتبوه ، فالمقارنة والمراجعة ومعارضة ما عند هذا بما هو عند ذاك طرائق تقرب كل واحد إلى الاتجاه الأصح .

وبعد أن عرضنا للتحليل الذى قام به المحقق لكتاب : أدب الإملاء والاستملاء ، موضحاً المذهب التربوى عند مؤلفه وهو عبد الكريم السمعانى ، نلاحظ أن هذا التحليل ذو فائدة كبرى في مجال التعلم Learning في إطار علم النفس العام وكذلك في مجال علم النفس التعليمى أو التربوى Educational Psychology (ص ٢٢ : ٥٠).

الكتاب الثانى : أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى :-

يتضمن هذا الكتاب خمسة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول : آداب النفس فى طلب العلم ومجالس التعلم .

يتناول هذا الفصل عدداً من الموضوعات المختلفة التى تدور حول آداب طلب العلم، فيشير إلى ضرورة اقتران الأدب بطلب العلم ،حيث إن العلم بلا أدب كنار بلا حطب، وأن الأدب بلا علم كروح بلا جسم . ويتطرق المؤلف إلى علم الحديث مشيراً إلى أنه أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها .ويتحدث عن التحقيق فى رواية الحديث من خلال الأستاذ ، فألفاظ رسول الله ﷺ لابد لها من النقل ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح ، والصحة فى الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة . والعدل عن العدل ، مشيراً إلى أهمية الإسناد فى هذا الصدد ، وكذلك أهمية السماع فى الحديث .

كما يتناول الإجازة فى الحديث ، وإملاء المحدث وكتابة الحديث ، مشيراً إلى أن النبى ﷺ أملى على على بن أبى طالب رضى الله عنه . وفى نهاية الفصل يتحدث عن الإملاء والكتابة ومجالس الإملاء ، ويذكر جماعة ممن حدثوا بالإملاء وعقدوا المجالس .

الفصل الثانى : فى أدب المملى :

يتناول المؤلف فى هذا الفصل من الجوانب التى تتصل بأدب المملى ، ومن ذلك أنه ينبغى على المحدث أن يصلح هيئته ويأخذ لرواية الحديث أهبته مستشهداً بقول رسول الله ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن ترى نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس .

كما يستحب أن يكون المملى فى حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة ، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التى تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين .

ومن الجوانب التى يجب على المملى العناية بها ليحافظ على مظهره وهيئته ، نظافة الأسنان بالسواك ، وقص الأظافر والاعتناء بالشاربين وترتيب الشعر المشعث ، وارتداء الثياب البيض والعمامة ، وتسريح اللحية ، واستعمال الطيب ، والنظر فى المرآة ، والاقتصاد فى المشى عند قصد المجلس ، البدء بالسلام ، وأن يعم به كافة المسلمين حتى الصبيان غير البالغين ، وامتناع الجالس عن القيام للقادم .

ومن آداب المملى أيضاً ، يستحب له أن يصلى ركعتين قبل جلوسه ، وأن يجلس متربعاً متخشعاً ، ويستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه ، ويحسن خلقه مع أصحابه وأهل حلقته ، كما ينبغى للمملى أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم وليستعدوا لإتيانه ويعد بعضهم بعضاً ، واذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه فلا ينبغى له إخلاف موعده إل أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به ، ويستشهد المؤلف على ذلك كله بأقوال وأفعال رسول الله ﷺ.

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن عقد المجالس فى المساجد وآدابه ، فيشير إلى أن المجالس فى المساجد فعل مستحب ، ومن آداب الجلوس فيها الاتجاه نحو القبلة ، كما تجب طهارة البدن ونظافته العامة ، والاستناد إلى المكتوب لا إلى الذاكرة لأن الحفظ خوان ، والافتتاح بقراءة سورة من القرآن ، واستنصات الجالسين ، حيث ينبغى للعالم أن لا يعدوصوته مجلسه ، كما يجوز للمملى القعود على منبر أوموضع مرتفع ، وبخاصة إذا كثر عدد السامعين حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته .

ويتناول المؤلف أيضاً فى هذا الفصل ، شروط تقديم رواية الحديث وآدابها ، ومن ذلك الافتتاح بالتسمية ثم ذكر النبى ﷺ والصلاة عليه ، فإن إتباع ذكر الله بذكره ﷺ فى تلك الحال أمر لازم .وينسب المملى شيخه حيث يقول : حدثنا فلان ، وينسب شيخه الذى يريد أن يروى عنه حتى يبلغ بنسبه منتهاه ، ويترحم كذلك على شيخه، ولا يروى إلا عن الثقات فقط ، حيث يقول رسول الله ﷺ : هلاك أمتى فى ثلاثة : فى القدرية والعصبية والرواية من غير ثبت .

ومن هذه الآداب والشروط أيضاً ، استحباب رواية المشاهير والعدول عن الغرائب

والمناكير حيث يقول مالك بن أنس : شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذى قد رواة الناس .

كذلك لا يروى مالا تحتمله عقول العوام ، حيث يقول مسعود : إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة .

ويتضمن هذا الشرط إشارة إلى مراعاة القدرات العقلية كالفهم والتعلم وحدود هذه القدرات لدى المتلقين أوالمتعلمين ،ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم الفروق الفردية فى القدرات العقلية والذكاء والاستعداد لسرعة التعلم فى علم النفس العام ، وعلم النفس التربوى Educational Psychology (ص ١٣٢ : ١٣٣) .

ويشير المؤلف إلى أن من أنفع ما يلى الأحاديث الفقية التى تفيد معرفة الأحكام الشرعية من العبادات وما يتعلق بحقوق المعاملات ، كما يستحب إملاء الأحاديث التى ترغب فى فضائل الأعمال وتحث على الخير والذكر والزهد فى الدنيا ، ويجب على المملى أن يفسر الكلام الغريب ويبين المعانى الغامضة ، ولا يجوز له أن يفسر إلا ما عرف معناه ، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه . وإذا انتهى المملى فى الإسناد إلى ذكر رسول الله ﷺ استحب له الصلاة عليه رافعاً صوته بذلك ، وهكذا يفعل فى كل حديث عاد فيه ذكره .

ويستحب للراوى أن يقيم الحديث بعد روايته ، بمعنى أن يصفه بالصحة والثبوت وغير ذلك من الصفات والنعوت .

ويتناول المؤلف فى نهاية هذا الفصل الجوانب المتعلقة باختتام المجالس ، ومنها تجنب إملال السامع ، واضجاره بطول الإملاء وإكثاره ، ويتصل هذا المعنى عن الملل والضجر بمفهوم التدريب الموزع والتدريب المتصل فى موضوع التعلم فى علم النفس (ص١٤٣) .

واختتام المجالس بالحكايات والنوادر ، حيث يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان .

وهذه الإشارة عن اختتام المجلس والملل تتصل بمفهوم الكف Inhibition ومفهوم التعب Fatigue النفسي والبدنى ووسائل تبديدهما ص ١٤٥ : ١٤٧ ، ويتبع الحكايات بالأناشيد والأشعار ويختم بها المجلس ، وإذا ذكر كلمة فإلى أن يعيدها المستملى ويكتبها الطالبة - يستغفر اله سبحانه وتعالى كى لا يكون فارغا ، ويستغفر الله تعالى عند انقضاء المجلس أيضا كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وعلى المملى مراجعة المكتوب قبل الاختتام لإصلاح ما أفسد منه زيغ القلم وطغيانه، وليتجنب التكرار والإعادة لما فيها من ثقل على النفس ، وربما يقصد المؤلف هنا التكرار

غير المفيد فى عملية التعلم ، والذى يأتى بعد تثبيت واستيعاب المتعلم للحقائق والمعلومات المراد تحصيلها ، بما يمكن أن يودى إلى الشعور بالملل منه ، حيث تذهب نتائج بحوث ودراسات التعلم Learning إلى أن التكرار Frequency يودى إلى مزيد من التعلم لدى الكائن (ص ١٥٧ : ١٥٩) (التكرار والتعلم) ، كما أن زيادة التكرار كثيراً بعد استقرار العلم يودى إلى الإضرار بعملية التعلم . وينبغى لمن أراد سماع الإملاء البكور خوفا من فوات المجلس بتأخير الحضور وأن يتعذر عليه مع ذلك إعادته من قبل شيخ لعل التمنع من عادته .

الفصل الثالث : وظيفة المستملى وأدبه :

يتناول هذا الفصل بيان وظيفة ومهام المستملى وأدبه ، ويقصد المؤلف بالمستملى – كما أشرنا – الشخص الذى يقوم بمساعدة المملى أوالمحاضر ، وتتمثل وظيفته فى ابلاغ الإملاء عن المملى إلى من بعد حلقة الدرس ، كما يقوم المستملى بالإشراف على الناس ، ويستحب له أن يجلس على موضع مرتفع مثل دكة أوكرسى ، فإن لم يجد استملى قائما لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين .

وينبغى أن يكون المستلمى جهورى الصوت ، متيقظا محصلا ، ولا يكون بليدا مغفلا .كما ينبغى أن يتخير للاستملاء أفصح الحاضرين لسانا ، وأوضحهم بيانا ، وأحسنهم عبارة وأجودهم أداء .

وإذا كثر الزحام فينبغى أن يوجد أكثر من مستمل واحد فى المجلس حتى يبلغ بعضهم بعضا .

وأول شئ يفعله المستملى أنه يستنصت الناس وهوفى هذا مثل المملى ، ويكره منه أن يدعوللشيخ بطول البقاء ودوام العمر فإن السلف كرهوا ذلك ، وان عرف اسم الشيخ وكنيته ونسبته ذكره للحاضرين ..

وبعد أن يفرغ المستملى من المقدمة السابقة ، أقبل على المملى وقال من حدثك رحمك الله أومن ذكرت رضى الله عنك ، فيقول المملى أخبرنا أبوفلان فلان بن فلان ويروى الحديث ويذكر كلمة كلمة ويحاكيه المستملى ويرفع صوته بما يذكره ويمليه ، ويستحب للمستملى أن لا يخالف لفظ المملى فى التبليغ عنه بل يلزمه ذلك ، وخاصة إذا كان الراوى من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية .

وإذا لم يسمع الكاتب حرفا سأل المستملى عن ذلك حتى يسمعه ، أوشك فى شئ راجعه حتى يستثبته فيجيبه ، فالصلة بين الكاتب والمستملى . ويستحب للمستملى إذا فرغ من الاستملاء أن يدعو للحاضرين ولمن كتب بالرحمة والمغفرة ، ويبدأ بالدعاء لنفسه ثم للحاضرين .

الفصل الرابع : فى آداب الكاتب ، ومنها أنه ينبغى لطالب الحديث أن يتميز فى عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن على نفسه فإن الله تعالى يقول : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ ومنها أيضاً البكور إلى مجالس الحديث ، والمشى على تؤدة من غير عجلة ، وتشمير الثياب لكى لا يعثر فيها ، وعدم التكلف فى اللباس ، تقديم الأكبر سنا عند الدخول على المملى لأن ذلك من السنة .

وإن قدم الأكبر سنا من كان أعلم منه على نفسه جاز ذلك وكان مستحسنا ، كما أن إذا دخل الطالب على المملى فوجد عنده جماعة فيستحب أن يعمهم بالسلام ، وأن يخلع نعليه قبل دخوله عليه ، ويستحب أن يبتدئ بنزع اليسرى من نعله دون اليمنى ، وإذا خلعهما وضعهما عن يساره ويجلس حيث ينتهى به المجلس ، وإن كان المجلس غاصاً بأهله لا يتخطى الرقاب إلا إذا استدناه المملى ، ويدنومنه بمقدار ما يدنيه ، كما أنه إذا أكرمه المملى بمخدة فلا يردها وليجلس عليها ، ويكره أن يقيم رجلا من مجلسه ويجلس فى مكانه ، أوأن يجلس فى وسط الحلقة وكذلك فى صدر المجلس ، ولا يجلس بين اثنين إلا بعد إذنهما (ص ٢١١) .

ويستحب لمن كان جالساً فى الحلقة أن يوسع للداخل ويتزحزح له عن مكانه ، كما يستحب لمن جلس بين اثنين إذا فسحا له وأكرماه بذلك أن يجمع نفسه ولا يتربع ويجلس الطالب جانبا على ركبتيه بين يدى الحديث ، ويبالغ فى تعظيم المملى وتبجليه . كما أنه إذا خاطب الطالب المملى أوراجعه فى شئ فى عظمه مثل أن يقوم له : أيها الأستاذ ، أو أيها العالم ، أوأيها الحافظ ، ونحوذلك ، ويكنيه فى خطابه ولا يسميه ، ويجوز القيام له وتقبيل يده .

وعلى الطالب توقير مجلس المملى ، ولا ينام فيه ، وأن يحسن الاستماع والإصغاء بين الإملاء ويستقبل المملى بوجهه ويتواضع له ، ويداريه ويرفق به ويحتمله

ويستشهد المؤلف على ذلك كله بأقوال وأفعال رسول الله ﷺ وأصحابه .

ويورد المؤلف فى نهاية الفصل آداب الكتابة ، حيث يشير إلى ما يحتاج فيه إلى كتابة الإملاء وآلاتها وكيفية الكتابة ، فيذكر أنه ينبغى للطالب أن يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون المدد لأن السواد أصبغ الألوان والحبر أبقاها على مر الدهور والزمان وهوآلة دوى العلم وعدة أهل المعرفة والفهم .

وإن حفظ ثوبه عن المداد وصانه عن السواد كان أولى .

الفصل الخامس : فى أدوات النسخ وشروط الخط :

يتناول المؤلف فى هذا الفصل جانبين من عملية الإملاء والكتابة ، يختص أحدهما

بأدوات النسخ ويختص الآخر بشروط الخط . حيث يعرض فى القسم الأول للمحبرة والقلم والمقلمة والسكين والحبر ، ويرى أن هذه الأدوات من لوازم الكتابة فى مجلس الإملاء وينبغى أن تكون جيدة الصناعة لكى تؤدى وظيفتها بفاعلية وكفاءة .

أما القسم الثانى فيتناول شروط الخط ، ومنها أن يبالغ الطالب فى تحسين الخط وتجويده ، ويستحب أن يكتب خطا غليظا ويجتنب الدقيق منه إلا فى حال العذر كالفقر والسفر ، وأن يبدأ الإملاء بكتابة " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم يكتب بعد التسمية فى السطر اسم الشيخ الذى يسمع منه الإملاء ، أو يكتب عنه وكنيته ونسبه ، ثم يتبع لفظ المملى ويكتب ما يمليه ، مع مراعاة ترك فاصل بين كل حديث وآخر للتمييز بينما .

ويتناول المؤلف فى الفصل موضوع إعارة الكتب ، حيث يشير إلى أنه فرغ الطلاب من الكتابة يقرأ المستملى الإملاء وهم يعارضون كتابهم ، وإن فات لبعض الطلبة شئ من المجلس فيعيره بعض من حضر كتابه حتى ينسخه منه ويغتنم الثواب فى ذلك ، وعلى المستعير أن يرده عاجلا وألا يحبسه عنه لكى يعيره ولغيره بعد ذلك . وإذا أراد الطلاب أن ينصرف قبل أهل المجلس سلم عليهم فإن ذلك من السنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السهروردى (٤٩٠ – ٥٦٣ هـ) آداب المريدين [1]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

التعريف بالمؤلف :

هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بن سعد السهروردى القرشى ، الصديقى ، البكرى (أبو النجيب ضياء الدين السهروردى) ، وهو فقيه ، شافعى ، واعظ ، من أئمة المتصوفين ، ومحدث ، ومؤرخ ، وكان يدرس الحديث بالمدرسة النظامية ببغداد .

ولد سنة (٤٩٠ هـ ، ١٠٩٧ م) بسهرود وهى قرية من قرى إقليم الجبال فى جنوب زنجان فى الطريق إلى همزان ، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بتلقى العلم هناك ، ودرس فقه الإمام الشافعى بالمدرسة النظاميه ببغداد ثم اشتغل بالتصوف ، وصحب إمامين من أئمة الصوفيه وهما الشيخ حماد الدباس ، والشيخ أحمد الغزالى ، واعتزل الناس فترة تفرغ فيها للعبادة ثم خرج من عزلته لوعظ الناس وإرشادهم – وبنى له فى بغداد رباط للصوفيه على شاطىء دجله سكنه أصحابه . وندب للتدريس فى المدرسة النظاميه ببغداد فى علوم التفسير والحديث والفقه وأصول الحديث ، وولى المدرسة النظاميه.

انتقل إلى دمشق لزيارة بيت المقدس ولكن لم تتيسر له الزياره لانقطاع الهدنة بين المسلمين والفرنج فأقام مدة قصيرة فى دمشق وهناك استقبله الملك العادل نور الدين الشهيد وأحسن ضيافته ، ثم عاد إلى بغداد وكانت له كرامات تكشف عن جلاء بصيرته وشدة تقواه .

ومن تصانيفه : شرح الأسماء الحسنى (غريب المصابيح) ، (طبقات الشافعية) ، و(آداب المريدين) الذى نعرض له فى تلك الصفحات .

توفى فى بغداد سنة (٥٦٣ هـ ، ١١٦٨ م) ودفن برباطه على شاطىء دجله ، ويقصد الناس قبره للزياره .

مصادر التعريف بالمؤلف :

١- مقدمة كتاب : آداب المريدين وكتبها المحقق فهيم محمد شلتوت .

٢-خير الدين الزركلى ، الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، المجلد الرابع، ١٩٨٦

---

(١) تأليف أبى النجيب ضياء الدين السهروردى ؛ تحقيق محمد فهيم شلتوت . القاهره : دار الوطن العربى، (د . ت) .

٣-عمر رضا كحاله ، معجم المؤلفين ، بيروت ، مكتبى المثنى ، المجلد الخامس .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٨٣ صفحة من القطع الصغيره ويهدف إلى التعريف بالتراث الصوفى وطريقة معالجته لأمور العقيدة والآداب والسلوك وتوضح الأساس الذى يقوم عليه الفكر الصوفى وهو : مقاومة الشهوات وملذات الدنيا والتطلع إلى عالم روحانى عبر الزهد وجهاد النفس .

ويشير المحقق فى المقدمة إلى : أن أسلوب الكتاب يتميز بالسهولة كمايخلو من الإشارات والرموز الغامضه التى لايقبلها العقل ، كما أن صاحبه من أعلام الصوفيه جاء فى أعقاب أبى القاسم القشيرى وقد عالج قضايا مهمه فى كتابه منها ما يتفق عليه أتباع المذهب الصوفى ، وسماح أهل الطريقه الصوفيه ، وآراؤهم فى علوم الشريعه ودعوتهم لتحصيل العلم ، وآدابهم فى الصحبة ، والسفر ، وحال المرض والموت والإبتلاء والرخص ومدى إباحتها .

ويستهل السهروردى كتابه ببيان أهمية العلم بعقائد أهل الصوفيه وآدابهم وإصطلاحاتهم وبدأ بذكر مذهبهم فى أصل الاعتقاد فذكر أن الصوفيه قد اجتمعوا على أن الله تعالى واحد لا شريك له وعلى جواز رؤية الله يوم القيامه وعلى الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله ويرون الخلافه فى قريش ويؤمنون بالكتب المنزله وبالأنبياء وأنهم أفضل البشر وأن محمدا سيد المرسلين وأفضل البشر ويأتى بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم العشرة المبشرون بالجنة وأباحوا الكسب والتجاره والصناعه باعتبارها تعاون على البر والتقوى وأجمعوا على أن الفقر من الغنى إذا كان مقرونا بالرضا والصبر وشكر الله على كل حال وأجمعوا على أن خصال العباد ليست سببا للسعادة والشقاوة وأن السعادة والشقاوة مقدرة للمرء قبل ولادته ويرون الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء وأن الخوف والرجاء يمنعان العبد من سوء الأدب وأن الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق دلائل الإيمان ، وأجمعوا على إباحة لبس سائر أنواع الثياب إلا ماحرمته الشريعة ويفضلون المرقع منها لدلالتها على التواضع ، وأحب الألوان إلى أنفسهم الأبيض و الأخضر وأجمعوا على إستحباب تحسين الصوت بالقرآن دون إخلال بالمعنى وسماع ما كان من الشعر فى المواعظ والحكم ، وأباحوا سماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة ، وبين السهروردى أن الناس يتعاونون فى تعبيرهم عن الإعجاب والإندماج فيه فمنهم من يظهر الفرح ، والطرب وعلامته ثلاث وهى : الرقص , التصفيق والفرح ، أو الوجد وعلاماته الغيبه وقطع أعضاء الجسم كالأذن والصرخات ، أو الخوف وعلاماته البكاء واللطم والزفرات وأن من شروط مكان

السماع أن يكون طيب الرائحه مع الإلتزام بالوقار .

ومن المفاهيم السيكولوجيه التى وردت فى هذا الفصل الرضا Satisfaction (ص٢١) ، والخوف Fear (ص ٢٥) والسعاده Happiness (ص ٢٤) ، والانفعالات Emotions خاصة الحب Liking (ص ٢٦) ، والقيم Values وسمات الشخصيه Personality Traits ومنها التواضع Modesty (ص ٢٧) والتفضيلات الجماليه Aesthetic Preferences فيما يتعلق بتفضيل اللونين الأبيض والأخضر (ص٢٧)، وإباحة سماع الصوت الحسن وردود الأفعال Reactions للسماع ومنها للنشوه Elation أو الحزن Sadness أو الخوف Fear والبيئة الفيزيقيه الملائمة للسماع Physical Environment .

ويمضى السهروردى ليبين ما يجب العلم به من علوم الدين وأحكام الشريعه ثم يتعرض لأقاويلهم فى التصوف فيوضح أن ظاهر مذهب الصوفيه إستعمال الأدب مع الخلق وفى رأيه أن التصوف كله أدب فلكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب ومن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ، ويعرف أدب النفس بأن تعرفها الخير وتحثها عليه وتعرفها الشر وتزجرها عنه ، ومن آداب أهل الدين يذكر رياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وترك الشهوات وإجتناب الشبهات والمسارعه فى الخيرات ويبين أن العارفين يتفاضلون بالهمة وهى ما يبعث النفس على طلب المعالى .

ويفصل بعد ذلك خصالهم فيذكر منها الحلم والوفاء والتواضع والنصيحة والإحسان والخدمة والكرم والمودة والتلطف والبشر والعفو وتوقير الإخوان ، والوفاء والحياء.

ثم يقدم بعد ذلك فصلا فى المقامات وهى الحال التى يكون العبد عليها مع ربه ، وفصلا تاليا فى معاملات القلوب ومايحل من الأذكار وفصلا فى ذكر إختلاف المسالك الموصله للعبادة الصحيحة ومنها لزوم العبادة ، أو رياضة النفس ، أو الخلوة والعزلة ، أو السياحة أو الخدمة وبذل الجاه للإخوان وإدخال السرور عليهم ، أو طريق العجز والإنكسار ، أو طريق التعليم والمساءلة ومجالسة العلماء .

ومن المفاهيم النفسيه هنا القيم Values وحسن الخلق Moral (ص ٣٩) ومراقبة الذات Self-monitor وكبت الشهوات والرغبات Repression . والدافعيه Motivation كما يتبين فى الحرص على طلب المعالى (ص ٤٠) ، وهناك مفاهيم مرتبطة بسمات الشخصيه Personality والتفاعل الاجتماعى مع الآخرين Social interaction حيث يؤكد أهمية تقديم النصيحة Advice والخدمة Service والمساعدة Help والاحترام Respect والتقدير Recognition وإدخال السرور Pleasure على الإخوان ، أو الإنسحاب Withdrawal إذا عجز الإنسان عن القيام بواجبات المخالطة (ص٤٢،٤٦) .

وفى فصل آداب المحاوره يقدم الآداب الآتيه :

١ – أن يقصد من الكلام النصح والإرشاد ونفع الكل .

٢– كلام الناس على قدر عقولهم وعلى قدر السائل وعدم الحديث فيما لايسأل فيه.

٣– ألا يتكلم العبد أمام من هو أعلم منه وألا يتكلم فى العلم قبل أوانه .

٤– ألا يطلب الجاه والمنزله بعلمه .

٥– محاولة استعمال ماسمعه وتعلمه حتى يصير ذلك العلم حكمة فى قلبه ولا ينساه .

وفى فصل الشطحات المحكيه يفرق السهرودى بين العقل أو العلم وبين المعرفة ، فالعالم يقتدى به والعارف يهتدى به والعلم يتحدد فى ضوء مايشاهد خبرا ، أما المعرفه فهى ما يشاهد حسا ويغيب العقل إذا غاب الهوى ، والفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل المحال .

وفى فصل حال البدايه والفصل الذى يليه يتعرض لمناهج تأديب النفس ، وتتلخص فى معرفة النفس ومجاهدتها ومنعها عن مألوفاتها ومخالفة أهوائها ودفعها عن شهواتها ، وإنهاكها بكثرة الأذى والأوراد والصوم والصلاة والسهر وتجويعها والندم على المخالفات والعزم على التوبه ، والاجتهاد فى تبديل أخلاق النفس كالكبر والبخل والحرص والأمل والحيرة والحسد والرياء والمنازعه والغيبة وسوء الظن بأضدادها من الأخلاق الحميده .

وتقترب أفكار هذا الفصل من بعض المفاهيم السيكولوجيه هى التواصل اللفظى Verbal communication والطلاقه اللفظيه Verbal fluency والقدرة على الإغراء Persuasion وشروط الرساله Message الجيدة والتى يسهل فهمها عند التخاطب بين الأشخاص ومنها مراعاة طبيعة المتلقى Receiver وقدرته على الفهم Understanding (ص ٤٨ – ٥٠) .

ومن المفاهيم أيضاً ما يتصل بدور التدريب Training والممارسه Practice وإستعمال المعلومات المكتسبة فى تنشيط الذاكره Memory وتسهيل الإستدعاء Recall (ص٤٨–٥٠) .

وهناك أفكار أخرى تقترب من مفهوم العقل Mind والمعرفه والتفرقه بين الخبرة الإمبيريقيه Empirical أو الواقعيه والإحساس Sensation كوسائل للتعلم Learning وأهمية القدرة على الحكم Judgement فى الكشف عن درجة الذكاء Intelligence فقد ذكر السهروردى أن الفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل المحال (ص ٥١).

وهناك مفاهيم أخرى مرتبطة بالذات والضبط الذاتى والتنشئة الاجتماعيه Socialization وسبل تربية النفس ومنها الكبت Repression الدوافع الأوليه Primary

drives والإنهاك بكثرة العبادة والحرمان Deprivation من الرغبات والإحساس بالذنب Guilt feeling بالإضافة إلى التمسك ببعض القيم Values وسمات الشخصيه مثل التواضع والكرم وتجنب النزاع والصراع Conflict (ص ٥٢ - ٦٠) .

ومن آداب الصحبه بين الناس يذكر حفظ الحرمات وحسن العشره والنصيحه وترك مصاحبة من ليس فى طبقتهم وملازمة الإيثار والمعاونه فى الدنيا والدين والتأنى فى إختيار الصديق والصبر علة الإيذاء عملا بحديث رسول الله ﷺ " المومن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المومن الذى لا يخالطهم ولايصبر على أذاهم وفى الكل خير" كما يرغب الرسول فى حسن المعاشره كما يتبين من حديثه .. لاخير فيمن لايألف ولايولف ..

ويضيف السهروردى أن من شروط الصحبه الموافقه فى الاعتقاد وفى الدين ، ويوضح أن آداب الصحبه تعتمد على قدر المصاحب ، فالصحبه مع المشايخ والكبراء تقوم على الإحترام والخدمة والتوقير ، والصحبه مع الأقران بالبشر والإنبساط والموافقه وبذل المعروف والإحسان ، ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب والنصح بما ينفع، والصحبة مع الأستاذ باتباع الأوامر والنواهى وخدمته وقبول قوله وإحترامه ، والصحبة مع الخدم بالتلطف والدعاء ومع الغرباء بالبشر وطلاقة الوجه والصبر عليهم وخدمتهم ، ومع السلطان بالسمع والطاعه إلا فى معصية والدعاء له .

ويدعو السهروردى إلى التأنى فى إختيار وتجنب أصدقاء السوء لأن المرء على دين خليله ويذكر أن هناك ثلاثة أصناف من الناس ، فمنهم صنف كالغذاء لايستغنى عنه وصنف كالدواء يحتاج إليه بعض الأحيان ، وصنف كالداء ننفر منه فى كل حين .

وتمر الصداقه بعدة مراحل تمضى على النحو التالى : معرفة ثم مودة ثم ألفة ثم عشرة ثم محبة ثم صحبة (وهى إتفاق البواطن) ثم أخوة . ومن آداب الصوفيه إذا اجتمعوا أن يقدموا عليهم أحداً ليكون مرجعا لهم والشروط فى هذا الشخص هى : رجاحة العقل ثم علو الهمة ثم علو الحال ثم العلم بالمذهب ثم كبر السن ثم حسن الخلق ثم قدم الهجرة ثم تمام الأدب ثم كونه أسبقهم بلقاء الشيخ ثم كونه أحسنهم خلقا .

ومن المفاهيم النفسيه الواردة هنا الصداقه Friendship والمهارات الاجتماعيه Social skills التفاعل الاجتماعى Social interaction والعلاقات بين الأشخاص Interpersonal Relations (ص ٦٢ - ٧٠) وشروطها مثل التشابه Similarity فى المكانه أو المركز الاجتماعى Social status والديانة Religion والموائمة القيمية Value congruence أى تشابه القيم والمعتقدات Belifs and Values (ص ٦٤) بالإضافة إلى واجبات الصداقه ومنها الإيثار Altruism والتعاون Cooperation وتقديم النصيحة

Advice والتوجيه Guidance والإحترام Respect وقد أشار السهروردى إلى تباين تلك الواجبات باختلاف طبيعة العلاقه الاجتماعية بين صديقين من نفس الجنس أو مع الشيخ الكبير إلى الصغير أو السلطان (ص ٦٤) .

ومن المفاهيم المتعلقة بموضوع الصداقة أيضاً مفهوم الفروق الفردية Individual differences بين الأفراد وتباين الرغبة فى عقد صداقة معهم تبعا لذلك حيث أشار السهروردى إلى أن بعض الأشخاص كالغذاء لايمكن الإستغناء عنه وبعضهم كالدواء تحتاج إليه أحيانا والبعض الثالث كالداء يجب الإحترز منه . ومن المفاهيم السيكولوجيه أيضاً إرتقاء الصداقة Development of friendship أو النفاذ الاجتماعى Social penetration والذى يكشف عن تقدم وتوطد الصداقه مع الوقت والتفاعل من التعارف السطحى Superficial acquaintance وحتى الصداقه الحميمة Intimate friendship (ص ٧٦) .

علاوة على مفاهيم متصلة بالقيادة Leadership أو الرئاسة Headship وشروطها الذكاء Intelligence والدافعية Motivation والخبرة Experience والعمر Age (ص٧٧).

ويتناول السهروردى بعد ذلك آدابهم فى عدد من الأحوال والمعاملات . ففى الأسفار يبين الحالات التى يستحب فيها السفر وكيفية السير فى السفر وما يستحب فى اللباس من آدابهم عدم التكلفة أو المبالغة فى الشراء والاقتصار على مايستر العورة مع النظافة وتجنب لباس الشهرة وتفضيل ارتداء ثوب واحد .

ومن آداب الأكل يذكر عدم الإسراف أو الشرة والرضا بالطعام وتفضيل القليل النظيف الطيب على الكثير الردىء والأكل مما يعرف أصله والإمتناع عن طعام الفاسقين ومن آداب الطعام أيضاً تصغير اللقمة وإجادة المضغ وتفضيل الاجتماع على الأكل وعدم الإمساك عن الطعام قبل الضيف ويكره إنتظار الأكل وتضييع الوقت بالاشتغال بالطعام

ومن آداب الضيافة أن يذكر أن على المضيف ثلاثة واجبات وهى إطعام الضيف بالحلال وحفظ أوقات الصلاة عليه وتقديم مايقدر عليه من الطعام وعلى الضيف ثلاثة واجبات هى : أن يجلس حيث يجلس وأن يرضى بما يقدم إليه وألا يخرج إلا بعد الإستئذان .

ومن آداب النوم تجنب النوم حتى الصباح وتجنب النوم بين جماعة متيقظين وعدم الإفراط فى النوم للتقوية على القيام وفعل الطاعات ويستحب النوم وقت القيلولة للمعاونة على قيام الليل .

ثم يعود السهروردى لاستعراض آداب الإستماع على النحو الذى بيناه من قبل ومن آدابهم فى التزويج يذكر الرغبة فى المرأة المتدينة وعلى الرجل كفاية حاجات البيت فإذا عجز أو طلبت الزوجة فوق الطاقة خيرها بين الوفاق فى حدود المتاح أو الطلاق وإذا لم يستطع الإنسان النكاح فعليه بالصوم والرياضة والجوع والسهر والسفر وينصح بعدم المغالاة فى المهور لتيسير الزواج .

ومن آداب السؤال يذكر عدم الإلحاح فى السؤال عند الضرورة والحاجة والأخذ بقدر الكفاية فقط ويكرهون السؤال لأنفسهم ويستحبونه للأصحاب ويشير إلى أن من يتعود السؤال يبتلى بالطمع والخيانة .

ومن آدابهم عند المرض الصبر وطلب الدواء عملا بحديث رسول الله ﷺ عن التداوى لأن الله لم يخلق داء إلا وخلق له الدواء . ومن آدابهم وقت الإبتلاء الصبر وذلك لأن الإبتلاء ترك الجزع والشكوى والعجز .

ومن المفاهيم الواردة فى هذا الجزء التطبيع أو التنشئة الاجتماعية Socialization والتدريب Training على عادات Habits الأكل واللبس والسفر والضيافة (ص ٨٤ - ١٢٩) ، فمن آداب الأكل يذكر الرضا Satisfaction وتفضيل القليل النظيف على الكثير الردىء وإجادة المضغ وتفضيل الأكل فى جماعة (ص ٩٣ - ٩٨) وفى فصل النوم يستثير الدافعية Motivation والنشاط (ص ١٠٠ - ١٠٢) وفى فصل الزواج يتعرض لطرق ضبط الدافع الجنسى ومنها الصوم والرياضة والجوع أى الإنهاك Exhaustion عموما (ص ١١٣ - ١١٥) وفى فصل آداب السؤال (ص ١١٦ - ١١٨) تظهر مفاهيم طلب المساعدة Help وشروطه ومنها عدم الإلحاح وأن يكون لضرورة وأن يكون الأخذ بقدر الكفاية . وفى فصل الإبتلاء (ص ١٢٥ - ١٢٩) تقترب أفكاره من مفهوم الإتزان الوجدانى Emotional-stalibity والقدرة على تحمل المشقة Stress وأحداث الحياة Life-events وتجنب الشعور بالعجز Helplessness .

أما الفصل الأخير فيختص بذكر آدابهم فى الرخص والمبدأ الأساسى هنا هو حديث رسول الله ﷺ " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه " ، ويذكر السهروردى من تلك الرخص الإشتغال بالكسب لصاحب العيال أو الوالدين ، والمزاح الذى يخلو من الكذب والغيبة والسخف دون إكثار خاصة لذوى المكانة والمعانقة عند اللقاء لإثبات المودة ، وحب الرياسة مع ضرورة أن يعرف العبد مقدار نفسه فلا يرفعها فوق قدرها ولا يحطها ولا يطلب مالا يناله ، وإظهار الطاعات والعبادات إذا كان الهدف أن يقتدى بها مقتد دون رياء ، وتناول الأطعمة الطيبة ولكن ليس على سبيل العادة ولكن بين فاقة سابقة ورياضة لاحقة ومن الرخص الهرب من الهوان ومن تحمل

الأذى والجفاء وإجتناب المعاداة ، والإنبساط إلى الأصدقاء وزيارتهم دون استدعاء إذا كانت الزيارة تسرهم ، والمعاتبة للإخوان بهدف إزالة الخلاف وتطهير القلب من الغل والحقد ، ومن آدابهم قبول العذر ومدح الممدوح وذم المذموم ومراعاة الصدق في الحالتين دون إتباع الهوى ، ومن آدابهم البكاء عند المصيبة من غير نوح أو رفع صوت، ومنها أيضاً نهب النشار وهو مايفرق فى الأفراح والمناسبات السعيدة دون شره لإدخال السرور على صاحبه .

ومن المفاهيم هنا الاعتدال فى العمل Work والمرح Fun خاصة لذوى المكانة الاجتماعية المرتفعة High social status حرصا على إحترام الآخرين لهم (ص ١٣٤ - ١٣٥) .

ومن المفاهيم أيضاً التعبير عن الحب Expression of love (ص ١٣٦) وحب القيادة Leadership أو الرئاسة Headship (ص ١٣٦) وإحترام الذات Self-respect واعتدال فى مستوى الطموح Level of aspiration من خلال عدم التطلع إلى مالا ينال (ص ١٣٦) ، وكذلك أهمية التعليم بالعبرة Vicarious learning أو التعليم بالمشاهدة Observational learning (ص ١٣٧) وهو تعلم ناشىء من مشاهدة شخص آخر يسمى القدوة Model يصدر الاستجابة المرغوبة مما يغرى الشخص الذى يجرى تعليمه بإصدار نفس الإستجابة المرغوبة . ومن المفاهيم السيكولوجية أيضاً تجنب النزاع والصراع Conflict والحث على التفاعل الاجتماعى Social interaction والإتصال ومودة الأصدقاء Friends وفاعلية العتاب وشروطة كأسلوب لحل الصراع Conflict resolution بين الأصدقاء (ص ١٤٠) . وأخيرا تقترب أفكار هذا الجزء من الصدق Truth والموضوعية Objectivity وتجنب الذاتية Subjectivity فى الحكم على الأمور من خلال حثه على مدح الممدوح وذم المذموم دون إتباع الهوى (ص ١٤١) ، وكذلك التعبير المعتدل عن الحزن عند المصيبة كوسيلة للتفريغ الانفعالى والتخفيف النفسى Psychological relife لتفادى الإضطراب النفسى الناجم عن كبت الانفعالات (ص١٤٤) ثم مفهوم المشاركة الاجتماعية والمجاملة courtesy فى الأفراح والمناسبات السعيدة لإدخال السرور على الآخرين (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

أوجه الإستفادة من الكتاب فى علم النفس .

يمكن الإستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس الاجتماعى .

ابن ظفر الصقلى ، أبو عبد الله محمد[1]
السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

- يندرج هذا الكتاب ضمن كتب سياسية المجتمعات.
- ألف هذا الكتاب على صورتين ، الأولى سنة ٥٤٥ هـ ، والثانية سنة ٥٥٤ هـ.

وهو موجه من كاتبه إلى محمد بن أبى القاسم على القرشى (القائد الصقلى) .

- طبع الكتاب بالقاهرة ١٢٧٨ هـ ، وبتونس ١٢٧٩ هـ ، وبيروت ١٣٠٠ هـ ، وترجم إلى الإنجليزية ١٨٥١ م فى مجلدين ، وترجم أيضاً إلى اللغة التركية بواسطة قرة خليل زاده . وطبعت الترجمة فى إستانبول ١٢٨٥ هـ .
- يضم الكتاب خمس سلوانات تمثل خمسة أبواب هى :

١- التفويض .
٢- التأسى .
٣- الصبر .
٤- الرضى .
٥- الزهد .

ويعرض لكل سلوانة بعض الأشعار والأخبار النبوية والحكايات الواقعية والخيالية ، والتى تخرج عن نطاق هدفنا من التقرير الحالى .

السلوانة الأولى : سلوانة التفويض :

ويقصد به التسليم لأحكام الله تعالى وأمره. ويبعث على التفويض الاعتقاد أن لا يكون من الخير والشر إلا ماأراد الله تعالى .

وأما ثمار التفويض فهى الوقاية ، قال تعالى : **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾**

ويتصل مفهوم التفويض بمفهوم فلسفى وهو القدرية Fatalism والحتمية Determinism (انظر ص ١٨ - ٢٣) .

ويشير فى موضع آخر (٢٩ - ٣٠) أن التدبير يفسده ثلاثة أسباب هى :

١- أن يكثر الشركاء فيه .

---

(١) حرره وراجعه وقدم له أبو نهله أحمد بن عبدالمجيد. (الرياض) : أسعد طرابزونى الحسينى ، ١٩٧٨.

٢- أن يكون الشركاء فى التدبير متحاسدين متنافسين ، فيدخل الهوى والبغى فيفسد .

٣- أن يملك التدبير من غاب عن الأمر المدبر دون من باشره وشاهده . يتصل ماورد بشأن ذلك السلوك الجماعى group behavior ومناظرتة بالسلوك الفردى Individual behavior من حيث التعاون Cooperation والمنافسة Competition .

ويتحدث الكاتب عن الرأى Opinion فى صفحة ٣١ وما بعدها ومما ذكره أن (الرأى مرآة العقل فمن أردت أن ترى صورة عقله فاستشره) ، وإن (كل رأى لم تتمحص فيه الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام) (انظر أيضاً ص ٣٧ - ٣٨) .

ويشير الكاتب فى موضوع آخر (ص ٣٩) إلى أنواع الحب أو الرق وهو مايتصل بمفهوم الوجدان Affect والخضوع Submission ، والتبعية Dependence .

وهذه الأنواع كالتالى :

١- رق الإختراع (رق الله صانع الأشياء ومخترعها) .

٢-رق الإصطناع (رق المنعم عليه للمنعم) .

٣-رق الإتباع وهو نوعان :

(أ) رق الحب (وهو أقربها إلى رق الإختراع) .

(ب) ورق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها .

ويذكر الكاتب فى مواضع متفرقة مايشير إلى دور الحالة الانفعالية (كشهوة أو غضب) فى إفساد الرأى ، وهو مايشير إلى دور الجوانب المزاجية والنفسية فى التأثير على الرأى (انظر ص ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥) .

وفى صفحة (٤٣) نجد إشارة إلى دور التخيل Imagination فى التأثير على الرأى Opinion والتفكير thinking حيث يذكر (من قوى فكره فهو سلطان الرأى غالب ، ومن ضعف فكره فهو سلطان الهوى غالب) .

السلوانة الثانية : سلوانة التأسى :

يعر ض لآيات قرآنية تختص بالتأسى ، ثم يعرض ناقدا لمعنى التأسى عند الأئمة ، وهو أن تنظر إلى أسى غيرك أى حزنه ، وإنه مثل أساك - أى حزنك - فتصبر ، والأسى هو الحزن . ويذكر أن التأسى هو التطبب والتداوى بالصبر ، أسوت الجرح أى داويته . (انظر ص ٤٨) .

ويشير الكاتب فى (ص ٥٩ - ٦٠) إلى أن هناك صراعا دائما بين العقل Mind والنفس Self ، فإذا سيطر العقل على النفس صلح حال الإنسان (أى يقترب من السواء Normality أما إذا سيطرت النفس على العقل ، كان سعيها فاسدا وميولها

مذمومة (أى يقترب من الشذوذ Abnormality) . ويلاحظ هذا التصور الدينامى للصراع النفسى Psycho conflict وعدم التوافق الشخصى Personal maladjustment

السلوانة الثالثة : سلوانة الصبر :

يعتبر الصبر ثمرة التأسى . وهو يعنى الثبات والحبس والإمساك . والصبر يكون بالثبات على ماقد يتحلى به الإنسان من صفات طيبة كما يشير إلى أن من يتصف بأطيب الصفات ويفتقر إلى الصبر فهو كمن لم يتصف بها (انظر ص ٧٥) ويرتبط أحد معانى الصبر وهو الصبر على موقف أو رأى معين بمفهوم المثابرة Persistance فى علم النفس.

وفى موضوع آخر (ص ٧٩) يشير مفهوم الشره حيث يذكر أن (الشره أعرق الخصائل فى اللؤم ، فالحرص أبوه الذى يولده ، والبغى إبنه الذى يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه) . كما يذكر أنه : (كان يقال من شره وقع فيما كره . وإن الشره شدة ينتجها طبع ويهيجها طمع) .

السلوانة الرابعه : سلوانة الرضى :

يشير الكاتب فى هذا الفصل إلى قول الرسول ﷺ : " اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ؛ أى أن الرضا لا يتحقق إلا بعد حصول القضاء (انظر ص ١٠١) .

وعن تعريف الرضا ، أورد الكاتب ماكتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى ، وهذا نصه : " أما بعد فإن الخير كله فى الرضا ، فإن إستطعت أن ترضى وإلا فاصبر . إعلم رحمك الله أن الرضا هو إطراح الإقتراح على العالم بالإصلاح، إذا كان القدر حقا ، كان سخطه حمقا ، من رضى حظى ، ومن ترك الإقتراح أفلح واستراح ، كن بالرضى عاملا قبل أن تكون معمولا ، وسر إليه عادلا وإلا صرت إليه معدولا " (انظر ص ١٠٢) ويتصل هذا المفهوم (الرضا) Satisfaction بالتوافق النفسى Pychological Adjustment .

ويشير الكاتب (فى صفحة ١١٨) إلى أن " أصل المؤدبين سعيا من رام من المتأدب أن يعاونه على نفى طبعه عنه ، وكيف وطبعه أولى به وأقرب إليه ، ولآثر عنده من مؤدبه ، ولكن المؤدب الماهر من طالب المتأدب بستر المذموم من طباعه وتعميمه والتورية عنه " . ويتصل هذا المعنى بأحد المفاهيم الأساسية فى علم النفس الاجتماعى وهو التنشئة الاجتماعية Socialization وتعديل السلوك Behavior Modification .

السلوانة الخامسة : سلوانة الزهد :

ويعرض الكاتب لأشعار وخبر نبوى ومنثورات عن الزهد فى الدنيا ومتاعها الفانى. وهو ما يتصل بقمع الدوافع الفطرية الأولية Suppression of innate motives أو قمع الغرائز Supperssion of instincts .

ابن طفيل

حى بن يقظان : قصة تربوية فلسفية / ابن طفيل [1]

عرض : د. شعبان حاب الله رضوان

التعريف بالمؤلف :

ولد أبو بكر عبد الله بن طفيل فى " قادس " من إقليم " غرناطة " ، درس الطب والرياضيات والتنجيم والفلسفة ، عمل حاجبا لحاكم " غرناطه " ، ثم انتقل إلى "مراكش" فى عهد دولة الموحدين وقدمه " ابن رشد " إلى الخليفة " أبى يعقوب يوسف " فأصبح وزيرا وطبيبا له . وتوفى بمراكش عام ٥٧١ هـ .

(محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى الأسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٠)

عرض الكتاب :

يبدأ المؤلف هذا الكتاب ببيان الباعث على تأليف الرسالة ، ورأيه فى عدد الفلاسفة وهم : ابن ماجة ، والفارابى ، وابن سينا والغزالى ، ثم يعرض لقصة حى بن يقظان ، فيشير إلى أن حى بن يقظان قد نشأ فى جزيرة من جزائر الهند التى تقع تحت الإستواء، وهى الجزيرة التى يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب ، وهى أعدل بقاع الأرض هواء ، وقد نما حى وتربى بين الظبية التى تكفلت به وألفها ، وشرب لبنها ، إلى أن تم الحولان ، كما كانت ترفق به وتطعمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر ، وظل الطفل مع هذه الظباء على تلك الحال يحكى نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما ، وأكثر ما كانت محاكاته لأصوات الظباء فى الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدماغ ، إذ للحيوانات فى هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة .

ويتصل هذا المعنى بمفهوم المحاكاة أو التقليد Imitation ، ص ٨٨ ، ويندرج مفهوم المحاكاة تحت موضوع التعليم Learning فى علم النفس العام .

وتميزت حياة حى بين الظبيان بالميل نحو التجربة ومعرفة مايحيط به من أشياء والتفكير والنظر فيها ، فعندما ماتت الظبية نظر إلى جميع أعضائها الظاهرة فلم ير فيها آفة ظاهرة ، وعندئذ وقع فى خاطره أن الآفة التى نزلت بها إنما هى فى عضو غائب عن العيان ، مستكن فى باطن الجسد ، وأن ذلك العضو لايغنى عنه فى فعله شيىء من هذه الأعضاء الظاهرة فلما نزلت به الآفة عمت المضرة ، وطمع لو أنه عثر على ذلك

---

(١) تحقيق عبد الأمير شمس الدين . ط ٢ بيروت : دار اقرأ ، ١٩٨٦ . ١٠٠ ص .

العضو وأزال عنه ما نزل به لكى تعود الأفعال إلى ما كانت عليه .

وظل يفكر فى موضع هذا العضو من الجسد حتى جزم الحكم أنه فى الصدر ، فأجمع على البحث عنه لعله يظفر به ويزيل الآفة ، وعزم على شق صدر هذه الظبية وتفتيش ما فيه ، واتخذ من كسور الأحجار الصلدة آلة كالسكينة وشق بها ما بين أضلاعها ، فمازال يفتش فى وسط الصدر حتى وجد القلب وهو مجلل بغشاء قوى ، فجرده ليبحث عن الآفة التى به وظل " حى " يتتبع ذلك كله بتشريح الحيوانات الأحياء والأموات ، ولم يزل يمعن النظر فيها ويجيد الفكرة حتى بلغ فى ذلك كله مبلغ كبار الطبيعيين ، فتبين له أن كل حيوان ، وإن كان كثيرا بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته فإنه واحد بذلك الروح الذى مبدؤه من قرار واحد وإنقسامه فى سائر الأعضاء منبعث منه ، وأن جميع الأعضاء إنما هى من خادمة له أو مؤدبة عنه ، فالروح الحيوانى واحد ، وإذا عمل بآلة العين كان فعله إبصارا ، وإذا عمل بآلة الأذن كان فعله سمعا ، وإذا عمل بآلة الأنف كان فعله شما وإذا عمل بآلة اللسان كان فعله ذوقا وإذا عمل بالجلد واللحم ، كان فعله لمسا ، وإذا عمل بالعضد كان فعله حركة ، وإذا عمل بالكبد كان فعله غذاء واغتذاء ولكل واحد من هذه الأعضاء تخدمه ، ولا يتم لشىء من هذه إلا بما يصل إليها من ذلك الروح ، عن الطريق التى تسمى عصبا ، ومتى إنقطعت تلك الطرق أو إنسدت تعطل فعل ذلك العضو ، وهذه الأعصاب إنما تستمد الروح من بطون الدماغ ، والدماغ فيه أرواح كثيرة لأنه موضع تتوزع فيه أقسام كثيرة.

وتتصل هذه الإشارة عن الإعصاب والدماغ بفرع علم النفس الفسيولوجى (ص٩٩) Physiological Psychoingy .

وقد بلغ " حى : من العمر فى هذه المرحلة واحدا وعشرين عاما ، وقد اهتدى فى هذه المدة إلى إستعمال الالآت ، فاكتسى بجلود الحيوانات التى كان يشرحها وإحتذى بها ، كما اهتدى إلى البناء وعدد كبير من الحيل والمهارات التى استطاع من خلالها أن يتكيف مع بيئته ، وذلك بفضل التأمل والتفكير والنظر والملاحظة لعناصر ومكونات هذه البيئة من حيوان ونبات وجماد وهواء وماء ونار وغيرها ، وأدرك أوجه الشبه والإختلاف بينها .

وقد خلص إلى أن حقيقة الروح الحيوانى مركبة من معنى الجسمية ، ومعنى آخر زائد على الجسمية يعبر عنه بالنفس ، كما أنه علم أن السماء وما فيها من الكواكب أجسام لأنها ممتدة الأقطار الثلاثة : الطول والعرض والعمق ، لاينفك شيىء منها عن هذه الصفة ، وكل مالا ينفك عن هذه الصفة فهو جسم فهى إذا كلها أجسام ، وأن

كل جسم متناه ومحدود بحدود لاتنقطع عندها ولا يمكن أن يكون ورائها شيىء من الإمتداد .

وبالإضافة إلى الملاحظات السابقة ، نظر حي إلى الشمس والقمر وسائر الكواكب فرآها تطلع من جهة المشرق وتغرب من جهة المغرب ، فتبين له أن الفلك على شكل الكرة ، وقوى ذلك فى إعتقاده ، مارآه من رجوع الشمس والقمر وسائر الكواكب إلى المشرق بعد مغيبها بالمغرب ، وما رآه أيضاً من أنها تظهر لبصره على قدر واحد من العظم فى حال طلوعها وتوسطها وغروبها ، وأنها لو كانت حركتها على غير شكل الكرة لكانت لامحالة فى بعض الأوقات أقرب إلى بصره منها فى وقت آخر ، ولو كانت كذلك لكانت مقاديرها وأعظامها تختلف عند بصره فيراها فى حال القرب أعظم مما يراها فى حال البعد لاختلاف أبعدها عن مركزه حينئذ بخلافها عن الأول ، فلما لم يكن شيىء من ذلك ، تحقق عنده كروية الشكل .

وأخذ يتساءل أيضاً عن العالم بجملته : هل هو حديث أم قديم ؟ وذلك لعدة سنين، فتتعارض عنده الحجج ولايتراجح عنده أحد الاعتقادين على الآخر ، ولكنه مع هذا التشكك فى قدم العالم أو حدوثه ، صح له على الوجهين جميعا وجود فاعل غير جسم ولامتصل ولامنفصل بجسم عنه ولا داخل فيه ولاخارج عنه ، حيث أن الإتصال والإنفصال والدخول والخروج هى كلها من صفات الأجسام وهو منزه عنها ، وتفتقر الموجودات فى وجودها إلى هذا الفاعل ، وإنه لاقيام لشيىء منها إلا بها فهو إذا علة لها، وهى معلولة له ، وهو - جل جلاله - يتسم بصفات الكمال والجمال ولا سبيل إلى إدراج الموجود الواجب الوجود (الله) إلا بشيىء ليس بجسم وهو الذات ، فحقيقة الذات هى الشيء الذى يدرك الموجود المطلق الواجب الوجود وهذه الذات لايمكن أن تبيد أو تفسد أو تضمحل .

ويشير ابن طفيل فى هذا السياق إلى أن الذات الحقيقية التى تعرفت بهذا الموجود الواجب الوجود ، وعلمت ماهو عليه من الكمال والعظمة والقدرة ، وذلك قبل مفارقتها للبدن ، فإنها تبقى بعد مفارقة البدن فى لذة لانهاية لها ، وغبطة وسرور ، وأما من يعرض عن هذا ويتبع هواه حتى توافيه المنية وهو على ذلك الحال فيحرم المشاهدة ، وتبقى فى عذاب طويل وآلام لا نهاية لها .

كما يشير ابن طفيل إلى أنه عندما تبين لحى بن يقظان أن كمال ذاته ولذتها إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود الواجب الوجود على الدوام ، مشاهدة بالفعل أبدا ، أخذ يتفكر كيف يتأتى له دوام هذه المشاهدة بالفعل ، فجعل يتصفح أنواع الحيوانات كلها وينظر أفعالها وما تسعى فيه ، لعله يتفطن فى بعضها أنها شعرت بهذا الموجود وجعلت نحوه

فيتعلم منها ما يكون سبب نجاته ، فرآها كلها إنما تسعى فى تحصيل غذائها ومقتضى شهواتها من المطعوم والمشروب والمنكوح إلى حسن مماتها ، فبات له بذلك أنها لم تشعر بذلك الموجود ، وعلم أن هذا الحكم على النبات أولى ، إذ ليس له من الإدراكات إلا بعض ما للحيوان . ولكنه رأى أن الأجسام السماويه تختلف عن ذلك ، فهى تعرف ذلك الموجود لواجب الوجود وتشاهده على الدوام بالفعل لأن العوائق التى قطعته عن دوام المشاهدة من العوارض المحسوسة لا يوجد مثلها للأجسام السماوية .

ولما كان قد اعتبر أحوال الحيوان ، ولم ير فيها ما يظن بها أنها شعرت بالموجود الواجب الوجود ، وقد علم من ذاته أنها قد شعرت به ، قطع بذلك على أنه هو الحيوان المعتدل الروح ، الشبيه بالأجسام السماوية ، وتبين له أنه من نوع مباين لسائر الحيوان وإنه إنما خلق لغاية أخرى وأعد لأمر عظيم وأدرك حى من خلال هذا التفكر أنه بجزءه الأشراف الذى عرف به الموجود الواجب الوجود ، فيه شبه ما منه من حيث هو منزه عن صفات الأجسام ، كما أنه الواجب الوجود منزه عنها ، فرأى أنه يجب عليه أن يسعى فى تحصيل صفاته لنفسه من أى وجه أمكن ، وأن يتخلق بأخلاقه ويقتدى بأفعاله ويجد فى تنفيذ إرادته ، ويسلم الأمر له ، ويرضى بجميع حكمه ، رضا من قلبه ظاهرا وباطنا ، بحيث يسر به وإن كان مؤلما لجسمه وضار به ومتلفا لبدنه بالجملة .

وكذلك رأى أيضاً أن فيه شبها من ساشر أنواع الحيوان بجزئه الخسيس الذى هو من عالم الكون والفساد ، وهو البدن المظلم الكثيف الذى يطالبه بأنواع المحسوسات من المشروب والمنكوح ، كما رأى أن ذلك البدن لم يخلق عبثا ولا قرن به لأمر باطل ، وأنه يجب عليه أن يتفقده ويصلح من شأنه ، وهذا التفقد لايكون منه إلا بفعل يشبه أفعال سائر الحيوان ، فاتجهت عنده الأعمال التى يجب عليه أن يفعلها نحو ثلاثة أغراض:-

١- إما عمل يتشبه به بالحيوان غير الناطق .

٢- وإما عمل يتشبه به بالأجسام السماوية .

٣- وإما عمل يتشبه به بالموجود الواجب الوجود .

وكان حى قد وقف على أن سعادته وفوزه من الشقاء إنما هى فى دوام المشاهدة لهذا الموجود الواجب الوجود ، حتى يكون بحيث لا يعرض عنه طرفة عين ، ثم إنه نظر فى الوجه الذى يتأتى له به هذا الدوام ، فأخرج له النظر أنه يجب عليه الاعتماد فى هذه الأقسام الثلاثة من التشبهات .

فالتشبه الأول لا يحصل له به شىء من هذه المشاهدة لأنه يختص بالأمور الحسية ، وأما الثانى فيحصل له به حظ عظيم من المشاهدة على الدوام ، لكنها مشاهدة يخالطها

شوب ، وفيما يتعلق بالتشبه الثالث فتحصل به المشاهدة الصرفة والاستغراق المحض الذى لا التفات فيه بوجه من الوجوه إلا إلى الموجود الواجب الوجود ، والذى يشاهد هذه المشاهد قد غلبت عنه ذات نفسه وفنيت وتلاشت وكذلك سائر الذوات ، كثيرة كانت أو قليلة ، إلا ذات الواحد الحق الواجب الوجود ، جل تعالى وعز .

ويشير ابن طفيل فى هذا السياق إلى ماشاهده " حى بن يقظان ". فى مقام أولى الصدق ، فيذكر أنه بعد الاستغراق المحض والفناء التام وحقيقة الوصول ، شاهد الفلك الأعلى الذى لاجسم له ورأى ذاتا بريئة عن المادة ، ليست هى ذات الواحد الحق ولا هى نفس الفلك ولاهى غيرهما ، وكأنها صورة الشمس التى تظهر فى مرآة من المرئى الصقيلة ، فإنها ليست هى الشمس ولا المرآة ولاهى غيرهما . ورأى لذات ذلك الفلك المفارقة من الكمال والبهاء والحسن ، ما يعظم من اللذة والسرور والغبطة والفرح بمشاهدة ذات الحق جل جلاله .

وظل يشاهد لكل فلك ذات مفارقة بريئة عن المادة ، ليست هى شيئا من الذوات التى قبلها ولا غيرها ، وكأنها صورة الشمس التى تنعكس من مرآة على مرآة ، على رتب مرتبة بحسب ترتيب الأفلاك . وشاهد لكل ذات من هذه الذوات من الحسن والبهاء واللذة والفرح ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، إلى أن انتهى إلى عالم الكون والفساد .

وهناك مشاهد أخرى يعرضها ابن طفيل فى هذا السياق .

وظل " حى بن يقظان " يشتاق العودة إلى هذا المقام الكريم ، حتى وصل إليه بأيسر من المرة الأولى وكان دوامه فيها أطول ، ثم عاد إلى عالم الحس ، وتكلف الوصول إلى مقامه بعد ذلك فكان أيسر عليه من الأولى والثانية وكان دوامه أطول .

وظل على هذا النحو ، حتى صار بحيث يصل إليه متى شاء ، وحينئذ بلغ عمره خمسين عاما ، وقد اتفقت له صحبة " أسال " الذى نشأ فى جزيرة قريبة من تلك التى نشأ بها حى بن يقظان ، وقد انتقلت إليها ملة من الملل الصحيحة المأخوذة عن بعض الأنبياء المتقدمين صلوات الله عليهم ونشأ مع " أسال " فتى آخر يسمى " سلامان " وقد قبلا تلك الملة أحسن قبول ، وأخذ على أنفسهما بالتزام جميع شرائعها والمواظبة على أعمالها ، واصطحبا على ذلك . ولكن " أسال " كان أشد غوصا فى الباطن وأطمع فى التأويل وكان " سلامان " أكثر إحتفاظا بالظاهر وأشد بعدا عن التأويل . وتعلق " أسال " بطلب العزلة ، وفضل " سلامان " ملازمة الجماعة ، حيث كانت ملازمة الجماعة عنده مما يدرأ الوسواس ويزيل الظنون المعترضة ، وكان إختلافهما فى هذا الرأى سبب افتراقهما وجدير بالذكر أن هذه الإشارة إلى أن وجود الفرد فى ظل

جماعة يدرأ الوسـواس ، تتصـل بمفهـوم الوسـواس Obsession (ص ١٥٥) فـي علـم النفس الإكلينيكي Clinical Psychology .

ويشير ابن طفيل بعد ذلك إلى أن " أسال " قد سمع عن الجزيرة التي نشأ بها " حي ابن يقظان " وما تتمتع به من خصب وهواء معتدل ، وأن الإنفراد بها يتـأتى لملتمسـه ، فعزم أن ينتقل إليها ويعتزل الناس بها بقية عمره ، فودع صاحبـه " سـلامان " وركـب متن البحر حتى وصل إلى تلك الجزيرة وبقى بها يعبد الله عز وجل حتى قابل "حي بـن يقظان " فهرب منه خيفة أن يشغله عن العبادة ، لكـن " حي بـن يقظـان " ظـل يتبعـه حتى قرب منه وسمعه يقرأ ويسبح بصوت وحروف منظمة لم يعهد مثلها من الـذوات العارفة بالحق ، فتشوق إليه وأراد أن يرى ماعنده وما الـذى أوجـب بكـاءه وتضرعـه ، فدنا منه وظل يتقرب إليه حتى سكن جأش " أسال " وعلم أنه لايريد به سوءا ، فـأخذ " أسال " يسائله عن شأنه ، وحي بن يقظـان فـي ذلـك كلـه يتعجـب مما يسـمع ولا يدرى ما هو ، غير أنه يظهر له البشر والقبول فاستغرب كل واحـد مـن أمـر صاحبـه ، وشرع " أسال " يعلمه الكلام بأن يشير لـه إلى أعيـان الموجـودات وينطـق بأسـمائها ، ويكرر ذلك عليه ويحمله على النطق بها مقترنا بالإشارة ، حتى علمه الأسـماء كلهـا ، ودرجه قليلا قليلا حتى تكلم في أقرب مدة ، فجعل " أسال " يسأله عـن شـأنه ومـن أين صار إلى تلك الجزيرة ، فأعلمه " حي بن يقظان " أنه لايدرى لنفسه ابتـداء ولا أبـا ولا أما أكثر من الظبية التي ربته ، ووصف له شـأنه كلـه وكيـف ترقـى بالمعرفـة حتـى إنتهى إلى درجة الوصول .

وتجدر الإشارة إلى أن ماذكره ابن طفيل حول كيفية تعلم " حي بن يقظان " للكلام بموضوع التعلم Learning (ص ١٥٧) في علم النفس اللعام .

وفي نهاية هذه القصة ، يشير ابن طفيل إلى أنه لاتعارض بـين مـا ورد فـي الشـريعة من وصف العلـم الإلهـي والجنـة والنـار والبعـث والنشـور والحشـر والحسـاب والمـيزان والصراط وبين ما شاهده " حي بن يقظان " في مقامه الكريـم" أي بـين حقـائق الديـن وحقائق المشاهدة .

ابن رشد أبو الوليد [1]
فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال

عرض : د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف : (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٨ م)

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٥٦ - ١١٩٨ م) ولد في قرطبة (في الأندلس) في بيت اشتهر بالعلم والفقه : فكان جده من أشهر زمانه تضلعا في الفقه ، وقد ولى منصب قاضى القضاة في الأندلس . وكان والده قاضى قرطبة .

وقد درس ابن رشد العقيدة على الطريقة الأشعرية ، والفقه على المذهب المالكى ، ثم درس الطب والرياضيات والحكمة . وفى عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٣ م دعاه عبد المؤمن، أول الملوك الموحدين ، إلى مراكش ليعاونه على إنشاء معاهد العلم هناك . ثم اتصل بأبناء زهر ، من مشاهر الأطباء ، ووضع ابن رشد كتابا في الطب اسمه " الكليات " . وفى مراكش اتصل عن طريق بن طفيل ، بالخليفة أبي يعقوب يوسف عبد المؤمن ، الذى كان ذا ثقافة واسعة ومحبا للعلم وأهله . وكان هذا الخليفة قد أظهر رغبة أمام بن طفيل ، فى أن تفسر كتب أرسطو وتلخص لدفع الشك الذى كان يحوم حولها. ولما كان بن طفيل متقدما في السن طلب من ابن رشد أن يقوم بهذه المهمة ، فأكب على دراسة أرسطو بكل جهد، وكان له علم سابق بفلسفته .

وفى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م عينه الخليفة قاضيا في أشبيليه ، فلخص ابن رشد في هذه السنة " كتاب الحيوان " لأرسطو . وفى عام ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م عينه أبو يعقوب قاضيا في قرطبة ، وبقى في هذا المنصب مدة تزيد على العشر سنوات ، شرح فيها كتاب " مابعد الطبيعة " لأرسطو وعدة كتب أخرى . وفى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م استدعاه الخليفة إلى مراكش وجعله طبيبه الخاص ، ثم عاد إلى قرطبة بوظيفة قاضى القضاة .

وبعد وفاة أبي يعقوب خلفه أبو يوسف الملقب بالمنصور (٥٧٩ هـ / ١١٨٤ م) فلقى ابن رشد في بادىء الأمر ، مالقى على يدى والده من حظوة وإكرام ، وأصبح في ذلك الزمان " سلطان العقول والأفكار " لا رأى إلا رأيه ولا قول إلا قوله الأمر الذى أثار حسد الفقهاء والملتزمين وحقدهم الذين رموه بالكفر والزندقة فتمكنوا من قلب

---

(١) قدم له علق وعليه ألبير نصرى نادر . ط ٥ . بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦ . ٦٧ ص .

الخليفة عليه ، وانتهى الأمر إلى نفيه إلى قرية تدعى اليسانة قرب قرطبة .

إن نقمة الخليفة على ابن رشد كانت إرضـاء " لخصومـه " وذلـك أن هـذه النقمـة اقتصرت على النفى دون الإعدام . وبعدها عاد الخليفـة إلى مراكـش وتحـرر مـن ضغـط علماء الأندلس ، عفا عن ابن رشد ، واستقدمه إليه وأعاده إلى سالف نعمتـه ، وكـأن هذه النكبة كانت قد أثرت تأثيرا عميقا فى ابن رشد . فلم يعمر طويلا بعد العفو عنه ، إذ توفى فى مراكش عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م (أى بعد بضعة أشهر من العفو) ودفـن فى مدافن عائلته بقرطبة .

ويذكر ابن أبى أصيبعة أن مؤلفات ابن رشـد بلغـت خمسين كتابـا ، ولكـن رينـان يقول - معتمدا على مخطوط محفوظ فى خزانـة السـكوريال إنهـا تمثـل ثمانيـة وسـبعون كتابا ورسالة ، المطبـوع منهـا قليـل ، ولا يـزال القسـم الأكـبر منهـا مخطوطـا ، ومنهـا ماضاع أصله العربى ولم يصـل إلينـا إلا فـى ترجمـة عبريـة أو لاتينيـة ، وتنقسـم هـذه المؤلفات إلى قسمين كبيرين :

١- شروحـات لكتب الأقدمـين ، ولا سـيما كتـب أرسـطو وأفلاطـون والأفروديـى وبعض كتب فلاسفة الإسلام مثل الفارابى وابن سينا والغـزالى ، وأهمهـا شـرح مـابعد الطبيعة ، وشرح كتاب النفس ، وتلخيص كل من كتب الأخـلاق ، وكتـاب السـماع الطبيعى ، وكتاب الكون والفساد ، والبرهان وكلها لأرسطو .

٢- كتب من تأليفه ومنها الكتاب الحـالى " فصـل المقـال وتقريـر مـا بـين الشـريعة والحكمة من الإتصال " ، كتاب " الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه والمزيفة والبدع المضلة " فى علم الكـلام و " تهـافت التهافت " وهو نقض لكتاب الغزالى " تهافت الفلاسفة " .

مصدر الترجمة : كتاب فصل المقال لابن رشد ، ترجمة المحقق ألبير نصرى نادر

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فـى ٦٧ صفحـة مـن القطـع المتوسـط ، يـدور مضمونهـا حـول بعـض القضايا والمسائل الخاصـة والمنطـق والشـريعة . وينهـى المحقـق الكتـاب بتقديـم فهـرس مفصل لموضوعات الكتاب .

وقد استهل ابن رشد كتابه بسؤال : هل الشرع يبيح البحث الفلسفى أو يأمر بـه أم يحظره ؟ ويجيب على هذا السؤال مستشهدا بعدد من الآيـات القرآنيـة التـى تحـث علـى البحث المنطقى ، مثل ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ . وعلى هـذا الأسـاس اعتـبر ابـن رشد البحث الفلسفى مشروعا وواجبا على أهل البرهان . ولما كـان التفكـير الفلسـفى

يقوم على المنطق ، وللمنطق أقسامه وقواعده ، كان علينا أن ندرسها أولا حتى نحسن استخدام المنطق . وأهم أقسام المنطق البرهان والقياس . ولكل منها أنواع وشروط . ولا يعتبر إستخدام القياس العقلى (المنطق) بدعة . ومن الضرورى على مستخدم القياس العقلى أن يبحث عن أنواعه وقواعده عند من سبقه فى هذا المجال ، إذ يستحيل على شخص واحد أن ينشيء علما كاملا بمفرده . وهذا واضح جلى من جميع العلوم . فهل يستطيع شخص واحد بمفرده أن ينشيء مثلا علم الهندسة والفلك ويقدر المسافة بين القمر والأرض ؟ وعلينا أن نرجع إلى كتب من سبقنا وبحث فى المنطق فماكان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منها وعذرناهم .

ويلاحظ أن المنطق آلة يمكن أن نحسن إستخدامها ، فيفيدنا حينئذ ، أو نسيء استخدامها فيضرنا ، تماما مثل من لايحسن شرب الماء فيختنق به ، لا لأن الماء مميت فى ذاته ، ولكن لسوء استخدام الإنسان له أصبح الماء مميتا . ولكن هل يستطيع جميع الناس أن يستعملوا المنطق ؟ كلا ، إذ إن فطر الناس متفاوتة ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالجدل ، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية ، لذلك جاء الشرع ليرضى هذه الفئات الثلاث من الناس : فمنهم من يأخذ الشرع على ظاهره ، ومنهم من يحاول فهمه ، ومنهم من يبحث عن معناه الباطن . وواجب على هذه الفئة الثالثة ألا تأخذ الشرع على ظاهره لما لها من إستعداد للنظر فيه ، كما وإنه واجب على الفئة الأولى أن تأخذ الشرع على ظاهره لأنها لا تستطيع خلاف ذلك ، غير أن الشرع لا يجب أن يؤول كله ، كما وإنه لا يجب أن يؤخذ كله على ظاهره . وأهم المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها الجزء السابق من الكتاب هى : التفكير Thought (ص٢٨) والقياس Measurement وبوجه خاص القياس العقلى (ص ٢٨ - ٣٢) والإدراك الحسى Perception (ص ٣٢ - ٣٣) . والمعرفة Knowledge (ص ٣٣ - ٣٥) ، والفروق الفردية Individual differences (ص ٣٦) .

ولما كانت فطر الناس متباينة ، وجاء الشرع وفيه الظاهر والباطن ، فقد ثبت حق التأويل لأهل البرهان ، فكيف يقطع إذا الغزالى بتكفير الفارابى وابن سينا فى كتاب "التهافت" وفى ثلاث مسائل اجتهدوا فيها ، وهى قولهم بقدم العالم ، وبأن الله لايعلم الجزئيات ، وتأويلهم مسألة حشر الأجساد وأحوال المعاد ؟ يلاحظ ابن رشد أن تكفير الغزالى للفارابى وابن سينا لم يكن قطعا ؛ لأن الغزالى صرح فى كتاب " التفرقة " أن التكفير بخرق الإجماع فيه إحتمال . وبعد أن أثبت ابن رشد حق الفلاسفة فى التأويل ، قام باستعراض المسائل التى كفر بها الغزالى فى كتاب " التهافت " ، وحلل كل منها

تحليلا منطقيا ، وأهم المفاهيم السيكولوجية فى هذا الجزء : العلم : (ص٣٩-٤٠)، والفروق الفردية (ص ٤٦ - ٤٧) .

وينتقل ابن رشد بعد ذلك إلى مقصود الشرع ، فيقول إن هذا المقصود هو تعليم العلم والحق والعمل الحق . أما العلم الحق فإنه ينحصر فى معرفة الموجودات على حقيقتها ، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروى . والعمل الحق هو عمل ما يفيد السعادة ويجنب ما يفيد الشقاء . والعمل ينقسم إلى أفعال ظاهرة ، وهى موضوع الفقه ، وإلى أفعال نفسانية ،مثل الشكر والصبر ، وهى موضوع الزهد . فيستعرض ابن رشد طرق التعليم ويردها إلى قسمين : التصور والتصديق . والتصديق يكون إما بالبرهان ، وإما بالجدل ، وإما بالخطابة . والتصور إما أن يكون بتصور الشىء وإما مثاله . ولما كان الناس يختلفون بطباعهم ، لذلك جاء الشرع مشتملا على جميع أنحاء طرق التعليم هذه ، حتى يجد كل واحد ما يلائم طبعه واستعداده .

ويلاحظ ابن رشد أن أكثر الناس يصدقون بالخطابة والجدل ، والقليل جدا منهم يصدقون بالبرهان ، لذلك جاء الشرع متفقا مع الأغلبية ، أى أن فى ظاهره ما يرضى هذه الفئة الغالبة فى الناس . وهذا لايعنى أن الشرع يؤخذ كله على ظاهره ، بل على الخواص أن يؤولوه حتى يدركوا حقيقته التى تتناسب واستعدادهم . ولما كان الناس على ثلاثة أصناف : خطابيين ، وجدليين ، وبرهانيين ، يجب أن يحفظ التأويل فى نطاق رجال البرهان ، وفى مؤلفاتهم ، مخافة أن يؤدى التصريح به لمن هو ليس أهلا إلى الكفر. فالمصرح بالتأويل كافر لذلك . ويأسف ابن رشد لما صرحت به بعض الفرق الإسلامية ، من المعتزلة الأشاعرة ، من تأويلات وكان بعضها يكفر البعض الآخر ، حتى أنهم أوقعوا الناس فى حيرة من أمر الشارع ، وكانوا سببا فى تمزيق المؤمنين إلى فرق . وفى ختام هذا الكتاب يوجز ابن رشد ماجاء فيه وهو ليرجع إلى الكتاب العزيز (أعنى القرآن) ، وألا يؤول منه إلا ما يحتاج إلى التأويل ، وألا يقوم بهذا التأويل إلا من هو أهل البرهان ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليهاهذا الجزء الأخير من الكتاب هى : العلم (ص ٤٩ - ٥٠) والمعرفة Knowledge (ص ٤٩) والمنهج العلمى Scientific Method (ص ٥٠ - ٥٢) والإدراك الحسى Perception (ص٥٢)، والفروق الفردية Individual differences (ص ٥٢ - ٥٣) ، وبنية الجسم Constitution (ص ٥٤ - ٥٥) والشك Suspiciousness (ص ٥٩ - ٦٢) .

ابن رشد أبو الوليد [1]
تلخيص كتاب النفس

عرض : د. طريف شوقي

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط ، فيه يبين المؤلف أن كتاب النفس الذى بين أيدينا بعيد عن كتاب النفس لأرسطو ، حيث أن ابن رشد يحذف بعض الأجزاء ، ويأخذ عن المفسرين ويرجح بعضهم على بعضهم الآخر ويناقش آراء فلاسفة المسلمين ، ثم يعرض آخر الأمر رأيه الخاص .

يبدأ ابن رشد كتابه ببيان جوهر النفس من واقع كتابات أرسطو ولكنه يناقشها مناقشة نقدية ، ويقسم النفس إلى خمسة أقسام مرتبة زمنيا من الأقدم إلى الأحدث حين يقول : " وأولها فى التقدم بالزمان ، وهو التقدم الهيولانى : النفس النباتية ثم الحساسة ثم المتخيلة ، ثم الناطقة ، ثم النزوعية " (ص ١٣) . ويعرف فى الفقرات التالية كل منها على حدة على النحو التالى :

١- القول فى القوة الغاذية :

حيث يشرح طبيعة القوة الغاذية وكيف تتم عملية التغذية وأهدافها (الحفظ ، التعويض ، والنمو ، وتزويد الجسم بالطاقة) (ص ١٣ - ١٨) .

٢- القول فى القوة الحساسة :

والنفس الحساسة تتكون من الحواس الخمس أقدمها اللمس وبعدها الذوق ، ثم الشم، فالسمع والإبصار ، وهى لاتوجد مجتمعة فى كل الكائنات (٢٥ - ٢٦) ، ويذكر أن المحسوسات تدرك على نحو مختلف عما هى عليه فى الخارج وفى هذا إشارة إلى الفرق بين عملية الإحساس والإدراك Perception وعن دور العوامل الذاتية فى التأثير فى عملية الإدراك ، يقول : " وأما قوة الحس فليس الأمر فيها كذلك ، فإنه ليس وجود اللون مثلا فى هذه القوة هو بعينه وجوده خارج النفس " (ص ٣٤) ، ويمضى قدما فى شرحه للحواس الخمسة على نحو من التفصيل حيث يعرف كل حاسة على حدة ، وشروط عملية الإحساس التى تقوم بها والكيفية التى تحدث بها هذه العملية (ص٢٩-٤٥) .

---

(١) ط ١ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .

٣- القول فى التخيل :

يوضح الفرق بين التخيل والقوى الحساسة بقوله : " أما إن هذه القوى مغايرة للقوة الحسية فذلك يظهر عن قريب ذلك لأنهما ، وإن إتفقا فى أنهما يدركان المحسوس فهما يختلفان فى أن هذه القوة تحكم على المحسوسات بعد غيبتها " (ص ٥٩) ويمكننا أن نركب بهذه القوة أمور لم تحس بعد ، وفيما يتصل بالمحرك لقوة التخيل يقول : "فالمحسوسات تحرك الحس المشترك ، والآثار الحاصلة عنها فى الحس المشترك تحرك هذه القوة أعنى قوة التخيل" (ص ٦٤) .

٤- القول فى النفس الناطقة :

يعرفها بأنها " قوة يدرك بها الإنسان المعانى المجردة من الهيولى ، ويركب بعضها إلى بعض ، ويستنبط بعضها من بعض ، حتى يلتئم عن ذلك صنائع كثيرة هى نافعة فى وجودى وهذه المعقولات العملية ، إنما تحصل بالتجربة ، والتجربة إنما تكون بالإحساس أولا ، والتخيل ثانيا (ص ٦٨ - ٦٩) ويشير إلى مفهوم التجريد Abstraction بقوله : " وذلك أن التصور بالعقل إنما هو تجريد الصور من الهيولى (ص٧٦) ، ويفرد جزءا من هذا الكتاب للحديث عن عملية تحصيل المدركات والمعارف ويطرح بعض التصورات عن التعلم Learning يدحض فيها رأى أفلاطون القائل بأن التعليم تذكر " (ص ٧٧ - ٨٧) . ويرى أن القوة الناطقة تنقسم إلى قسمين : العقل العملى والعقل النظرى .

٥- القول فى القوة النزوعية :

وتتقدمها كل من القوة الحاسة والمتخيلة والناطقة ، فليس يمكن أن تنزع دون التخيل والحس ، بل قد توجد القوة الناطقة أيضاً متقدمة لها فى المعارف النظرية ، وذلك أنه لابد أنه قد ننزع (نسلك) عن التصور الذى يكون بالعقل ، وقد ننزع أيضاً عن الصور المتخيلة بالفكر والروية ، وذلك من الأمور العقلية (ص ٩٦) .

أوجه الإستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الإستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام .

ابن رشد أبو الوليد [1]
رسالة الاتصال

عرض :د. طريف شوقي

عرض المقالة :

يناقش ابن رشد هذه المسألة ويشير إلى أنه يمكن بيانها بثلاثة طرق ، أولها الذى بينه الإسكندر فى مقالة فى العقل حيث شبه الأمر فى العقل بالأمر فى الحس . فكما أن فى الحس ثلاثة أشياء : قوة قابلة وهى القوة الحاسة (يقابلها العقل الهيولانى) ، وشىء آخر يحصل فى هذه القوة وهو تطير المعنى الذى يحصل فى القوة الحسية من الشىء المحسوس ، وهذا هو العقل النظرى وهو العقل الذى بالملكة (ص ١٢٠) . وشىء ثالث خارج النفس بالفعل وهو الذى يتنزل من هذا الإدراك العقلى منزلة المحسوس من الإدراك الحسى حتى يكون ذلك الإدراك الذى للعقل الهيولانى إنما هو لذلك العقل الذى هو نظير المحسوس (ص ١٢٠) . وهذا الشىء خارج النفس الذى ينظر إليه العقل الهيولانى هو العقل الفعال (ص ١٢١) .

ويلاحظ أن الكتاب يميز بوضوح بين الإحساس Sensation والإدراك Perception (الذى ينطوى على إضفاء معنى على المحسوس) . والطريق الثانى يعتمد على ما ورد فى كتاب النفس ، حيث أشار ، إلى وجود ثلاثة عقول : عقل بالقوة ، وعقل بالملكة ، وعقل فعال وهو الذى يتصل بالإنسان وهو الذى يعقل المعقولات . والطريق الثالث وهو مأخوذ من القوة والفعل (ص ١٢١ - ١٢٢) .

(١) ط١ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ . ١٨٧ص .

رسالة الاتصال لأبى بكر بن الصايغ [1]

عرض : د. طريف شوقي

عرض الرسالة :

يبدأ أبو بكر بن الصايغ رسالته بتعريف مفهوم الواحد ، وكيف أن فقدان الواحد لبعض خصائصه لاينفى عنه أنه واحد " كما أنه حين تقطع يد إنسان أو رجلاه ، أو إنتزعت عيناه ، وبالجملة فانتزعت جميع أعضائه التى ليس بها قوام الحياه ، قيل : إنه واحد بعينه " (ص ١٠٤) ، ويشير إلى إستحالة القول بالتناسخ ، وإلى حالات الإنسان أو مراحل إرتقائه Stages of Development بقوله : " حين يكون فى الرحم ، وحين يكون وليدا ، ثم حين يحدث له القوة الفكرية إنما حصلت المعقولات ، فبحصول المعقولات تحدث الشهوة المحركة إلى الفكر ، وما يكون عنه " (ص ١٠٦) ، وهذا التصور مما يدخل فى مبحث مراحل الإرتقاء النفسى فى مجال علم النفس الإرتقائى. Developmental Psychology وينوه إلى أن العقل هو المحرك الأول الإنسانى ، ثم يشرح كيفية إتصال (تحصيل) الإنسان بالمعقولات " فالجمهور ومن يشاركهم إنما يشعرون بالصور الروحانية (المعقولات) من أجل أنها إدراكات لموضوعات هى أجسام محسوسة إلا من حيث لها هذا الوجود " (ص ١١١) . ويعتقد أن الناس تقع فى مراتب ثلاث فى تحصيلها لتلك المعقولات .

(١) نشرت هذه الرسالة كملحق رقم ١ لكتاب النفس لابن رشد .

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[1]
صيد الخاطر

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن على القرشى ، التميمى ، البكرى ، البغدادى ، الفقيه الحنبلى ، الحافظ ، المفسر ، الواعظ ، المؤرخ ، الأديب المعروف بابن الجوزى . ولد ببغداد ، سنة ثمان أو عشر وخمسمائة . حرم نعمة ورعاية أبوه ، لكنه نعم فى حنان أمه وعمه ، كانت عائلته إلى جانب من الثراء . كان لا يخالط أحدا ، ولا يأكل ما فيه شبه ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان يلعب مع الصبيان ، اعتنى به خاله وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن الكريم على جماعة من أئمة القراء ، وسمع بنفسه الكثير وعنى بالكلب ، اتصف بالطموح وسعة الاطلاع ، فترجم لشيوخه فى كتابه " مشيخة ابن الجوزى " وعددهم ست وثمانون شيخا وثلاث نسوة.

له العديد من المؤلفات منها : الأذكياء وأخبارهم ، وروح الأرواح ، والمدهش ، وشذوذ العقود فى تاريخ العهود ، وصولة العقل على الهوى ، وهو فى الأخلاق ، والناسخ والمنسوخ فى الحديث ، وتلبيس إبليس ، فنون الأفنان فى علوم القرآن ، وعجائب البدائع ، ومناقب عمر بن الخطاب ، ومناقب أحمد بن حنبل ، وغريب الحديث ، والمقتبس ، وبر الوالدين . توفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل ، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور وثلاثة إناث .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ٤٩٥ صفحة من القطع المتوسط شاملة ترجمة المؤلف والفهرس ويحتوى الكتاب على ٣٦٢ فكرة خطرت فى فكر ابن الجوزى حيث أراد حفظ ما يخطر لكيلا ينسى وسنعرض لهذه الأفكار بترتيب ورودها فى الكتاب "صيد الخاطر".

قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة ، فإذا إنفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة ، وهذه حالة تعم الخلق ، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون فى بقاء الأثر .

جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة ، ثم هى من داخل ، وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع ، ثم هى غيب .

من عاين بعين بصيرته تناهى الأمور فى بداياتها فقد نال خيرها ، ونجا من شرها .

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، (د.ت). ٤٩٥ ص .

من تفكر فى عواقب الدنيا ، أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر . من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة . ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه . ورب نظرة لم تناظر ، وأحق الأشياء بالضبط اللسان والعين . ويرتبط الحديث هنا بمفهوم ضبط النفس في علم النفس الاجتماعى (ص ١٤) .

أعظم المعاقبة أن لايحس المعاقب بالعقوبة ، وأشد من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة ، كالفرح بالمال الحرام ، والتمكن من الذنوب .

من علامة كمال العقل علو الهمة ! والراضي بالدون دنيء !! .

سبحان من سبقت محبته لأحبابه فمدحهم على ما وهب لهم ، واشترى منهم ما أعطاهم ، وقدم المتأخر من أوصافهم ، لموضع إيثارهم ، فباهى بهم فى صومهم ، وأحب خلوف أفواههم .

الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله ، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه ، ولا يدرى متى يستدعى ؟ .

يقول ابن الجوزى : رأيت كثيرا من الناس وجودهم كالعدم ، لا يتصفحون أدلة الوحدانية ولا ينظرون فى أوامر الله تعالى ونواهيه ، بل يجرون – على عاداتهم – كالبهائم .

تأملت التحاسد بين العلماء ، فرأيت منشأه من حب الدنيا ، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون ، والأمر الفارق بين الفئتين : أن علماء الدنيا ، ينظرون إلى الرياسة ويحبون كثرة الجمع والثناء ، وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك . ويرتبط هذا الحديث بمفهوم القيم الدينية والقيم المادية (ص ١٧) .

من أحب تصفية الأحوال ، فالاجتهاد فى تصفية الأعمال ، قال عز وجل : ﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾ .

تفكرت يوما فى التكليف ، فرأيته ينقسم إلى سهل وصعب فأما السهل ، فهو من أعمال الجوارح كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة ، وأما الصعب فمنه النظر والإستدلال الموصلان إلى معرفة الخالق وغلبة الهوى وقهر النفوس . ويرتبط الحديث هنا بسيكولوجية التفكير (ص ١٩) وضبط النفس (ص ١٩) .

ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلايضيع منه لحظة فىغير قربه. رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره ، أن يحيط أرباب الأموال بالأمال ، والتشاغل بالذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها . والواجب على العاقل أن يحفظ ما معه وأن يجتهد فى الكسب ليربح مدارة ظالم أو مداهنة جاهل (ص ٢١ – ٢٢) .

تأملت أحوال الفضلاء فوجدتهم – فى الأغلب – قد نجوا من حظوظ الدنيا ، ورأيت الدنيا – غالبا – فى أيدى أهل النقائص ؛ فنظرت فى الفضلاء ، فإذا هم يتأسفون على مافاتهم مما ناله أولوا النقائص ، وأوضحت لهم خطأهم . ويرتبط الحديث هنا بالقيم الدينية وتأثيره فى سلوك الأفراد الذى يتسم بضبط النفس عن الشهوات ، وبالقيم المادية وتأثيره فى سلوك الأفراد الذى يتسم بالإقبال على ملذات الدنيا وشهواتها (ص ٢٣) .

تأملت إقدام العلماء على شهوات النفس المنهى عنها ، فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر لولا تلوُّح معنى : هو أن الناس عند مواقعة المحظور ينقسمون ؛ فمنهم جاهل بالمحظور، ومنهم من يظن المحظور مكروها لا محرما ، ومنهم من يتأول فيغلط ، ومنهم من يعلم التحريم ، ومنهم من يعلم الحظر ويذكره . ويرتبط الحديث بمفهوم الدوافع والشهوات والأهواء وتأثيرها فى تعطيل التفكير (ص ٢٤) .

من تأمل أفعال البارى سبحانه ، رآها على قانون العدل ، وشاهد الجزاء مرصدا ، ولو بعد حين فلا ينبغى أن يغتر مسامح فالجزاء قد يتأخر .

تأمل ابن الجوزى أحوال الصوفية والزهاد ، فوجد أكثرها منحرفا عن الشريعة بين جهل بالشرع ، وإبتداع بالرأى ، ودلل عى ذلك بمواقف كثيرة .

النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب ، وأنها تجد ذلك يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة ، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعيم بالوسائط وقوله – فى حواصل طير خضر – دليل على أن النفوس لاتنال اللذة إلا بواسطة ، وهى لذة المطعم والمشرب أما لذة المعارف والعلوم فيجوز أن تنالها بذاتها ، مع عدم الوسائط .

يشقى أصحاب العقول بإستقصائهم لكل فنون المعرفة ويقول ابن الجوزى " الزمان لا يسع ، والعمر أضيق ، والشوق أقوى ، والعجز يظهر فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات .

تأملت أمر الدنيا والآخرة ، فوجدت حوادث الدنيا حسية طبيعية ، وحوادث الآخرة إيمانية يقينية والحسيات أقوى جذبا لمن لم يقو علمه ويقينه . ويرتبط الحديث هنا بوجود مكونين أو جانبين فى شخصية الإنسان ، المكون المادى وهو يميل إلى الملذات الحسية ، والمكون الروحى وهو يميل إلى الملذات الروحية والفكرية والعلمية (ص٤٠) .

تأملت حرص النفس على مامنعت منه ، فرأيت حرصها يزيد على قدرة قوة المنع . ويرتبط الحديث هنا بالدافعية ، وبتأثر المنع والحرمان فى تقوية الدافع (ص ٤٠-٤١).

ينبغى أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير ، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال

، وأما تعليم الطالبين ، وهداية المريدين ، فإنه عبادة للعالم .

تأملت المراد من الخلق فإذا هو الذل ، وإعتقاد التقصير والعجز .

تأملت قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ فإذا النفس تأبى إثبات محبة للخالق وتوجب قلقا وقالت : إن محبته طاعته ، فتدبرت ذلك فإذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس ..

أن الله سبحانه وتعالى قد بنى الأجسام متقنة على قانون الحكمة فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته ، ولطف حكمته .

تأملت فى فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه ، فرأيت أن الأصل الأكبر فى وصفه وجود النسل وجعلت الشهوة تحث عليه ليحصل المقصود . ويرتبط الحديث هنا بسيكولوجية الجنس والدوافع فى علم النفس العام (ص ٤٦) .

المعصية بعد المعصية عقاب المعصية ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

نظرت فى الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر من الرمل ورأيت من أعجبها أن الإنسان قد يخفى مالا يرضاه الله عز وجل ، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين ، وينطق الألسنة به وإن لم يشاهده الناس .

تأملت الأرض ومن عليها بعين فكرى ، فرأيت خرابها أكثر من عمرانها . ثم نظرت فى المعمور منها - فوجدت الكفار مستولين على أكثره ، ووجدت أهل الإسلام فى الأرض قليلا بالإضافة إلى الكفار . أى أن هناك شرا طافحا وخيراً قليلاً .

رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائد فى المقدار حتى أنها إذا مالت بالقلب والعقل والذهن ، فلا يكاد المرء ينتفع بشىء من النصح .

النفس متيقظة والقلب عارف غير أن القواطع كثيرة ، والفكر الذى ينبغى إستعماله فى معرفة الله سبحانه وتعالى قد كل مما يستعمل فى إجتلاب الدنيا ، وتحصيل حوائج النفوس ، والقلب منغمس فى ذلك ، والبدن أسير مستخدم .

تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين ، ومايسميه جهلة المتزهدين توكلا من إخراج ما فى اليد ليس بالمشروع - وهذا من أخطاء الصوفية .

تأملت فى شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك ، وفخوخ تلف فمن قوى على طبعه وحكم عليه يسلم ، ومن غلب طبعه فياسرعة هلكته .

يرى ابن الجوزى أن زهد الصوفية زهد مغشوش .

تأملت جهاد النفس فرأيته أعظم الجهاد ؛ ورأيت خلقا من العلماء والزهاد لايفهمون معناه ؛ لأن فيهم من منعها حظوظها على الإطلاق ، وذلك غلط من وجهين: أحدهما : أنه رب مانع لشهوة أعطاها بالمنع أدنى منها والثانى : أننا قد كلفنا حفظها ، ومن أسباب حفظها ميلها إلى الأشياء التى تقيمها ، فلابد من إعطائها ما

يقيمها .

المؤمن يدعو فلا يجاب ، فيكرر الدعاء فتطول المدة ولا يرى أثر للإجابة ، فينبغى له أن يعلم أن هذا من البلاء الذى يحتاج إلى الصبر .

من نزلت به بلية ، فأراد تمحيقها ، فليتصورها أكثر مما هى تهن ، وليتخيل ثوابها وليتوهم نزول أعظم منها ، ير الربح فى الإقتصار عليها .

حدثنا ابن الجوزى عن خطر العلم مع قلة العمل .

مما يزيد العلم فضلا ، أن قوما تشاغلوا بالتعبد عن العلم ، فوقفوا عن الوصول إلى حقائق الطلب .

لماذا يزعم البعض أن الله فضل الملائكة على البشر – ألهم مرتبة يحبهم بها ، أو فضيلة يباهى بهم غيرهم . وكيف دار الأمر فقد سجدوا لنا ؛ وهو صريح فى تفضيلنا عليهم .

رأيت كثيرا من الخلق وعالما من العلماء ، لاينتهون عن البحث عن أصول الأشياء التى أمروا بجهل عملها وترك البحث عن حقائقها .

رأيت أكثر الخلق فى وجودهم كالمعدومين ، فمنهم من لايعرف الخالق ، ومنهم من يثبته على مقتضى حسه ، ومنهم من لا يفهم المقصود من التكليف .

دعا إلى التعلق بالله وحده ، والتبتل إلى الله .

الحذر ، الحذر من فساد التأويل ، فإن الله تعالى لايخادع . ولاينال ماعنده بمعصية .

رأيت نفسى كلما صفا فكرها ، أو تعطلت بدراج ، أو وارت قبور الصالحين ، تتحرك همتها فى طلب العزلة والإقبال على معاملة الله تعالى .

عجبت من أقوام يدعون العلم ، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا ؛ لأن من أمر ما جاء ومر من غير اعتراض ، فما قال شيئا لا له ولا عليه . ويرتبط هذا الحديث بمفهوم التفكير العيانى أو المحسوس فى سيكولوجية التفكير (ص ٨٣) .

الحذر الحذر من أفعال أقوام وقعوا فمرقوا عن الأوضاع الدينيه ، وظنوا أن كمال الدين بالخروج عن الطباع ، والمخالفة للأوضاع .

حدثنا ابن الجوزى أيضاً عن ضرورة النظافة وعن الجمال .

لاخير فى لذة تعقب ألما . وليس فى التكليف أصعب من الصبر على القضاء ، ولا فيه أفضل من الرضا به ، فأما الصبر : فهو فرض . وأما الرضا فهو فضل .

إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة ، فإذا عرفته رضيت بقضائه ، وقد يجرى فى ضمن القضاء بعض طعمها الراضى . أما العارف فتقل عنه المرارات لقوة حلاوة المعرفة .

مازال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من العلماء إذا انبسطوا فـي مباحـات ، والذى يحملهم على هذا الجهل ، فلو كان عندهم فضل علم ما عابوهم .

ليس فى الوجود شيء أشرف من العلـم ، كيـف لا وهـو الدليـل ، فـإذا عـدم وقـع الضلال.

رأيت الإنسان قد حمل من التكليف أموراً صعبة ، ومن أثقل ماحمل مـدارة نفسـه ، وتكليفها الصبر عما تحب وعلى ماتكره .

تأملت أشياء تجرى فى مجالس الوعظ ، يعتقد العوام قربة ، وهى تعكـر ، وذلـك أن المقـرىء يطـرب ويخـرج الألحـان إلى الغنـاء وهـو مـا يوجـب طربـا للنفـوس ونشـوة ، والتعرض لما يوجب النفس غلط عظيم .

من أضر الأشياء على العوام كلامُ المتأولين ، والنفاة للصفات والإضافات .

حدثته نفسه بحاستى السمع والبصر وعلاقتهما بالإدراك والقلب . ويرتبـط الحديـث بسيكولوجية الإدراك (ص ١٠٤) .

فى العشق : إن طباع المتيقظين تترقى فـلا تقـف مـع شـخص مستحسـن ، وسـبب ترقيها التفكير فى نقص ذلك الشخص وعيوبه ، أو فى طلب ماهو أهم منه .

الاعتراف فى التقصير أنجح فى الحوائج .

الإشارة إلى تدبير الله سبحانه وتعالى فى خلقه .

حدثنا عن ثمرة الحياة التى جنى بها أدلة الوحدانية ، وارتقى عـن حضيـض التقليـد إلى يفاع البصيرة واطلع على علوم زاد بها قدره .

قلوب العارفين يغار عليها من الأسـباب وإن كـانت لا تسـاكنها لأنهـا لمـا انفـردت لمعرفته انفرد لها بتولى أمورها .

المؤمن لا يبالغ فى الذنوب وإنما يقوى الهوى وتتوقد نيران الشهوة فينحدر ، وله من إيمانه ما يبغض إليه الإثم فلا يعزم على مواقعته ، ولا علـى العـود بعـد فراغـه . ويرتبـط بمفهوم الإحساس بالذنب فى علم النفس الاجتماعى (ص ١١١) .

أفضل الأشياء التزيد من العلم ، فإنه من اقتصر على مايعلمه فظنه كافيا استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعا فى الاستفادة .

لما وهبت لهم العقول فتدبروا عيب الأصنام ، وعلموا أنها لاتصلح للعبادة ، فوجهوا العبادة إلى من فطر الأشياء .

الآفة تدخل من المبتدعين فىالدين أو الجهال .

حدثنا عن تقلب الليالى فتارة فقر ، وتارة غنى ، وتارة عز ، وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالى ، وتارة يشمت الأعادى .

كما حدثنا عن انهيال الإبتلاء على المؤمن . وعرض صورة اللذات عليــه مـع قدرتـه على نيلها .

وحدثنا أيضاً عن إجابة المضطر إذا دعا . وحكمــة الغرائـز فـى الأبـدان وهـى إبقـاء الجنس ودفع الفضلة المحتقنة المؤذى احتقانها . ويرتبط هذا الحديــث بمفهـوم الدافعيـة ، وبدور الدوافع فى توافق الإنسان وصحته البدنية والنفسية (ص ١٢٤) .

من تأمل عواقب المعاصى رآها قبيحة .

ينبغى للعاقل أن يلازم باب مولاه على كل حال ، وأن يتعلق بذيل فضلـه إن عصـى وإن أطاع .

ينبغى لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه أن يظهر منها ما يبين أثرها ، ولا يكشف جملتها ، وهذا من أعظم لذات الدنيا التى يأمر الحزم بتركها فإن العين حق .

كما حدثنا ابن الجوزى عن ثمرة التقوى . ويرتبط الحديث هنـا بتـأثير الإيمـان باللـه فى التخلص من القلق والهم (ص ١٢٨) .

وقيل لاينال لذة المعاصى إلا سكران بالغفلة .

يكرر ابن الجوزى هجومه على الزهاد ، ويقدم مثالا لزهد يهدم الدين والدنيا .

ينبغى لكل ذى لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصى . فإنه ليس بين الآدميـين وبـين الله تعالى قرابة ولا رحم ، وإنما هو قائم بالقسط ، حاكم بالعدل .

كثير من الناس يتسـامحون فـى أمـور يظنونهـا قريبـة ، وهـى تقـدح فـى الأصـول ، كاستعارة طلاب العلم جزء لا يردونه .

رأيـت مـن نفسـى عجبـا ، تسـأل اللـه عـز وجــل حاجاتهــا ، وتنســى حناياتهــا (ص١٣٤).

من عاش مع الله عز وجل طيب النفس فى زمن الســلام لا يوصـف بالبطولـة إلا إذا حفت عليه ألوان التقلب فى زمن البلاء ، فهناك المحك .

ليس فى الدنيا ولا فى الآخرة أطيب عيشا من العارفين بالله عز وجل ، فإن العارف به مستأنس به فى خلوته .

كما حدثنا المؤلف عن حــلاوة الكفـاح فـى سـبيل الحـق وأسـرار الحكمـة وسياسـة النفس. وحدثنا أيضاً عن إضاعة الوقت . وتفاوت العلماء فى العلم .

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته ، فإنه ينتبـه انتباهـا لا يوصـف ، ويقلـق قلقا لا يحد ويتلهف على زمانه الماضى .

ربما أخذ المتيقظ بيت شعر فأخذ منه إشارة فانتفع بها .

حدثنا عن الحذر مهما كبرنا وعلت مناصبنا فإن العقوبة بالمرصاد .

اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع .

من أفكار ابن الجوزى أيضاً : أنه للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل ، فلابد للمبتلى من الصبر إلى أن ينقضى أوان البلاء .

وليس فى الوجود شيىء أصعب من الصبر إما على المحبوب أو على المكروهات .

وينبغى لمن وقع فى شدة ثم دعا أن لا يختلج فى قلبه أمر من تأخير الإجابة أو عدمها (ص ١٥٦) .

كما حدثنا عن أقرب الخلق من الله العلماء ، وليس العلم بمجرد صورته وهو النافع بل معناه ، وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به .

من أعمل فكره الصافى دله على طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الرضا بالنقص فى كل حال .

ليس فى الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للإستغناء عن الناس ، فإذا ضم إلى العلم حيز الكمال .

أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته . ومن تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم .

وحدثنا المؤلف أيضاً عن نقائض سببها استمكان الهوى كالإكثار من الصدقة وعدم المبالاة بمعاملات الربا .

ومن أعظم الغلط الثقة بالناس والإسترسال إلى الأصدقاء . ويرتبط بالعلاقات الإنسانسة (ص ١٦٤) .

كما حدثنا عن سقطات بعض أهل العلم . وسعة الثقافة ونفاذ البصيرة .

إن للخلوة تأثيرات تبين فى الجلوة ، وكم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات فيترك مايشتهى حذرا من عقابه ، أو رجاء لثوابه .

ومن عرف جريان الأقدار ثبت لها . وسبحان المتصرف فى خلقه بالإغتراب والإذلال ليبلو صبرهم ويظهر جوارحهم فى الإبتلاء .

والحذر الحذر من فعل يمنع منه الشرع أو من إرتكاب ما يظن عزيمة وهو خطيئة ، أو من إظهار مالا يقوى عليه المظهر فيرجع القهقرى .

وأجهل الجهال من آثر عاجلا على آجل لا يأمن سوء مغبته .

اللذات كلها بين حسى وعقلى ، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح وغاية اللذات العقلية العلم ، فمن حصلت له الغايتان فى الدنيا فقد نال النهاية . ويرتبط هذا الحديث بالدوافع البيولوجية والدوافع العقلية ، ومايصاحب إشباعها من لذة وتوافق (ص١٧٥).

اعلم أن المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة ، ومن الغلط الإنهماك فى الإعادة ليلا ونهارا، فإنه لايلبث صاحب هذه الحال إلا أياما ثم يفتر ويمرض .

من أراد دوام العافيه والسلامة فليتق الله عز وجل فإنه مامن عبد أطلق نفسه فى شيىء ينافيه التقوى وإن قل إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة .

أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل بمقتضاها ، فيكون من تأثير همتك الأنفة من قبول إرفاق الخلق استثقالا لحمل منهم ، ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم.

من خاف العقوبة ترك المشتهى ، ومن رام القرب إستعمل الورع ، وللصبر حلاوة تبين فى العواقب .

حدثنا أيضاً ابن الجوزى عن الهزيمة أمام الشهوة ، وحرب الشيطان ، والحذر من الوقوع وقال : إن للذنوب تأثيرات قبيحة ، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافا مضاعفة.

والتعلق بالله فوز ، كما قدم لنا حكمة الإبطاء فى إجابة الدعاء ، ودعانا إلى الإستعداد دائما للموت ، وحذرنا من المعاصى فإن عواقبها سيئة ، وبقدر إجلالك لله يجللك الله ،أما جزاء العصيان فقد يطول ، والواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصى، فإن نارها تحت الرماد . وأن يتقى الله فى كل الأحوال .

وحدثنا أيضاً عن جزاء الإستعفاف لوجه الله ، وذهاب العاجلة ، وحلاوة الطاعة وحقوق المنعم ، وأن سكرة الهوى حجاب .

ودعانا ابن الجوزى إلى إستغلال الوقت فى الأنفس من العلوم ، وإذا صح قصد العالم إستراح من كلف التكلف .

كما ضرب لنا أمثلة وحكمة فى الحرمان وقال : الغنى عافية للعلماء .

يقول ابن الجوزى أيضاً : تأملت وقوع المعاصى من العصاة فوجدتهم لايصدقون العصيان ، وإنما يقصدون موافقة هواهم ، فوقع العصيان تبعا .

يقول ابن الجوزى أيضاً : عفة العالم من تمام دينه ، والعقل أصل الدين ، وتمرة العقل فهم الخطاب . والواجب على العاقل فهم الخطاب . والواجب على العاقل أن يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما لايجنى من مكروه . والعاقل من يزن بين الأمرين . ويرتبط الحديث هنا بالقدرة على الفهم كأحد القدرات العقليه (ص ٢١١) .

يقول أيضاً : العلم النظرى لا يكاد يكفى فى صلاح القلب ، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر فى سير السلف الصالحين .

وقيل الورع أحوط .

كما حدثنا ابن الجوزى عن اللذات المشوبة ، وكيف نناجى الحق سبحانه وتعالى ، والسعيد من ذل الله وسأل العافية لتغلب على جمهور أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء .

ويكرر ماقاله عن الصوفية بأنهم ينحرفون عن الجادة وعن العلم . وحذرنا من صحبة البطالين . ودعا إلى الإشتغال بالتأليف وإغتنام العمر .

يقول أيضاً : انبعاث الناس عن العادات لا عن الإمان .

ويقول : ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة. وحدثنا ابن الجوزى عن حياته .

يقول أيضاً فى اللذة : أصلحها التوسط ، وهو إختيار ما تميل النفس إليه ولا يرتقى إلى مقام العشق ، فإن العاشق فى عذاب . وإنما يتخايل الفارغ من العشق تلذذ العاشق وليس كذلك .ويرى أن الناس يتفاوتون فى الهمم والآمال . وينصحنا بالترويح عن النفس بين الحين والآخر .ويرتبط الحديث هنا بمفهومى الفروق الفردية ومستوى الطموح فى علم النفس الحديث (ص ٢٣٨) .

كما حدثنا حسن التدبير ، والحفاظ على المرأة المدبرة . والويل كل الويل للمفرط فى ماله أو معاشه . كما حدثنا عن بعض هواجسه المقلقة .

ثم انتقل بنا إلى الحديث عن الأشياء البديهية التى وضعها فينا الخالق سبحانه وتعالى مثل: أن المصنوع لابد له من صانع وأن الإثنين أكثر من واحد .

ثم حدثنا بعد ذلك عن الإيقاظ والغافلين وقال صلاح الأخيار – النظر ، وسبب فساد الأشرار إهمال النظر .

ثم حدثنا عن همته وقال : لى همة عالية تطلب الغايات . ويرتبط هذا بمفهوم مستوى الطموح (ص ٢٥٠) .

ثم انتقل بنا الحديث عن فساد التصوف ، ودلل على ذلك بمواقف كثيرة .

ثم حدثنا عن القدر السابق فالله سبحانه وتعالى إذا أراد شخصا رباه من طفولته وهداه إلى الصواب .

وكذلك حدثنا عن الأدلة على وجود الله وأهمها النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى إرادتها واكتسبت ماأمكن تحصيله من العلوم ، وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبرا وخالقا .

ويعود فيحدثنا عن زهد الصوفية فى العلم والقدح فى المتشاغلين به .

ويقول أيضاً العاقل من يحفظ الله عز وجل وإن غضب الخلق . كما ينبغى على العاقل أيضاً أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه أو

يتزوج إليه ، ثم ينظر بعد ذلك في الصور ، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن ، أما الأصول فإن الشيء يرجع إلى أصله ، وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن .

ومن تجارب ابن الجوزى في الحياة قوله : ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب والتحرز مما يمكن أن يكون . ومن الغلط الإستغراق في الحالة الحاضرة الموافقة لمعاشه ولصحة بدنه . وكذلك ينبغى النظر في لذة تفنى وتبقى تبعتها وعارها . وإيثار الكسل والدعة . وإياك أن تساكن من آذيته ، ومن الحذر إظهار العداوة للعدو . ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم . وكفى بالذهن النظر إلى العواقب والتأمل لكل ممكن متأدبا . وكذلك أوصانا بحفظ السر وعدم إفشاءه .

ثم حدثنا ابن الجوزى بعد ذلك عن طريق الإستذكار وأهمها الإعادة والتبييت . ويرتبط هذا الحديث بسيكولوجية التعليم (ص ٢٦١) .

كما نصحنا بالعزلة واستغلالها استغلالا نافعا حتى نستطيع مناجاة الله عز وجل .

ولم ينس بن الجوزى المسنين فأسدى لهم النصح مؤكدا على الإستعداد الدائم للقاء الله سبحانه وتعالى .

كما نهانا عن الاشتغال بفلسفة الكلام . وعلى العاقل أن يكف عن التطلع إلى ما لا يطيق النظر إليه .

ويرى أن السعادة الحقة في شرف العلم وزهرة العفة وأنفة الحمية ، وعز القناعة ، وحلاوة الإفضال على الخلق . ويرى أن أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق .

كما حدثنا عن ثمن العلياء . ويرى أن كل شيىء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله ، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة .

ويرى أيضاً أن هناك صراعا بين اليقين وأحداث الحياة ويقول : إنما المؤمن الكامل الإيمان ومن لا يختلج في قلبه اعتراض ، ولا يساكن نفسه فيما يجرى من وسوسة . وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوى تسليمه . ونلمح الإشارة هنا إلى موضوع " الصراع " في علم النفس (ص ٢٧٠) .

كما يرى أن أضر ماعلى العوام المتكلمين فإنهم يخلطون عقائدهم بما يسمعونه منهم. ويرى أن حقيقة الموت والرحيل هو الراحة وأن هذا البدن ليس بشيء ؛ لأنه مركب تفكك وفسد وسيبنى جديدا يوم البعث فلا ينبغى أن يفكر في بلاه ، ولتسكن النفس إلى أن الأرواح انتقلت إلى راحة فلا يبقى كبير حزن ، وأن اللقاء للأحباب عن قرب .

ويتحدث ثانية عن الكتمان ، ويقول : ينبغى للعاقل أن لايتكلم فى الخلوة عن أحد بشىء حتى يتمثل ذلك الشىء ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يجنى .

ويتحدث أيضاً عن فقه الحكمة العليا ويقول الحق سبحانه وتعالى هو المالك ، وللمالك الحق أن يتصرف كيف يشاء .

والسعيد من وفق لاغتنام العافية ، ثم يختار تحصيل الأفضل فى زمن الإغتنام . وقيل صلاح الدين بصلاح الدنيا . أما الإخلاص التام فهو شغل القلب بالحق .

وقال أيضاً : كل المعاصى قبيحة ، وبعضها أقبح من بعض أى هى مراتب .

ويرى أن الكبر من علل العلماء التى يجب التخلص منها .

كما نصحنا ابن الجوزى بمحالمة الغاضب . والعاقل يصور فى نفسه كل ممكن ، ويستر ما فى قلبه من البغض والود ، ويدارى من يكنون له الغيظ والحقد ، هذه مشاورة العقل إن قبلت .

ومن لم يتلمح العواقب ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل . وبقدر صعود الإنسان فى الدنيا تنزل مرتبته فى الآخرة وعلماء الآخرة ملوك . ونلمح هنا إشارة إلى مفهوم " التروى " Reflection كأحد مفاهيم علم النفس الحديث (ص٢٨٣).

وإذا أراد الإنسان أن يعرف قدر نفسه فليعرف الشرع كما ينبغى وسيعرف أن أكثر الناس على غير الجادة .

وعن كمال الظاهر والباطن قال ابن الجوزى : أول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن ، فصورة البدن تسمى خلقا ، وصورة الباطن تسمى خلقا . ودليل كمال صورة البدن حسن السمت ، واستعمال الأدب ودليل صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق ، والطبائع : العفة ، والنزاهة ، والأنفة من الجهل ، ومباعدة الشره . والأخلاق : الكرم ، والإيثار ، وستر العيوب ، وإبتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل .

ونصحنا ابن الجوزى أيضاً بالصبر . ويرى أيضاً أن الجمادات خير من علماء يعبدون المال ويرى أن أنفس الأشياء فى الدنيا معرفة الحق عز وجل .

ويعود فيقول : أيها الشيوخ استعدوا للرحيل ، ويضرب مثلا أعلى لنا بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام . ويحذرنا فى أكثر من موضع من خداع الشهوات ، وخاصة شهوات الحس (النساء) ويقترب هذا الحديث من موضوع " قمع الدوافع الأولية " (ص ٢٩٤) .

وحدثنا أيضاً عن أصناف الناس ، وسبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون فى الدنيا . ويتحدث المؤلف هنا عن " المهن الاجتماعية " وتدرجها (ص ٢٩٧) .

ونصحنا بعدم الغفلة عن علم الحديث " الشـريعة " وقـال سبحان مـن حفـظ هـذه الشريعة بأحبار أخيار ينفون عنها تحريف الغالبين وانتحال المبطلين .

ويعود ثانية فيحذرنـا مـن اتبـاع الشـهوات البهيميـة . ويتحـدث هنـا عـن الدوافـع والأهواء واللذات الحسية وأهمية التحكم فيها وقمعها (ص ٣٠٠) .

ويقول العاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبـة ، فكـم مغـرور بإمهـال العصـاة لـم يمهل ، وأسرع المعاصى عقوبة ما خلا عن لذة تنسى النهى ، فإن كانت توجب إعتراضا على الخالق أو منازعة له فى عظمته ، فتلك التى لا تتلافى .

والإستغناء عن الناس دين فالآدمى خلق لأمر عظيم .. وهـو مطـالب بمعرفـة خالقـه بالدليل ، ولايكفيه التقليد .

ونصحنا بالتجمل مع الناس وقال : ما زال العقـلاء يظهـرون التجلـد عنـد المصـائب والفقر والبلاء ؛ لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء ، وأنها لأشد مـن كـل نائبـة ، وكان فقيرهم يظهر الغنى ومريضهم يظهر العافية . وقال أيضـاً : الحيـاة مدرسـة تخـرج للآخرة والناس فيها معادن ومراتب .

كما أوضح لنا الحكمة من وجود اليهود والنصارى .

وعاد بن الجوزى ونصحنا بحسن الإطلاع حيث ثبت بالدليل شرف العلم وفضلـه . وحسن الإطلاع يعنى التجويد والحفـظ والتثبيـت . وقـال أيضـاً ينبغـى أن نحـذر ظلمـة الحسد ، وغيابة الكبر ، وحماقة الهوى والتى تغطى على نور العقل . ويقـترب الحديـث هنا من " التحصيل والعوامل الميسرة له (ص ٣٠٩) .

وقال أيضاً إن هناك درجات للعابدين ، ودرجات للعلماء (علماء القشور - علمـاء اللباب) . ودائما يقول : الآخرة خـير وأبقـى ، والعـاقل مـن علـم أن الدنيـا لـم تخلـق للتنعيم ، فقنع بدفع الوقت على كل حال . وقيل الاعذار بالأقدار سخف .

والصراط المستقيم هى السـير علـى الشـريعة والشـريعة هـى الطريـق ، وإنمـا تعـرف شريعة رسول الله ﷺ إما بأفعاله أو بأقواله .

فال ابن الجوزى أيضاً : النفس طامعة إذا أطعمتها ، وتسويف الخير حمق .

كما حدثنا عن البحث فى ذات الله والتعسف فى فهم أفعاله . وقال ينبغى للمؤمـن بالله سبحانه أن لايعترض على الله سـبحانه فـى شـىء لا فـى باطنـه ولا فـى ظـاهره ، ولايطلب تعليلات أفعاله كلها .

وقال أيضاً الآخرة بما فيها من دخول الجنة ودوام الإقامة ، والنعيم المتجدد .

كما حدثنا عن عشاق الدنيا وعشاق الآخرة وقال : سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله عز وجل والإقبال على الدنيا ، وكلما فات منها شىء وقع الغـم لفواتـه ، فأمـا

من رزق معرفة الله تعالى إستراح لأنه يستغنى بالرضا بالقضاء فمهما قدر الله له رضى.

وقيل راحة المؤمن فى الآخرة والاعتماد على الخالق سبحانه وعلى إنعامه .

ومن تجارب ابن الجوزى فى الحياة قوله : الحذر من الطمأنينة إلى أحد خصوصا من عدو آذيته أو قتلت له قريبا فربما أظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الزباء .

كما حذرنا من التقصير فى الشيخوخة - وقدم لنا علاجا شافيا للرغبة فى سن الشيخوخة - كما نصحنا بالنظر فى عواقب الأمور .

ويعجب المؤلف من طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله ، وهيهات ، ليس إلا المعرفة بالجملة .

كما حدثنا ابن الجوزى أيضاً عن أسس اختيار الأصحاب . ويرى أن من رزقه الله سبحانه وتعالى النظر فى سير السلف ، ودفعه للإقتداء بهم آثر أن يعتزل عن أكثر الخلق، ولا يخالطهم أوذى . ونصحنا بالمداراة والحلم خاصة مع الأعداء والحساد . وهنا نلمح إشارة صريحة إلى مفهوم " الصداقة الاجتماعية " وخصائصها .

كما حدثنا عن آداب الدعاء .

وحدثنا أيضاً عن صنوف أهل الجهل وصنوف أهل العلم وقيل وسيلة الجنة هى العلم، وهو الذى يدل على الطريق ويعرف ما يصلح لها ويحذر من فظاظتها .

وقيل أيضاً كتمان العطفة حزم كما حذرنا من خدمة الظالمين . ويقترب الحديث من مفهوم ضبط النفس (ص ٣٤٥) .

وقدم وصية للشباب تقول : ينبغى للصبى إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهره فيفيده ذلك فى الكبر ، لأنه من الجائز كبره ، والاستعداد للجائز حزم .

وحذرنا أيضاً من خبط الوعاظ . وحدثنا عن تتبع اللذائذ المباحة منها والمحظورة . وتعجب من طغيان الأهواء فبعد أن يسمع الإنسان المواعظ وتذكر له الآخرة ، فيبكى وينزعج على تفريطه ، ويعزم على الإستدراك ، ثم يتراخى عمله بمقتضى ماعزم عليه .

وحذرنا من الآفات .

ونصحنا بالإقبال على الله سبحانه وتعالى .

وحدثنا عن إناس أنار الله بصائرهم واختارهم . وتعجب من أمر أناس أعجبوا بأبدانهم ونسوا أرواحهم وهى التى عليها العمل . كما حدثنا عن فضول العيش والإهتمام بالدنيا حتى تتشتت همته .

وقال أيضاً الوحدة خير من جليس السوء . وحدثنا عن أوصاف المختارين لمولاة الله وقال سبحانه لايختار شخصا إلا كامل الصورة ، لاعيب فى صورته ولا نقص فى خلقته ، فتراه حسن الوجه معتدل القامة سليما من آفة فى بدنه ، ثم يكون كاملا فى

بطنه .

كما حدثنا عن طبائع الدهماء الذين غاية همتهم حصول بغيتهم من أغراضهم . ويقترب الحديث هنا من مفهوم " السمات " فى سيكولوجية الشخصية (ص ٣٢٩).

وقال : صدقات الظلمة لا تثاب . ونصحنا بالإخلاص لله وحده .

كما حدثنا عن بعض صفات العلماء السوء وقال : قلة علمهم بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله ﷺ .

وقال التسليم للحكمة أولى من البحث فى الذات .

وقال أيضاً ذو العقل يشقى فى النعيم لأنه متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا فتضاءل الجسم وقوى السقم واشتد الحزن لأن العقل كلماتلمح العواقب أعرض عن الدنيا ، وألتفت إلى ما تلمع ولا لذة عنده بشىء من العاجل ، وإنما يتلذذ أهل الغفلة عن الآخرة ، ولاغفلة لكامل العقل .

كما رد على مزاعم الطبائعيين فى أصل الموجودات . وقدم دلائل على الوجود الأعلى .

كما حدثنا عن التدين الفاسد . وقال أيضاً قوام الأنفس فى البدن ، الدم والمنى وأشياء تتقوى بها ، فإذا فقدت الذخائر لم يبق منها شىء ذهبت ومن ذخائرها التقوى بالمال والجاه وما يوجب الفرح .

كما حدثنا عن رياء الزهاد ، بقولهم مالا يفعلون .

وقيل أيضاً : تدبير العيش دين ، حيث ينبغى للمؤمن أن يتشاغل بمعاشه ويرفق فى نفقته (ص ٣٧١).

وقيل الإحتراز واجب ، حيث ينبغى للعاقل أن يحترز غاية مايمكنه . فإذا جرى القدر مع إحترازه لم يلم .

وحذرنا من الجرى وراء اللذات الحسية فالسعيد من اهتم لحفظ دينه ، وأخذ من ذلك بمقدار الحاجة .

ونصحنا بالفقه (الحفظ والفهم) قبل الكتابة . ويحدثنا هنا عن الحفظ والفهم كأساس لعملية التحصيل (ص ٣٧٣) . والتثبت قبل مواجهة العقاب ، والتوسل إلى الله بالله (ص ٣٧٣ - ٣٧٧) .

وقال أيضاً سبحان من جعل الخلق بين طرفى نقيض ، والمتوسط منهم يندر منهم من يغضب فيقتل ويضرب ومنهم من هو أبله بقوة الحلم لايؤثر عنده السب وهكذا من ينفق المال بكثرة ومن يقتر . فسبحان من أعدم هؤلاء العقول والفهوم ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وتساءل أين الخل الوفى ؟ والذى تتوافر فيه شروط

الصداقة والأخوة .
وقال أيضاً : القناعة راحة . ونصحنا بالخشية من مقدار العلم .
وقيل ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وإن تاب منها وبكى عليها .
كما حدثنا ثانية عن مواقف لزهاد كذبة . وقال أيضاً : انه لا استقرار فى الدنيا ، وإنما المستقر فى الآخرة .
وحذرنا من وجود العالم فى حاشية الحاكم ، خوفا من الرزق الحرام والإنخراط فى سلكهم .
كما حدثنا عن متاعب العيلة ووجود الأولاد بكثرة خوفا من مد اليد إلى الحرام .
ونصحنا بالجمع بين الإستغفار والتوبة من الذنوب والصبر على القضاء وسؤال الفرج لنحصل ثلاثة فنون من العادة نثاب على كل منها .
وينصحنا دائما المؤلف بقمع النفس عن الشهوات . ونهانا عن سب الدهر وقال هو خروج عن الإيمان . ويقترب الحديث هنا من مفهوم قمع الدوافع الأولية (ص ٣٩٤).
وقال : العمر فرصة يجب إغتنامها فى زيادة الثواب . وقال : الكتمان مناجاة . ونصحنا بالتسبيح والإستغفار على الحقيقة .
وقيل العزلة دواء ، ونصحنا بالمحافظة على صفاء القلب . وقال أيضاً : طالب الآخرة دائم اليقظة . ومن مظاهر الإصطفاء : كمال الصورة واعتدالها وكمال الأخلاق وزوال الأكدار ولا يرى فى باطنه خبثا ولا كدرا ، بل قد حسن باطنه كما حسن ظاهره . ويحدثنا هنا عن سمات الشخصية (ص ٣٩٩ - ٤٠٠) .
وقال أيضاً فى وعظ السلاطين : ينبغى لمن وعظ سلطانا أن يبالغ فى التلطف ولا يواجهه بما يقتضى أنه ظالم .
كما حدثنا عن أدعياء النبوة ورسالة الإسلام ، وسفالة الإلحاد .
وقال مخالطة المحجوبين عن الله غشاوة ، وما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح ، فإن الطبع يسرق ، فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عمله . ويقترب الحديث هنا من التطبيع الاجتماعى (ص ٤١١) .
وقال أيضاً أنعم الله لاتحصى . وحدثنا كذلك عن علماء القشور . وحقيقة الشهوات (زوال اللذة وبقاء إثمها) .
وحدثنا عن الحكمة فى خلق مايؤذى ، وقال ربما بها نفع وشفاء من كثير من الأمراض.
وقال أيضاً : العقل ينمو بالتعليم والتحصيل والدربة والمران ، كالجارحة التى تكتسب المهارة من دوام العمل . ويحدثنا هنا عن موضوع " نمو القدرات العقلية

وسلوك التدريب " (ص ٤١٩) .

كما حدثنا ابن الجوزى عن ميزان الرجولة وقال هو : حفظ الحدود ، وإخلاص العمل. وحدثنا أيضاً عن حقيقة الحسد وقال أن الإنسان لايجب أن يرتفع عليه أحد .

وحذرنا مرارا وتكرارا من الإسراف الجنسى . ونصحنا بالاحتراز من كل مايجوز أن يكون . كما حذرنا من الضجر من قدر الله تعالى .

وقال أيضاً : اللذة عملة زائفة وخدع ليست بشىء وفى ضمنها من الأقدار مايصيرها نقصا فتخرج عن كونها لذات .

وقال أيضاً : من وقف على موجب الحس هلك . ومن تبع العقل سلم ؛ لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا . وأما العاقل فإنه ينظر إلى المخلوقات ، فيعلم وجود الخالق ويعلم أنه قد منح وأباح وأطلق وحذر .

وفسر لنا ابن الجوزى معنى رؤية الرسول وهو أن الشخص يرى فى منامه مثال الذى يعرفه الصواب وتحصل به الفائدة المطلوبة . ويرتبط الحديث هنا بموضوع " الأحلام " (ص ٤٢٨) .

وقال أيضاً بحاجة الدين إلى سلامة الجسم وصحة الدنيا . ومعرفة الله سبحانه لاتحصل إلا لكامل العقل ، صحيح المزاج ، والترقى إلى محبته .

وكذلك قال : مارأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقول وهى فى مدة إقامتها معجونة بالنقص .

ويتساءل ابن الجوزى ثانية : أين الأصدقاء ؟ ويقول : أكثرهم حساد على النعم وأعداء لا يسترون زلة ، ولا يعرفون لجليس حقا ، ولايواسون من مالهم صديقا . ويرجع هذا إلى أن الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن أن يجعل له شيئا يأنس به ، فهو يكدر عليه الدنيا وأهلها ليكون أنسه به . ويتحدث هنا عن مفهوم الصداقة (ص٤٥٠).

ويعود فيحدثنا عن علماء السوء ويقول : منهم المشتغلون بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده . ونصحنا بسعة الثقافة وبتعمق .

وقال أيضاً : مايتناهى عن طلب العلم إلا عاشق العلم . والعاشق ينبغى أن يصبر على المكاره . ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب .

وقال : لا ينبغى للإنسان أن يحمل على بدنه مالا يطيق ، فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها لم تصل بالراكب .

وإذا تكامل العقل قوى الذكاء والفطنة . ونصحنا بالتحلى بالصبر والعفة والعزلة . وقال أيضاً : العقل سياج الدين والدنيا . وينبغى أن يكون العمل كله لله ومعه ومن أجله وقد كفاك كل مخلوق وجلب لك كل خير. وقيل أيضاً : الإسراف شر .

ويعجب ابن الجوزى من مخالطة الأمراء ويقول : إنه بالمخالطة لهم أو العمل معهم يكون قطعا خائفا من عزل أو قتل أو سم ، ولا يمكنه أن يعمل إلا بمقتضى أوامرهم .

ومن الغلط العظيم أن يتكلم فى حق معزول بما لايصلح ، فإنه لايؤمن أن بلى فينتقم. وفى الجملة لاينبغى أن يظهر العداوة لأحد أصلا . ويقترب الحديث هنا من مفهوم القيادة التسلطية فى علم النفس الاجتماعى (ص ٤٥٣) .

ومن رزقه همة عالية يعذب بمقدار علوها ، وبيان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته ، وهذا لايحتمله البدن . ويقترب الحديث هنا من مفهوم مستوى الطموح (ص ٤٥٦) .

ويقول أيضاً : المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه وإقتناعه بعلمه ، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق .

وليعلم الإنسان أن الجزاء بالمرصاد إن كانت حسنة أو سيئة فليحاسب كل منا نفسه. ونهانا عن عداوة الأقارب بأن نتواضع لهم ونرفق بهم ، وأن نصلهم . ويترب الحديث هنا من مفهوم العلاقات الإنسانية فى علم النفس الحديث (ص ٤٦٤) .

والمؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعده شيئا ، إذ هو فى واد وذاك فى واد . ذاك يحسده على الدنيا ، وهذا همته الآخرة فيما بعد مابين الواديين .

ويقول أيضاً : ينبغى لمن آمن بالله تعالى أن يسلم له فى أفعاله ، ويعلم أنه حكيم مالك وأنه لا يعبث .

وشبه ابن الجوزى يوم العيد بيوم القيامة .

كما قدم النصيحة للعلماء والزهاد فى أكثر من موضع فى الكتاب . وبين لهم طريق العلم والعمل . وقال إن الله عز وجل جعل لأحوال الآدمى أمثلة ليعتبر بها ، منها القمر ودودة القز .

ويعود فيقول : إنما فضل العقل بتأمل العواقب ، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة ، ولا ينظر إلى عاقبتها .

كما يحدثنا ابن الجوزى عن تفاوت الناس فى الذكاء والمقدرة ، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير فى الأصول والفروع . ويقترب الحديث هنا من موضوع الفروق الفردية (ص ٤٧٥) .

ويحدثنا أيضاً عن اللذات المدخولة ، والبدع المهلكات ، وفضل الوقت .

كما قدم لنا فقرة فى معاشرة النساء وقال : ينبغى للعاقل أن يتخير إمرأة صالحة من بيت صالح يغلب عليه الفقر لترى مايأتيها به كثيرا ، وليتزوج من يقاربه فى السن . ولاينبغى للمرأة أن تقترب من زوجها كثيرا فتمل ، ولاتبعد عنه فينساها . ويرتبط

الحديث هنا بموضوع العلاقات الزوجية (ص ٤٨١) .

كما حذرنا المؤلف من المتاجرة بالدين . وقال أيضاً : من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها ، فمن مال إلى مباحها ليلتذ وجد مع كل فرحة ترحة ، وإلى جانب كل راحة تعبا ، وآخر كل لذة نقصا يزيد عليها . وما رفع شيء من الدنيا إلا ووضع . والعاقل بدير بعقله عيشته فى الدنيا ، فإن كان فقيرا اجتهد فى كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق ، وقلل العلائق ، واستعمل القناعة فعاش سليما من منن الناس عزيزا بينهم .

وإن كان غنيا فينبغى له أن يدبر فى نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق. وينبغى التوسط فى الأحوال ، وكتمان مايصلح كتمانه (ص ٤٨٥ - ٤٨٦) وإنما التدبير حفظ المال والتوسط فى الإنفاق ، وكتمان ما لا يصلح إظهاره .

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[1]
الطب الروحاني

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يتكون الكتاب من ثلاثين بابا، نعرض لها على النحو الآتى:-

الباب الأول : فى فضل العقل. فمن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وبه فضل الآدمى على جميع الحيوان الذى فقده، وبه تأهل الآدمى لخطاب الله وتكليفه.

- ويرتبط هذا الباب بأهمية القدرات العقلية Mental abilities (ص ٥).

الباب الثانى : فى ذم الهوى. الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه. فلا يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحا وإنما الإفراط فيه. وتحدث عن النفس فقال: إن منها جزءا عقليا فضيلته الحكمة ورذيلته الجهل، وجزءا غضبيا فضيلته الحدة ورذيلته الجبن، وجزءا شهوانيا فضيلته العفة ورذيلته إطلاق الهوى.

- ويرتبط هذا الباب بمفهوم النفس وموضوع التفكير والذكاء، وموضوع الدوافع والانفعالات Motives and emotions (ص ٦-٧).

الباب الثالث: فى الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى. فالهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر فى عاقبته. أما العقل فإنه يراقب العواقب وينظر فى المصالح.

- ويرتبط ذلك بالمقارنة بين الحالة العقلية والانفعالية وبيان أوجه الاختلاف بينهما كما يرتبط بكف الدوافع ومقاومتها (ص ٧-٨).

الباب الرابع: فى دفع العشق عن النفس، وهو مرض أصيب به خلق كثير وتحدث عنه تفصيلا فى كتاب "ذم الهوى" عن علاجه وكيفية التخلص منه عن طريق غض البصر وكف النظر.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع انفعال الحب (ص ٨-٩).

الباب الخامس: فى دفع الشره، فالشره إذا أطلق انصرف إلى موافقة الهوى فى المطاعم. وهى علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية. وقد يكون الشره فى الأكل، أو الجماع، أو جمع المال. وقد يقع الشره فى فنون ما يتلذ به من الأبنية المنقوشة والخيل المسومة والملابس الفاخرة. وتحدث عن علاج كل نوع من هذه الأنواع.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع قمع الدوافع ومقاومتها (ص ١١- ١٢).

---

(١) دمشق : مكتبة القدس ، (١٩٢٩). ٥٤ ص .

الباب السادس: فى رفض رياسة الدنيا. فالنفس تحب الرفعة والعلو على جنسها فتؤثر الإمارة والولاية لمكانة الأمر والنهى.

– ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع Motives خاصة الدافع إلى السلطة والتملك والسيطرة. (ص ١٣).

الباب السابع: فى دفع البخل. إن مجرد الإمساك للمال لا يسمى بخلا لأن الإنسان قد يمسك فاضل المال لحاجته ولحوادث دهره ولأجل عياله وأقاربه وهذا كله من باب الحزم فلا يذم وإنما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب.

الباب الثامن: فى النهى عن التبذير. فالتبذير مما يأمر به الهوى وينهى عنه العقل، قال تعالى : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً** ﴾ .

الباب التاسع : فى بيان مقدار الاكتساب والإنفاق. فينبغى لعاقل أن يكتسب أكثر مما يحتاج إليه ويقتنى ما يعلم أنه لو حدث به حادثة كان فى المقتنى عوض عما ذهب ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتنى بحاجته بقيه عمره وبوجه عام ينبغى أن تكون النفقة أقل من الكسب.

الباب العاشر: فى ذم الكذب، فهو من العوارض التى يدعو إليها الهوى. وعلاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لابد أن يطلع على حاله فينقص نقصا لا يتلافى فيربو حياؤه وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم إياه.

– ويرتبط هذا الباب بموضوع تغيير القيم والاتجاهات السلبية negative attitudes من خلال الإرشاد والتوجيه الديني Religious counseling (ص ١٦).

الباب الحادى عشر: فى دفع الحسد. الحسد تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها وسبب ذلك حب الميزة على الجنس وكراهته المساواة فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المسحود. والحسد يوجب طوال السهر وقلة الغذاء ورداءة اللون وفساد المزاج ودوام الكمد أو الحزن. ثم عرض المؤلف لبعض الأحاديث المتعلقة بذم الحسد.

– ويرتبط هذا الباب بانفعال الحسد، وتأثيره فى سلوك الحاسد (ص ١٧-١٩).

الباب الثانى عشر: فى دفع الحقد، والحقد هو بقاء أثر القبيح من المحقود. وعلاجه بالعفو والصفح، وأن يرى الإنسان الأشياء من المقدر.

– ويرتبط هذا الباب بانفعال الكراهية والغضب والحقد (ص ٢٠).

الباب الثالث عشر: فى دفع الغضب. وهو فى طبع الآمى ليحثه على دفع الأذى

عنه والانتقام من المؤذى له. والمذموم منه الإفراط فيه، قال رسول الله ﷺ: " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب".

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات **Emotions**، خاصة انفعال الغضب **Anger**، والأضرار المترتبة على الانفعالات (ص ٢١- ٢٣).

الباب الرابع عشر: فى دفع الكبر. وهو تعظيم شأن النفس واحتقار الغير. وعلاج ذلك نوعان: جملى وتفصيلى فأما الجملى فنوعان علمى (من خلال الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر) وعملى فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم. وأما التفصيلى فأن ينظر إلى رزائل النفس وأن يعلم، أن ما يتكبر به وإن كان مالا فهو مأخوذ منه عن قريب، وإن كان علما فقد سبقه خلق كثير أعلم منه.

- ويرتبط ذلك بموضوع العلاج النفسى- لمثل هذه الصفات السلبية، من خلال الإرشاد والتوجيه، أما من خلال الاقتداء **Modeling** بالنماذج الجيدة (ص ٢٣-٢٥).

الباب الخامس عشر: فى دفع العجب. العجب ينشأ من حب النفس، وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس وسؤال الغير عن قبائحها والنظر فى أحوال من سبقه.

- ويرتبط ذلك بموضوع حب النفس والزهو بها وهو يدخل فى موضوع الانفعالات (ص ٢٥).

الباب السادس عشر: فى دفع الرياء. يقع الرياء من قلة المعرفة بالله عز وجل، وعلاجه معرفة الله سبحانه فمن عرفه أفرد القصد له، وأقام نفسه فى مقام العابد الذليل للمعبود لا فى مقام معبود ممدوح.

- ويرتبط ذلك بموضوع سمات الشخصية السليمة (ص ٢٦).

الباب السابع عشر: فى دفع فضول الفكر. فالفكر يراد لاستدراك فارط والنظر فى مصلحة مستقبلة فإذا كان فيما لا يثمرهما كان ضررا وإذا كثر أنهك البدن.

الباب الثامن عشر: فى فضول الحزن، فالعاقل لا يخلو من الحزن لأنه يتفكر فى سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه.

- ويرتبط ذلك بموضوع الانفعالات خاصه الحزن (س ٢٩-٣٠).

الباب التاسع عشر: فى دفع فضول الغم والهم. الغم يكون للماضى، والهم للمستقبل، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفريطه، لأنه يثاب عليه، ومن اهتم بعمل الخير نفعته همته. فأما إذا اغتم للمفقود من الدنيا، فالمفقود لا يرجع والغم يؤذى، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى.

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية الانفعالات EMOTIONS وكيفية مواجهتها أو التغلب عليها.

الباب العشرون : فى دفع فضول الخوف والحذر من الموت . الخوف والحذر إنما هما للمستقبل ، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه ، ونفى فضول الخوف مما لابد منه . وتحدث المؤلف قائلا : إنه لاينبغى للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض .

– ويرتبط هذا الفصل أيضاً بموضوع الانفعالات (خاصة الخوف) وبموضوع قلق الموت (ص ٣٣-٣٧).

الباب الحادى والعشرون: فى دفع فضول الفرح، فإذا اشتد الفرح التهب الدم، وفى ذلك أضداد كثيرة.

فالفرح يجب أن يكون بمقدار ليعدل الحزن، والإفراط فيه دليل على الغفلة القوية.

– ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات (الفرح أو السرور) وخاصة ما يسمى بالحالة المتوسطة أو المثلى من الانفعال المؤدية إلى العمل والأداء الخلاق والمبدع (ص ٣٧-٣٨).

الباب الثانى والعشرون: فى دفع الكسل. الموجب للكسل حب الراحة وإيثار البطالة وصعوبة المشاق. وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد وبالوقوع فى عقاب اللوم أو بالحصول فى بيد التأسف.

الباب الثالث والعشرون: فى تعريف الرجل عيوب نفسه. فالنفس محبوبة وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب، وفى الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس فينزلها منزلة العدو فى المخالفة فيظهر له عيوبها، ومن لم يعرف عيوب نفسه فهو أحمق.

الباب الرابع والعشرون: فى تنبيه الهمة الدنيا. فإذا كانت الهمة الدنية مكتسبة بصحبة الأدنياء أو لغلبة الطبع والهوى فعلاجها يكون من خلال مقاطعة أهل الدناءة ومواصلة أرباب الهمم العالية ثم التفكر بالعواقب ومآل الدناءة ومصير أولى الجد والاجتهاد.

– ويرتبط هذا الباب بموضوع الاقتداء Modeling والعلاج من خلال الاقتداء بالنماذج (ص ٤١-٤٢).

الباب الخامس والعشرون: فى رياضة النفس. فالرياضة للنفس تكون بالتلطيف والتنقل من حال إلى حال ويعين على الرياضة صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار.

– ويرتبط هذا الباب بموضوع تعديل السلوك (ص ٤٣).

الباب السادس والعشرون: فى ذكر رياضة الأولاد. وفيه توجيه وحث على توجيه الآباء وإرضائهم لتعليم أولادهم الرياضة والمواظبة عليها.

– ويرتبط ما ورد فى هذا الباب بموضوع التنشئة الاجتماعية للأبناء فى المراحل العمرية المختلفة Socialization (ص ٤٥- ٤٧).

الباب السابع والعشرون: فى رياضة الزوجة ومداراتها. وفيه يقول المؤلف: إنـه مـن أصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التى لم تعرف سواه، وإنـه ينبغى علـى الرجـل ألا يمزح مع المرأة فتطمع فيه طمعا يخرجها عن طاعته وأن أكثر العـلاج فـى إصـلاح المـرأة منعها من محادثة جنسها.

- ويرتبط هذا الباب بموضوع التفاعل الاجتماعى Social interaction بـين الرجـل والمرأة، والحياة الزوجية (ص ٤٧- ٤٨).

الباب الثامن والعشرون: فى رياضة الأهل والممـاليك ومداراتهـم. فـالأهل إذا رأوك قد فقتهم بمال أو جاه حسدوك ومقاطعتهم محرمة فالمدارة لازمـة وذلـك بـالبر لهـم مـع كتمان بواطن الأحوال عنهم وأما المماليك فإنهم مـالكون علـى الحقيقـة لمـالكيهم، لأن المطاعم والمشارب إليهم فينبغى أن يتلطف بهم لئلا يحتالوا على قتله. ويتحدث المؤلـف بعد ذلك عنهم قائلا: إن من أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت خصوصـا إن كان حسن الصورة وفى البيت نسوة فإن الشر لا يؤمن. كذلـك مـن المخـاطرات تـرك الولد البالغ بين الجوارى.

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية مرحلة المراهقة Adelescence stage ومظاهرهـا. (ص ٤٩- ٥٠). وبالعلاقات الاجتماعية والأسرية.

الباب التاسع والعشرون: فى معاشرة الناس ومدارتهم نظرا لاختـلاف طبـاع النـاس وأحوالهم فإن مداراتهم تعتبر صعبة، لذا فالعزلة عنهم راحة عظيمـة. وإن ابتلـى العـالم بمخالطة العوام فينبغى أن يكون حذرا.

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية التفاعل بين الأفراد بوجه عام (ص ٥٠).

الباب الثلاثون: فى ذكر السيرة الكاملة. علامة الكامل تربية القدوة له من الطفولـة وإعطاؤه الرأى التام والعقل الوافر من الصغر كما قال الله تعالى: ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل** ﴾ .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس:-

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى.

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[1]
ذم الهوى

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

الكتاب يقع فى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ويضم الكتاب- بالإضافة إلى ترجمة المؤلف، وخطبته- خمسين بابا.

أما الباب الأول : ففى ذكر العقل ، وفضله، وماهيته حيث ينقل لنا ابن الجوزى عن آخرين بأن العقل ضرب من العلوم الضرورية أو هو غريزة يتأتى معها إدراك العلوم أو هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات. أما محله فقد اختلف البعض بين من يقولون محله القلب ومحله الدماغ.

ويرى أيضاً أن العقل يزين صاحبه ويزوده بالحجة الواضحة. وأن الله سبحانه وتعالى يميز بين الناس بالعقل وعدد لنا فوائده وثماره فقد دلنا العقل على وجود الله وأمر بطاعته وامتثال أمره. وأثبت معجزات الرسل، وقاوم الهوى، وحث على الفضائل ونهى عن الرذائل وغير ذلك.

ونلمح من هذا الحديث بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التى تهم الدارسين فى مجال علم النفس العام وهو "الذكاء الإنسانى" Human intelligence (ص ١٣: ١٧).

وأما الباب الثانى ففى ذم الهوى والشهوات، حيث سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه، ويدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر فى عاقبة، ويخرج صاحبه من دار العقل إلى دار الجنون، وعدد لنا سبعة أمور نأمن بها شر الهوى، وأيد ذلك بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية كثيرة، وأخبار أخرى علاوة على أشعار ذكرت فى ذم الهوى. ونلمح هنا الإشارة لأحد موضوعات علم النفس العام وهو "العواطف والانفعالات" (ص ١٨- ٣٥).

ويتحدث الباب الثالث عن مجاهدة النفس ومحاسبتها وتوبيخها، وهنا يؤكد ابن الجوزى على محاولة كبح جماح الشهوات، ومحاسبة النفس فى كل خطوة. ودلل على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال الفقهاء، والتى تدور كلها فى فلك وقاية النفس من اتباع الشهوات.

ولعل حديثه عن محاسبة النفس فى كل خطوة يعد سبقا لدراسة أحد الأبعاد التى

(١) صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا. ط ١ . بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ .

تدرس الآن فى إطار علم النفس المعرفى Cognitive psychology وهو بعد "الاندفاعية - التروى" Impulsivity- Reflectivity كأحد الأساليب المعرفية (ص ٣٦- ٤٧).

ويقدم لنا ابن الجوزى فى الباب الرابع علاج مخالفة النفس وترك هواها بالصبر والحث عليه وقسمه إلى قسمين: صبر عن المحبوب، وصبر على المكروه، كما عدد جزاء الصابرين. وهذا الموضوع يدخل ضمن موضوع سمات الشخصية وخاصة المثابرة Presistence (ص ٥٢-٥٥).

وتتحدث الأبواب من الخامس إلى العاشر بالترتيب عن: القلب وحراسته من التعرض للشواغل والفتن، وذلك بسد الطريق أمامه من خلال الحواس الخمس الموصلة إليه، وشغله بالتدبر فى الله وآياته، كما بين لنا أن القلب يصدأ من الذنوب. وعلاج هذا الصدأ هو تلاوة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع إلى الله، ومجالسة الصالحين، وتقليب القلوب والرغبة إلى الله تعالى فى إصلاحها وبصيرة القلب، ومحاولة تفريغ القلب من كل ما يلهى عن ذكر الله تعالى.

ونلمح هنا إشارة إلى دور الحواس فى استقبال التنبيهات وهو ما يدخل ضمن موضوع "الاحساس" Sensation كما نجد إشارة لموضوع الاسترخاء العضلى العميق، والذى يعد أحد تكنيكات العلاج السلوكى فى علم النفس الإكلينيكى (ص ٥٦-٥٩-٦٩-٧٢).

ثم ينتقل بنا المؤلف فى الأبواب من الحادى عشر- العشرين بالترتيب إلى غض البصر لأنه صاحب خبر القلب ينقل إليه خبر المبصرات، وينقش فيه صورها فيجول فيها الفكر، فيشغله بما أبصره، ثم يذم فضول النظر، ويحذر من شره حيث يصفه بأنه سهم مسموم يورث الشهوة فى القلب، وينهى نهيا شديداً عن النظر إلى الغلمان (المردان) وصحبتهم ومجالستهم ويعتبره أعظم أبواب الفتن حيث يعتبرهم أشد فتنة من العذارى.

ويقترب ذلك من الحديث عن موضوعات الإحساس والانتباه والإدراك فى علم النفس العام، كما يقترب موضوع التحذير من النظر إلى الغلمان من الحديث عن أحد موضوعات الطب النفسى وهو (اضطرابات الشخصية) وخاصة اضطراب "الجنسية المثلية" واللواط. (ص ٧٣- ٧٥- ، ٩٠ - ١٠٤).

ثم ينتقل بنا إلى الحديث عن إثم النظر وعقوبته فيؤكد أنه يذهب الحسنات ويروى لنا مواقف على من عاقب نفسه على النظر ففتق عينيه ودعا الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بصره خوف الفتنة ، ويرتبط هذا الموضوع بمفهوم الشعور بالذنب Guilt feeling فى علم النفس الاجتماعى (ص ١٠٥ - ١٠٨).

وعاد بنا ابن الجوزى فعدد لنا ثواب من غض بصره عن الحرام حيث وعده الله سبحانه وتعالى بالجنة وزاده الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه، وزاده فى حبه. وقدم علاجا للهم والفكر المتولد عن النظر بقطع أسبابه أى غض بصره، ومراقبة الله فى خطرات قلبه، وحينئذ يسهل علاج ما حدث فى القلب بتقليل الشهوة بقضاء أمره من حلاه. ونجد هنا بداية أولوية لأحد أساليب العلاج النفسى psycho- therapy (ص ١١٥-١١٩).

ويحذرنا ابن الجوزى فى الباب الحادى والعشرين من الخلوة بالأجنبية حتى ولو كان لتعليمها القرآن خشية الفتنة وانشغال القلب، كما يحذرنا فى الباب الذى يليه من فتنة النساء لأنهن مصيدة الشيطان ويؤكد حديثه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.

ثم يحدثنا فى الباب الثالث والعشرين عن التخويف من الفتن ومكايد الشيطان. ويروى عن رسول الله ﷺ بأن كل إنسان يلازمه شيطان يأمره بالمعاصى وعليه مقاومته، ويقترب هذا من الحديث عن الصراع النفسى، وضبط النفس، والسيطرة على أهوائها وشهواتها (ص ١٤٣ - ١٤٦).

كما يحذرنا فى الباب الرابع والعشرين من المعاصى وقبح أثرها، وذلك بهجر ما حرم الله علينا وأداء مافرضه علينا كما عدد ثواب من اتقى الله وأدى فرائضه واجتنب حرماته ويرتبط هذا الموضوع بأساليب الثواب والعقاب فى تعديل السلوك (ص ١٤٧-١٥٢).

ثم يقدم لنا بابا فى ذم الزنا باعتباره من أكبر الذنوب. وقدم تحذيرا لمن يرتكب هذا الذنب، ودلل على ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

ويستطرد ابن الجوزى فيقدم بابا فى التحذير من عمل قوم لوط ألا وهو مخالطة الرجال للرجال والنساء للنساء، وعدد عقابهم فى الدنيا والآخرة، ويرتبط هذا بموضوع اضطرابات الشخصية فى الطب النفسى (ص ١٦٢-١٦٦).

ثم حدثنا فى الباب السابع والعشرين وما يليه تفصيلا عن عقوبة اللوطى فى الدنيا والآخرة، وأما عن عقوبتهم فى الدنيا فهى الرجم بالحجارة والحرق ثم القتل علاوة على كفرهم. أما عن عقوبتهم فى الآخرة فهى جهنم وبئس المصير.

ثم يقدم لنا ابن الجوزى بابا فى التحذير من العقوبات فيعجل بها تارة وتتأخر تارة أخرى وأشد العقوبات سلب الإيمان والمعرفة وموت القلوب ومحو لذة المناجاة وقوة الحرص على الذنب ونسيان القرآن وإهمال الاستغفار، غالبا ما تعمى البصيرة، ويمكن الاستفادة من هذا الموضوع فى مجال الإرشاد النفسى وتعديل السلوك (١٦٩-١٧١).

ويستدرك ابن الجوزى فيقدم لنا بابا فى الحث على التوبة والاستغفار، ويسوق أدلة

من القرآن الكريم والحديث الشريف تؤكد على أن باب التوبة مفتوح لمن أراد. ويمكن الاستفادة من الموضوعين السابقين في عملية تغيير الاتجاهات Attitude change والسلوك (ص ١٧٢-١٧٥).

ثم يدعونا في الباب الحادى والثلاثين إلى الافتخار بالعفاف، وساق لنا مواقف تدل على العفة والترفع عما نهى الله واتباع أوامره. ويقابل هذا الموضوع ما نجده في الدراسات الحديثة عن التعلم عن طريق "النمذجة والمحاكاة"، أو التعلم بالعبرة (ص١٧٦- ١٩١).

كما يقدم بابا آخر في فضل من ذكر ربه فترك ذنبه حيث يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر ويحرمه على النار، ويدخله الجنة ويفرج كرباته.

ثم ينتقل بنا ابن الجوزى إلى الحديث عن الحث على النكاح فهو كما روى في الحديث أفضل لغض البصر وحفظ الفرج، ونجد في هذا الحديث أسلوبا عمليا ناجحا في السيطرة على الدافع الجنسى وخفض ما يرتبط به من قلق (ص ٢٢١- ٢٢٤).

كما يقدم لنا بابا في ذم من أفسدوا امرأة على زوجها حيث وعدهم الله بأشد العذاب، ويرتبط هذا الموضوع بالقيم والتصورات الأخلاقية في علم النفس الاجتماعى (ص ٢٢٥- ٢٢٧).

ثم ينتقل أيضاً إلى الحديث في الأبواب من الخامس والثلاثين إلى التاسع والثلاثين إلى الحديث عن : العشق.

ويذكر لنا بداية ماهية العشق وحقيقته حيث اختلف كلام الناس فيه، والرأى الغالب أنه شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوى فكرها فيها تصورت حصولها وتمنت ذلك، فيتجدد من شدة الفكر مرض، ويرتبط هذا التعريف بأحد موضوعات علم النفس العام، وهو انفعال الحب وما يرتبط به من صور عقلية وخيال (ص ٢٢٨- ٢٢٩).

وللعشق مراتب تبدأ بالاستحسان للشخص، ثم يجلب إرادة القرب منه، ثم المودة، ثم يقوى الود فيصبح محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى من غير تمالك، ثم يصير عشقا، ثم يصير تتيما، ويميز بين الحب والعشق. ويعتبر هذا بداية لموضوع العواطف في علم النفس العام وكذلك موضوع الانفعالات (ص ٢٣٠ - ٢٣٢).

أما عن أسباب العشق فمنها مصادفة النفس ما يلائم طبعها، فتستحسنه، وتميل إليه ومنها أيضاً سماع الغزل والغناء، ويتأكد العشق بإدمان النظر وكثرة اللقاء وطول الحديث.

ويرتبط هذا بموضوع الانفعالات والدوافع في علم النفس العام (ص ٢٣٣-٢٤٠).

وقد اختلف الناس فى العشق أيضاً، هل هو ممدوح أو مذمـوم؟ والرأى الغـالب أنـه مذموم، وذلك بتأمل عواقبه، فهـو يضعف القلـب ويعترى النفـوس العاطلـة والقلـوب الفارغة، وإذا كان مراد النفـس الشـهوانية اللـذة فهـى أيضـاً مذمومـة بمـا يزيـد فـى ذم العشق. وذكر أيضاً أن العشاق قـد جـاوزوا حـد البهـائم فـى عـدم ملكـة النفـس فـى الانقياد إلى الشهوات.

ويرتبط هذا بموضوع الدافع الجنسـى كدافـع أولى (ص ٢٤١-٢٤٣). كمـا ذكـر أيضاً أن العشق ضررا فى الدين والدنيا، فأما فى الدين فإنه يشغل القلب عن الفكر فيما خلق له، وبالتالى فهو يخسر آخرته، فكلما قرب من هواه بعد عن مولاه. وأما عن ضرر العشق فى الدنيا فإنه يورث الهم والفكر، والوسواس والأرق وقلة المطعم وكثرة السهر، وتنشأ الصفرة فى البدن، والرعدة فى الأطراف، واللجلجـة فـى اللسـان، والتحـول فـى الجسـد، وتعطيـل الـرأى وغيـاب القلـب وتتـابع الحسـرات، وربمـا يـودى بصاحبـه إلى الجنون. ويرتبط هذا بموضـوع الاضطرابـات النفسـية فـى الطـب النفسـى (ص ٢٤٤-٢٤٨).

ثم ينتقل بنا المؤلف إلى ذكر ثواب من عشق وعف وكتم. فقد أكد رسولنا الكريـم فى أكثر من موضوع على أن ثوابه الشهادة.

ثم عاد ابن الجوزى ففصل فى ذكر الآفات التى تصيـب العاشـق فقـال: إنـه يـورث السل والخرس والأرق والوسوسة وتحول الجسم والشلل وخراب الديار والجنـون وسـاق لنا مواقف عددية تشهد على ذلك. وكمـا سـبق يرتبـط هـذا الموضـوع بالاضطرابـات النفسية وأعراضها فى الطب النفسى المعاصر (ص ٢٥٩-٢٧٦).

كما ذكر لنا أيضاً بعض الحيـل والمخـاطرات بـالنفوس وإلقائهـا فـى الهـلاك لأجـل المحبوب فمن العشاق من فسدت حيلته فى الوصـول إلى معشـوقته فعقـل، ومنهـم مـن ألقى بنفسه من مكان مرتفع فمات، ومنهم من أدمن الخمـر حتـى مـات. ويعتبر هـذا الموضوع على صلة بموضـوع "الانتحـار" والـذى يعـد أحـد اضطرابـات الشـخصية فـى الطب النفسى (ص ٢٧-٢٩٣).

وهناك أيضاً من ضربت به الأمثال فى العشق، وقال الشعر وقيلت فيه الأشعار، ومن أشهرهم: مجنـون ليلـى، وعـروة بـن حـزام، والعبـاس بـن الأحنـف، وذو الرمـة، وتوبـة الخفاجى جميل بثينة. ويرتبط هـذا أيضـاً بموضـوع الانفعـالات فـى علـم النفـس العـام وكذلك الإبداع فى الشعر (ص ٢٩٤-٣٠٦).

ثم ينتقل بنا ابن الجوزى إلى الحديث عن من حمله العشق على الزنا بمحارمه، ويروى لنا مواقف لأم هامت حبا بابنها أنجبت منه حراما بحيلة أو من عشق أخته فتزوجها.

ثم يستطرد أيضاً فيروى لنا مواقف لمن كفر بسبب العشق، فمنهم من تنصر وبرىء من الإسلام حتى يحظى بمعشوقته.

ويورد أيضاً فى أمر من حمله العشق على قتل الناس حتى يصل إلى معشوقته، انتقاما أو غيرة عليها.

ومنهم من قتل معشوقته انتقاما ممن تزوجها، أو قتلها بسبب عشقها لآخر، أو قتلها بسبب إفراطه فى الشراب، أو قتلها شكا فى علاقة بينها وبين جاريتها، وعدد لنا ابن الجوزى مواقف تشهد على ذلك.

كما يروى لنا أخبار من قتل من العشاق بسبب العشق فمنهم من قتلته زوجته، ومنهم من قتل رجلا عشق زوجته.

واستطرد فروى لنا عمن مات بسبب العشق، فمنهم من اصفر لونه ونحل جسمه وامتنع عن الطعام والشراب حتى مات حزنا على فراق معشوقته. ومنهم من مات لشدة شجنه على محبوبته حتى لو عادت إليه. وربما يموت من شدة الفرح بلقاء معشوقته. ويصف لنا مواقف وصلت إلى حد قطع أجزاء من جسد العاشق فلا يحس بالألم ما دام يسمع حديث معشوقته. وكلها مواقف تدل على علة أصابته من جراء حبه وعشقه.

ووصل الأمر ببعض العشاق على قتل أنفسهم بسبب عشقهم. ويرتبط هذا بموضوع الاضطرابات النفسية فى الطب النفسى كما يرتبط بموضوع شدة الانفعالات فى علم النفس العام (ص ٣٤٩-٤٣٦).

ثم يقدم لنا ابن الجوزى ما ذكر فى أدوية العشق، وذلك بعد أن عرفنا أسباب المرض. فيكرر لنا بداية أن أمراض العشق تختلف، ولذلك يختلف علاجها. وعلاج من فى بداية المرض ليست كعلاج من انتهى به المرض نهايته، لأنه إذا بلغ المضر غايته أحدث الجنون والذهول، وتلك حالة لا تقبل العلاج، والحالة الأخيرة يمكن التغلب عليها بتحذير الشخص من الأسباب التى تزيده قوة.

ومن الأسباب التى تضعف العشق وتوهنه طول النظر إلى المعشوق فتزول التخيل والتوهم فيبرد قلب المحب لزوال التوهم؛ وربما يؤدى تكرار النظر إلى عكس ذلك وهذا هو العشق المتمكن.

ومن علاجات العشق أيضاً غض البصر والتحذير من شره، والعزم القوى على البعد عن المحبوب وتوطين النفس على اليأس منه، والنظر فيما تقدم من ذم الهوى. وأهم شىء التحلى بالحياء والتفكر فى آيات الله وعقابه حين العرض عليه، وتذكر النار وتصور نفاذ اللذة وبقاء العار والعذاب.

أما علاج القلق الناجم عن الهجر ، فباللجوء إلى الله سبحانه وتعالى فى تسهيله، وليعامله بالصبر على ما نهى عنه فربما عجل الله له مراده. وساق لنا ابن الجوزى مواقف لجماعة حصلوا على مرادهم فتزوجوا النساء المحبوبات وملكوا الجوارى، وذلك بالصبر والصلاة والخضوع إلى الله سبحانه وتعالى.

وقدم علاجا لمن عشق ولا سبيل إلى تحصيله كذات الزوج والمحرمات، والعلاج يكون بالعزم الجازم على هجر المحبوب، واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى والإكثار من الدعاء ثم التعالج فإن الأسباب لا تنافى التوكل والدعاء.

كما قدم علاجا للجوانب الظاهرة:

مثلا : تحول الجسد يكون باستعمال المرطبات كشم البنفسج ودخول الحمام للاستحمام والنوم الطويل والتغذى بالأغذية الرطبة والنظر إلى الماء الصافى والتحدث بالنوادر المضحكة.

ومن ذلك أيضاً البعد عن ما يشغل القلب بالعمل والصناعة. وأيضاً باستعراض النساء للتزويج والجوارى للتسرى. وكذلك يكون العلاج بعيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور، والنظر إلى الموتى، والتفكير فى الموت وما بعده، ومجالسة الزهاد وسماع أخبار الصالحين والمواعظ.

أما عن معالجة الباطن: فيكون بقوة العزم على قهر الهوى واليأس والهمة الأبية وأن يعلم أن زوجته المحبوبة إن مات عنها مالت إلى غيره ونسيته أسرع شيء لأنه لا وفاء للنساء.

ومن الممكن أن تكون مخالطة المعشوق والوقوف على عيوبه الآدمية أيضاً علاج.

ومما يداوى به الباطن تصوير فقد المحبوب، إما بموته أو بفراق يحدث عن غير اختيار، وأن يعلم أن الابتلاء والصبر عليه خير، وأن يتحلى بصفات أرباب الفطنة وأن يعشق الفضائل.

ومن أدوية النفس أيضاً أنفة النفس الأبية أن تكون مقهورة.

ومن أدوية الباطن أيضاً إعمال الفكر فى قبح هذا الحال والإصغاء إلى سماع العظة من واعظ القلب. وأخيرا فالصبر خير علاج.

وفى النهاية يحدثنا ابن الجوزى فى الباب الخمسين عن وصايا ومواعظ وزواجر. وتتلخص فى: أن يعلم الفرد أن من زرع شرا فيوشك أن يحصد ندامة. وأن يجعل الدنيا كصيام يوم عن الشهوات، وأن يعلم أن رأس ماله قلبه ووقته فمن خسرهما خسر رأس ماله، وأن يعلم تمام العلم أن الله ساخط على المعصية والغفلة، وأن يعلم أن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام.

ويعتبر هـذا الحديـث إشـارة واضحـة لبعـض أنمـاط العلاجـات النفسـية المختلفـة، وبخاصة: العلاج بالعمل، العلاج الاجتماعى، العلاج عن طريق التعلـم بـالعبرة، العـلاج الدينى فى إطار الطب النفسى وعلم النفس الإكلينكى (ص ٤٣٧ - ٥٠٠).

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[1]
الأذكياء

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

الكتاب يقع فى ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط، ويضم الكتاب بالإضافة إلى ترجمة المؤلف ومؤلفاته، ثلاثة وثلاثين بابا.

والباب الأول، فى فضل العقل وفيه أوضح المؤلف قيمة العقل مدللا بالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية وأن العقل يلى الإيمان فى المرتبة فبه لا يستطيع الشيطان أن يكابد المؤمن العاقل، وأن المؤمن يتلذذ فى الجنة بقدر عقله.

أما الباب الثانى بعنوان ماهية العقل ومحله، حيث يروى لنا المؤلف عن آخرين أنه نور، وأنه قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات، أو أنه نوع من العلوم الضرورية، وفى سياق آخر قيل إنه غريزة أو إنه لب اغتنم بالتجريب، وأما اشتقاق الاسم فأصله من الامتناع يقال عقلت الناقة إذا منعتها من السير وقيل محل العقل الدماغ. ولعل التعريفات التى وردت للعقل تعد سبقا لدراسة أهم الموضوعات التى تدرس الآن فى إطار علم النفس العام وهو موضوع "سيكولوجية التفكير" و"الذكاء الإنسانى" أما الحديث عن محل العقل فيعد سبقا حقيقيا لما يدرس الآن فى إطار أحد فروع علم النفس الأساسية وهو علم النفس الفسيولوجى (ص ٢٩-٣١).

وموضوع الباب الثالث عن معنى الذهن والفهم والذكاء حيث يرى أن الذهن قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة المستعدة لاكتساب الآراء، والفهم جودة تتهيأ لهذه القوة وهو العلم بمعنى القول عند سماعه، أما الذكاء فهو جودة حدس من هذه القوة تقع فى زمن قصير جدا، وقال البعض حد الذكاء سرعة الفهم وحدته، وذكر أن الذكاء فى اللغة هو تمام الشيء وبذلك يكون الذكاء فى الفهم هو أن يكون فهما تاما سريع القبول. ونلمح أيضاً فى هذا الموضوع بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التى تهم الدارسين فى مجال علم النفس المعرفي وعلم النفس العام والقياس النفسى وهو "الذكاء وماهيته" (ص ٣٢-٣٣).

وينتقل بنا ابن الجوزى ليحدثنا فى الموضوع الرابع عن العلامات التى يستدل بها

(١) حققه وقدم له أسامه عبد الكريم الرفاعى. دمشق: مكتبة الغزالى؛ بيروت: مؤسسة مناهل العرفان، ١٩٨٥.

على عقل العقلاء وذكاء الأذكياء، ويقسمها إلى قسمين، أحدهما من حيث الصورة، والثانى من حيث المعنى والأحوال والأفعال. أما القسم الأول فيرى أن الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة، ومن ناحية الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأحوال فيذكر أنه بالسكون والسكوت وخفض البصر والحركات اللائقة ومراقبة العواقب والخوف من الضرر. ونلمح أيضاً فى هذا الموضع بداية لأحد النقاط الفرعية لأحد الموضوعات التى تدرس فى إطار علم النفس العام وهو "خصائص السلوك الذكى" ويمكن أن يستفيد بها الدارس فى مجال علم النفس الإكلينكى عند تعرضه لدراسة القدرات العقلية (ص ٣٤-٣٥).

أما الموضوع الخامس فيبدأ المؤلف فى ذكر مواقف للأنبياء المتقدمين مما يدل على الفطنة والذكاء أمثال إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام، وكلها مواقف تدل على الردود الصائبة وحل المشكلات بمقدرة فائقة، وبأفكار تتميز بالندرة والطرافة.

وهنا نلمح إشارة مبدئية إلى أحد الموضوعات التى تدرس فى إطار علم النفس الاجتماعى والمعرفى وهو سيكولوجية الإبداع وخاصة أحد جوانب السلوك الإبداعى، وهو الأصالة Originality وتعنى أن يأتى الفرد بأفكار تتميز بالجدة والندرة والطرافة (ص٣٦-٣٧).

وينقل لنا ابن الجوزى فى الموضع السادس ما نقل فى وصف السلوك الذكى عن الأمم السابقة، وكلها قصص نخرج منها بأن أصحابها يتميزون بالحكمة والحنكة وتدبر الأمور.

وينقل لنا ابن الجوزى فى الموضوع السابع عن ما نُقل عن نبينا ﷺ من مواقف تدل على القدرة على الاستدلال والتجريد وحل المشكلات بمهارة فائقة. ثم ينتقل بنا الموضوع الثامن إلى ما نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، ومنها مواقف تدل على حسن التصرف فى الأمور والحيل الذكية، والذكاء الواضح والفراسة والطلاقة فى التعبير وحل المشكلات بمهارة فائقة علاوة على الخدع الذكية أثناء الحروب، ويدلل على ذلك بمواقف وأحاديث شريفة تعرض لها الصحابة الذين ورد ذكرهم.

ثم ينقل أيضاً عن الخلفاء رضى الله عنهم، حيث يروى لنا مواقف تدل على الفطنة والقدرة على تجنب الوقوع فى الخطأ، وتدبر الأمور بكفاءة عالية، وبقدرة فائقة على حل المشكلات، كما يذكر مواقف تدل على حسن الحيلة، والقدرة على الاستدلال.

ونخرج من كل هذه المواقف التى ذكرت من الباب السادس إلى التاسع بوصف للسلوك الذكى وجوانب للعمليات العقلية مما يصلح مرجعا يهم الدراسين فى مجال

القياس النفسي، وخاصة عند البحث عن مواقف تساعد فى تصميم مقاييس للذكاء كما يفيد أيضاً الدارسين فى مجال علم النفس العام وخاصة فى موضوعى الذكاء Intelligence والشخصية الإنسانية Human personality (ص ٣٨-٤٢).

واستكمالا للحديث السابق يحدثنا فى الموضوعات من العاشر إلى الثالث عشر فيما نقل عن الوزراء والسلاطين والأمراء، والحجاب والشرطة، والقضاة حيث يروى لنا مواقف لهؤلاء تدل على المهارة فى كشف المجرمين، والقدرة على الاستدلال لمعرفة الجانى، وكيفية الخلاص من المعتدين، والمقدرة الفائقة على سبر أغوار الآخرين ومعرفة ما بداخلهم من خلال استبطانهم، وحل المشكلات أيضاً والقدرة على التجريد من خلال المحاكاة، والقدرة على الفهم، وإجراء ملاحظات دقيقة والحيلة الذكية وسرعة البديهة. وهذه الموضوعات فى مجملها تدخل أيضاً فى إطار موضوع الذكاء فى علم النفس العام. كما تعد مرجعا فى أحد فروع علم النفس التطبيقية وهو علم النفس الجنائى Criminal psychology (ص ٧٠-٩٨).

ويستمر ابن الجوزى فى ذكر مواقف لعلماء الأمة وفقهائها فى الموضوع الثالث عشر، كل هذه المواقف تؤكد أيضاً على الأفكاء المبدعة لهؤلاء العلماء، حيث نجد فى مواقفهم الأفكار الأصيلة التى تتميز بالندرة والطرافة، والطلاقة فى التعبير، كما نجد اللغة الحاضرة أيضاً والمهارة فى حل المشكلات، والخطوات المتبعة فى حلها.

ويعد أيضاً هذا الموضوع سبقا لدراسة التفكير التغييرى أو العملية الإبداعية Divergent Thinking or Creative process (ص ٩٩-١١٣).

ويستمر ابن الجوزى أيضاً فى سرد مواقف لعلماء العربية من خلال الموضوع الخامس عشر كما سرد لنا موقفين للزهاد فى الفصل الذى يسبقه حيث تتميز مواقفهم بالطلاقة اللغوية والاستدلال للوصول إلى الحقيقة، والمهارة فى استخدام الألفاظ والدهاء والقدرة على حل المشكلات وحل الألغاز، والقدرة على فهم المفردات، وحسن الردود والسرعة فى الإجابة والمرونة العقلية عند حل بعض الألغاز. ونلمح فى هذا الفصل إشارة إلى اعتباره مرجعا فى أحد موضوعات سيكولوجية اللغة وهو "اللغة والمعنى" كما يعد مرجعا فى سيكولوجية الإبداع والقياس النفسى حيث يعد بداية لسرد جوانب السلوك الذكى بشقيه التقريرى Convergent والتغييرى Divergent مما يساعد الدارسين فى تصميم مقاييس لهذا الغرض.

ثم ينتقل بنا إلى ذكر بعض الحيل الذكية لبلوغ الأهداف من خلال الموضوع السادس عشر (ص ١١٥-١٢٤). ومن أهم المواقف التى ذكرها قدرة الشخص على الإيحاء للآخرين بتخيل مواقف معينة لبلوغ هدف معين، ويعد هذا الموضوع أحد

موضوعات علم النفس الحديث داخل ما يسمى بسمات الشخصية خاصة ما يعرف بالقابلية للإيحاء Suggestibility (ص ١٢٥-١٣٨)٠

أما موضوعى الباب السابع عشر والثامن عشر فيركزان أيضاً على ذكر مواقف تدل على فطنة وذكاء واضح للتغلب على موقف معين، أو الهروب منه والمدقق فى هذه المواقف يخرج بأفكار مبدعة وأصيلة، وتدل على استبصار واضح بالمشكلات مما يعد مرجعا فى سيكولوجية الإبداع (ص ١٣٩-١٥٦)٠

ونجد فى الموضوع التاسع عشر إشارة واضحة إلى المهارة فى استخدام الألفاظ فى مواضع مختلفة وإلى طلاقة لفظية وتعبيرية، وأفكار تتميز بالندرة (ص ١٥٧-١٦٢)٠

كما يشير الموضوع العشرون إلى الانتصار على الخصم بالمناظرة بالجواب المسكت حيث نرى مواقف كلها تدل على حسن الردود والرأى الصائب وسرعة البديهة وحضورها، والإجابات الجادة والطريفة فى نفس الوقت٠ ويعد هذان الموضوعان مرجعا فى وصف جوانب العملية الإبداعية أيضاً (ص ١٦٣-١٧٢)٠

ونخرج من خلال الفصلين الحادى والعشرين والثانى والعشرين بمواقف تدل على غلبة العوام بذكائهم كبار الرؤساء، وأيضاً أفعال صدرت من أوساط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء ونلمح من خلالها إشارة إلى وصف آخر مماثل لجوانب العملية الإبداعية من طلاقة تعبيرية وطلاقة تفكيرية ومرونة تلقائية، وفراسة، ومهارة فى تفسير الرؤى وفطنة وجودة خاطر، ولباقة فى الرد وسرعة فيه مما يعد أيضاً وصفا لجوانب العملية الإبداعية (ص ١٧٣-١٨٦)٠

ثم ينتقل بنا المؤلف من خلال الفصل الثالث والعشرين إلى سرد عدد من طرائف الأذكياء، وكلها تدل على حسن الحيلة خشية الوقوع فى مأزق٠

ومن خلال الفصل الرابع والعشرين نلمح إشارة إلى المهارة اللغوية وحسن استخدام الألفاظ من جانب الشعراء والمداحين مما يعد مرجعا فى أحد موضوعات علم النفس الحديث "وهو علم نفس اللغة" ومادة خصبة لدراسة الإبداع فى الشعر (ص ١٩٠-١٩٥)٠

أما الموضوع الخامس والعشرون فيتحدث عن حيل المحاربين، وخططهم للوقيعة بين الأعداء وحيلهم لبث الرعب فيهم وبعض الحيل للقصاص من الأعداء، وذكاء القادة وفطنتهم٠ وللمدقق فى هذه المواقف أن يجد مادة يستفيد منها من خلال دراسته لأحد فروع علم النفس التطبيقية وهو علم النفس الحربى (ص ١٩٦-٢١٧)٠

أما الفصل السادس والعشرون فيتحدث عن فطن المتطببين ، فنجد فطنة الأطباء وحسن تصرفهم فى الأمور عند علاج المرضى ووصف العلاج، كما نلمح بداية لعلاج أحد الأمراض النفسية "وهو الهستريا التحولية" مما يعد مرجعا فى الطب النفسى

المعاصر، وعلم النفس الإكلينيكى (ص ٢٠٨-٢١٧).

ويتحدث الموضوع السابع والعشرون وما يليه عن فطن المتطفلين والمتلصصين، وكلها مواقف تدور حول ذكاء البعض منهم وحسن حيلهم لبلوغ الهدف وحسن التصرف، وكيفية التخلص من المواقف المحرجة، وإشباع الرغبات، وإحتيال اللصوص على بعضهم البعض، ووضع الخطط المحكمة التى تدل على الذكاء والفطنة.

ويدور الموضوع التاسع والعشرون حول فطن الصبيان فيتحدث عن فراستهم وجرأتهم وسرعتهم فى الرد وحسن استخدامهم للألفاظ، وحضور البديهة، وحسن إدراكهم للأمور.

ثم يتحدث المؤلف أيضاً فى الموضوع الثلاثين عن فطن عقلاء المجانين ويذكر مواقف تدل على قدرتهم على الإجابات المقنعة وحسن الردود، وبعض الحيل الطريفة التى تدل على قدر من الحكمة والذكاء. ويرتبط هذا بموضوع العبقرية والجنون والذى يعتبر أحد موضوعات علم النفس الحديث (ص ٢٤٧-٢٥٠).

كما يتحدث الموضوع الحادى والثلاثون عن أخبار النساء المتفطنات، وتدل مواقفهن على مقدرتهن على الاستدلال وحسن التصرف فى الأمور، وحسن استخدام الألفاظ وحضور البديهة، والحيلة لبلوغ هدف معين، وحسن تفسيرهن للمشكلات، ويذكر لنا مواقف كثيرة تؤكد هذه الجوانب، وكل هذه المواقف تصف جوانب السلوك الذكى والتفكير المبدع بما يعد بحق مرجعا فى علم النفس العام وسيكولوجية الإبداع (ص ٢٥١-٢٧٧).

أما الموضوعان الأخيران فيتحدثان عن ما ذكر على لسان الحيوان مما يدل على الذكاء، ويعدد المؤلف مواقف تدل على ذكاء القرد والكلب والفأر والدب والسمك والهدهد والعصافير والثعلب والظبى والنسر والعقاب. ومن المواقف التى تدل على ذكاء الكلب على سبيل المثال تفانيه فى خدمة صاحبه ومحاولته الثأر له. وكذلك روى لنا حكاية الفأرة التى حاولت إنقاذ فأرة أخرى.

ويرتبط هذا الحديث بأحد فروع علم النفس الحديث وهو علم نفس الحيوان Animal psychology حتى أن ثورانديك أحد أعلام علم النفس الحديث له كتاب بعنوان Animal intelligence (ص ٢٧٨ - ٢٩٥).

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى علم النفس العام.

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[١]

بر الوالدين

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

المقدمة: وهو بعنوان: حرص القرآن والسنة على تأكيد بر الوالدين. وتتضمن الحديث عن الزواج والحث عليه فهو السكن النفسى والهدوء واستجماع الشتات، وإسكان صرخات الجسد على صورة مطمئنة لا يزعجها الخوف. ثم عرض لصلة الرحم، فالمودة والرحمة بين الزوجين من مقاصد الزواج الرئيسية، ومن الرحمة تكون الرحم وهى القرابة فى الآباء والأمهات. وقطيعة صلة الرحم معصية كبيرة حيث قال رسول الله ﷺ : "لا يدخل الجنة قاطع رحم". كما شملت المقدمة الحديث عن حقوق الوالدين وبرهما، فإذا تأكد حق القرابة والرحم، فأخص الأرحام وأمسها الولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيها. فطاعة الوالدين من أوجب الواجبات وأفضل القربات وعقوقهما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب . كما تناولت المقدمة : حقوق الأبناء على الآباء فقد حرص الإسلام على ألا يتسبب الآباء فيما يعكر صفو الحب والبر من الوالد لأبيه ، فحد حدودا تضمن صفاء الحب والود بين الأصل وفروعه .

فهناك واجب على الوالدين يتمثل فى الرعاية ، والتربية الدينية ، وتهيئة الولد لاستقبال الحياة ، والعدل بين أخوته . ويتضمن هذا الكتاب الموضوعات التالية:-

ذكر المعقول فى بر الوالدين وصلة الرحم: فمن الأمور التى يدركها كل عاقل أنه لا منعم بعد الحق عز وجل على الإنسان كالوالدين، فقد تحملا الكثير فى تربية الأبناء. وأنه مهما بذل الأبناء فى بر الوالدين فلن يفوا بشكرهما.

ويرتبط ذلك مباشرة بمفهوم التربية وعمليات التنشئة الاجتماعية للأبناء Socialization وقيمة الاعتراف بحقوق الوالدين؛ وهى من القيم الأخلاقية المهمة Moral values فى تنشئة الأبناء (ص ٢٧-٢٨).

ذكر ما أمر الله به من بر الوالدين وصلة الرحم: قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ فقد جعل الله سبحانه وتعالى بعد عبادته مباشرة الإحسان والبر بالوالدين. مما يدل على عظمة قدرهما. فيجب على الأبناء احترام الآباء والتحدث معهم بلطف وحسن. ومن بيان حق الوالدين أيضاً قوله تعالى: ﴿ **أن اشكر**

---

(١) تحقيق محمد عبد القادر عطا- ط ١، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٨ ، ١٠٤ ص .

لى ولوالديك ﴾. فقد قرن سبحانه وتعالى شكره بشكرهما.

ويقترب هذا الموضوع من بعض المفاهيم السيكولوجية مثل: التفاعل الاجتماعى Social interaction ، والتخاطب اللفظى وغير اللفظى Verbal & non verbal communication بين الآباء والأبناء. والقواعد التى يجب على الأبناء اتباعها فى ذلك، فالتخاطب اللفظى يقترب من قوله سبحانه وتعالى ﴿ **ولا تنهرهما** ﴾ ، وكذلك قوله ﴿**وقل لهم قولا كريما** ﴾. أما التخاطب غير اللفظى فيقترب من قوله تعالى ﴿ **فلا تقل لهما أف** ﴾ (ص ٢٩-٣٠).

هذا فيما يتعلق بذكر ما أمر به الله من بر الوالدين وصلة الرحم. أما ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين، فنعرض له على النحو الآتى:-

ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين: ويندرج تحت هذا العنوان عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، التى تحث على طاعة الوالدين، وعدم معصيتهما، والبر بهما. وهناك من الأحاديث ما يشير إلى تقديم بر الوالدين على الجهاد والهجرة، وأن أحب الأعمال إلى الله بر الوالدين. ومن ثمرات البر على المرء أنه يطيل العمر، حيث قال رسول الله ﷺ "من بر والديه طوبى له وزاد الله فى عمره"، كما قال ﷺ " من أحب أن يمد الله فى عمره؛ ويزيد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه".

- أما عن كيفية بر الوالدين: فيكون بطاعتهما فيما يأمران به ما لم يكن بمحظور، وتقديم أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنفاق عليهما، والمبالغة فى خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع صوته، ولا يحدق إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما.

- تقديم الأم فى البر : فهناك من الأحاديث النبوية الشريقة ما يشير إلى وجوب تقديم الأم فى البر، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رجل " يارسول الله، أى الناس أحق منى بحسن الصحبة؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال" أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك.

- ما يجزى به الولد والديه: حيث قال رسول الله ﷺ " لا يجزى ولد والديه إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما ".

- ثواب بر الوالدين: حيث عرض المؤلف لمجموعة من الأحاديث النبوية التى تشير إلى أن ثواب بر الوالدين دخول الجنة والمتاع بنعيمها.

- من كان يبالغ فى بر الوالدين: فهناك من الأحاديث والأقوال التى تؤكد الحرص على معاملة الوالدين بأرق وأفضل ما يمكن، سواء عند الحديث معهم، أو تناول الطعام،

أو المشى معهم، أو عند التحية، أو عند النوم ...... الخ.

- إثم عقوق الوالدين: تشير الأحاديث فى ذلك إلى عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، فلا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا من يكذب بالقدر ...، وقال رسول الله ﷺ : " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى". كما قال رسول الله ﷺ : " كل الذنوب يؤخر منها ما شاء الله إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجله لصاحبه فى الحياة الدنيا"

ويستدل من ذلك أن العاق لوالديه يعاقبه الله سبحانه وتعالى فى دنياه وآخرته. ونصح بعض الحكماء بعدم إقامة علاقات صداقة مع العاقين للوالدين.

- أما شؤم العاق لوالديه: فيتمثل فى عدم رضا الله سبحانه وتعالى عليه، وكذلك فى غضب الوالدين منه.

أما كيفية العقوق فتتضمن عددا من العلامات والإرشادات منها مثلا:

المشى بين يدى الأب، دفع يد الأب عند ضرب الابن، شدة النظر إليهما، وإيجاب الحجة على الوالدين عقوق، وعدم طاعتهما.

- أما إجابة دعوة الوالدين على الولد: فهذا صحيح كما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة، حيث قال رسول الله ﷺ : " ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهم : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولدهما".

- ثم الحديث بعد ذلك حول من تبرأ من والديه أو ولده: وتشير مضامين الأحاديث النبوية الشريفة فى ذلك إلى أن من تبرأ من والديه لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه. أما إثم من تسبب فى شتم الأبوين، فهو من أكبر الكبائر. وعن صلة الوالدين بعد موتهما، تشير الأحاديث إلا أن من الضرورى أن يدعو الابن لوالديه بعد موتهما، فقد نصح الرسول ﷺ بالدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم ... كما قال رسول الله ﷺ " هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم، وأن الله يدخل على أهل القبور من أهل الدور مثل الجبال".

- ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن ضرورة صلة أقارب الوالدين وأصدقائهما بعد موتهما وذلك فى ضوء ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك زيارة قبور الوالدين بعد موتهما وقراءة القرآن لهما. ثم عرض بعد ذلك لثواب صلة الرحم وعقوبة قطعه. فالرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم كم قال "أبو أوفى"، وكما قال رسول الله ﷺ : من أحب أن يمد الله فى عمره، ويزاد له فى رزقه، فليتق الله وليصل رحمه".

ويرتبط هذا الموضوع (ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين) بعدد من المفاهيم

والموضوعات فى مجال علم النفس:

١- التخاطب اللفظى Verbal & non verbal communication فالإشارة إلى التخاطب اللفظى واضحة فى الأحاديث التى تناولت طريقة وأسلوب الحديث والكلام مع الوالدين. (ص ٣١-٨٨).

أما التخاطب غير اللفظى فيتمثل فى أسلوب التعامل مع الوالدين، سواء فى شكل النظرة إليهما مثلا يعتبر من العقوق، كما يجب أن لا يحدق إليهما.

٢- المسافة الاجتماعية Social distance فهناك كما أوضحت الأحاديث النبوية الشريفة عدد من العلامات التى يستوجب على الأبناء اتباعها، منها ما يتعلق بالمشى مع الوالدين، فيجب ألا تمشى ين يدى الأب، ولكن خلفه أو عن يمينه ... الخ (ص٣١-٨٨).

٣- القيم الأخلاقية Moral values وهى الطاعة، واحترام الوالدين، والصداقة. فهناك مثلا إشارة إلى عدم تكوين صداقة مع العاقين لوالديهم (ص ٣١-٨٨).

أوجه الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس:

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال على النفس الاجتماعى.

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) [1]
روح الأرواح

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالكتاب :

ويتضمن ثمانية عشر فصلا نعرض لها على النحو التالى : –

الفصل الأول : ويتوجه فيه المؤلف بالحمد والشكر إلى الله عز وجل ، وعن قدرته وحكمته وعظمته وما إلى ذلك من الصفات . كما أن به إشارة لأهمية الدعاء إلى الله عز وجل والتوجه أليه فى كل شىء .

الفصل الثانى : ويتحدث فيه المؤلف عن أولياء الله الذين عرفوه بنعوت الجلال فوافقهم بالأنس ، وبذكره لهم ذكروه يباهى بأحوالهم الملائكة ، وقد أحبهم الله وأحبوه . ومن صفات هؤلاء الأولياء الصالحين أنهم خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة فيما ائتمنوه .

وهناك إشارة بهذا الفصل لموضوع الانفعالات Emotions (خاصة انفعال الحزن) (ص١٨) ، وكذلك (ص١٩) . فهناك ذكر لأبيات من الشعر تكشف عن ذلك مثل:

سلام على قلب تعرض للهوى ... سلام عليه أحرقته شجون

وعذبه هم يهيج حزنه ... فللهم والأحزان فيه فنون

الفصل الثالث : ويتحدث فيه المؤلف عن قدرة الله وحكمته وتنزهه فى كمال عن التشبيه والتمثيل والمثال ، وتوحد وحدانيته عن المؤانس والموازر ، وتغير الحال وتعاظم قدرته عن الصاحب والصاحبة ، وتفرد أزليته ... الخ .

الفصل الرابع : ويرتبط ماجاء به بموضوع الانفعالات والزهد "حب الله عز وجل" والبعد عن الدوافع والشهوات الدنيوية (٢٧ – ٣٢) .

الفصل الخامس : ويتحدث فيه عن مغفرة الله عز وجل عن عبادة . وتقرب العبد إلى ربه لدرجة تأثره فى انفعالاته ومشاعره ووصوله إلى مايسمى بالحب الإلهى وهو أرقى أنواع الحب وأسماها .

الفصل السادس : ويتحدث فيه عن الموت والجنازة ومايصاحب ذلك من تغيرات انفعالية (كالبكاء والحزن) . ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات (ص ٤٠) .

الفصل السابع : وبه عدد من الحكايات التى ترتبط بموضوع سيكولوجية الأحلام

(١) ط ١ – القاهرة : المطبعة العلمية ، (١٩٨٢) . ٩٦ ص .

(ص٤٣) . فهناك حكاية : حيث ذكر عن عمرو ابن مالك عن أبيه قال كان بينى وبين على بن السامرى مواخاة فلما مات رحمه الله كنت أتمنى رؤيته فى المنام فرأيته فى هيئة حسنة ....

الفصل الثامن : ويرتبط ما ورد به بموضوع سيكولوجية الجماعة الصوفية والعلاقة بين أفرادها (ص ٤٨) .

الفصل التاسع : ويرتبط بموضوع الوعظ والإرشاد والتوجيه الدينى Religious counselling (ص ٥٠ - ٥٤) .

الفصل العاشر : ويتحدث فيه عن عزلة الجاهل وعزلة العالم . ويرتبط بموضوع الصداقة والعلاقات بين الأفراد (ص ٥٦ - ٥٧) .

الفصل الحادى عشر : ويتحدث فيه عن الدنيا وما بها من متاع قد يدفع البعض إلى الاستمتاع به ونسيان المتع والجزاء فى الآخرة والعمل لها .

الفصل الثانى عشر : ويوضح فيه المؤلف إلى ضرورة التوجه إلى الله والتفكير فيه وذكره والعمل للآخرة . كما أشار إلى ضرورة الاقتصار فى تفكير العبد على ذكر ملذات ومحاسن الدنيا .

الفصل الثالث عشر : وفيه إشارة واضحة لمغفرة الله عز وجل عن عبادة الذين تابوا عما فعلوا من أخطاء وما وقعوا فيه من إثم وذنوب .

الفصل الرابع عشر : ويتحدث فيه عن مجموعة من الحكايات التى توضح التوبة والرجوع إلى الله عز وجل .

الفصل الخامس عشر : ويرتبط ماجاء به بموضوع الانفعالات وخاصة انفعال الندم والقلق (ص ٨٢) . ففى أحد الحكايات التى أوردها المؤلف يذكر " ... لو رفعت إلى عالم المعانى فى ركب الفكر لرأيت أعلام المعرفة فى أقرب مدة يا حبيبى خوف السابقة شق قلوب السابقين حتى قلقل القلق قلوبهم بذكر المحبوب لولا نسيم السحر ينم لهم بنفحات الإستغفار ...) .

الفصل السادس عشر : ويتحدث فيه المؤلف عن سبل الهداية والبعد عن الشهوات .

الفصل السابع عشر : ويتحدث فيه عن عبادة الله عز وجل والوصول إلى حالة الزهد فى محبته سبحانه وتعالى . وذلك من خلال ذكره لعدد من الروايات الموضحة لذلك .

الفصل الثامن عشر : ويتحدث فيه عن يوم القيامة وصفات أهل الجنة ، وأهل النار.

أوجه الإستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الإستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام .

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[1]
أخبار الظرفاء والمتماجنين

عرض : د. ابراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ٣٠٤ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم تعريف ابن الجوزى ومقدمة المؤلف ، ثم فصول الكتاب وأبوابه وأقسامه ، وأخيرا المراجع ومجموعة الفهارس ومنها الأعلام ، والأماكن ، والكتب والأيام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والشعر ، والفهرس العام .

يعتبر هذا الكتاب أحد الفنون الأدبية التى تتضمن خصائص معينة تختلف فى بعض جوانبها عن خصائص الفنون الأدبية الأخرى . ولابن الجوزى نفسه من هذا النوع من الأدب بعض الكتب كالأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين .

يعرض الكتاب الحالى لروايات تتسم بروح الفكاهة والطرافة . والتى تنم عن فطنة قائليها كما تحتاج أيضاً لقدر عال من الفهم والذكاء من قبل من يسمعها . بمعنى أنه يعرض لأشكال من التواصل Communication الخصب الذى يتطلب العديد من القدرات اللفظية Verbal abilities وقدرات عقلية أولها القدره على التجريد Abstraction ، ويتبع المحقق بعض الأخبار ببعض التعليقات حسبا تيسر له . ويذكر أنه قام بذلك دون محاولة إلى تتبع كل خبر بالمعارضة والتعليق لأن ذلك أمر يطول ويحتاج إلى وقت طويل . وقد استخدم المحقق أسلوب المقارنة بين الروايات الواردة فى الكتاب الأصلى والروايات الواردة فى الكتب الأخرى . ويثبت الفرق إن كان له أهميته . وحرص المحقق على تعريف جميع الأعلام التى وردت فى الكتاب ، كما تناول بالشرح الكلمات القرآنية مشيرا إلى مصادره معتمدا على أهم المعاجم العامة وبعض المراجع الخاصة .

ويختتم الكتاب بعدد من الفهارس الفنية ، منها فهرس الأعلام والقبائل والجماعات والفرق والأماكن والبلدان والكتب والأحاديث وكذلك فهرس الأشعار والأمثال والأقوال .

ويبدأ المؤلف الكتاب بفصل عن معنى الظرف والمجون . ويشير إلى أن الظرف يكون فى صباحة الوجه ورشاقة القد وبلاغة اللسان وعذوبة المنطق وطيب الرائحة

---

(١) ضبطه وحققه وقدم له محمد أنيس مهران . دمشق ؛ بيروت : دار الحكمة ، ١٩٨٧ . ٣٠٣ ص .

وخفة الحركة وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح . والظريف : من لديه بعض هذه الخصال (ص ٤٥) .

أما عن المجون فهو صرف اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر ، وهو بذلك نوع من خلط الجد بالهزل . مما يدل على قوة الفطنة (ص ٤٤) .

بعد هذا الفصل يعرض الكتاب لروايات وحكايات عن الظرف والمجون وفقا لمن يذكرها أو يرويها . وتم ذلك على النحو الآتى :-

الباب الأول : فيما ذكر عن الرجال .

- القسم الأول : فيما يروى عن الأنبياء عليهم السلام .
- القسم الثانى : فيما يروى عن الصحابة .
- القسم الثالث : فيما يروى عن العلماء .
- القسم الرابع فيما يروى عن العرب .
- القسم الخامس : فيما يروى عن العوام .

الباب الثانى : فيما يذكر عن النساء .

الباب الثالث : فيما يذكر عن الصبيان .

ثم المراجع ، يليها الفهارس كما أسلفنا القول .

- وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب يضم العديد من الروايات والأخبار التى تمس الظرف والمجون بشكل عام ولايمكن حصرها أو حصر أنماطها وإنما يمكننا ذكر بعضها على سبيل المثال :

فمن الطرائف : بكيت عجوز على ميت فقيل لها : بمااستحق هذا منك فقالت جاورنا ومافينا إلا من تحل له الصدقة ومات ومافينا إلا من تجب عليه الزكاة (ص٢٣١).

ومن أمثلة المجون : قال محمد بن القاسم : سئل بعض المجان فقيل له : كيف أنت فى دينك ؟ قال أخرقه بالمعاصى وأرقعه بالإستغفار (ص ١٤٦) .

- وإذا نظرنا إلى أخبار الظرف والمجون بصرف النظر عن قائليها ، يمكننا أن نطالع عددا من الدلالات النفسية .

فمما لاشك فيه أن الفكاهة والمزاح وخلط الجد بالهزل يدل على قوة الذكاء وسماع تلك الملح والطرائف يشحذ الذهن وينبه القدرة على الفهم Comprehension ability . وعند التعرض لأشكال من الطرائف والمجون نجدها تعتمد على درجة عالية من الرمزية والتجريد فى إنتاجها . وهى بذلك تحتاج لمهارات وقدرات لفظية مرتفعة لدى قائلها . وكذلك تتطلب من المستمع أن يفك هذه الشفرة أو الرموز بعد أن يركز انتباهه لسماعها وإدراكها ثم فهم معناها .

وحيث أن الطرافة والدعابة تعتمد على علاقة غير مباشرة بين الرمز Symbol والمرجع Reference فلا يمكن استنتاج هذه العلاقة إلا من خلال التفكير العقلى الذى يعتمد على التجريد Abstraction أو على القدرة على تكوين تصور عام ومفهوم ، ويندرج هذا ضمن اهتمامات النظرية العقلية التى تهتم بدراسة المعنى .Meaning theory فى مجال علم النفس اللغوى Psycholinguistic .

وتعتمد كذلك الطرافة والدعابة على فكرة المعنى السياقي Contextual meaning التى تؤكد أن معانى الكلمات تتشكل بواسطة السياق الذى ترد فيه ، وأن الكلمة قد تتخذ معانى مختلفة تختلف باختلاف سياقات الحديث ، وأن محاولة استخدام الكلمة ونقلها من سياق إلى سياق مختلف أمر يثير استجابة الفكاهة لدى المستمع .

وبذلك يشتمل كل من المجون والظرف على عناصر معرفية وانفعالية (وجدانية) وسلوكية Cognitive emotional & behavioural elements وهى تقابل حالات النفس الثلاث : النزوع والوجدان والإرادة . والقصد منها جميعا إيجاد حالة من التكيف مع الذات Personal adjustment أو مع البيئة الاجتماعية Social adjustment والطرائف بهذا المعنى : ظواهر إنسانية اخترعها الإنسان ليواجه حالات اليأس والحزن والقلق .

بمعنى أن الضحك : ظاهرة بشرية تميز الإنسان دون سواه من المخلوقات . وله وظيفة نفسية هامة وهى التكامل النفسى والاجتماعى Personal & social integration بذلك يرتبط هذا الكتاب بسيكولوجية الضحك ضمن إطار موضوع الانفعالات Emotions. ووفقا لنظرية جيمس لانج فى الانفعالات نجد أنها تؤكد أننا لا نضحك لأننا مسرورون بل نحن مسرورون لأننا نضحك ، بمعنى أن الظواهر العضوية لانفعال السرور هى العلة الحقيقية . وهو نفس ما استخلصه العالم النفسى مكدوجال .

بذلك فسماع تلك الطرائف والمجون أمر يجلب وبالتالى السرور والتحرر من شتى مظاهر العناء والمعاناة ، وهو أيضاً لب قضية الضحك عند كثير من علماء النفس الذين يرونه على أنه نوع من تفريغ الطاقة . بل إن الضحك عند إيزنك نوع سام من أنواع التكيف فأسماه التكيف السامى . على اعتبار أنه انفعال نفسى يهدف إلى التوازن مع الذات ومع الآخرين .

ويشبه فرويد " عالم التحليل النفسى " النكتة بالأحلام ؛ لأنها تفتقد إلى الواقعية رغم ما تتضمنه من تورية وتلميح واستعارة وكناية . ففيها يتحرر الإنسان من جدية الواقع ويحرر نفسه من أعباء الحياة والقيود الاجتماعية وكذلك قيود العقل والمنطق .

وبذلك فالظرف والمجون نوع من الصحة النفسية بجانب أنه أحد الفنون الأدبية التى تحتاج إلى قدرات خاصة أشرنا إليها .

أبو الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ)[١]
أخبار الحمقى والمغفلين من المفسرين والرواة

عرض : د. ابراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ٢٤ باباً مضمونها حول أخبار الحمقى والمغفلين . وفيما يلى نعرض لتفصيل ذلك :

الباب الأول : فى ذكر الحماقة ومعناها :

وفيه يعرض المؤلف للمقصود بمفهوم الحماقة ، ثم يعرض للتفرقة بين هذا المفهوم ومفهوم الجنون أو ما يطلق عليه اسم المرض العقلى Mental illness فى علم النفس الحديث . باعتبار أن الحمق والتغفيل هو خطأ فى الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود ، بخلاف الجنون ، فإنه عبارة عن الخلل فى الوسيلة والمقصود جميعاً (ص٢٢) .

الباب الثانى : فى أن الحمق غريزة :

ويذكر فى هذا الباب أن سلوك الأخرق غريزة لا ينفعه التأديب . وفى هذا إشارة إلى ما يؤكده علم النفس الحديث من أن التأخر العقلى حالة من التأخر فى النمو العقلى أثناء فترة الارتقاء العقلى ، وهى بذلك حالة لا تكتسب وإنما تبدأ مع مولد الطفل وربما يولد بها لعيوب خلقية فى مخه قد يزيدها عوائق بيئية تحول دون نموه فى حدود إمكاناته الوراثية .

كذلك يشير فى هذا الباب إلى المآل Prognosis للمتأخرين بأنها حالة لا تشفى وهو بذلك حالة وليس مرضاً (ص ٢٣-٢٤) .

الباب الثالث : في ذكر اختلاف الناس في الحمق :

يرى أنه ليس هناك إنسان تام الذكاء ويخلو من أي نقص أو حمق . وإن الأفراد يختلفون في مقدار حماقتهم وكذلك ذكائهم .

وفي هذه إشارة إلى ظاهرة الفروق الفردية Individual differences التي نجدها في كل القدرات والسمات البشرية والتي تتخذ في الغالب توزيعاً سوياً يعبر عنه بفكر "المنحنى الاعتدالي" والتي تؤكد أن معظم الناس يمتلكون قدرات متوسطة في حين أن قلة منهم متطرفة في اتجاه تزايد هذه القدرة ، يقابلها قلة متطرفة أيضاً في اتجاه النقص في هذه

(١) تحقيق لجنة إحياء التراث العربى . ط ٥ مصححة . - بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٣ .

القدرة . وبجانب تلك الفروق الفردية بين الأفراد في كل قدرة ، ثمة فروق بين القدرات وبعضها داخل الفرد نفسه (ص٢٥-٢٦) .

الباب الرابع : في ذكر أسماء الحمقى : ويعرض فيه مسميات من تراثنا العربي للحمق والحمقى ، وتصنيفات لهما (ص٢٧) .

الباب الخامس : في ذكر صفات الحمقى :

ويعرض فيه لأقوال الحكماء والشعراء في موضوع خصائص الحمقى .

وهي تعكس ما يشير إليه علم النفس في هذا المضمار ، ومؤداه أن خصائص المتأخرين عقلياً يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

١- خصائص جسمية : صغر حجم الدماغ ، وعدم التناسب بين أجزاء الجسم .

٢- خصائص شخصية : منها اللامبالاة ، ونقص الدافعية للتعلم ، وعدم الضبط الانفعالي .

٣- خصائص سلوكية : كالتأخر الدراسي كثرة الكلام أو عدم القدرة على الكلام، الاندفاعية Impulsivity ، الإفراط في الضحك أو السؤال بإلحاح .. إلخ (ص٢٨-٣٥) .

الباب السادس : في التحذير من صحبة الحمقى :

وفيه يعرض لأقوال تحذر من صحبة الأحمق . فهي تجلب الأذى سواء النفسي أو الاجتماعي للشخص المصاحب . بل ربما تحدث نوعاً من الأذى العقلي متمثلاً في نوع من الارتداد Regression أو التدهور العقلي Mental deterioration نتيجة الاحتكاك بالحمقى ، وذلك لعدم توفر مناخ مثير عقلياً ويفتقر إلى الخبرة أثناء صحبتهم خاصة إذا طالت .

وفي مجال علم النفس يذخر تراثه بعديد من حالات المتخلفين عقلياً عاشوا في بيئات محرومة Deprived environment تفتقر إلى الخصوبة المعرفية (تربوا في غابة أو بدروم مظلم أو بصحبة أم بكماء عمياء) (ص٣٦-٣٨) .

الباب السابع : في ضرب للمثل بمن عرف حمقه :

وفيه استخدم أنماط السلوك الفطري لدى الحيوان والطير في ضرب الأمثلة بالحمقى. مثل : أحمق من نعامة .

وكذلك استخدم أسماء بعض الحمقى في تلك الأمثلة مثل : أحمق من جحا (ص٣٩-٤٠) .

الباب الثامن : في ذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله :

ويعرض لأخبار عن خصال الحمقى وسلوكياتهم . منها ما يشير إلى عيانية تفكيرهم

Concreteness والسلوك الشاذ Bizarre behaviour وعدم التوافق الاجتماعي Lack of social skills (ص٤١-٦٠) .

الباب التاسع : في ذكر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى وأصروا عليها مستصوبين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى ومغفلين :

وفيها يعرض لنماذج شخصيات تتسم بالجمود والتصلب في الفكر والسلوك Rigidity أو التعصب Prejudice مثل رفض إبليس السجود لآدم واصراره على ذلك . وموقف النصارى من عيسى عليه السلام ، ونماذج أخرى من الخلفاء والأمراء والأئمة (ص٦١-٧١) .

الباب العاشر : في ذكر المغفلين من القراء المصحفين :

ويعرض فيها عن أخطاء في القراءة وتبديل الكلمات ، وأخطاء في تشكيل الحروف، وهو أمر يهم دارسي اضطرابات اللغة وأخطائها ، باعتبار أن اللغة وسيلة اتصال بين المتحدث (المرسل) والمستمع (المستقبل) وإذ اختلت هذه الوسيلة لا تفهم الرسالة .

الباب الحادي عشر : في ذكر المغفلين من رواة الحديث الصحفيين :

ويعرض لأخطاء كالتي عرض لها في الباب السابق . بجانب أخطاء في رواية الأحاديث وفي نسبها لأصحابها .

الباب الثاني عشر : في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة :

ويعرض لأخبار عن أخطاء في الحكم وفي تقدير الأمور وفي السلوك اللفظي أو الفعلي لدى الأمراء والولاة ..

الباب الثالث عشر : في ذكر المغفلين من القضاة .

الباب الرابع عشر : في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب .

ويعرض لطرائف عن أخطاء في المراسلات .

الباب الخامس عشر : في ذكر المغفلين من المؤذنين .

الباب السادس عشر : في ذكر المغفلين من الأئمة .

الباب السابع عشر : في ذكر المغفلين من الأعراب .

الباب الثامن عشر : في ذكر المغفلين من المتحذلقين .

ويهتم بمخاطبة الناس بما لا يفهمون وإن كان صواباً تظاهراً بالبراعة (مثل مخاطبة العامة بالنحو والبلاغة) .

الباب التاسع عشر : في ذكر من قال شعراً من المغفلين :

ويعرض لأخطاء الوزن والقافية وأخطاء في المدح وغيره .

الباب العشرون : في ذكر المغفلين من القصاص .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر المغفلين من المتزهدين :

ويعرض لأخطاء يرتكبها المتزهدون في أفعالهم وفي أدعيتهم وفي استخدامهم لآيات قرآنية في غير مواقفها وفي عدم تقدير بعضهم للأنبياء .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر المغفلين من المعلمين :

ويعرض فيه لأخبار عن الحمقى من المعلمين الذين تزداد حماقتهم من كثرة احتكاكهم بالصبية وقليلي الخبرة والعلم .

الباب الثالث والعشرون : في ذكر المغفلين من الحاكة .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر المغفلين على الإطلاق :

ويعرض لأخبار الحمقى من رجال ونساء وشيوخ من عامة الناس : منهم جحا ، وأقاصيص يرويها عدد من الأئمة والولاة والفقهاء .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الباب في مجال سيكولوجية الشخصية والتأخر العقلي .

أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) تلبيس إبليس [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٩٧ صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من ثلاثة عشر باباً يدور مضمونها حول التحذير من فتنة إبليس ، والتخويف من محنه ، والكشف عن مستوره ، وذلك حتى ينكشف تلبيسه ، ويتبين للفطن تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليس . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

الباب الأول : الأمر بلزوم السنة والجماعة :

عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : " من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد " . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : المجارة Conformity (ص٨-١٢) ، والجماعة Group (ص٨،٩-١٠) ، والوسواس Obsession (ص٨-١٢) .

الباب الثاني : في ذم البدع والمبتدعين :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد " . وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : " من رغب عن سنتي فليس مني " . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : المجاراة Conformity (ص١٤-١٥) والتوجيه والإرشاد Counselling (ص١٤) ، والوسواس Obsession (ص١٨،٢١) ، والجماعة Group (ص١٩-٢١) ، والخوف Fear (ص١٥،١٦-٢٤) ، والثواب Reward (ص١٥-٢٤) ، والعقاب (ص٢١-٢٤) .

الباب الثالث : في التحذير من فتن إبليس ومكايده :

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً على الإسراف في اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدوانه من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لا تتبعوا**

---

(١) ط١- بيروت : دار القلم (١٩٨٢) .

خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوسواس Obsessions (ص٢٤-٣٧) ، والعدوان Aggression (ص٢٤-٢٥) ، والنفس Psychic (ص٢٤،٢٥-٣٧) ، والدوافع البيولوجية (ص٢٤-٢٥) ، والخوف Fear (ص٢٧-٢٨-٢٩) ، والغضب Anger (ص٢٤-٣١،٣٣) .

الباب الرابع : في معنى التلبيس والغرور :

قال المصنف : التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والرديء جيداً : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوسواس Obsessions (ص٣٨-٣٩) ، والصراع النفسي Self-Conflict .

الباب الخامس : في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات :

ويشمل ذلك ذكر تلبيس إبليس على كل من السوفسطائية ، والدهرية ، والطبائعيين، والثنوية ، والفلاسفة وتابعيهم ، وأصحاب الهياكل ، وعبّاد الأصنام ، والجاهلية ، وعابدي النار والشمس والقمر ، وجاحدي البعث ، والقائلين بالتناسخ ، وكذلك تلبيسه على أمتنا في العقائد والديانات ، والخوارج ، والرافضة ، والباطنية ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوسواس Obsessions (ص٣٩-١٠٩) ، والاعتقاد (معتقد Belief) (ص٣٩-١٠٩) ، والشك Suspiciousness (ص٤٠،٤٢،٦٥،٧٥،٨٣) ، والإحساس Sensation (ص٤٠،٤٢،٥١،٥٢،٦٢،٦٦،٦٩،٨٠،٨٣،٩١) . كما يتضمن هذا الباب أيضاً كيف تؤثر الدوافع والشهوات في كل من الإدراك الحسي والتفكير مما يسبب أخطاءهما، وهذا هو مما يستعين به إبليس في التلبيس على الناس .

الباب السادس : في ذكر تلبيس إبليس على العلماء في فنون العلم :

ويشمل ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والوعاظ والقصاص، وأهل اللغة والأدب ، والشعراء ، والكاملين من العلماء . وذلك في سائر الجوانب والقضايا الخاصة بعلمهم . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي الوسواس Obsessions (ص١٠٩-١٢٨) . والنية أو المقصد Intention (ص١١٣،١١٥،١١٨،١١٩،١٢٠،١٢٢،١٢٧) . وأخطاء كل من الإدراك الحسي

والتفكير تحت تأثير الدوافع والشهوات والانفعالات التي يستعين بها إبليس في التلبيس على الناس .

الباب السابع : في تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين :

ويشمل تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين في وجوه كثيرة منها أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ، وأنه يقول لهم أن الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء ، وأنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب . فلا يصل إليهم أهل المظالم ، وأنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله . هذا بالإضافة إلى جوانب أخرى عديدة يتم تلبيسها للولاة والسلاطين . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص١٢٨-١٣٠) .

الباب الثامن : ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات :

إن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة . وفي ضوء ذلك يتمكن إبليس من التلبيس على قليلي العلم في فنون التعبد . ويشمل ذلك الاستطابة والحدث ، والوضوء ، والأذان ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، والصوم ، والحج ، وعلى الغزاة وعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص١٣٠-١٤٥) ، والمقصد أو النية Intention (ص١٣٢،١٣٣،١٣٤،١٤٠،١٤١) ، والجماعة Group (ص١٣٣،١٣٧،١٤١) ، والخوف Fear (ص١٣٥) .

الباب التاسع : في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد :

ويشمل ذلك على تلبيسه لهم في جوانب عديدة منها إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد ، وإيهامهم أن الزهد يعني ترك المباحات ، وأن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . وأكثر ما يلبس به على العباد والزهاد خفى الرياء . أما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : السوساوس Obsessions (ص١٤٥-١٥٥) ، والعزلة Isolation (ص١٤٥-١٥٥) .

الباب العاشر : في ذكر تلبيسه على الصوفية في جملة الزهاد :

ذكرنا في الفصل التاسع تلبيس إبليس على الزهاد ، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات تطلبت إفرادهم بالذكر . ومن ثم شمل تلبس

إبليس الصوفية في جوانب متعددة منها الطهارة ، والصلاة ، والمساكن ، والخروج عن الأموال والتجرد عنها ، واللباس ، ومطاعمهم ومشاربهم ، وفي السماع والرقص والوجد ، وفي ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال ، وفي ترك التداوي ، وفي ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة ، وفي ترك النكاح ، وفي الأسفار والسياحة ، وفي دخول الفلايا بغير زاد ، وإذا قدموا من السفر ، وإذا مات لهم ميت ، وفي ترك التشاغل بالعلم ، وفي إنكارهم على من تشاغل بالعلم ، وفي كلامهم في العلم، وفي الشطح والدعاوي .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : السوساوس Obsessions (ص١٤٥-١٥٥) ، والعزلة Isolation (ص١٤٥-١٥٥) ، والجماعة Group (ص٢٨٠،٢٨١،٣١٥) ، والمجاراة Conformity (ص٢٨٠،٢٨١) . والدافع الجنسي Sex motive (ص٢٨٤-٢٨٧) ، والشطط Circumestantiality (ص٣٣٠-٣٣٨) ، والاختلاق Fabrication (ص٣٣٠-٣٣٨) ، وأنماط الشخصية الأربعة (السودوي والصفراوي والبلغمي والدموي) (ص٢٠٦) ، والرغبة Desier (ص٢٠٠-٢١١) ، والاعتقاد (المعتقد Belief) (ص١٦٤-١٦٨) ، واعتقاد خاطئ Misbelief (ص١٦٤-١٦٨) ، وسوء فهم Misunderstanding (ص١٧٢،٢٥٤،٣٢٤،٣٣٠) .

الباب الحادي عشر : في ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات :

بيّنا فيما تقدم أن إبليس يتمكن من الإنسان على قدر قلة علمه فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه ، ومن العبّاد من يرى ضوءاً أو نوراً في السماء فإن كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن كان في غيره قال فُتحت لي أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس . والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص٣٦٥-٣٧٥) .

الباب الثاني عشر : في ذكر تلبيس إبليس على العوام :

قد افتّن إبليس فيما يفتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما تذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه . فمن ذلك أنه يأتي إلى العامي فيحمله على التفكير في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . ومن العوام من يرضى عن العقل نفسه فلا يبالي بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم ، ومن تلبيسه عليهم كذلك تقديمهم المتزهدين على العلماء ،

وقدحهم في العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل ، وإطلاقهم أنفسهم في المعاصي فإذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة ... إلخ .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص٣٧٥-٣٨٩) .

الباب الثالث عشر : في ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل :

كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل في النظر فيسوفه حتى يموت على كفره . وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة . وكم من عازم على الجد سوّفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه ... إلخ .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص٣٨٩-٣٩٠) ، والرغبة Desire (ص٣٨٩) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

فخر الدين الرازى : (ت ٦٠٦ هـ) لباب الإشارات [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف : (٥٤٣-٦٠٦هـ/١١٤٩م) :

هو الإمام الجليل محمد بن عمر بن السحين بن الحسن بن علي ويكنى بأبي عبد الله وأبي المعالي ، وأبي الفضل واشتهر بين الناس بابن الخطيب ويلقب بفخر الدين ، وبشيخ الإسلام ، وأكثر المؤرخين ينسبونه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد ولد في مدينة الري وموقعها الآن شرقي طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث واربعين وخمسمائة . وهي توافق سنة ألف ومائة وتسع وأربعين من الميلاد ، ويقول القفطي : إنه انتقل إلى الدار الآخرة في ذي الحجة من سنة ست وستمائة من الهجرة . وكثيروت يقولون إنه انتقل إلى الدار الآخرة في غرة شوال من سنة ست وستمائة في مدينة هراة .

وقد أثنى العديد من العلماء عليه ، فيقول صاحب الوافي بالوفيات ، عن الإمام فخر الدين : اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله في غيره – فيما علمته من أمثاله – وهي : سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحة الذهن ، والاطلاع الذي ما عليه من مزيد، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين ، ويقول صاحب طبقات الشافعية : إنه إمام المتكلمين .

ومن مؤلفات الإمام فخر الدين الرازي ما يأتي :

١- التفسير الكبير .
٢- الأربعين في أصول الدين .
٣- أساس التقديس .
٤- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .
٥- شرح عيون الحكمة لابن سينا .
٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .

وقد عدت له كتب كثيرة على أنها مستقلة ، وتبين أنها أبواب أو أجزاء من كتبه الكبيرة . مثل كتاب النبوات ، فإنه جزء من المطالب العالية . ومثل كتاب النفس ، فإنه

---

(١) تصحيح محمد بدر الدين النسائى الحلبى – ط ١ . القاهرة : مصطفى أفندى المكاوى ، محمد أمين الخانجى ، (١٩٠٨). ١٣٦ ص .

الجزء السابع من المطالب ، ومثل القضاء والقدر ، وهو الجزء التاسع من المطالب [1] .

عرض الكتاب :

ويضم الكتاب الموضوعات التالية :-

أولاً : فى الجهات وأجسامها الأولى والثانية والكلام مرتب على قسمين :-

القسم الأول : فى الفلكيات وفيه مسائل :

المسألة الأولى : وهى فى إثبات الفلك . والثانية فى أحكام كلية الأجسام . والثالثة فى صفات الفلك . والرابعة فى أحكام الميل ، والخامسة فى ذكر بقية صفات الفلك .

القسم الثانى : فى العنصريات وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : الأجسام العنصرية تجد فيها قوى مهيأة نحو الفعل ، لكن إذا فتشنا وجدناها قد تعرى عن جميع القوى الفعالة إلا الحرارة والبرودة والمتوسط التى يستبرد بالقياس إلى الحار ويستحر بالقياس إلى البارد .

المسألة الثانية : فى صفات هذه العناصر .

ثانياً : فى النفس الأرضية والسماوية ، والكلام فيها على أقسام :-

القسم الأول : فى البحث عن ماهية جوهر النفس .

ويرتبط هذا القسم بمفهوم النفس والمزاج (ص ٧١ - ٧٣) .

القسم الثانى : فيما يتعلق بالقوة المدركة التى للنفس . فالإدراك عبارة عن حضور صورة المشعور به فى الشاعر ، ويمكن أن يكون الإدراك جزئياً أو كلياً .

وتحدث عن أن النفس الإنسانية لها قوتان : عامة وهى القوة التى باعتبارها يدبر البدن وعاقلة ولها مراتب : فأولها كونها مستعدة لقبول الصور العقلية ، وهذه المرتبة مسماه بالعقل الهيولانى . وثانيها أن تحصل فيها التصورات والتصديقات البديهية وهى العقل بالملكة ، وثالثها أن يحصل الانتقال من تلك المبادىء إلى المطالب الفكرية البرهانية، ورابعها أن تكون تلك الصور العقلية حاضرة بالفعل ينظر إليها صاحبها وهى المسماه بالعقل المستفاد .

ويرتبط ما ورد بالقسم الثانى بالإدراك العقلى (ص ٧٤ - ٨٤) .

القسم الثالث : فى البحث عما يتعلق بالقوة المتحركة النفسانية . ويتحدث فيه عن حركات حفظ البدن ، والحركات الاختيارية ، والإرادة الكلية .

ويرتبط هذا الجزء بالأنشطة الفسيولوجية والحركية التى تقوم بها أعضاء الجسم

---

(١) المصدر : كتاب المطالب العالية من العلم الإلهي – للإمام فخر الدين الرازي .تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، بيروت – دار الكتاب العربي ١٩٨٧ .

وعضلاته المختلفة كما يرتبط بمفهوم الإدارة (ص ٨٢ - ٨٤) .

ثالثاً : فى الوجود وعلله .

فمن الناس من ظن أن ما لا يكون محسوساً مشار إليه لم يكن معقولاً وهذا خطأ لأن القدر المشترك من الإنسانية بين الأشخاص المختلفة لا يكون محسوساً ولا مشاراً إليه مع أنه معقول وأيضاً فأكثر الأحوال النفسانية كالعشق والخجل وغيرها من علائق الأمور المحسوسة غير محسوس بل الحس غير محسوس والوهم غير متوهم .

فى العلم الإلهى

ويتحدث فيه المؤلف عن الصنع والإبداع ، والغايات ومبادئها ، والنفس الناطقة . ويرتبط هذا الجزء بالقدرات العقلية Mental abilities خاصة ما أسماه المؤلف بالتعقل الانفعالى (ص ١١٩) وهو أن تستفاد الصور العقلية من الصور الخارجية كما يرتبط بموضوع الإدراك الحسى والعقلى (ص ١١٦ - ١٢٢) .

كما تحدث أيضاً المؤلف عن البهجة والسعادة . وقارن بين اللذات الحسية النفسية والعقلية ، وقال : إن اللذات النفسية والعقلية أعظم من اللذات الحسية (ص ١٢٣). وذكر أن " اللذة هى إدراك لما هو خير عند المدرك، والألم إدراك لما هو شر عند المدرك وقد يختلف الخير والشر بحسب القياس . فالشر الذى هو عند الشهوة خير هو المطعم الملائم والملبس الملائم ، والذى عند الغضب خير فهو الغلبة . والذى هو عند العقل خير فبعد المفارقة باعتبار القوة النظرية هو الحق ، وقبل المفارقة باعتبار القوة العملية هو الجميل ... " (ص ١٢٣ - ١٢٤) . وذهب إلى أن الإدراك العقلى أشرف من الإدراك الحسى ، وأن اللذة العقلية (التى تتمثل فى جلبة الحق) أفضل وأعظم من اللذة الحسية (ص ١٢٤ - ١٢٥) .

ويرتبط هذا الجزء بموضوع الإدراك الحسى ، والإدراك العقلى ، وكذلك بمفهوم اللذة والألم ، والانفعالات (ص ١٢٣ - ١٢٧) .

ثم تحدث بعد ذلك عن مقامات العارفين وأهم ما يتسمون به ويميزهم . ويرتبط هذا الجزء بسيكولوجية الجماعات المتصوفة (ص ١٢٧ - ١٣٠).

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعى .

فخر الدين الرازى : (٥٤٤ / ٦٠٦ هـ) الفراسة [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ثلاث مقالات يشتمل كل منها على مجموعة من الفصول أو الأبواب . ويدور مضمون الكتاب بوجه عام حول الفراسة وكيفية معرفة أخلاق الناس وطبائعهم بسهولة . وينهى المحقق كتابه بعرض فهرس مفصل للموضوعات الخاصة بكل مقال . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالى :-

المقالة الأولى :-

وفيها يعرفنا المؤلف بالفراسة والمزاج ويبين فضيلة هذا العلم فىالقرآن والسنة والعقل، موضحاً أقسام هذا العلم وذلك على النحو التالى :-

الفصل الأول : فى الفراسة والمزاج :

وفيه يعرف الفراسة بأنها عبارة عن " الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة " . وتقرير هذا الكلام أن المزاج إما أن يكون هو النفس وإما أن يكون آلة للنفس فى أفعالها .

الفصل الثانى : فى بيان فضيلة هذا العلم :

وفى هذا الفصل يدلل المؤلف على فضيلة هذا العمل من خلال بعض الآيات والأحاديث الشريفة وبعض الدلائل العقلية .

الفصل الثالث : أقسام هذا العلم :

وهما قسمان : أحدهما أن يحصل خاطر فىالقلب أن هذا الإنسان من حاله وخلقه كذا وكذا من غير أن يحصل هناك علامة جسمانية ، ولا أمارة محسوسة ، والثانى هو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة فهو علم يقينى الأصول ظنى الفروع.

الفصل الرابع : فى تعديل الأمور التى لابد من معرفتها فى هذا العلم :

إن الاستدلال على حصول الشيء تارة : بما يكون علة له . وثانياً : بما يكون معلولاً له . وثالثاً : بما يكون معلولاً لعلته . وهذا هو المسمى " بالاستدلال بأحد المعلولين على

---

(١) دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح / محمد الرازى فخر الدين . القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٨٧ .

المعلول الثانى . فهنا أيضاً الأمر الذى يتوصل إلى معرفة الأخلاق الباطنة التى فى الإنسان تارة : يكون بعلته الموجبة له وهو المزاج البدنى . وتارة : بمعلوله وأثره وهو الأفعال الصادرة عن الإنسان . وثالثاً : بسائر الأحوال التى كالمعلومات للمزاج الأصلى الإنسانى .

الفصل الخامس : فى الفرق بينه وبين العلوم القريبة منه :

إن هذا العلم يقرب منه أنواع أخرى كثيرة منها : النوع الأول : أمور لا يمكن ردها إلى الأصول العلمية بل لا يمكن الرجوع فيها إلى التجارب المروية عن المتقدمين وهى مثل مايوجد فى أبدان الناس من الشامات والخيلان وما يعرض فى الأعين من اختلاج والضربات .. الخ. والنوع الثانى : الاستدلال بالخطوط الموجودة فى الأكف والأقدام وهى التى تسمى أسراراً ثم إنه يوجد لها فى التقاطع والتباين والطول والقصر وفيما يوجد فيهامن الفرج المتسعة تارة والمتضايقة أخرى أشكال مختلفة ويأخذ منها أصحاب علم الفراسة دلالات مختلفة . والنوع الثالث : هو النظر فى أكتاف الضأن والماعز . والنوع الرابع : صناعة القيافة ومنها قيافة الأثر وقيافة البشر .

الفصل السادس : الطرق التى يمكن بها معرفة أخلاق الناس :

وهى ستة : الأول : بحسب الشكل والهيئة ، والثانى بحسب الأصوات ، والثالث إذا رأينا إنساناً يشابه حيواناً فىأمر من الأحوال الظاهرة فحينئذ نستدل بتلك المشابهة فى الخلق الباطن استدلالا بحصول أحد المعلولين على حصول المعلول الثانى . والرابع : أن نقول : لا شك أن الإنسان نوع تحته أصناف ، وهم الأمم الكبار الأربع : وهم الفرس والروم ، والهند ،والترك، ولكل واحد من هذه الأصناف خلق مخصوص فى الظاهر وخلق مخصوص فى الباطن ، وإذا رأينا الشكل الخاص ببعض الأصناف حاصلاً فى إنسان ، حكمنا بأنه حصل الخلق الملائم لذلك الشكل فيه . والخامس : اعتبار حال الذكور والإناث . والسادس : إنا إذا عرضنا بشيء من الطرق المذكورة حصول خلق مخصوص فىالباطن ، فقد يمكننا أن نستدل بحصول ذلك الخلق على حصول خلق آخر .

الفصل السابع : الأمور التى يجب رعايتها عند الرجوع إلى هذه الطرق :

وهى أمور ثلاثة ، الأول : أن كل واحد من هذه الدلائل ليس يقيناً بل دليلاً يفيد الظن الضعيف ، فكلما كانت الدلائل المتطابقة على المدلول الواحد أكثر كانت فى إفادة عدم الظن أقوى . والأمر الثانى : أن التعويل فىهذا الباب على معرفة الصور الظاهرة . والأمر الثالث : أن هذه الدلائل إذا تعارضت فإنه لابد من المصير إلى الترجيح وهو من وجوه : الأول : أن الدلائل على حصول الخلق إن كانت حاصلة فىالعضو ، وهو المحك لذلك الخلق فهى أقوى من الدلائل الحاصلة فى عضو آخر مثله . والثانى :

أن هذه الدلائل إذا تعارضت ، فتعادلت فى الكمية ، والكيفية وجب التوقف . أما إذا حصل الترجيح إما بحسب الكمية أو بحسب الكيفبة أو بحسب ما يترك منهما وجب الترجيح . والثالث : أن أقوى الأقسام دلالة لى أن الأحوال الباطنة الاستدلال بأحوال الأخلاق والقوى والأجناس . والرابع : أن هذه الدلائل قد تكون مشتركة بين الأخلاق المختلفة .

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التى اشتملت عليها هذه المقالة فهى : -

المزاج Temperament (والأمزجة الأربعة) (من ص ٢٧ - ٤٩) والشكل الخارجى للجسم Morphology (كأحد سمات االشخصية) (من ص ٤٦ - ٤٨) الفرق بين الجنسين (الذكور والإناث) فى سمات الشخصية (من ص ٥٢ - ٥٤) .

المقالة الثانية :

وفيها يعدد المؤلف علامات الأمزجة الكاملة حتى يتوصل بمعرفتها إلى المعرفة ، وذلك على النحو التالى :-

الباب الأول : فى علامات الأمزجة الكاملة :

وفيه يقدم المؤلف وصفاً شاملاً لكل نمط من أنماط الأمزجة . فيعرض فى الفصل الأول لعلامات المزاج الحار ، وعلامات المزاج البارد ، وعلامات المزاج الرطب ، وعلامات المزاج اليابس ، وعلامات المزاج الحار اليابس ، وعلامات المزاج الحار الرطب، وعلامات المزاج البارد اليابس والبارد الرطب . وفى الفصل الثانى : يعرض المؤلف لعلامات المزاح المعتدل ، وعلامات المزاج غير المعتدل . وفىالفصل الثالث : يعرض لعلامات أمزجة الدماغ ، وهى من عدة وجوه : الأول : ما يتعلق بالقوة المصورة وخاصة شكل الرأس والنوع الثانى من دلائل الدماغ ما يتعلق بأحوال فروعه وتوابعه وتلك الأعضاء هى العين واللسان والوجه ومجارى اللهاة والرقبة والأعصاب . وفى الفصل الرابع يعرض المؤلف لعلامات أمزجة العين . وفى الفصل الخامس : يعرض لأحوال اللسان . وفى الفصل السادس : يعرض لأحوال الصوت . وفى الفصل السابع: يعرض لأحوال القلب .

الباب الثانى : فى مقتضيات الأسنان الأربعة :

ويعنى المؤلف بذلك :

١ - سن النمو .

٢ - الوقوف .

٣ - الكهولة .

٤ - الشيخوخة .

وفى كل مرحلة من هذه المراحل يقدم المؤلف وصفاً شاملاً لخصائصها وصفاتها .

الباب الثالث : فى مقتضيات سائر الأحوال :

وفيه يقول المؤلف : إن أرباب النسب الشريف راغبون جداً فى الكرامة ومتشبهون بأوائلهم لكنهم لا يتحملون متاعب العلم ومن ثم لا تبقى هذه الآثار الفاضلة فيهم لذلك يبقون فى الآخرة عاجزين محتاجين . أما أخلاق الأغنياء فأمور : الأول : من عاداتهم االتسلط علىالناس والاستخفاف بهم . والثانى : أنهم يحكمون على كل من سواهم كونهم حاسدين لهم لما اعتقدوا فىأنفسهم الكمال . والثالث : أن الذين صاروا أغنياء فى قديم الزمان فهم أكثر مثالية من الذين صاروا أغنياء . والرابع : أن الأغنياء يكونون فى الأكثر مجاهرين بالظلم .

الباب الرابع : فى الأخلاق الحاصلة بسبب البلدان والمساكن :

وفيها يقدم أوصافاً لأخلاق البلدان والمساكن الحارة والمساكن الباردة والمساكن اللاحامية والمساكن اليابسة والمساكن الحجرية والمساكن الشمالية ، والمساكن الجنوبية والمساكن الشرقية والمساكن الغربية :

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى هذه المقالة فهى ك–

المزاج Temperament (من ص ٦٣ – ٧٤) ، أنماط الشخصية Personality (من ص ٦٣ – ٧٧) ، والانفعالات Emotions (من ص ٧٨ – ٧٩) ، ومراحل الارتقاء Developmental Stage (من ص ٨٠ – ٨٥) ، مرحلة النمو الأولى (من ص ٨٠ – ٨١) ، ومرحلة الوقوف (ص ٨٢) ، ومرحلة الكهولة (ص ٨٥) ، ومرحلة الشيخوخة (من ص ٨٢ – ٨٥) . والتسلطية Authoritarianism (من ص٨٦-٨٧) والقيم الأخلاقية Moral values (من ص ٨٩ – ٩٠) .

المقالة الثالثة :

وفيها يتناول المؤلف دلالة االأعضاء الجزئية على الأحوال النفسية ويستوفى ذلك فى سبعة عشر فصلاً على النحو التالى : الفصل الأول : فى دلائل الجبهة . والفصل الثانى: فى دلائل الحاجب . والفصل الثالث : فى دلائل العين . والفصل الرابع : فى دلائل الأنف . والفصل الخامس : فى دلائل الفم والشفة واللسان . والفصل السادس : فى دلائل الوجه . والفصل السابع : فى دلائل الضحك . والفصل الثامن : فىدلائل الأذن. والفصل التاسع : فى دلائل العنق . والفصل العاشر : فى دلائل الصوت والنفس والكلام . والفصل الحادى عشر : فى دلائل السنات . والفصل الثانىعشر : فى الصلب. والفصل الثالث عشر : فى دلائل الحركات . والفصل الرابع عشر : فى دلائل البطن . والفصل الخامس عشر : فى دلائل الظهر . والفصل السادس عشر : فى دلائل

الذراع والكف . والفصل السابع عشر : فى دلائل الصدور والورك والساق والقدم .

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التى وردت فى هذه المقالة فهى :-

الانفعالات Emotions (من خلال علامات الوجه) (ص ٩٥ - ٩٦) ، وبعض أشكال الانفعالات النوعية مثل الحزن Sadness (ص ٩٨) ، والغضب Anger (ص٩٧) والسرور (ص ١٠٨) ، والعلامات Signs (من ص ٩٣ - ٩٧) .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام .

فخر الدين الرازى : (ت ٦٠٦ هـ) [١]
المطالب العالية من العلم الإلهى

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ويشتمل الكتاب على مقدمة وتسعة أجزاء ونعرض لها على النحو التالى :-

موضوع "المطالب العالية" هو الكلام فى ذات الله تعالى وصفاته .

مقدمة الكتاب :

(وتشتمل على أربعة فصول نعرض لها على النحو الآتى) :

الفصل الأول :

فى بيان أن هذا العلم أشرف العلوم على الإطلاق ، وذلك من عدة وجوه : الأول شرف الأمر المبحوث عنه فى ذلك العلم ، وهو ذات الله تعالى وصفاته ، وهو أشرف الموجودات على الإطلاق ، فهو غنى عن الفاعل والقابل وغير محتاج إليه ، كما أنه فرد مطلق ،وأنه الواجب لذاته ، وكل ما سواه فهو ممكن لذاته محتاج إلى المؤثر ، وكل ما سواه فهو محتاج إليه . الوجه الثانى فى بيان شرف العلم الإلهى : إن الأمر المقصود بالذات هو الفوز بالسعادة والخلاص من الشقاوة . أما الوجه الثالث : أن الإنسان الكامل يجد من نفسه أنه كلما تعمق فى هذه المعارف كان انجذابه إليها أفضل ، وانقطاعه عما سواها أوفى ، وكان ابتهاجه بذاته أفضل ، وقوة روحه أكمل . الوجه الرابع والأخير : أن المصالح إما خاصة بالمعاش أو المعاد . ومصالح المعاد لا يتم منها إلا بمعرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (كالسعادة والبهجة (ص٣٧ - ٤٠).

الفصل الثانى :

فى أنه هل للعقول البشرية سبيل إلى تحصيل الجزم واليقين فى هذا العلم . حيث قال العديد من الفلاسفة : إن العناية القصوى فى هذا الباب الأخذ (بالأولى والأخلق) ، والتمسك بالجانب الأفضل والأكمل وأما الجزم المانع من النقيض فقد لا يمكن تحصيله فى بعض المباحث . وحجتهم فى ذلك أن أظهر المعلومات لجميع العقلاء هو علم الإنسان بذاته المخصوصة ومعرفته بنفسه . ثم إن هذا العلم مع أنه أظهر العلوم وأجل

(١) تحقيق أحمد حجازى السقا . ص ١ - بيروت : دار الكتاب العربى ، ١٩٨٧. ٩ ج فى ٥ مج .

المعارف قد بلغ فى الصعوبة والخفاء إلى حيث عجزت العقول عن الوصول إليه ، وإذا كان الحال فى أظهر المعلومات كذلك ، فالحال فى أبعد الأشياء عن مناسبة الأمور المعلومة للخلق كيف يكون ؟

ومن المفاهيم السيكولوجية التى يرتبط بها هذا الفصل مفهوم صورة الذات Self image ومعرفة الفرد بذاته وتصوره عنها (ص ٤١) . ومفهوم القدرة على الاستدلال Reasoning (ص ٥١) .

الفصل الثالث :

فى أن تحصيل هذه المعارف المقدسة . هل الطريق إليه واحد أم أكثر من واحد ؟

فقد انكشف لأرباب البصائر أن الطريق إليه من وجهين :

الأول : وهو طريق الحكماء الإلهيين ، فهو الاستدلال بأحوال الممكنات على إثبات موجود واجب لذاته .

الثانى : وهو طريق أصحاب الرياضة ، فهو طريق عجيب أكيد قاهر فإن الإنسان إذا اشتغل بتصفية قلبه عن ذكر غير الله ودوامه بلسان جسده ولسان روحه على ذكر الله ، وقع فى قلبه نور وضوء وحالة قاهرة وقوة عالية .

يتضمن هذا النص الإشارة إلى وجود مصدرين للمعرفة الإنسانية بالله تعالى . المصدر الأول هو النظر فى الكون وما فيه من كائنات ، أى استخدام الحواس والعقل فى النظر إلى الوقائع الحسية والاستدلال منها إلى وجود الله تعالى . والمصدر الثانى هو طريق الإلهام والكشف عن طريق الرياضة وتصفية القلب عن شاغل الحياة ، فيحصل للإنسان المعرفة عن طريق نور يقدمه الله تعالى فى قلبه . إن هذين المصدرين للمعرفة ، عن طريق الحواس والعقل ، وعن طريق الإهام الإلهى قد تناولها كثير من المفكرين المسلمين عند تعرضهم لنظرية المعرفة .

الفصل الرابع :

فى ضبط معاقد هذا العلم . فالإنسان له ثلاثة أحوال هى : الماضى والحاضر والمستقبل . ويتحدث فيه المؤلف عن معرفة الماضى ، والذات ، والصفات والأدلة المؤيدة لذلك .

الجزء الأول

فى الدلائل الدالة على إثبات الإله لهذا العالم المحسوس وإثبات كونه واجب الوجود لذاته

القسم الأول :

من الجزء الأول من علوم هذا الكتاب فى ذكر الدلائل القطعية اليقينية .

الفصل الأول :

فى مراتب مقدمات هذه الدلائل على الوجه المشهور عند الحكماء . ويعرض فيه المؤلف لإثبات وجود الله ، فثبت أنه لابد من الاعتراف بوجود موجود ثابت وثبت أن كل موجود إما موجود واجب الوجود لذاته ، وإما موجود لذاته ممكن لذاته . وذكر بعد ذلك المقدمات التى تقف خلف هذه الأدلة .

الفصل الثانى :

فى بيان أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا لمرجح . وللعقلاء فى هذا الموقف قولان : الأول : أن هذه المقدمة بديهية . الثانى : أنها برهانية . ثم عرض بعد ذلك لعدد من الأسئلة والأدلة المؤيدة والمعارضة لهذين الجانبين .

يتضمن هذا الفصل التفكير الاستقرائى الذى يبدأ من المدركات الحسية وينتهى إلى مبانى كلية ، والتفكير الاستدلالى الذى يبدأ من مقدمات وينتهى إلى نتائج .

الفصل الثالث :

فى تقرير قول من يقول : هذه المقدمة استدلالية ، حيث يدعى أن أبا على (ابن سينا) مضطرب القول فى هذا الموضوع - إقامة البرهان على صحة ذلك . ثم يذكر تقسيمات طويلة خارجة عن المقصود ، ثم إذا انتهى إلى هذا القسم الذى هو المطلوب فإنه يدعى فيه البديهة .

الفصل الرابع :

فى حكاية شبهات القائلين بأن رجحان الممكن ، لا يتوقف على المرجح .

الشبهة الأولى : لو افتقر الممكن إلى المؤثر لافتقر الباقى حال بقائه إلى المؤثر ، وهذا باطل ، فذاك باطل . الشبهة الثانية : أن تأثير المؤثر فى الأثر إما أن يكون حال وجود الأثر أو حال عدمه ، والقسمان باطلان . الشبهة الثالثة : حيث القول بالافتقار والاحتياج - وهما باطلان . كما أن القول بثبوت الافتقار والاحتياج باطلان أيضاً . الشبهة الرابعة : المفتقر إلى المؤثر يمتنع أن يكون هو الماهية ويمتنع أن يكون هو الوجود ، ويمتنع أن يكون هو موصوفية الماهية بالوجود. الشبهة الخامسة : المحكوم عليه بالافتقار

والحاجة إما أن يكون بسيطاً أو مركباً ، والقسمان باطلان . الشبهة السادسة : لو أثر شيء في شيء لكان تأثير ذلك المؤثر في ذلك أثر إما أن يكون نفس ذات المؤثر أو ذات الأثر ، أو يكون مفهوماً مغايراً لهما ، والأقسام كلها باطلة . الشبهة السابعة وهي في نفي التأثير والتأثر . الشبهة الثامنة : لو افتقر الممكن إلى المرجح لما كان الإنسان مختاراً في أفعاله وهذا باطل فذاك باطل . وغير ذلك من الشبهات .

الفصل الخامس :

في تقرير الجواب عن هذه الشبهات . ويرد المؤلف فيه على الشبهات المذكورة في الفصل الأول مؤيداً بطلانها بالأدلة والحجج والبراهين .

الفصل السادس :

في إيراد نوعين آخرين من السؤال على قولنا : الممكن لابد له من مرجح . أحدهما: أن يكون قبول الماهية للوجود والعدم على السوية من غير تفاوت . والثاني: أن يكون قابلاً لهما ، إلا أن أحد الطرفين يكون أولى بتلك الماهية من الطرف الآخر .

الفصل السابع :

وهو في بيان أن هذا البرهان المذكور في إثبات معرفة واجب الوجود لا يتم على أصول الحكماء إلا بعد إثبات إقامة الدلالة على أن العلة واجبة الحصول حال حصول المعلول . فلو لم يجب كون العلة المؤثرة موجودة حال وجود المعلول ، لم يمتنع أن يكون هذا الممكن إنما وجد لأجل شيء كان موجوداً قبله ، ولم يبق معه ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : إن كل ممكن فإنه مستند إلى ممكن آخر قبله ، لا إلى أول ، والتسلسل على هذا الوجه ليس باطلاً عند الحكماء بل هو حق .

الفصل الثامن :

في بيان إيراده هذا البرهان على وجه آخر . ويظن أن إيراده على ذلك الوجه ، يوجب سقوط أكثر هذه الأسئلة عنه . وبيان أن ذلك الظن خطأ من الناس .

الفصل التاسع :

في إقامة البرهان على أن القول بالدور باطل ، حيث احتجوا على فساد القول بالدور بأن قالوا : ثبت أن العلة متقدمة على المعلول ، فلو كان كل واحد منهما علة للآخر لكان كل واحد منهما متقدماً على الآخر .

الفصل العاشر :

في ابطال التسلسل ، خاصة فيما يتعلق بدليل العلة والمعلول ، والسبب ، والمسبب إلى ما لا نهاية .

الفصل الحادى عشر :

وهو فى إبطال التسلسل سوى ماتقرر ذكره . ويقول فيه المؤلف إنه افتقر إلى إبطال التسلسل فى الفصل المتقدم لأنا جوزنا أن تكون علة وجود الممكن ممكناً آخر ، فلما جوزنا هذا فى الجملة افتقرنا إلى إبطال التسلسل ، ومن الناس من يقول : إن ماكان ممكن الوجود لذاته ، فإنه لا يصلح للعلية والتأثير ، واحتجوا على صحة هذه المقولة بعدة وجوه .

الفصل الثانى عشر :

من إيراد سؤال على القائل المذكور فى إثبات واجب الوجود لذاته ، وتحقق الجواب الحق عنه . وذلك فى ضوء صحة مقدمات خمس أحدها : أن الممكن لابد له من مرجح. وثانيها أن العلة المؤثرة لابد وأن تكون موجودة حال وجود المعلول . وثالثها أن علة الموجود يجب أن تكون شيئاً موجوداً . رابعها : أن الدور باطل . وخامسها أن التسلسل باطل .

الفصل الثالث عشر :

ويتحدث فيه عن حكاية شبهات من يقدح فى إثبات واجب الوجود لذاته .

الفصل الرابع عشر :

فى بيان أن العالم المحسوس ليس واجب الوجود لذاته . وقدم فيه عدداً من الحجج المؤيدة لذلك : منها أن كل جسم مركب من الهيولى والصورة ، والحجة الثانية للفلاسفة فى إثبات كون الأجسام ممكنة الوجود لذاتها والثالثة فى بيان أن الأجسام ممكنة الوجود لذاتها ، فواجب الوجود يجب أن يكون واحداً ، والأجسام ليست واحدة، فواجب الوجود لا يمكن أن يكون جسماً ، فالجسم لا يمكن أن يكون واجب الوجود .

الفصل الخامس عشر :

فى إثبات إله العالم عز وجل بناء على التمسك بإمكان الصفات .

الفصل السادس عشر :

فى بيان كيفية الاستدلال بإمكان الصفات على وجود الإله القادر . وتقرير هذه الطريقة أن يقال : الأجسام متساوية فى الجسمية ومختلفة فى الكيفيات والأحياز ، والمقادير ، فاختصاص كل واحد منها بحالته المعينة ، إما أن يكون لأمر أو لا لأمر . والقسم الثانى باطل ؛ لأن الأجسام لما كانت متساوية فى تمام الماهية ، فكل ما صح على بعضها وجب أن يصح على الباقى .

الفصل السابع عشر :

فى تقدير الدلائل المستنبطة من إمكانية الصفات . وقد استعملها العلماء فى الأجرام الفلكية والكوكبية الأخرى ، وأخرى فى الأجرام العنصرية .

الفصل الثامن عشر :

فى إثبات العلم بوجود الإله - تعالى - بناء على التمسك بحدوث الذوات . وجمهور المتكلمين لا يعولون إلا على هذا الطريق . وذلك لأنهم يقيمون الدلالة على كون الأجسام محدثة : وحينئذ يقولون : كل جسم محدث ، وكل محدث فله علة وصانع . ينتج أن كل جسم له فاعل وصانع .

الفصل التاسع عشر :

فى تقرير طريقة للحدوث لا يحتاج فيها إلى ضم الإمكان . فاتفق جمهور المتكلمين على أن مجرد الحدوث يكفى فى صحة الاستدلالات به على وجود الفاعل .

الفصل العشرون :

فى تقرير قول من يقول : الاستدلال بالحدوث على الفاعل لا يتم إلا بدليل منفصل. وهو مذهب : أبى على ، وأبى هاشم وأصحابهم من المعتزلة .

الفصل الحادى والعشرون :

وهو فى إثبات العلم بالصانع بطريقة حدوث الصفات . والتى لا يقدر البشر عليها، كالأفلاك والكواكب.

الفصل الثانى والعشرون :

فى الاستدلال على وجود الإله الحكيم الرحيم بكيفية تولد الإنسان من النطفة .

ويرتبط هذا الفصل بالنمو الجسمى للجنين وهو ما يدخل فى مجال علم الأجنة وعلم نفس النمو والارتقاء Developmental Psychology

الفصل الثالث والعشرون :

فى إقامة الدلالة على وجود إله االعالم بناء على حدوث الصفات من طريق آخر . وهو عالم الأفلاك وهو العالم الأعلى ، والاستدلال بوجود الإله من خلاله أوضح وأقوى. وقد اعتمد عليه قدماء الفلاسفة .

الفصل الرابع والعشرون :

تقرير طريقة أخرى فى إثبات الإله تعالى لهذا الخلق . وذلك من خلال العجائب التى أودعها الله تعالى فى بدن الإنسان ، ونفس الإنسان ، وعجائب أحوال الحيوانات ، والنباتات ، والمعادن ، والأفلاك والكواكب وغير ذلك .

ويرتبط هذا الفصل فى بعض النواحى من موضوع الدوافع Motives وخاصة صراع الدوافع Conflicts الدوافع الفسيولوجية والنفسية (ص ٢٥٦ - ١٥٧) .

القسم الثانى

من الجزء الأول فى تفصيل الدلائل الدالة على وجود الإله القديم .

الدلائل الموجودة فى عالم الأفلاك والعناصر .

الفصل الأول :

فى بيان الاستكثار من هذه الدلال . حيث يعد ذلك من الأشياء الهامة ، فتقديم العديد من الأدلة الإقناعية قد ينتهى إلى إفادة القطع . وذلك لأن الدليل الإقناعى الواحد قد يفيد الظن .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الإقناع Persuasion وتغيير الاتجاهات Attitude change (ص ٢٣٩) .

الفصل الثانى :

فى حكاية كلمات منقولة عن أكابر الناس فى هذا الباب . فى ذكر لبعض الأحاديث النبوية الشريفة والأقوال التى تثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى .

الفصل الثالث :

فى تعديد الدلائل التى تذكرها أصناف طوائف العالم . فأصناف العلوم وأقسامها كثيرة ، ولكل واحد من أصناف العلماء طريق يختص به فى إثبات معرفة الله . الطائفة الأولى : العلماء الباحثون عن تواريخ أهل الدنيا . ومعرفة الأحوال الماضية من أحوال هذا العالم . أما الطائفة الثانية ، فهم أصحاب الرياضيات وأرباب المكاشفات .

القسم الثالث

من الجزء الأول فى الكلام فى الوجوب والوجود ، والإرادات والتعين والماهية وما يشبهها من المطالب والمباحث

المسألة الأولى :

وفيها البحث عن معنى أنه واجب الوجود لذاته . ويمكن تفسيره بأمور ثلاثة : إحداها : أنه الذى يستحق الوجود من ذاته ، وهو مفهوم ثبوتى ، ويفيد كون ذاته علية لوجود نفسه . ثانيها : هو الذى لا يقبل العدم من حيث هو هو . وأما ثالثها : فهو الذى لا يكون وجوده معللاً لسبب منفصل (ص ٢٨١) .

المسألة الثانية :

أن واجب الوجود : هل هو مفهوم ثبوتى أم لا ؟ فمن الناس من قال إن هذا المفهوم: مفهوم وجودى محصل ؛ فى حين احتج البعض على ذلك . ولكل جماعة منهم الأدلة والبراهين المؤيدة لوجهة نظرهم .

المسألة الثالثة :

فى أن وجود الله - تعالى - نفس ماهيته أو صفة زائدة على ماهيته ؟

المسألة الرابعة :

فى تحقيق القول فى بيان أن المبدأ الأول هل هو تلك الحقيقة المخصوصة . فإذا قلنا إن الماهية الفلانية من حيث هى هى ،لا موجودة ولا معدومة ، فهذا الكلام يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المراد أن الماهية الفلانية من حيث إنها هى ، عبارة مغايرة لكونها موجودة أو معدومة .

الثانى : أن يكون المراد أن الماهية الفلانية خالية عن الوجود وعن العدم والمفهوم الأول حق ، والمفهوم الثانى باطل .

المسألة الخامسة :

وهى فى بيان أنه سبحانه - يخالف جملة الممكنات ؛ لذاته المخصوصة ، لا لصفة زائدة على الذات .

المسألة السادسة :

وهى فى بيان كونه - تعالى - قديماً أزلياً .

المسألة السابعة :

وترتبط بالمسألة السادسة ، حيث استقصاء الكلام فى حقيقة الأزل والأبد .

الجزء الثانى من الكتاب

القسم الأول :

فى بيان كونه سبحانه وتعالى منزهاً عن التحيز والجهة .

الفصل الأول :

فى بيان أن إثبات موجود ليس بجسم ولا حال فى الجسم : ليس بممتنع الوجود فى بديهة العقل . فالجمهور الأعظم من العقلاء اتفقوا على أن إثبات موجود ليس بمتحيز ، ولا حال فى المتحيز ، وليس فى العالم ، ولا فى خارج العالم : ليس معلوم الامتناع فى بديهة العقل ، بل الأمر فى إثباته ونفيه موقوف على الدليل . فإن دل الدليل على إثباته وجب القضاء به ، وإلا وجب التوقف فى إثباته ونفيه . وهذا القول هو الذى نذهب إليه ونقول به .

الفصل الثانى :

وهو فى بيان أنه لا يجب أن يكون لكل موجود نظير وشبيه . وأنه ليس يلتزم من نفى النظير والشبيه نفى ذلك الشىء .

الفصل الثالث :

فى إقامة الدلائل على أنه سبحانه وتعالى يمتنع أن يكون جسماً . فهناك قولان : الجمهور الأعظم اتفق على تنزيه الله تعالى عن الجسمية ، والحصول فى الحيز ، والباقون قالوا : أنه متحيز ، وحاصل فى الحيز وهؤلاء هم المجسمة .

الفصل الرابع : فى إقامة الدليل على أنه يمتنع كونه جوهراً .

الفصل الخامس : فى بيان أنه يمتنع أن يكون واجب الوجود مختصاً بمكان وحيز .

أما الفصل السادس : فيتضمن عرضاً لحكاية شبهات مثبتى الجسمية والمكان . أما الجواب عن تلك الشبهات فهو ما اشتمل عليه الفصل السابع .

الفصل الثامن : فى أنه يمتنع أن يكون إله العالم هو هذا الفضاء الذى لا نهاية له .

وفى الفصل التاسع : من الكتاب يعرض المؤلف لتفسير القول : بأن الإله تعالى غير متناهى . فهو منزه عن المقدار والحجمية والوضع والحيز فهو ذات غير متناهية وفق هذا التفسير .

الفصل العاشر : فى أنه هل يصح أن نرى واجب الوجود لذاته ؟ فهناك القائلون بأنه تمتنع رؤية الله تعالى ، ومن حججهم فى ذلك : أنه لو صحت رؤيته لوجب أن نراه الآن والثانى باطل بالمتقدم باطل . وهناك من يثبت الرؤية لله عز وجل، وقالوا : إن الله تعالى موجود ، وكل موجود تصح رؤيته .

يرتبط هذا الفصل بموضوع الإدراك الحسى Sensory Perception معناه وطبيعته (ص ٨١ - ٨٢) .

الفصل الحادى عشر : فى أن هذه الحياة . هل نعرف ذات الله تعالى من حيث إنهـا هى : أعنى تلك الحقيقة المخصوصة . وبتقدير أن لا نعرفها . فهل يمكـن حصـول تلـك المعرفة لأحد من الخلق ، أو لكلهم ، أم لا ؟ والإجابة أن هذه المعرفة غير حاصلة ويـدل على ذلك عدة وجوه : منها أن المعلوم عندنا من الحق سبحانه ، إما الوجود ، أو كيفية ذلك الوجود أو الإضافات أو السلوب . والعلم بهذه المعلومات ليس نفس العلم بـذات الله المخصوصة ، ولا أيضاً هذه العلوم توجب العلم بتلك الذات المخصوصـة ، فوجـب أن يقال : إنا لا نعرف تلك الحقيقة المخصوصة .

الفصل الثانى عشر : وهو فى تنزيه الله تعالىعن الكيفيات .

الفصل الثالث عشر : ويتضمن إثبات أنه يمتنع كونه تعالى حالاً فى غيره .

الفصل الرابع عشر : فى نفى الاتحاد . فالقول بالاتحاد فى حق الله تعالى محال ؛ لأن ذلك إنما يعقل إذا زال عنه الوجـود القـائم بـه ، وحصـل لمجمـوع حقيقته مـع حقيقـة أخرى صفة الوجود (ص ١٠٥) .

الفصل الخامس عشر : فى بيان أنه يمتنع كونه تعالى محلاً لغيره . وعرض فيه المؤلـف رأى الكرامية ، والمعتزلة ، والفلاسفة .

الفصل السادس عشر : فى بيان أن الألم واللذة محالان على الله تعالى أما الألـم فقـد اتفقوا على أنه محال على الله ، وأما اللذة فقسمان : لذة جسمانية ولذة روحانية .

أما اللذة الجسمانية فقد اتفقوا على أنها محال على الله ، وذلك من عدة وجوه .

أما اللذة العقلية ، فيرى الفلاسفة إثباتها فـى حـق اللـه تعـالى . وهـى مثـل الالتـذاذ بحصول صفات الكمال والجلال له .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١١٢ – ١١٤) .

الفصل السابع عشر : فى أنه هل يصلح إطلاق لفظ الجوهر على اللـه تعـالى أم لا ؟ وعرض فيه لمعانى الجوهر .. منها أنه المتحيز الذى لا يقبل القسـمة ، ومنهـا أن الجوهـر هو الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليه . وهنا خلاف فى إطـلاق لفـظ الجوهـر على الله تعالى ، فهناك من يثبت ذلك ، وهناك من ينفيه .

القسم الثانى

فى بيان أنه سبحانه وتعالى منزه عن الضد والند .

ويتضمن الفصول الثلاثة الآتية :

الفصل الأول : ويعرض المؤلف فيه الدلائل علـى وحدانيـة اللـه تعـالى وأنـه واجـب الوجود لذاته .

الفصل الثانى : فى حكاية دلائل المتكلمين على أن الإله واحد .

الفصل الثالث : فى أن وحدة الله تعالى هى هى عين الذات أو صفة قائمة بالذات ؟

فهناك من يقول : لو كانت الوحدة صفة ، لكانت تلك الصفة واحدة ، فيلزم أن يكون للوحدة وحدة أخرى إلى غير النهاية . وأنه محال .

ولقائل آخر أن يقول : الوحدة لابد وأن تكون صفة زائدة على الذات ، وذلك من عدة وجوه .

الجزء الثالث
من كتاب المطالب العالية : (للإمام فخر الدين الرازى)

الصفات الإيجابية :

وهي كونه سبحانه : قادراً ، عالماً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً ، باقياً ، حكيماً.

الباب الأول : فى أحكام الدواعى والصوارف :

الفصل الأول : فى حد القادر . وأوضح فيه المؤلف أن ترك الفعل ليس عبارة عن الإتيان بفعل آخر ، بل هو عبارة عن البقاء على العلم الأصلى المستمر . ويبين أن إسناد العدم المستمر إلى القادر والفاعل محال فيثبت أن القادر لا قدرة له البتة على الترك وإذا كان الأمر كذلك كان القول بأن القادر هو الذى يصح منه الفعل والترك بحسب الدواعى المختلفة : قولاً باطلاً .

يفسر المؤلف الداوعى تفسيراً يقرب جداً من مفهوم دوافع السلوك Motives فى علم النفس الحديث على أساس ما يتوقعه الإنسان من منفعة أو ضرر . فإذا توقع منفعة دعاه ذلك إلى القيام بالفعل وإذا توقع ضرراً دعاه ذلك إلى تجنب الفعل . كما يتضمن علاقة الاعتقاد بالسلوك (ص ٩ - ١٢) .

الفصل الثانى : وهو فى إثبات تحقيق القول فى الدواعى والصوارف للقيام بأفعال معينة أو عدم القيام بها .

ويرتبط هذا الفصل بأسباب السلوك ودوافعه ، وعلاقة الاعتقادات بالسلوك وخاصة درجات الاعتقاد أو الظن (ص ١٣ - ١٦) .

الفصل الثالث : وهو فى بيان أنه لا تأثير لغير الاعتقاد والظن فىالدعاء إلى العقل . ويوضح فيه أهمية الاعتقادات كدوافع لسلوك وتصرفات الأفراد . فالاعتقاد بفائدة ما يترتب عليه القيام به ، والعكس صحيح .

ويرتبط هذا الفصل بالمعتقدات Beliefs وعلاقتها بالسلوك ومترتبات هذا السلوك (ص ١٧ - ٢٠) .

الفصل الرابع : فى بيان تحقيق الكلام فى المنفعة والمضرة والخير والشر والمصلحة والمفسدة .

ويرتبط بموضوع المعتقدات Beliefs (ص ٢١ - ٣٢) .

الفصل الخامس : فى بقية الكلام فى هذا الباب . ويتحدث فيه المؤلف عن أن الفعل

لا يكون نفعاً من كل الوجوه ولا ضرراً من كل الوجوه .

الفصل السادس : فى أن صدور الفعل هل يتوقف على الداعى أم لا ؟ وعرض فيه لوجهات النظر المختلفة بخصوص ذلك .

وهو هنا يربط بين الدواعى والدوافع Motives أو البواعث Incentives (ص٣٧-٤٣).

الفصل السابع : فى تقرير دلائل القائلين بأن الفعل لا يصدر عن القادر إلا عند حصول الداعى .

الفصل الثامن : ويوضح فيه أن حصول الداعى يجب صدور الفعل بالضرورة ولا يبقى الجواز البتة . فمن الناس من قال : إن عند حصول الداعى يصير الفعل أولى بالوقوع ، لكنه لا ينهى تلك الأولوية إلى حد الوجوب . وهذا القول باطل من عدة وجوه .

الفصل التاسع : فى تقسيم الدواعى . التقسيم الأول : أن الدواعى التى تقع فى القلوب على قسمين : منها ما يحصل فىالقلب بإيقاع العبد ، ومنها ما يحصل فيه ابتداء بتخليق الله تعالى . التقسيم الثانى للدواعى : إلى كلية وجزئية .

ويتضمن هذا الفصل الكلام عن دوافع وبواعث السلوك (ص ٦١ - ٦٤) .

الفصل العاشر : فى تحقيق الكلام فى تقسيم الدواعى إلى ما يكون داعية الحاجة . وإلى ما يكون داعية الإحسان . وهو رأى المعتزلة ، الذين أقاموا عليه الكثير من مباحثهم فى علوم الإلهيات .

ويتضمن هذا الفصل الكلام عن تقسيم الدوافع والبواعث إلى نوع يدفع إلى القيام بالسلوك للحصول على إشباع حاجات فيها تقع للإنسان . وإلى نوع يدفع إلى السلوك للحصول على أشياء حسنة لأنها حسنة ، أو يتجنب أشياء لأنها قبيحة . وبمعنى آخر هى دوافع السلوك الخلقى ، أو القيم الخلقية (ص ٦٥ - ٧٢) .

الفصل الحادى عشر : فى شرح أن العبد كيف يكون فاعلاً ؟ ويذهب المؤلف إلى القول بأن بمجموع القدرة مع الداعية مستلزم لحصول الفعل .

الباب الثانى : فى البحث عن الفرق بين القادر وبين الموجب واستقصاء الكلام فيه.

قالت الفلاسفة : القول بإثبات مؤثر يكون تأثيره على سبيل الصحة لا على سبيل الوجوب : قول مشكل من عدة وجوه .

أما الفلاسفة فقولهم فى هذا المقام قولان : منهم من سلم أن الرجحان بدون المرجح محال . ومنهم من قال : إن الرجحان بدون المرجح فى حق القادر غير ممتنع ، وضربوا لذلك بعض الأمثلة منها المخير بين شرب القدحين ، أو أكل الرغيفين .

وقال أهل الملل والنحل : المؤثر إما أن يقع مع جواز أن لا يؤثر وهو القادر ، أو

يؤثر لا مع جواز أن لا يؤثر ، وهو الموجب ، وهذا التقسيم يدل على أن كل مؤثر ، فهو إما قادر وإما موجب .

فأرباب الملل والأديان اتفقوا على أنه تعالى كان عالماً قادراً فى الأزل ، وكونه عالماً قادراً عين الذات المخصوصة ، كان القول بإثبات القدماء لازماً عليهم .

الباب الثالث : فى كونه تعالى عالماً:

الفصل الأول : فىتحقيق الكلام فى حقيقة العلم والإدراك . وقد عرض المؤلف لذلك أيضاً فى بداية الجزء الأول من الكتاب .

الفصل الثانى : ويعرض فيه لدلائل المتكلمين فى كونه تعالى عالماً . وعرض فيه لطريقة الإتقان والأحكام .

الفصل الثالث : وفيه تقرير لطريقة أخرى سوى طريقة الإتقان والأحكام تدل على كونه تعالى عالماً بناء على كونه تعالى فاعلاً بالاختيار لا موجباً بالذات .

الفصل الرابع : فى تقرير الوجوه التى استدل بها الشيخ الرئيس أبو على بن سينا فى سائر كتبه على كونه تعالى عالماً بالمعلومات . وهى ثلاثة وجوه : الأول : بين فيه كونه تعالى عالماً بذاته ، وأن علمه بذاته يوجب كونه عالماً بما سواه . الثانى : بين فيه كونه تعالى عالماً بغيره ، ثم بين أنه متى كان عالماً بما سواه ، فإنه يكون عالماً بذاته . الثالث : يذكر فيه أن الجوهر المجرد إذا اتحد بالصورة المجردة وحصل التعقل . فالذى يكون مجرداً لذاته أولى أن يكون عقلاً ومعقولاً وعاقلاً .

الفصل الخامس : وعرض فيه المؤلف للمسائل المفرعة على إثبات كونه تعالى عالماً .

الفصل السادس : فى البحث عن كونه تعالى عالماً بالجزئيات . فمن الناس من يحكى عن الفلاسفة أنهم يقولون : إنه تعالى غير عالم بالجزيئات . وهذه الحكاية كما يرى المؤلف فيها نظر ؛ وذلك لأن المخصوصية ذات معينة وهو عالم بتلك الذات المعينة .

الفصل السابع : فى بيان كونه تعالى عالماً بالمعدومات . فالقائلون بكونه تعالى عالماً بالجزئيات اختلفوا فمنهم من قال : إنه تعالى لا يعلم الجزئيات إلا عند دخولها فى الوجود . والأكثرون اتفقوا على أنه تعالى عالم بهذه الجزئيات قبل دخولها فى الوجود.

الباب الرابع : فى كونه تعلى مريداً :

الفصل الأول : ويعرض فيه لمعانى الإرادة المختلفة . منها أنها صفة تقتضى ترجيح أحد طرفى الممكن على الآخر من غير وجوب ومن غير تكوين . وقد اعترض على ذلك الفلاسفة من عدة وجوه .

الفصل الثانى : فى اللذة والألم. وتحدث فيه عن أنواع اللذة ، منها اللذة الجسمانية وهى خاصة بالبشر ، أما اللذة الروحانية فقد أطبقت الفلاسفة على إثباتها لواجب الوجود .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١٨٣- ١٨٤) .

الباب الخامس : فى كونه تعالى سميعاً بصيراً :

وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام أساسية : الأول : فى البحث عن ماهية السمع والبصر . والثانى : ويختص بالبحث عن الدلائل الدالة على إثبات تلك الصفة لله سبحانه وتعالى . الثالث : البحث عن دلائل من ينكر ثبوتها لله تعالى .

ويرتبط ما ورد فى هذا الباب بموضوع سيكولوجية الإحساس والإدراك Psychology of sensation & Perception (ص ١٨٥ - ١٩٧) .

الباب السادس : فى كونه تعالى متكلماً :

المسألة الأولى : فى البحث عن حقيقة الكلام وأصوله .

المسألة الثانية : فىإثبات كونه تعالى متكلماً . وذلك على أساس كونه تعالى فاعلاً مختاراً ، وعلى كونه تعالى عالماً بالجزئيات .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية اللغة (ص ٢٠١ - ٢٠٧) .

الباب السابع : فى كونه تعالى قديماً باقياً :

فمن الناس من يقول : إن كونه قديماً باقياً عين الذات المخصوصة ، ومنهم من يقول هما صفتان قائمتان بذات الله تعالى . ولكل منهم براهينه المؤيدة لوجهة نظره .

الباب الثامن : فى كونه حياً :

ويقضى بكونه تعالى حياً : أنه يصح أن يعلم ويقدر ، ولما ثبت بالدليل كونه قادراً عالماً ، وكل ماكان موجوداً امتنع أن يكون ممتنع الوجود ، يثبت أنه تعالى يصح أن يعلم ويقدر .

الباب التاسع : كلمات فى الصفات :

ويشتمل على أحد عشر فصلاً هى كالآتى :

الفصل الأول : فى حصر صفات الله تعالى . فقد حصر المتكلمون الصفات فى هذه الثمانية : وهى كونه : حياً ، عالماً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً ، باقياً .

الفصل الثانى : فى أنه تعالى عالماً لذاته أو لمعنى . فمن المتكلمين من زعم أن العلم صفة قائمة بذات العالم ولها تعلق بالمعلوم ، ومنهم من زعم أن العلم صفة توجب العالمية. وأما المؤلف فيقول : " وأما نحن فلا نثبت إلا أمرين الذات والنسبة ، والمسماه بالعالمية ، وندعى أن هذه النسبة ليست نفس الذات ، بلى هى أمر زائد على الذات ، موجود فىالذات . وهذا هو البحث عن المعقول الصرف " .

الفصل الثالث : فى إحصاء صفات الله تعالى . أطبقت الفلاسفة على أن صفات الله تعالى إما سلوب (كأن نقول أنه ليس بجسم ولا بجوهر ولا بمتحيز) ، وإما

إضافات (كأن نقول إنه جواد موجد مفضل) . وأشار المؤلف أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك الحصر إلا على سبيل الأولى والأخلق .

الفصل الرابع : فى أن تكوين الشيء هل هو نفسه ، نفس المكون أو غيره ؟ وعرض فيه لوجهة النظر المؤيدة لذلك والأخرى المعارضة لذلك.

الفصل الخامس : فى تقسيم أسماء الله تعالى على أساس عدة وجوه : ١ - الاسم الدال على الذات . ٢ - الاسم الذى يفيد جزء الماهية . فنقول فى هذا حق واجب الوجود محال ؛ لأنه فرد منزه عن جهات الكثرة والتركيب . ٣ - الاسم الذى يفيد صفة خارجة عن الماهية. فنقول : هذا الاسم إما أن يدل على حقيقة عرية عن الإضافة أو يدل على إضافة فقط ، أو على سلب فقط أو على صفة حقيقية مع إضافة أو على صفة حقيقية مع سلب (٢٣٩ - ٢٤٠) .

الفصل السادس : فى إثبات كونه تعالى حكيماً . وللفلاسفة فى ذلك طريق ، وللمعتزلة طريق آخر . أما طريق الفلاسفة ، فهو أنهم قالوا : إن العقل يحكم بأن الموجد إما أن يكون خيراً محضاً ، وإما أن يكون مشتملاً على الخير والشر ، إلا أن الخير غالب ، وإما أن يكونا متساويين ، وإما أن يكون الخير مغلوباً ، وإما أن يكون شراً محضاً ، ولكن بديل من هذه البدائل تبريره الخاص لدى هؤلاء الفلاسفة أما طريق المعتزلة : فقالوا ثبت بالدليل : أن الحسن (إنما يحسن) لوجوه عائدة إليه ، وأن القبيح يصح لوجوه عائدة إليه . وإذا ثبتت هذه الأصول أنه تعالى غنى عن كل الحاجات ، وأنه تعالى عالم بكل المعلومات . وإذا ثبتت هذه الأصول الثلاثة فإنه يتولد من مجموعها مقدمة واحدة هى أنه تعالى عالم بقبح القبيح وعالم بكونه غنياً عنه (ص٢٧٩-٢٨٧).

الفصل السابع : فى أن تحسين العقل وتقبيحه هل هو معتبر أم لا ؟ أطبقت المعتزلة والكرامية على إثبات تحسين العقل وتقبيحه . وأطبقت الفلاسفة والجبرية على إنكاره ، والمختار عندنا : أن تحسين العقل وتقبيحه بالنسبة إلى العباد معتبر ، وأما بالنسبة إلى الله تعالى فهو باطل .

الفصل الثامن : فى إثبات أن التكليف بما لا يطاق واقع وأنه متى كان الأمر كذلك امتنع أن يقال إنه تعالى يراعى مصالح العباد.

الفصل التاسع : فى ذكر أنواع أخر من الدلائل على فساد القول بتحسين العقل وتقبيحه فى أفعال الله وفى أحكامه .

الفصل العاشر : فى حكاية كلمات المعتزلة فى القول بتحسين العقل وتقبيحه . ولهم فى ذلك نوعان من الكلام : الأول : ادعاء الضرورة فى ثبوت الحسن والقبح فى الشاهد . ثم بعد ذلك يزعمون : أنه لما ثبت ذلك فى الشاهد وجب ثبوته فى الغائب .

الثانى : إثبات أن الحسن يحسن لوجوه عائدة إليه . وأن القبح يقبح لوجـوه عـائدة إليـه بالحجة والدليل .

الفصل الحادى عشر والأخير من الجزء الثالث فيرد فيه المؤلف على هذه الوجوه التى قدمها المعتزلة فى تحسين العقل وتقبيحه .

الجزء السابع
من كتاب المطالب العالية
فى الأرواح العالية والسالفة (النفس)

المقالة الأولى : فى المقدمات :

وتشتمل على أربعة فصول :-

الفصل الأول : فى تفاصيل مذاهب الناس فيها . فالموجود إما يكون واجباً لذاته وإما أن يكون ممكناً لذاته . أما الواجب لذاته فهو الله جل جلاله . وأطبق المحققون على أنه يجب أن يكون لا متحيزاً ولا حالاً وأما الممكن لذاته ، فإما أن يكون قائماً بالنفس ، وإما أن يكون قائماً بالغير . والقائم بالنفس إما أن يكون متحيزاً ، وإما أن لا يكون . والقائم بالغير إما أن يكون قائماً بالمتحيز ، وإما أن يكون قائماً بغير المتحيز . وهذه أقسام أربعة .

ويعرض هذا الفصل لمفهوم النفس Psychic ، كما يرتبط بموضوع اعتقادات الناس (ص ٧ - ١١) .

الفصل الثانى : وهو فى ذكر شرح آخر فى تقسيم الأرواح . فالروحيات لها مراتب :

الأول : وهى أعلاها رتبة : الذين يكونون مستغرقين فى نور جلال الله تعالى .

الثانية : النفس المدبرة للكرسى . وذلك كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ .

الثالثة : الأرواح المدبرة لفلك "زحل" وسائر أطباق السموات وأجرام الكواكب. ثم بعد هذه المراتب : الأرواح المدبرة لكرة الأثير ، ثم لكرة الهواء ، ثم الأرواح المدبرة لأقسام هذا العالم .

الفصل الثالث : ويعرض فيه لحكاية شبهات المنكرين للموجودات الروحانية والجواب عنها .

الفصل الرابع : فى ذكر الدلائل على ثبوت هذا القسم من الموجودات على سبيل الإجمال . فثبت بالبرهان وجود موجودات مجردة فى الأعيان ، وهى التى كان يقول بها أفلاطون وكان يسميها بالمثل المجردة .

المقالة الثانية : فى بيان أن النفس الإنسانية هل هى جوهر مجرد عن الجسمية والحلول فى الجسمية أم لا ؟

وتشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : فى تفاصيل مذاهب الناس فيه .

الفصل الثانى : فى حكاية دلائل القائلين بأن النفس يجب أن تكون جوهراً جسمانياً.

الفصل الثالث : فى حكاية الحجة التى هى أقوى الوجوه فى إثبات تجرد النفس .

الفصل الرابع : فى حكاية الدلائل التى عول عليها الشيخ فى إثبات أن النفس الناطقة مجردة .

الفصل الخامس : فى حكاية الدلائل الإقناعية التى ذكروها فى أن النفس الناطقة مجردة عن الجسمية .

ويرتبط هذا الفصل بمفهوم الذات ، والقدرات العقلية Mental Abilities . وسمات الشخصية Personality traits وكذلك بموضوع العلاقة بين تقدم العمر Age ، وتدهور القدرات العقلية ، وسمات الشخصية (ص ٩١ - ٩٩) .

الفصل السادس : فى الدلائل القوية المعتبرة فى إثبات النفس . ومن الحجج المذكورة فى ذلك ، أن هذا الجسد أجزاؤه واقعة فى التبدل . والمشار إليه لكل أحد ، بقوله : "أنا" : غير واقع فى التبدل . ينتج : أن هذا الجسد ليس هو الشيء المشار إليه بقوله : "أنا" .

الفصل السابع : فى الدلائل السمعية على أن النفس غير البدن . فهناك ما يؤيد ذلك فى الكتاب والسنة . فالقرآن دل أن السعداء أحياء بعد الموت والأشقياء أحياء بعد الموت . وذلك يدل على أن النفس غير البدن وعلى أنها باقية بعد موت البدن .

المقالة الثالثة : فى صفات النفوس البشرية :

وتشتمل على ٢٣ فصلاً :

الفصل الأول : فى أن النفوس هل هى متحدة فى الحقيقة والماهية أم لا ؟ وعرض فيه لوجهة نظر قدماء الفلاسفة ، والشيخ الرئيس " أبى على بن سينا " وغير ذلك من الآراء.

ويرتبط هذا الفصل والفصول التالية بمفهوم النفس Psychic والفروق الفردية بين الأفراد فى طباعهم وسمات شخصيتهم وأخلاقهم (ص ١٤١ - ١٤٨).

الفصل الثانى : فى بيان ذكر جملة الأسباب الموجبة لاختلاف النفوس فى الصفات . وهى نوعان : الأول: اختلاف النفوس فى الماهيات والذوات . والثانى: الأمور الخارجة عن الذات والجوهر ، وترتبط بأحوال الكواكب ، وأمزجة الأعضاء ، وظروف الطقس والبيئة.

ويرتبط هذا الفصل : بموضوع سيكولوجية الشخصية Personality واختلاف أنماط الشخصية باختلاف حالة الجسم والبيئة التى يعيش فيها الفرد .

كما يرتبط أيضاً بموضوع الفروق الفردية فى التعلم Learning ، والذاكرة Memory، والفهم Understanding.

وكذلك بالأسس العصبية والفسيولوجية للسلوك . فتحدث أن الدماغ تنقسم إلى ثلاثة تجويفات ، أحدها خاص بالتخيل Imagination والثانى خاص بالتفكير Thinking والثالث للذاكرة Memory . كما يرتبط بالانفعالات Emotions وعلاقتها بالحالة الجسمية والنفسية للفرد (ص ١٤٩ - ١٥٧) .

الفصل الثالث : فى بيان أن النفوس واحدة . ذهب أرسطاطاليس وأصحابه إلى أن النفس واحدة وتنبعث عنها قوى مختلفة كثيرة بحسب الأفعال المختلفة . وقال جالينوس: النفوس ثلاث هى النطقية ، ومتعلقها الدماغ ، والنفس الغضبية ومتعلقها القلب ، والنفس الشهوانية ومتعلقها الكبد . ويرى المؤلف أن الرأى الأول هو الصواب ، فلكل إنسان نفس واحدة .

ويرتبط هذا الفصل بمفهوم النفس Psychic وأقسامها (ص ١٥٩ - ١٦٢) .

الفصل الرابع : فى بيان أن المتعلق الأول للنفس هو القلب وأن العضو الرئيسى المطلق هو القلب .

الفصل الخامس : فى حكايات شبهات " جالينوس " على مذهبه والجواب عنها .

ويرتبط هذا الفصل بالأساس العصبى للسلوك ، وموضوع الإدراك والإحساس (ص١٧٥-١٨٤) .

الفصل السادس : فى تلخيص مذهب أصحاب " أرسطاطاليس " فى كيفية الأرواح القلبية والدماغية .

الفصل السابع : فى أن النفوس الناطقة محدثة أو قديمة .

الفصل الثامن : وتحدث فيه عن التناسخ . وأن هناك من يثبته وهناك من ينفيه . فهناك من يقول إنه يجوز انتقال النفوس البشرية إلى أبدان البهائم وبالضد . أما انتقالها إلى أجسام النبات والمعادن فاختلفوا فيه .

الفصل التاسع : فى بيان أن النفس باقية بعد موت الجسد .

الفصل العاشر : فى تقرير الوجوه الإقناعية فى بيان أن النفس باقية بعد موت الجسد. أجمع الأولياء والأنبياء والحكماء الإلهيون على أن النفس باقية بعد موت البدن ، وذلك لأن هؤلاء الفرق الثلاثة حرفتهم وطريقتهم : الإعراض عن الدنيا والإقبال على عالم الآخرة .

الفصل الحادى عشر : فى بيان أن النفس لا تقبل الهلاك والعدم . ومن الحجج التى قدمها المؤلف فى ذلك قوله : لو كانت النفس الناطقة قابلة للفساد لكانت مركبة من المادة والصورة . وهذا محال فذاك محال .

الفصل الثانى عشر : فى أنه هل يعقل وجود نفس واحدة تكون متصرفة فى بدنين ووجود نفسين يكونان متصرفين فى بدن واحد ؟ وعرض المؤلف لوجهات النظر المختلفة فى ذلك أو أن الاحتمالين جائزان بشروط معينة .

الفصل الثالث عشر : فى بيان أن النفوس الناطقة مدركة للكليات والجزئيات معاً وأنها هى المباشرة لجميع الأفعال بنفسها ، وإن كانت تلك المباشرة موقوفة على استعمال الالآت .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس والإدراك - وخاصة إدراك الكل والجزء (ص ٢٤٧ - ٢٥٤) . كما يرتبط بالأساس الفسيولوجى للسلوك .

الفصل الرابع عشر : فى إقامة الدلالة على أن الموصوف بجميع أقسام الإدراكات والمباشر لجميع التحريكات والتدبيرات لهذا البدن هو النفس .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس والإدراك (ص ٢٢٥ - ٢٥٩) .

الفصل الخامس عشر : فى بيان أن النفس بعد مفارقة البدن تبقى عالمة مدركة بالجزئيات.

الفصل السادس عشر : فى البحث عن علل النفوس الناطقة .

الفصل السابع عشر : فى بيان أن اشتغال النفوس البشرية بالدعاء والتضرع هل يعقل أن يكون فيه فائدة أم لا ؟ فهناك من أنكر هذه التأثيرات ، واحتج على صحة ذلك الإنكار بوجوده . وهناك المعترفون بأن الاشتغال بالدعاء طريق نافع ، ومنهج مستقيم .

الفصل الثامن عشر : فى بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور .

الفصل التاسع عشر : فى مراتب النفوس فى المعارف والعلوم. التقسيم الأول فى ذلك على أساس المراتب :

١ - العقول الهيولانية .

٢ - العقل بالملكة .

٣ - العقل بالفعل .

٤ - أن تكون تلك العلوم حاضرة بالفعل .

االتقسيم الثانى : الإدراكات للجزئيات والكليات .

التقسيم الثالث : أن يتوقف الإبصار على شرائط ، وتفكير .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الإدراك الحسى (ص ٢٧٩ - ٢٨٤) . والتفكير .

الفصل العشرون : ويتحدث فيه عن نسبة الأعضاء والقوى إلى جوهر النفس .

الفصل الحادى والعشرون : فى تعديد خواص النفس الإنسانية ومنها : النطق ، والقدرة على استنباط الصنائع العجيبة ، والحكم بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها ، وتذكر الأمور الماضية ، والفكر والروية .

ويرتبط هذا الفصل بالعمليات المعرفية كالتذكر والتفكير ، وبالقيم الخلقية .

الفصل الثانى والعشرون : فى بيان أن اللذات العقلية أشرف وأكمل من اللذات الحسية .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع ارتقاء الدوافع الإنسانية The development of human motives (ص ٢٩٧ - ٣٠٢) .

الفصل الثالث والعشرون : فى البحث عن نفوس سائر الحيوانات - اتفق الفلاسفة المتأخرون على أنها قوى جسمانية . وليس لأحد أن يقول لو كانت نفوسها مجردة لوجب كونها مساوية للنفوس البشرية فى تمام الماهية ، ويلزم وقوع الاستواء فى العلوم والأخلاق ، وهذا محال .

ويرتبط هذا الفصل بعلم النفس الحيوانى Animal Psychology فهناك إشارة لأحوال النمل ورئاسته ، وذكاء النمل أيضاً فى تدبير غذائه فى فصل الصيف وقبل نزول المطر وهبوب الرياح (ص ٣٠٣ - ٣١١) .

المقالة الرابعة : فى البحث عن أحوال الأرواح السفلية المسماة بالجن والشياطين : .

وتشتمل على ثلاثة فصول نعرض لها على النحو الآتى :-

الفصل الأول : فى أن القول بالجن والشياطين هل هو ممكن أم لا ؟

ذهب جمهور أرباب الملل والنحل إلى أن فرق العقلاء المكلفين أربعة : الملائكة ، والبشر ، والجن ، والشياطين . واختلفوا فى أنه هل الجن نوع والشياطين نوع آخر ؟ فقال قوم : الأمر كذلك . وقال آخرون : الجن هم الأرواح الطاهرة الخيرة ، والشياطين هم الأرواح المؤذية الشريرة (ص ٣١٥) .

الفصل الثانى : فى الطرق الدالة على إثبات الجن والشياطين .

أوضح المؤلف أنه لا يوجد دليل يدل نفيها وفساد القول بها . كما لا يوجد دليل عقلى يوجب الجزم بوجودهم .

الفصل الثالث : فى البحث عن حقيقة الإلهام والوسوسة واستقصاء القول فيها .

ويرتبط هذا الفصل بمصدر المعرفة الذى يحصل عن طريق الإلهام ، كما يرتبط أيضاً بموضوع الوساوس Obsessions وأسبابها (ص ٣٢٩ - ٣٣١) .

المقالة الخامسة : فى تفاصيل الكلام فى الأرواح العالية الفلكية :

وتشتمل على تسعة فصول نعرض لها على النحو التالى :

الفصل الأول : فى إقامة الدلالة على أن الأفلاك والكواكب أحياء ناطقة .

الفصل الثانى : فى بيان صفة النفس الفلكية .

الفصل الثالث : فى تعديد مذاهب الناس فى السبب الموجب لكون الفلك متحركاً بالاستدارة .

الفصل الرابع : فى تتبع هذه المذاهب .

الفصل الخامس : فى تعديد الطرق المذكورة فى إثبات العقول الفلكية .

الفصل السادس : فى البحث عن فروع القول بهذه العقول والنفوس .

الفصل السابع : فى نقل كلمات أصحاب الطلسمات فى صفات الأرواح الفلكية العالية .

الفصل الثامن : ويتضمن شرحاً لصفات الملائكة - حسب ما وردت فى القرآن : فهم رسل الله ، وقريبون منه ، ومطيعون ، ويخافون ربهم ويخشونه .... الخ .

الفصل التاسع : فى المقارنة بين أفضلية الملائكة أم البشر ؟

الجزء الثامن
من كتاب المطالب العالية
فى النبوات وما يتعلق بها

القسم الأول من كتاب النبوات : فى تقرير القول بالنبوة عن طريق المعجزات :
ويشتمل على خمسة عشر فصلاً نعرض لها على النحو الآتى :-

الفصل الأول : فى شرح مذاهب الناس فى هذا الباب . فالمنكرون للنبوات فرق ، إحداها : الذين قالوا إله العالم موجب بالذات لا فاعل بالاختيار والثانية : الذين سلموا أن إله العالم فاعل مختار ولكنهم أنكروا الأمر والنهى والتكليف . والثالثة : الذين سلموا أن إله العالم أحل لعبادة أشياء ونهاهم عن أشياء . إلا أنهم قالوا : العقول وحدها كافية فى معرفة تلك التكاليف .

الفصل الثانى : فى حكاية شبهات من أنكر النبوات بناء على نفى التكاليف . وتناول فيه أنواع المنكرين وحججهم فى هذا الصدد .

الفصل الثالث : فى تقرير شبهات من ينكر التكليف لا بالبناء على مسألة الجبر فقالوا إن هذه التكاليف إما أن تكون مشتملة على فائدة ومصلحة ، وإما أن لا تكون . والقسمان باطلان . كما أنه مع بيان القول بتحسين العقل وتقبيحه وجب أن يكون التكليف قبيحاً .

الفصل الرابع : وهو فى تقرير شبهات المنكرين للنبوات بالبناء على أن العقل كاف فى معرفة التكليف . وذلك يوجب سقوط القول بالبعثة والرسالة .

الفصل الخامس : فى حكاية شبهات من يقول : القول بخرق العادات محال .

الفصل السادس : فى شبهات القائلين بأن المعجزات لا يمكن أن يعلم أنها حدثت بفعل الله وبتكليفه . وبيان أنه متى تعذر العلم بذلك امتنع الاستدلال بما هى على صدق المدعى .

الفصل السابع : ويعرض فيه المؤلف لحكاية شبهات القائلين بأن على تقدير أن يثبت أن خالق المعجزات هو الله سبحانه وتعالى إلا أن ذلك لا يدل على أنه تعالى إنما خلقها لأجل تصديق المدعى للرسالة .

الفصل الثامن : فى حكاية دلائل من استدل بظهور المعجز على صدق المدعى .

الفصل التاسع : وهو فى تقرير نوع آخر من الشبهات فى بيان أن ظهور الفعل الخارق للعادة الموافق للدعوى مع عدم المعارضة : لا يدل على صدق المدعى .

الفصل العاشر : فى أن بتقدير أن يكون المعجز قائماً مقام ما إذا صدقه الله تعالى

على سبيل التصريح . فهل يلزم من هذا كون المدعى صادقاً .

الفصل الحادى عشر : فى الطعن فى التواتر :حيث زعمت بعض الجماعات : أنهم شاهدوا المعجزات . ويرى المؤلف أنه لا يوجد دليل يجعلنا نسلم بذلك على سبيل اليقين التام . فاليهود والنصارى أطبقوا على صلب عيسى عليه السلام وقتله . والمسلمون أطبقوا على تكذيبهم فيه . وهذا أيضاً طعن فىالتواتر . كما أنهم يدعون إلى التثليث والمسلمون يكذبونهم فيه وهذا أيضاً طعن فى التواتر .

الفصل الثانى عشر : فى تقرير شبهة من يقول : إن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة . وهذه الشبهة قد ذكرها الله تعالى فى القرآن قال تعالى : ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ .

الفصل الثالث عشر : فى البحث عن الطريق الذى يعرف الرسول كونه رسولاً من عند الله عز وجل .

الفصل الرابع عشر : فى الشبهات المبنية على أنه ظهر على الأنبياء أعمال تقدح فى صحة نبوتهم .

الفصل الخامس عشر : فى الإشارة إلى أجوبة هذه الشبهات فإذا عرف العاقل أصول ثلاثة زالت عنه هذه الشبهات بأسرها : وذلك من كمال الله تعالى علىالعباد ، حيث هداهم إلى هذه الأصول الثلاثة . الأول منها : أن نقول : لا شك أن القول بإثبات النبوات ، فرع على القول بإثبات الفاعل المختار ، فمن نازع فى ذلك الأصل فإنه لا يجوز له الخوض فى إثبات النبوات البتة ؛ بل يجب عليه الشروع فى تلك المسألة .

القسم الثانى : فى تقرير القول بالنبوة عن طريق آخر وهو قدرة النبى على تكميل الناقص :

ويشتمل على سبعة فصول . نتناولها على النحو التالى :-

الفصل الأول : فى تمييز هذا الطريق عن الطريق المتقدم . فالقائلون بالنبوات فريقان: أحدهما الذين يقولون : إن ظهور المعجزات على يده ، يدل على صدقه ثم إنا نستدل بقوله على تحقيق الحق ، وإبطال الباطل . وهذا القول هو الطريق الأول ، وعليه أرباب الملل والنحل . القول الثانى : أن نقول : إنا نعرف أولاً أن القول فى الاعتقادات ماهو؟ وأن الصواب فى الأعمال ماهو ؟ فإذا عرفنا ذلك . ثم رأينا إنساناً يدعو الخلق إلى الدين الحق ، عرفنا أنه نبى صادق واجب الاتباع . وهذا الطريق أقرب إلىالعقل ، والشبهات فيه أقل .

الفصل الثانى : فى أن القرآن العظيم يدل على أن هذا الطريق هو الطريق الأكمل الأفضل فى إثبات النبوة. فالإقرار بالإلهيات يتبعه مباشرة الإقرار بالنبوات . وكمال

حال الأنبياء يتمثل فى حصول أمور أربعة هى : كمال القوة النظرية ، والقوة العملية ، قدرته على تكميل االقوة النظرية لغيره ، قدرته على تكميل القوة العملية التى لغيره .

الفصل الثالث : فى صفة هذه الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الرابع : وهو فى بيان أن محمداً عليه الصلاة والسلام أفضل من جميع الأنبياء والرسل.

الفصل الخامس : فى بيان أن إثبات النبوة بهذا الطريق أقوى وأكمل من إثباتها بالمعجزات .

الفصل السادس : فى تقرير طريقة الفلاسفة فى كيفية ظهور المعجزات على الأنبياء عليهم السلام .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس Psychology of sensation والأحلام Dreams (ص ١٢٧ - ١٣٦) .

الفصل السابع : ويعرض فيه المؤلف لقول الفلاسفة فى السبب الذى لأجله يقدر الأولياء والأنبياء على الإتيان بالمعجزات والكرامات .

القسم الثالث : فى الكلام فى السحر وأقسامه :

الفصل الأول : فى بيان أنواع السحر ، وهى عشرة أنواع : منها السحر المبنى على مقتضيات أحكام النجوم وهو أشدها تأثيراً وأعظمها قوة ، والسحر المبنى على قوة الوهم وتصفية النفس ، والسحر المبنى على خواص الأدوية المعدنية والنباتية ، والسحر المبنى على العزائم والرقى ، والسحر المبنى على الاستعانة بالأرواح الفلكية ، والسحر المرتب على علم الهندسة .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن تقرير الأصول الكلية المعتبرة فى السحر المبنى على طريق النجوم . وفيه تناول الفصول التالية :

الفصل الأول : فى الطلاسم ، وهو كما يقول الفلاسفة والصابئة : عبارة عن تمزيج القوى الفعالة السماوية ، بالقوى المنفعلة الأرضية ، لإحداث ما يخالف العادة ، أو للمنع مما يوافق العادة .

الفصل الثانى : فى بيان أن الوقوف على أصول هذا العلم عسر جداً .

الفصل الثالث : فى الطريق الذى حصل به الوقوف على طبائع الأجرام الفلكية وهى ثلاثة أمور : القياس والتجربة والوحى .

الفصل الرابع : وتحدث فيه عن الشرائط الكلية المعتبرة فى دعاية هذا النوع .

الفصل الخامس : فى تلخيص الأصول المعتبرة فى هذا الباب . وتحدث فيه عن أحوال المؤثرات العلوية :(أنواع الكواكب ، النقط الفلكية المؤثرة ومعرفة طبيعة الفلك). كما تحدث عن الأمور التى يجب معرفتها عن الأجسام القابلة السفلية .

أما الفصل السادس والأخير من هذا الجزء فهو فى التنبيه على أصول أخرى يجب مراعاتها فى هذه الأعمال . وهذه الأصول إما أن تكون معتبرة فى الكواكب أو فى البروج .

فخر الدين الرازى : الطب الروحانى [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على عشرين فصلاً نعرض لها على النحو التالى :-

الفصل الأول : فى فضل العقل ومدحه : ويتلخص مضمونه فى أن الله قدميز الإنسان عن سائر الكائنات بالعقل ، والذى من خلاله ندرك جميع ما يرفعنا ويطيب عيشنا ونصل إلى بغيتنا وقرارنا ، فمن خلاله تدرك مثلاً صناعة السفن ، والطب وسائر الصناعات ، ولولاه لكانت حالتنا مثل البهائم والأطفال والمجانين . ومن خلاله يمكن تصور أفعالنا العقلية - قبل ظهورها للحس .

ويرتبط هذا بمفاهيم : الإحساس Sensation ، والإدراك Perception ، والذكاء Intelligence ، والمرض النفسى Mental Illnes .

الفصل الثانى : فى قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم . ويدور حول قمع الهوى ومخالفة مايدعو إليه الطباع . وتمرين النفس على ذلك بشكل تدريجى. فأهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان ملكة الإرادة وإطلاق العقل بعد الروية . فالهوى والطباع يدعوان إلى اتباع اللذات الحاضرة دون فكر ولا تدبر في عاقبة . ويعرض المؤلف للفرق بين الشعور باللذة لدى الإنسان والحيوان . فالشعور باللذة لدى الحيوان قصير الأمد ويمكن بلوغه بسهولة . أما الإنسان فطويل الأمد ويصعب تحقيقه بسرعة فالإنسان يتشوق ويتطلع دائماً إلى المزيد . ويقسم أفلاطون الإنسان إلى ثلاث أنفس هى : النفس الناطقة والإلهية ، والنفس الغضبية والحيوانية ، والنفس النباتية والنامية والشهوانية . والتقصير فى فعل النفس النباتية أن لا تغدو ولا تنمو بالكمية والكيفية المحتاجة إليها جملة الجسد ، حتى يغرق فى اللذات والشهوات وتقصير فعل النفس الغضبية أن لا يكون عندها من الحمية والأنفة ما يمكنها أن تقهر النفس الشهوانية . أما تقصير فعل النفس الناطقة أن لا يخطر ببالها استغراب هذا العالم واستكباره ، والفكر فيه والتعجب منه ، والتشوق إلى معرفة جميع ما فيه .

ويرتبط هذا النص بالدوافع والغرائز وقمع الدوافع والسيطرة عليها . كذلك يرتبط بكل من : المرض العقلى Mental Illness ، والانفعالات Emotions (مثل السعادة

(١) فخر الدين الرازى ؛ ضبطه وقدم له سليمان سليم البواب . دمشق ؛ بيروت : دارالحكمة ، ١٩٨٦. ١٢٦ ص .

Happiness) . (ص ٤٧ - ٥٧) .

الفصل الثالث : جملة قدمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على انفرادهـا ويعـرض فيه لما سبق الحديث عنه فى الفصل السابق ، عن الأسباب التى نستقى منها جميع وجـوه التلطف لإصلاح خلق ما ردى وتقديم لما سيأتى فى الفصل الرابع عـن معرفـة الإنسـان لعيوبه .

الفصل الرابع : فى تعرف االرجل عيوب نفسه . ويتحدث عن معرفـة الفـرد لعيوبـه وأخطائه من خلال الاستعانة بالآخرين من العقلاء أو المشرفين ، فيعرض عليهم عيوبه . ويطلب منهم النصيحـة دون مجاملـة . وألا يسـخر أو يسـتهزىء بـه . وأن يصغـى إليـه جيداً. وإن رأى المشرف الشخص قد كتم عنه شيئا أخبره بأن ذلك غـير صحيـح وأنـه يجب التصريح مباشرة بكل مالديه ، وأن يتعاطف مع مشاكله وعيوبه .

يقترب هذا الفصل بما يسمى بالإرشاد Counseling ، وخاصـة الإرشـاد غـير الموجـه Non - Directive Psychotherapy. وهو أحد أساليب العلاج النفسى الذى قدمه ، كارل روجرز Rogers (ص ٥٩ - ٦٠) .

الفصل الخامس : فى العشق والإلف وجملة الكلام فى اللـذة . فـاللذة بشـىء سـوى إعادة ما أخرجـه المـؤذى عـن حالتـه إلى حالتـه التـى كـان عليهـا . ويعـرف الفلاسـفة الطبيعيون حد اللذة بأنهـا رجـوع إلى الطبيعـة ، فبمقـدار أذى الجـوع والعطـش يكـون الالتذاذ بالطعام والشراب .ويخطىء من يتصور اللذة على أنها بعيدة من الألـم والأذى ، كما هو الحال لدى العشاق ومن كلف بشىء وأغرم به ؛ فهم يحزنون من حيث يظنون أنهم يفرحون، ويألمون من حيـث يظنـون أنهـم يلـذون ؛ وذلـك لأنهـم لا ينـالون مـن ملاذهم شيئا إلا بعد أن يمسهم الهم والجهد . والكثير منهم يصل إلى حالـة فقـد الغـذاء والجنون ، والوساوس . ويؤيد وجهة النظرة المعارضة لرأى الفلاسفة فـى العشـق الذيـن يرون أنه شىء نبيل وسامى ، وأنه مظهر رقة الطبع ولطافة الذهن . ويقول المؤلف : إن اليونانيين على الرغم من أنهم من أرق الأمم - إلا أننا نجد أن العشق عندهم أقل مما فـى جملة سائر الأمم . أما الإلف فهو ما يحدث فى النفـس عـن طـول الصحبـة مـن كراهـة مفارقة المصحوب .

يقترب هذا الفصـل مـن : الانفعـالات Emotion (مثـل الشـعور بـاللذة ، والفـرح ، والألم، والحب Love)، والمرض النفسـى Mental Illness والوسـاوس Obsessions كمـا يرتبط بالواقعية وما يصاحبها من حالات وجدانية (ص ٦١ - ٧٠) .

الفصل السادس : " فى الحب " : ويتحدث فيه عن محبة الإنسان وإعجابـه بنفسـه ، فيكون استحسانه للحسن منها فوق حقه ، واسـتقباحه للقبيـح منهـا دون حقـه . فـإذا

كان للإنسان أدنى فضيلة عظمت عند نفسه ، وأحب أن يمدح عليها . وإذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عجبا . ومما يدفع به العجب أن يكل الرجل اعتبار مساويه ومحاسنه إلى غيره .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات ؛ إذ أن العجب بالنفس حالة انفعالية . كما يرتبط بموضوع الحيل العقلية ؛ إذ أن العجب بالنفس كثيراً مايكون وسيلة دفاعية ضد الشعور بالنقص. (ص ٧١ - ٧٢) .

الفصل السابع : فى الحسد . ويذكر فيه أن الحسد يتولد من اجتماع البخل والشره فى النفس والحسد شر من البخل لأن البخل إنما لا يحب أن ينال أحد شيئا مما يملكه والحسود يحب أن لا ينال أحد غيره ولو مما لا يملكه . والحسد داء من أدواء النفس عظيم الأذى لها . وعرض المؤلف لوجود اختلاف بين الحسد والعداوة أو الكراهية بين الناس . والحسد مضر بالنفس والجسد . أما بالنفس فلأنه يذلها ويعذب فكرها ويسبب طول الحزن . وأما بالجسد فلأنه يسبب طول السهر وسوء الاغتذاء ، ورداءة اللون وسوء السحنة ، أو الهيئة وفساد المزاج . ويرى أنه يمكن الإقلاع عن الحسد عن طريق أن يتأمل العاقل أحوال الناس فى ترقيهم فى المراتب ووصوله إلى الطلب .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات : مثل انفعال الحسد والحزن ، والسيرة على انفعال الحسد ، والغضب Anger ، والكراهية أو العداوة Hostility ، والمزاج Mood ، والاقتداء Modeling ، أى وجود نموذج يمثل قدوة (ص ٧٣ - ٧٨) .

الفصل الثامن : فى دفع الغضب . ويتناول فيه أضرار الغضب على الإنسان والتى تصل إلى أن يفقد معه العقل . ويرى أنه يمكن أن يتخلص الإنسان من غضبه عن طريق تذكر الظروف التى أدت إلى غضبه ، وتصور نفسه فى حالة الغضب . وينبغى أن يكون الفرد فى وقت المعاقبة بعيداً عن أربع خصال : الكبر والبغض للمعاقب ومن ضدى هذين ؛ فإذا زاد عنهما أو أقل كان الضرر . وينبغى أن يكون بباله هذه المعانى حتى يكون غضبه بمقدار عدل .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات وبخاصة انفعال الغضب ، وكيفية التحكم أو السيطرة على الانفعالات (ص ٧٩ - ٨٠) .

الفصل التاسع : فى اطراح الكذب هو أحد الأعراض السيئة للهوى ، فهو يجلب من بعده ندماً وهماً وألماً . كما يسبب احتقار الناس واستصغارهم له وعدم ثقتهم به . والإخبار بغير الحق نوعان : نوع يقصد به المخبر إلى أمر جميل مستحسن ولا يترتب عليه فضيحة ولا ندامة بل شكراً وثناء وجميلاً . أما النوع الثانى العديم الغرض ففى تكشفه الفضيحة والمذمة ويترتب عليه الضرر .

ويقترب هذا الفصل من " مفهوم الكـذب " كمـا يستخدم فـى مجـال علـم النفـس الإكلينيكى والانحرافات السيكوباتية . وخاصة الكذب بـالمعنى الثـانى والـذى يستخدم كمؤشر للاضرابات النفسية Mental Disorders (ص ٨١ - ٨٣) .

الفصل العاشر : فى البخل وتحدث فيه بأن البخل ليس من أعراض الهـوى إذا قصـد به التمسك والتحفظ بما لدى الأفراد خوفاً من الفقر واستعداداً للنكبات والمصائب. وأن هناك صعوبة فى تحديد البخلاء لأسباب بخلهم .

الفصل الحادى عشر : فى دفع الفضل الضار مـن الفكـر والهـم . فنظـراً لاختـلاف طبائع الأفراد وعاداتهم تختلف مقادير احتمـال الفكـر والهـم فيهـم . وينبغـى أن يكـون ذلك استخداماً للهوى والسرور واللذة استخداماً إيجابيـاً ، أى لكـى نقـوى مـن خـلال ذلك علـى مواجهـة العـدو والوصـول إلى أهدافنـا، وأن ذلـك ينبغـى أن يكـون بدرجـة معتدلة، فالإفراط والتقصير كلاهما سىء ؛ فالاعتدال فى فكرنا وهمومنا يـؤدى بنـا إلى بلوغ مطالبنا .

المفاهيم والمجالات : يقترب من مفهوم الانفعالات وخاصة ما يسمى بـالحد الأمثـل من الانفعالات أو التوتر والـذى يـؤدى إلى الأداء والإنجـاز بمسـتوى عـال مـن الكفـاءة (ص٨٧ - ٨٨) .

الفصل الثانى عشر : فى دفع الغم . الغم هو عرض عقلى أو هوائى ، يكـدر الفكـر والعقل ويؤذى النفس والجسد . ويتولد الغم غالباً نتيجة فقد المحبوبـات . ويجـب علـى الشخص أن يتخيل دائماً أنه يمكن أن يفقد محبوباته لأن ذلك من وقوع المصيبة ودرجـة الغم الواقع ، وذكر أن الحياة متغيرة ولا ثبات فيها لشىء إطلاقـاً ، ونصـح بضـرورة أن يعى الإنسان أسباب غمه حتى يمكنه إزالتها .

المفاهيم : التخيل Imagination ، والاكتئاب Depression. (ص ٨٩ - ٩٣).

الفصل الثالث عشر : فى الشره والنهم ضرب من اتبـاع الهـوى . ويتولـد عـن قـوة النفس الشهوانية ، إذا ساعدها عمى النفس الناطقة ، أى قلة الحياء كان مع ذلك ظاهراً مكشوفاً . وهو من الأعراض الرديئة التى يترتب عليها الألم والضرر ، كسوء الهضـم ، وتعريض النفس للألم والسقم .

المفاهيم : يقترب من حديث الأطباء عن الاضرابات النفسية وخاصة اضرابات تناول الطعام . (ص ٩٥ - ٩٧) .

الفصل الرابع عشر : فى السكر . يترتب على إدمان المسكرات عـدد مـن الأعـراض والأمراض السيئة ، كالسكتة والاختناق ، وانفجار شرايين الدماغ ، والحمى ، والأورام الدموية ، والصفراوية فى الأحشـاء ، وفقـد العقـل ، وإظهـار السـر وذكـر أن الإدمـان

والمثابرة على اللذات يسقط الالتذاذ بها ويجعله كالشيء الاضطرارى فى بقاء الحياة . والسكر أشد ضراوة من االشره . ومن أسباب دفع الهم والانبساط .

المفاهيم : يقترب من موضوع الإدمان وتعاطى المخدرات ، والأضرار الناجمة من تعاطيها مثل فقدان الوعى ، واضطراب الذاكرة Memory ، وأسباب تعاطى المخدرات (ص ٩٩ - ١٠٠) .

الفصل الخامس عشر : فى الجماع . من الأعراض الرديئة التى يدعو إليها الهوى . والإكثار منه أنه يضعف البصر ، ويهد البدن ، ويسرع بالشيخوخة ، والهرم ، ويضر بالدماغ ، والأعصاب ، ويسبب الكثير من الأمراض . أما الإقلال منه والإمساك عنه فيحفظ على الجسد قوته الأصلية للأعضاء ، فتطول مدة النماء ، وتبطىء الشيخوخة ، والجفاف والهرم ، وتضيق أوعية المنى فيقل تولد المنى فيها ، ويتقلص الذكر وتسقط الشهوة . وفى نهاية الفصل يرى المؤلف أنه على العاقل أن يزم نفسه عن كثرة الجماع، ويجاهدها على ذلك ليأمن عواقبه الرديئة .

المفاهيم : يرتبط هذا الفصل بالاضربات الجنسية Sexuual disorders وبعض المفاهيم مثل الباعث Incentive ، الدافع الجنسى (ص ١٠١ - ١٠٣) .

الفصل السادس عشر : فى الولع والعبث والمذهب . ويتلخص فى التوعية بترك الولع والعبث وبالاستحياء والبعد عنهما . وذلك من خلال تذكر النفس لأوقات العبث والولع . فالتذكر والتيقظ من وسائل مقاومة ذلك . أما المذهب فهو عرض هوائى لا عقلى . وتحدث عن النظافة والطهارة وإدراكها بالحواس لا بالقياس ، وأن الحواس لا تعطى لصاحب المذهب شيء يحتج به .

المفاهيم : يقترب هذا من بعض المفاهيم مثل : بعض سمات الشخصية مثل الميل إلى اللهو والمرح والعبث . ومقاومة ذلك عن طريق التذكر ، واليقظة Vigilance ، وكذلك مفاهيم الإحساس Senstation ، والاستدلال Reasoning (ص ١٠٥ - ١٠٧) .

الفصل السابع عشر : فى الاكتساب والاقتناء والإنفاق . فالاكتساب له طرفان أو حدان هما : الإفراط والتقصير ، وكلاهما غير مرغوب وضار . ويقصد به المقدار الموازى لمقدار الإنفاق وزيادة فضله تقتنى وتدخر للنوائب والحوادث المانعة من الاكتساب . أما الاقتناء والادخار فهو أحد الأسباب الاضطرارية فى حسن العيش ، وينبغى الاعتدال فيه مثل الاكتساب. فالتقصير فى أى منهما يؤدى إلى عدمه مع الحاجة إليه ، والإفراط يؤدى إلى دوام الكد والتعب أما الاعتدلال فى الاقتناء هو أن يكون لدى الإنسان من المقتنيات بمقدار ما يقيم به حالته. أما الإنفاق فينبغى أن يكون أقل من مقدار الاكتساب .

المفاهيم : مفهوم الحاجة Need ، ومفهوم الدافع Motive ، ومفهـوم الشعور بـالأمن Feeling of Security . (ص ١٠٩ - ١١٢) .

الفصل الثامن عشر : فى طلب الرتب والمنازل الدنيوية . ويتلخص فى أن الفرد فـى حاجة مستمرة إلى التغيير والتنقل من الحالة التى يوجد عليهـا ، ويتـم ذلـك مـن خـلال الجهد والحمل على النفس وإجهادها فىالطلب . والعقل هو الـذى يختـار ويرى ويؤثـر الشىء الأفضل عند العواقب . أما الهوى فإنه بالضد من هذا المعنى ، حيث يتم الاختيار ودون النظر فيهما يأتى من عواقب . ولذا ينصح باتباع العقل دائماً والبعـد عـن الهـوى فى تقدير الرتب والمنازل .

المفاهيم : يقترب هذا الفصل من ارتقاء الدوافع والحاجـات Development of need & Motives ، أو مايسميه البعض بالتدرج لارتقاء الحاجات . (ص ١١٣ - ١١٨) .

الفصل التاسع عشر : فى السيرة الفاضلة . ويدور حول أن الإنسـان إذا لـزم العـدل والعفـة وأقـل مـن مجادلـة النـاس سـلم منهـم . وإذا أضـاف إلى ذلـك الإفضـال عليهـم والنصيحة والرحمة لهم أوتى منهم المحبة . وهاتان الخصلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة.

المفاهيم : يقترب من مفهوم القيم الأخلاقية Moral Values ، والتفاعل بـين الأفـراد. (ص ١١٩ - ١٢٠) .

الفصل العشرون : فى الخوف من الموت . ويحاول فيـه إقنـاع مـن يعتقـد أن النفـس تفسد بفساد الجسد . ويبين أنه ليـس للخـوف مـن المـوت - علـى رأى مـن لـم يجعـل للإنسان حالة وعاقبة يصير إليها بعد موته - وجه . كما يجب أيضاً فى الرأى الآخـر - وهو الذى يجعل لمن مات حالة وعاقبة يصير إليها بعدالمـوت - أن لا يخـاف مـن المـوت الإنسان الخير الفاضل المكمل لأداء مافرضت عليه الشريعة المحققة لأنها قد وعدته بالفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم .

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب فى مجال علم النفس العام والإرشاد النفسى .

فخر الدين الرازى : شرح الإشارات [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يتكون الكتاب من جزأين ، يعرض المؤلف فيهما لشرح كتاب الإشارات والتنبيهات للشيخ الرئيس ابن سينا . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالى : –

الجزء الأول :

ويقع فى ٢٤٣ صفحة من القطع الكبير . ويتكون من خمسة أنماط يشتمل كل منها على مجموعة من المسائل ، التى تتكون بدورها من مجموعة من الفصول. وفى كل فصل من هذه الفصول يقوم المؤلف بشرح بعض الإشارات والتنبيهات ، وذلك كما يلى :–

الفصل الأول : فى تجوهر الأجسام :

ويشتمل على اثنتى عشرة مسألة قام المؤلف بشرح ما تشتمل عليه كل منها من إشارات وتنبيهات . المسألة الأولى : فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ ، والثانية : فى بعض تفاريع نفى الجزء ، والثالثة فى إثبات الهيولى ، والرابعة : فى أن الهيولى قابلة للمقادير المختلفة ، والخامسة : فى استحالة خلو الصورة الجسمية عن الهيولى ، والسادسة : فى استحالة خلو الهيولى عن الجسمية ، والسابعة : فى استحالة خلو الهيولى عن الصورة النوعية ، والثامنة : فى كيفية تعلق كل واحدة من الهيولى والصورة بالأخرى ، والتاسعة فى أحكام المقادير ، والعاشرة فى امتناع تداخل المقادير ، والحادية عشر فى امتناع الخلاء ، والثانية عشرة : فى إثبات الجهة . وقد ارتبط شرح الإشارات والتنبيهات التى وردت فى كل مسألة من المسائل السابقة ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : بنية الجسم (ص ٥ – ٦٩) ، والوهم (ص ٧) ، والرأى (ص ٧) ، والصورة العقلية (ص ٣٩ – ٦٨) .

النمط الثانى : فى الجهات وأجسامها الأول والثانى :

والكلام فى هذا النمط على قسمين أحدهما الكلام على الأفلاك والثانى الكلام على العناصر والقسم الأول الكلام على الأفلاك فيه سبع مسائل ، الأولى فى أن الجهات لا تتحدد إلا بجسم كبرى ، والثانية فى أن الجسم المحدد للجهات لا تصح علبه الحركة المستقيمة ، والثالثة فى بيان أن المحدد هو الفلك الأعظم أو غيره ، والرابعة فى شرح أمور تعم الأجسام كلها ، والخامسة فى أن الجسم المحدد للجهات متحرك على

(١) فخر الدين الرازى ط ١ – (القاهرة) : السيد عمر حسين الخشاب ، (١٣٢٥ هـ). ٢ مج .

الاستدارة، والسادسة فى كيفية الحركة المستديرة للفلك المحدد ، والسابعة فى امتناع الكون والفساد على الفلك . أما القسم الثانى من الكلام فى الأجسام العنصرية ففيه ثمان مسائل ، الأولى فى عدد الأسطقسات، والثانية فى سبب ترتيب العناصر فى أمكنتها ، والثالثة فى بيان جواز الكون والفساد علىالعناصر الأربعة ، والرابعة فى أن الأسطقسات والأركان ليست إلا الأربعة المذكورة ، والخامسة فى كيفية تولد المركبات عن هذه الأربعة ، والسادسة فى إثبات الاستحالة ، والسابعة فى أحكام النار ، والثامنة فى ذكر حكمة الله تعالى فى خلق العناصر . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية : منها إدراك الحركة (ص ٦٩ - ٩٦) .

النمط الثالث : فى النفس الأرضية والسمائية :

والكلام فى هذا االنمط على أقسام ثلاثة ويشتمل كل قسم على مسائل . القسم الأول : فى بيان النفس ليست عبارة عن البدن ولا عن المزاج وأنها واحدة ، وفيه ثلاث مسائل : الأولى فى بيان أنها ليست عبارة عن هذا البدن ، والثانية فى بيان أن النفس ليس بمزاج ، والثالثة فى وحدة النفس وكيفية تأثر البدن عنها . أما القسم (فى أحكام الإدراك) ففيه ثمان مسائل : الأولى فى ماهية الإدراك ،والثانية فى بيان درجات الإدراكات فى التجرد ، والثالثة فى الحواس الباطنة ، والرابعة فى درجات النفس الإنسانية ، والخامسة فى الفرق بين الحدس والفكر ، والسادسة فى إثبات القوة القدسية، والسابعة فى أن النفس الناطقة ليست بجسم ولا بجسمانى ، والثامنة فى أن كل مجرد فهو عقل وعاقل ومعقول . أما القسم الثالث (فى أحكام القوة المحركة من قوى النفس) ففيه أربع مسائل : الأولى فى أقسام القوى النباتية ، والثانية فى القوى المحركة الاختيارية ، والثالثة فى أن الفلك متحرك بالإرادة ، والرابعة فى إثبات النفوس الفلكية . ويرتبط مضمون الجزء السابق بمجموعة من المفاهيم السيكولوجية هى : النفس (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، وبنية الجسم (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والمزاج Temperament (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والإحساس (الحواس) (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، واللذة (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والعلاقة بين النفس والجسم (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والصور العقلية (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والتجريد (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والإرادة (ص ١٢٠ - ١٨٩) .

النمط الرابع : فى الوجود وعلله :

ويشتمل على ثمان مسائل . الأولى فى الرد على من زعم أن مالا يكون محسوساً لا يكون معلوماً ولا متصوراً . والثانية فى تفصيل القول فى العلل الأربعة التى هى العلة المادية والصورة والفاعلية والغائية . والثالثة فى إثبات واجب الوجود . والرابعة فى

وحدة واجب الوجود . والخامسة فى تنزيه واجب الوجود تعالى عن الكثرة . والسادسة فى نفى الضد والند عنه تعالى ، والسابعة فى أنه تعالى عالم بالأشياء . والثامنة فى أن الطريق االذى سلكه الشيخ ابن سينا فى هذا الكتاب فى معرفة ذات الله تعالى أجل من سائر الطرق . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : مفهوم العلية Causality (ص ١٨٩ - ٢١٤) ، والإحساس (ص ١٨٩ - ٢١٤) .

النمط الخامس : فى الصنع والإبداع :

ويشتمل على عشر مسائل : الأولى فى أن علة الحاجة إلى المؤثر هى الإمكان وأن الشيء حال بقائه لا يستغنى عن السبب . والثانية فى أن كل حادث مسبوق بزمان . والثالثة فى بيان أن الزمان هو مقدار الحركة . والرابعة فىأن كل محدث مسبوق بمادة . والخامسة فى أن كل ممكن محدث بالذات ، والسادسة فى أن العلة متى كانت مستجمعة جميع الأمور المعتبرة فى عليتها فإنه يستحيل تخلف المعلول عنها . والسابعة فى تفسير لفظ الإبداع . والثامنة فى أن أحد طرفى الممكن لا يترجح على الآخر إلا بعلة وأن حصوله واجب عند حصول العلة . والتاسعة فى أن الواحد حقاً لا يصدر عنه إلا المعلول الواحد . والعاشرة فى مذاهب أهل العلم فى إمكان العلم وحدوثه . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية أهمها مفهوم الإبداع Creativity (ص ٢١٤ - ٢٤٣) .

الجزء الثانى :

ويقع فى ١٤٦ صفحة من القطع الكبير . ويتكون من خمسة أنماط يشتمل كل منها على مجموعة من المسائل ، التى تتكون بدورها من مجموعة من الفصول . وفى كل فصل من هذه الفصول يقوم المؤلف بشرح بعض الإشارات والتنبيهات ، وذلك كما يلى :-

النمط السادس : فى الغايات ومباديها وفى الترتيب :

بدأ المؤلف بتوضيح أن غاية الشيء ما إليه يتحرك ومتى وصل إليه وقف ، أما المبدأ فهو المؤثر . ثم بين أن هذا النمط يشتمل على ثلاث مسائل : الأولى فىأن كل من فعل بالقصد والاختيار فإنه لابد وأن يكون مستكملاً . والثانية فى الطرق الدالة على إثبات العقول المجردة . والثالثة فى بيان كيفية ترتيب الوجود . ويرتبط مضمون هذا الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : المقصد السلوكى Intention (ص٣٦- ٥٦)، والرغبة Desire (ص ٣٦ - ٥٦) والانفعالات (٣٦ - ٥٦) ، وبنية الجسم (ص٣٦-٥٦) ، والعقل (ص ٣٦ - ٥٦) ، والعلية (ص ٣٦ - ٥٦) .

النمط السابع : فى التجريد :

وفيه ثمان مسائل : الأولى فى كيفية مراتب الموجودات . والثانية فى أن النفس الناطقة غنية فى ذاتها وفى تعقلاتها عن هذا البدل. والثالثة فى الاتحاد وتعاريفه . والرابعة فى أحكام العقلات وأحكامها . والخامسة فى كيفية علم الله بذاته وبالكليات. والسادسة فى كيفية علم الله تعالى بالجزئيات . والسابعة فى شرح عنايته تعالى . والثامنة فى كيفية دخول الشر فى القضاء الإلهى . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : التجريد Abstraction (ص ٥٦ - ٨٥) ، النفس (ص٥٦-٨٥) ، وبنية الجسم (ص ٥٦ - ٨٥) ، والصور العقلية (ص ٥٦ - ٨٥) ، والعقل (ص ٥٦ - ٨٥) ، والانفعالات (ص ٥٦ - ٨٥) ، والاعتقادات الخاطئة (ص ٨٢) .

النمط الثامن : فى البهجة والسعادة :

وفيه مجموعة من المسائل : الأولى فى أن اللذات الباطنة أقوى وأشرف من اللذات الحسية . والثانية فى بيان ماهية اللذة . والثالثة فى إثبات اللذة العقلية . والرابعة فى كيفية مراتب الموجودات المجردة فى الابتهاج واللذة . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : الانفعالات (الابتهاج والسرور ...الخ) (ص٨٦-١٠٠) ، والنفس (ص ٨٦ - ١٠٠) ، الإدراك الحسى (٦٨ - ١٠٠) ، وبنية الجسم (ص ٨٦ - ١٠٠) ، والعلاقة بين النفس والجسم (ص ٨٦ - ١٠٠) ، واللذة (ص ٨٦ - ١٠٠) ، والمحبة Liking (ص ٩٩ - ١٠٠) .

النمط التاسع : فى مقامات العارفين :

وهو مرتب على ثلاثة أقسام . القسم الأول فى كليات هذا الباب ، ويشتمل على بخمس مسائل هى : الأولى فى بيان فضيلة العارفين على الإجمالى .والثانية فى بيان ماهية الزهدوالعابد والعارف . والثالثة فى غرض العارف من الزهد والعبادة .والرابعة فى أنه لابد من وجود النبى . والخامسة فى أن العارف يريد الله لله تعالى لا لشىء غيره. أما القسم الثانى ، فهو فى كيفية درجات العارفين . بينما يتناول القسم الثالث شرح أحوالهم . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هى : العقل (ص١٠٠-١٢٤) ، والإدراك الحسى (ص ١٠٠ - ١٢٤) .

النمط العاشر : فى أسرار الآيات :

والغرض من هذا النمط هو ذكر أسباب الخوارق فى أمور أربعة هى المسائل التى

يتكون منها هذا النمط. فالمسألة الأولى فى سبب التمكن من ترك الغـذاء مـدة مديـدة . والثانية فى سبب التمكن من الأفعال الشاقة . والثالثة فى سبب التمكن من الأخبار عـن الغيوب . والرابعة فى سبب التمكن من التصرف فى العنـاصر . ويرتبـط مضمـون هـذا الجـزء ببعـض المفـاهيم السـيكولوجية هـى : الانفعـالات Emotions (ص١٢٤-١٤٦)، والنفـس (ص١٢٤-١٤٦) ، والعقـل (ص ١٢٤ - ١٤٦) ، والرغبـة (ص١٢٤-١٤٦) .

فخر الدين الرازى : عجائب القرآن [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يقع الكتاب فى ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط ويضم سبعة فصول وفهرساً لموضوعات الكتاب .

والفصل الأول فى الكتاب عن أسرار كلمة لا إله إلا الله .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ وقد قدم الله تعالى الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار لأن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول ، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع والأصل يجب تقديمه على الفرع (ص ٧) .

وهناك وجوه كثيرة لإثبات ذلك وتأكيده كلها مستمدة من آيات الذكر الحكيم (ص ٨ – ١٥) . ومن خلال الوجه الأول للبرهنة على ذلك يقدم المؤلف كلاماً حول نمو الإنسان وتطور خلقه قبل الولادة ثم بعدها حتى يصل إلى أشرف المراتب ، وهو كلام نجد له صدى لدى المهتمين بعلم النفس الارتقائى (ص ٩) .

يرى المؤلف فى ثنايا براهينه التي يقدمها أن الترتيب الحسن المفيد فى التعليم أن يقع الابتداء فى التعليم من الأظهر مرتقياً إلى الأخص فالأخص ؛ وذلك أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ **اعبدوا ربكم الذى خلقكم** ﴾ فجعل استدلال كل عامل بنفسه مقدماً على جميع الاستدلالات لأن اطلاع كل واحد على أحوال نفسه أتم من اطلاعه على أحوال غيره ، فسيجد بالضرورة من نفسه أنه يكون مريضاً ، وتارة يكون صحيحاً ، وتارة ملتذاً ، وتارة متألماً ، وتارة شاباً ، وتارة شيخاً .

ونجد فى ذلك مقدمات مهمة لدى علماء النفس مثل : صياغة بعض مبادىء التعلم وتحقيقها فى ميدان التعليم أو التربية Education كذلك صورة الذات معرفة الفرد بنفسه وأحواله (ص ١٠ – ١١) .

الفصل الثانى من فصول الكتاب فى فوائد كلمة لا إله إلا الله ، ولها فضائل عديدة:

الفضيلة الأولى منها : أن هذا الذكر أفضل الأذكار لذا فزع إليه العدو لما جاءته المحنة (فرعون عند الغرق) والولى لما جاءته المحنة فزع إليه (يونس والحوت) (ص٣٢).

---

(١) فخر الدين بن عمر بن الحسين الرازى. ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٤.

والفضيلة الثانيــة لهـذه الكلمـة أن اللـه تعـالى أمرنـا بطاعـات كثيرة ، مـن الصـلاة والصيام والحج ويستحيل أن يوافقنا الله فى شىء منها ثم أمرنا أن نقول : لا إله إلا الله ثم إن الله يوفقنا فيها فقال : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ (آل عمران : ١٨).

وبالتالى كان لابد لنا من المواظبة عليها طوال العمـر حتـى نفـوز بالنجـاة والسـلامة (ص ٣٤ - ٣٥) .

الفضيلة الثالثة لهذه الكلمة : أن كل طاعة يصعد بها الملك ، أما قول لا إله إلا اللـه فإنه يصعد بنفسه .

والفضيلة الرابعة أن يوم القيامه يتجلى نور كلمة لا إلـه إلا اللـه فينمحـق فـى ذلـك النور نور الشمس والقمر لأن تلـك الأنـوار مجازيـة ونـور لا إلـه إلا اللـه ذاتـى واجـب الوجود لذاته والمجاز يبطل فى مقابلة الحقيقة (ص ٣٧) .

والفضيلة الخامسة أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحـج ، فإن التكاليف الظاهرة تزول فى عالم الغيب ، أمـا طاعـة التهليـل والتحميـد فـلا تـزول عنهم . وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد تدل على المواظبة على الذكر والتوحيد (ص ٣٨) .

والفضيلة السادسة ماروى فى الآثار أنه قـال : إذا قـال العبـد : لا إلـه إلا اللـه فإنـه تعالى يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الأرض (ص ٣٨) .

والفضيلة السابعة أن الله لا يعذب فىالنار من قال : لا إله إلا الله (ص ٣٩) .

والفضيلة الثامنة : إذا كان آخر الزمان فليس لشىء من الطاعـات فضـل كفضـل لا إله إلا الله (ص ٣٩) .

والفضيلة التاسعة الأحاديث الكثيرة التى وردت فى فضل هذه الكلمة .

الفصل الثالـث : فى أسماء كلمة التوحيد :

الأول : كلمة التوحيد وذلك لأنها تدل على نفى الشرك على الإطلاق وهـى سـبب لعمارة العالم وعمارة القلب الذى هو محل الوحدانية ولعمارة اللسان الذى هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله عن أهل التوحيد (ص ٤٤ - ٤٥) . والاسم الثـانى أن هذه الكلمة تسمى كلمة الإخلاص . ولاشك أن كل من أتى بفعل اختيـارى فلابـد له فى ذلك الفعل من غرض ، فمتى كان الغرض فـى الفعـل واحـداً سـمى هـذا الفعـل إخلاصاً (ص ٤٥) .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك وتحت هذا الاسم عن الباعث على الفعل ويـرى أنـه إمـا

أن يكون روحانياً فقط وهو الإخلاص أو شيطانياً فقط وهو الرياء أو مركباً منهما وهو ثلاثة أأقسام : إما متساويان أو يكون الروحانى أقوى أو النفسانى أقوى .

والحديث عن الباعث على الفعل يشابه حديث علماء النفس عن دوافع Motives أو حوافز السلوك Incentives وتمييزهم بينها ونظرياتهم فيها وذلك فى علم النفس العام (ص٤٦) .

الاسم الثالث لهذه الكلمة " كلمة الإحسان " ويدل على صحة هذه التسمية القرآن والخبر والمعقول ، ومن القرآن ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ ومن الخبر ما رواه أبو موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسل : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " للذين قالوا : لا إله إلا الله الحسنى وهى الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجهه الكريم . وأما المعقول فهو أنه كلما كان الفعل حسناً كان فاعله أكثر إحساناً ولا شك أن أحسن الأذكار لا إله إلا الله وأحسن المعارف لاإله إلا الله (ص٤٨-٥٠).

الاسم الرابع دعوة الحق ، ودعوة الحق تارة تكون من الحق للخلق إلى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الحق (ص ٥٠ - ٥١) .

والاسم الخامس " كلمة العدل " ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ ويقدم المؤلف وجوه للتدليل على سبب هذه التسمية والأول منها أن العدل فى كل شيء : تحصيل ماهو سبب اعتداله وكمال حاله . ومن المعلوم أن كمال القوى الحساسة فى إدراك المحسوسات وكمال القوى الشهوانية فى طلب الأشياء النافعة الجسمانية وكمال القوى الغضبية فى دفع الأشياء الجسمانية المنافية . وأما القوى العقلية وكمال حالها وغاية سعادتها فبأن ترسم فيها صور الحقائق وأشباهه المعقولات كما هى حتى تصير القوى العقلية كالمرآة التى تتجلى فيها صور الوجود بتمامها .

ونرى فيما سبق من حديث تقسيم لقوى النفس ووظائفها وكلها مقابلات لما يدرس فى علم النفس الآن كالإحساس Sensation والإدراك الحسى Sensory Perception، والدوافع خاصة الدوافع الفطرية ، والانفعالات Emotions (خاصة انفعال الغضب) والذكاء والتفكير والعمليات المعرفية وكلها من موضوعات علم النفس العام (ص٥٢-٥٣) .

والاسم السادس " الطيب من القول " قال الله تعالى فى سورة الحج : ﴿ **وهدوا إلى الطيب من القول** ﴾ وأى كلمة توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة (ص ٥٤) .

والاسم السابع " الكلمة الطيبة " قال تعالى : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء** ﴾ (ص ٥٥) .

والاسم الثامن : " القـول الثـابت " قـال الله تعـالى : ﴿ **يثبـت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ (ص ٥٨) .

والاسم التاسع " كلمة التقوى " (ص ٥٩) .

والاسم العاشر " الكلمة الباقية " (ص ٦٠) ، والاسم الحـادى عشـر " كلمـة اللـه العليـا " (ص ٦١) ، والاسـم الثـانى عشـر " المثـل الأعلـى " (ص ٨٢) ، والاسـم الثالث عشر " كلمـة سـواء " ، والاسـم الرابـع عشـر " كلمـة النجـاة " (ص ٦٣) ، والاسم الخامس عشر " العهد " (ص ٦٥) ، والاسم السادس عشر " كلمة الاستقامة" (ص ٦٧) ، والاسم السابع عشـر " مقـاليد السـماء والأرض " (ص ٦٨)، والاسـم الثامن عشر " السديد " والاسم التاسع عشر " البر " (ص ٦٣) ، والاسم العشرون " الديـن " ، والاسـم الحـادى والعشـرون " الصـراط " (ص ٧٠) ، والاسـم الثـانى والعشرون " كلمة الحق " ، والاسم الثالث والعشرون " العروة الوثقـى " (ص ٧١) ، والاسم الرابع والعشرون " كلمة الصدق " (ص ٧٢) . فهذا جملة الكـلام فـى لا إلـه إلا الله .

الفصل الرابع فى الأشياء التى شبه الله تعالى بها كلمة التوحيد :

والأول : هو النار فاللـه تعـالى شـبه الإيمـان بالنـار ﴿**مثلهـم كمثـل الـذى اسـتوقد ناراً**﴾.

والثانى : النور ، فالله شبه الإيمان بالنور فقال تعالى : ﴿ **مثـل نـور** ﴾ وعلـى ذلـك أدلة كثيرة من آيات الذكر الحكيم (ص ٧٣) . ويستمر المؤلف بعد ذلك فـى تفسـير هذه الاية والمقارنة بين الشمس وبـين المعرفـة ويقـدم لذلـك وجوهـاً كثـيرة ص ٧٤ – ٨٢) .

والنوع الثالث : التراب : فمن الأمور التى شبه الله تعالى الإيمان بها " التراب " قـال تعالى : ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه** ﴾ ، ووجه المشابهة أن الـتراب ذو أمانـة من أودع فيه شيئاً سلم إليه أضعافاً ، وكذا المؤمن إذا عمل عملاً سلم إليه أضعاف ذلك العمل يوم القيامة (ص ٨٢ – ٨٣) .

والنوع الرابع : الماء : من الأشياء التى شبه الله تعالى بها الإيمان والقرآن : الماء فقال تعالى : ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبـداً رابيـاً ... إلى آخر الآية** ﴾ [سورة الرعد : ١٧] .

وإذا كان الماء يزيل النجاسة عن الثوب فكذلك الإيمان يزيل نجاسة الفكـر وإذا كـان الله سمى الماء المنزل من السماء رحمة فقد سمى القرآن رحمة ، والماء مباركاً ، والقـرآن

مباركاً . وإذا كان الماء شفاء للنفوس فالقرآن شفاء للقلوب (ص ٨٣ - ٨٦) .

والنوع الخامس : الحبل : من الأشياء التى شبه الله بها الإيمان الحبل قال الله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً** ﴾ وهناك وجوه للمشابهة منها أن التمسك بالحبل يحمى من الانزلاق لمن يريد الصعود إلى أعلى وكذلك الإيمان (ص ٨٦ - ٨٧) .

والنوع السادس : شجرة الزيتون ، قال تعالى : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** ﴾ وذلك لأن هذه الشجرة تنبت فى الأمكنة المطهرة وكذلك المعرفة لا تستقر إلا فى القلوب المطهرة (ص ٨٧) .

ويختم المؤلف هذا الفصل بحديث عن تكريم المؤمنين ويذكر أن الله وعد المؤمنين بعشر كرامات وهى المغفرة ، والأمن ، والهداية ، والزيادة ، والفلاح ، والثبات ، والشفاعة ، وإصلاح الأعمال ، والبشرى ، وكلام الله تعالى ورؤيته يوم القيامة (ص٨٧-٨٨) .

والفصل الخامس : فى شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا إله إلا الله ، وهى وجوه :

ويبدأ المؤلف فى تقسيم كلامه هنا إلى بحوث ، ويناقش فى البحث الأول الخلاف مع النحويين حول كلمة لا إله إلا الله ويفند ادعاءاتهم ، ويبدأ بتفنيد قولهم بوجود حذف وإضمار فى لا إله إلا الله .

والبحث الثانى : فى قولهم إن قولنا لا إله إلا الله ارتفع لأنه بدل من موضع " لا " مع الاسم .

والبحث الثالث : فى اتفاق النحويين على أن محل " إلا " فى هذه الكلمة محل "غير" أى لا إله غير الله .

وفى البحث الرابع : يناقش قول جماعة من الأصوليين الاستثناء من النفى لا يكون إثباتاً. ويستمر فى مناقشة هذه القضايا النحوية الجدلية فى البحوث الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر (ص ٨٩ - ١٠٠) .

والفصل السادس : فى فضل المؤمن ، فالله سمى المؤمنين ثالث نفسه فى عشرة مواضع:

والمقام الأول وهو فى المراقبة ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ (ص ١٠١) والمقام الثانى : الولاية فقال تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ . والمقام الثالث : الموالاة : قال تعالى : ﴿ **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين** ﴾ . والمقام الرابع : الصلاة قال الله تعالى : ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا**

تسليما﴾ . فجعل المؤمنين ثالث نفسه فى الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام (ص١٠٥) . والمقام الخامس : العزة ، قال الله تعالى : ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ (ص ١٠٦) . والمقام السادس : الطاعة ، قال الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (ص ١٠٨) . والمقام السابع : المشاقة ، قال الله تعالى : ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين**﴾ (ص ١٠٨). والمقام الثامن : فى الأذى ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ فالله نهى عن إيذاء المؤمنين كما نهى عن إيذاء نفسه وإيذاء رسوله ﷺ (ص ١٠٩) . والمقام التاسع : الالتجاء، قال الله تعالى : ﴿ **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** ﴾ (ص ١١٠) . والمقام العاشر : فى الشهادة على التوحيد (ص١١١).

والفصل السابع فى الأحكام الفقهية المتفرعة على قولنا : لا إله إلا الله .

فالإيمان لابد له من أمرين : أحدهما هو أن الأصل حصول المعرفة بالقلب ، وثانيهما الإقرار باللسان وبالتوحيد . وللإيمان أحكام بعضها يتعلق بالباطن وبعضها بالظاهر ، ومايتعلق بالباطن هو أحكام الآخرة وذلك متفرع عن العلم الذى هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر هو أحكام الدنيا (ص ١١٦) .

وبعد أن فرغ المؤلف من الفصل السابع ، وهو فصل قصير بدأ فى التعرض لبعض الموضوعات المتفرقة ، أحياناً يبدأها بكلمة فصل دون عنوان ، وأحياناً يضع للفصل عنواناً . وأحياناً ثالثة يتعرض لبعض الموضوعات دون أن يسبقها بكلمة فصل أو باب . وأحد هذه الفصول ، يدور حول حديث الرسول ﷺ القائل : "مامن نفس تموت فتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن ، إلا غفر الله له" (ص ١٢٠) . وقوله عليه الصلاة والسلام : " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها قلبه ولسانه ، فتقت له السموات فتقاً ، حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا " (ص ١٢١) .

وفصل آخر يدور حول قول جعفر بن محمد الصادق : عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع : عجبت لمن أعجب بأمر كيف لا يقول : ﴿ **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول : ﴿ **حسبى الله ونعم الوكيل** ﴾

وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول : ﴿وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾، وعجبت لمن أصابه هم أو كرب لا يقول : " لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين " (ص ١٢٣) .

ونجد هنا إشارات إلى مايمكن - إذا استخدمناه - أن يعين فى تحقيق الصحة النفسية Mental Health وتحقيق التوافق النفسى Adjustment والتخلص من المشقة Stress ألا وهو الاستعانة بالقرآن والحديث فى علاج الهموم وكشف الكروب .

فصل ثالث فى أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى ، ولما كان كل ماتتصور النفس فالله بخلافه ، فلم يتمكن العقل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة بأن حقيقة الإله هى هذه الحقيقة .

ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله تعالى : ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، والقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ، ولا إدراك نهاية (ص ١٢٤) .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن طلب الآخرة وترك التزيد من الدنيا فيحثنا على التعهد بأسباب الآخرة ، وتعريض القلب لذلك ، وصيانته من أسباب الدنيا ومن ذكر يجر إلى الحرص والرغبة . ومخرج الحرص والرغبة من الطمع ، وبناء الأنفس على قواعد الطمع . أما الطمع فى الدنيا فيستعمل أداة الطمع فى طلب الزيادة من أعمال الآخرين بالحرص عليها والرغبة فيها (ص ١٢٧) . وقال حكيم إن آلة الطمع وجماع آفاته الشره والحرص ، وهيجان الرغبة ، فعلى أيها أوقعت طمعها أحضرت ذاتها وجمعت آلتها ، وجدت فى طلبها فإذا قهرت صاحبها على موافقة هواها استعبدته ، فأذهلته وأذلته وأدهشته وأتعبته وطيشت عقله ، ودنست عرضه ، وأخلقت مروءته ، وفتنته عن دينه ، وإن كان عالماً لبيباً عاملاً كيساً فطناً مضحياً حكيماً فقيهاً لوثته وأسقطته ، وفضحته ، فاحتمل لها ذلك كله وهو الأريب العالم الأديب ، فصيرته بعد العلم جاهلاً سفيهاً أحمق خفيفاً (ص ١٢٨) .

ونلمح من حديثه عن الطمع ، مشابهاً لبعض مايتحدث عنه علماء النفس المحدثون حيث يشيرون إلى الطمع أو الرجاء باعتبارهما من التنبيهات العقلية أو الذهنية أو النفسية Psychic or Mental or Intellectual Stimuli وهى تنبيهات داخلية ، وهو مايدرس فى علم النفس العام ، كما يشير هذا الحديث عن الحاجات أو الرغبات أو الشهوات وقهرها إلى حديث علماء النفس المحدثين عن الدوافع والحاجات وإشباعها وهو مايدرسه الباحثون فى علم النفس العام أيضاً (ص ١٢٧ - ١٢٩) .

والموضع الثانى الذى يتطرق إليه المؤلف هو الخوف والحزن وينصح بشغل القلب بالهم وإلزامه الفكر فى أمر المعاد ، لأن خراب القلب إنما يكون من الخوف اللازم والحزن الدائم ، وعلى أى حال فالخوف والحزن من الانفعالات Emotions التى أولاها علماء النفس عنايتهم فدرسوها دراسة علمية للإحاطة بكافة جوانبها (ص١٣٠-١٣١).

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك لموضوع آخر وهو مراقبة القلب حيث يروى عن بعض الحكماء أنه قال : إن من أشرف المقامات وأفضلها المراقبة لله ، ومن أحسن المراقبة أن يكون العبد مراقباً بالشكر للنعم والاعتراف بالإساءة ، والتعرض للعفو عن إساءته ، فيكون قلبه لازماً لهذا المقام فى كل أعماله ، فمتى ما غفل رده إلى هذا بإذن الله .

ومن أعمال القلوب التى يزكو بها ، ولا يستغنى عنها : الإخلاص ، والثقة والشكر والتواضع ، والاستسلام ، والنصيحة ، والحب فى الله تعالى ، والبغض فيه ، وهذه الخصال الطيبة من خصال الشخصية التى كانت موضوع عناية علماء النفس باعتبارها سمات Traits إيجابية ، ومن ناحية أخرى باعتبارها من السمات التى تحدد اختيار الأصدقاء . وموضوع الصداقة وسمات الأصدقاء من موضوعات علم النفس الاجتماعى، ومن ناحية ثالثة بها إشارة إلى موضوع الحب وهو من بين الانفعالات التى يعنى بها علماء النفس (ص ١٣٢) .

ويعطف على ذلك موضوعاً آخر هو العدل والفضل ، والعدل عدلان : عدل ظاهر فيما بينك وبين الناس ، وعدل باطن فيما بينك وبين الله ، وطريق العدل الاستقامة ، وطريق الفضل طلب الزيادة (ص ١٣٦) .

وينتقل بنا بعد ذلك إلى الحديث عن التطهير والعمل ، والتطهير هو الانتقال عن الشر إلى الأساس الذى يبنى عليه الخير (ص ١٢٩) . ومن الخصال التى يطلب منها الخير هى الصواب والصدق ، والشكر ، والرجاء (ص ١٤٠ - ١٤٢). والرجاء كما سبقت الإشارة أحد أنواع التنبيهات النفسية التى تنتمى إلى التنبيهات الداخلية كما Internal Stimuli يدرسها علماء النفس المحدثون ، وأخيراً الخوف (ص ١٤٣) . ويزلف المؤلف بنا للحديث عن البلوى والاختبار والدنيا كلها ، كثيرها وقليلها ، حلوها ومرها ، أولها وآخرها وكل شىء من أمرها : بلوى من الله تعالى للعبد واختبار، وبلواها وإن كثرت وتشعبت واختلفت ، فهو كله مجموع فى خلتين : فى الشكر والصبر . فإما أن يشكر على نعمه أو يصبر على مصيبته (ص ١٤٤ - ١٤٥). والبلاء والأحداث الشاقة يمكن أن تدرج فيما يدرسه علماء النفس المحدثون تحت اسم مثيرات المشقة Stressors وأحداث الحياة Life events وعلاقتها بكثير من المتغيرات النفسية .

وفى نهاية هذا الكتاب يعالج المؤلف ثلاثة موضوعات باختصار هى : التوبة وحسن الظن بالنفس (وربما يقابل حسن الظن بالنفس عند علماء النفس الثقة بالنفس Self Confidence وهو من مكونات صورة الفرد عن ذاته Self Image (ص١٥٥-١٥٩). وينتقل إلى المدح والذم ثم يختتم كتابه باليقين والعزة ، واليقين يكون عند العمل والصدق فيه ومشاهدة الثواب والعقاب . ومفهوم الثواب (أو التدعيم والمكافأة) والعقاب من المفاهيم التى شاع استخدامها فى علم النفس خاصة فى موضوع التعلم Learning ونظرياته المختلفة (ص ١٦٧) . وحب العز أصل ومنه مخرج حب الرئاسة والجاه عند الناس (حب الرئاسة أو السيطرة من الدوافع الثانوية التى يهتم بها علماء النفس ص ١٦٧) ومنه الكبر والفخر ومنه الغضب والحسد ومنه الحقد والحمية والعصبية .....

أوجه الاستفادة من الكتاب فى علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب فى مجال علم النفس العام .

المقدسى ؛ ابن قدامة (٥٤١ – ٦٢٩ هـ) : كتاب التوابين [١]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامه بن مقدام بن نصر المقدسى الجماعيلى ثم الدمشقى الصالحى الحنبلى صاحب " المغنى " . مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فى شعبان .

هاجر مع أهل بيته وأقاربه ، وله عشر سنين ، وحفظ القرآن ، ولزم الاشتغال من صغره ، وكتب الخط المليح . وكان من بحور العلم وأذكياء العالم . ورحل هو وابن خالته الحافظ عبد الغنى فى أول سنة إحدى وستين فى طلب العلم إلى بغداد فأدركا نحو أربعين يوماً من حياة الشيخ عبد القادر ، فنزلا عنده بالمدرسة ، واشتغلا عليه تلك الأيام ، وسمعا منه ومن وهبة الله بن الحسن الدقاق ، وأبى الفتح بن البطى ، وأبى زرعه بن طاهر ، وأحمد بن المقرب ، وعلى بن تاج القراء ومعمر بن فاخر ، وأحمد بن محمد الرحبى ، وحيدرة بن عمر العلوى وغيرهم . وسمع بدمشق من أبى المكارم بن هلال ، وعدة وبالموصل خطيبها أبى الفضل الطوسى . وبمكة من المبارك بن الطباخ ، وتوفى سنة عشرين وستمائة .

ومن مصنفاته "المغنى " عشر مجلدات و " الكافى " أربعة ، و " المقنع " مجلداً ، و " العمدة " ، و " القنعة " و " الروضة " ، و " التوابين " ، و " نسب قريش ، و "نسب الأنصار " ، و مختصر الهداية " ، و " القدر " ، و "مسألة العلو " ، و " المتحابين " ، و" الاعتقاد " ، و "البرهان " ، و " ذم التأويل " ، و " فضائل الصحابة " ، وغيرها . ومن مصادر ترجمته " سير أعلام النبلاء "، و " معجم البلدان" ، و " التقييد " ، لابن نقطة و " مرآة الزمان " ، و " تكملة " المنذرى ، و " ذيل الروضتين " لأبى شامة ، و"تاريخ الإسلام " للذهبى ، وغيرها .

عرض الكتاب :

يستعرض المؤلف فى الكتاب أخبار التائبين ، وقصص المنيبين ممن كانوا فى مختلف العصور القديمة والحديثة ، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن االسابع الهجرى

(١) حقق نصوصه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط. – ط ٣ بيروت : دار الإيمان ؛ دارالبيان ؛ ١٩٨٦ ٣٣٥ ص .

الذى كان فيه المؤلف رحمه الله . وافتتحه المؤلف :-

١ - بذكر توبة الملائكة عليهم السلام :-

وسرد قصة هاروت وماروت على أنهما ملكان . وهى ترتبط بموضوع تعاطى المسكرات Alcoholism وآثارها السيئة على القدرات العقلية (ص ١٩ - ٢٣) .

٢ - ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام وتتضمن :-

توبة آدم عليه السلام ، وتوبة نوح عليه السلام ، وتوبة موسى ، وتوبة داوود ، وتوبة سليمان ، وتوبة يونس عليهم السلام .

٣ - ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية :-

وتتضمن توبة طالوت ، وابن ملك من ملوك بنى إسرائيل ، وتوبة صاحب الخورنق، وتوبة النعمان بن امرىء القيس الأكبر ، وامرىء القيس ، وملك من ملوك اليمن ، وملك من ملوك بنى إسرائيل . وتوبة رجل من بنى إسرائيل كان يعبد الأصنام ، وتوبة الملك كنعان عن ظلمه وطغيانه .

٤ - ذكر التوابين من الأمم : -

وتتضمن توبة قوم موسى عليه السلام ، وقوم يونس عليه السلام .

٥ - ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية :-

وتشتمل على توبة أصحاب الفساد . وتوبة الكفل من بنى إسرائيل عن ذنوبه وأخطائه ، توبة العابد والمرأة البغى ، توبة راهب من بنى إسرائيل ، وتوبة ذى الرجل ، وتوبة برج العابد ، وتوبة العبد العاصى ، وتوبة شاب مسرف على نفسه ، وتوبة الخارج من القرية الطاغية ، وتوبة من قتل مائة نفس ، وتوبة لص من بنى إسرائيل ، وتوبة ثلاث بنات من البغايا .

٦ - أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ

ومنهم توبة كعب بن مالك رضى الله عنه ، وتوبة أبى حبشمة ، وتوبة أبى لبابة رضى الله عنه ، وتوبة أبى هريرة عن فتواه فىامرأة زانية ، وتوبة ثعلبة بن عبد الرحمن ، وتوبة مالك الرؤاس ، وتوبة أبى سفيان بن الحارث ، وتوبة عبد الله الزبعرى الشاعى ، وتوبة هبار بن الأسود وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، وأبى حجمة الثقفى ، وطلحة بن خويلد .

٧ - ذكر التوابين من ملوك الأمة :

ومنها التلاع ، توبة أمير وتاجر ، وتوبة ملك من ملوك البصرة وجاريته ، وتوبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهشام بن عبدالملك ، وتوبة الأمير حميد بن جابر ، وإبراهيم بن أدهم ، وتوبة شقيق البلخى ، وعبد الله بن مرزوق ، وجعفر بن حرب ،

وهارون الرشيد ، وابن هارون الرشيد ، وتوبة المأمون ، وموسى بن محمد بن سليمان الهاشمى ، وجعفر البرمكى ، وتوبة جارية من بنات الكبار على يد أبى شعيب الرائى ، وتوبة الواثق بالله .

٨ – ذكر سبب توبة جماعة من الأمة رحمة الله عليهم :

وتتضمن توبة مالك بن دينار عن تعاطى المسكرات وهى ترتبط بموضوع تعاطى المخدرات وآثارها السيئة من هلاوس Hallucinations سمعية أو بصرية (ص٢١٨-٢٢٠) وتوبة داوود الطائى ، والفضيل بن عياض ، وعلى بن الفضيل بن عياض، وبشر بن الحارث الحافى ، وتوبة تاجر من تجار بغداد من الوقيعة فى الناس ، وتوبة أبى عبد ربه ، وتوبة العفى عن تعاطى النبيذ . وهى ترتبط بتعاطى المسكرات (ص٢٣٥-٢٣٧)، وتوبة عكبر الكردى ، وتوبة صدقة بن سليمان الجعفرى ، وتوبة ذى النون المصرى عن اللعب واللهو ، وتوبة سكران ، وتوبة المرتعش ، وتوبة عبد الرحمن العش ، وتوبة أبى الحارث الأولاسى ، وتوبة أبو الفضل محمد بن ناصر السلامى عن اعتقاد المبتدعة ، وتوبة أبى الحسن الهرفانى عن مذهب المتكلمين .

٩ – أخبار جماعة من التوابين :

وتشتمل على توبة مازل بن لاحق ، وتوبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر ، وتوبة شاب عن اللهو واللعب ، وتوبة شاب من الانهماك فى الدنيا ، وتوبة جندى عن الغناء والملاهى ، وتوبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش ، وتوبة امرأة وهى تطوف حول الكعبة ، وتوبة ملهى أهل المدينة عن اللهو على يد والدته ، وتوبة دينار العيار عن المعاصى ،وتوبة رجل عن حب مغنية شغلته عن الله ، وتوبة شاب وامرأته على يد سرى السقطى ، وتوبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خيثم ، وتوبة جار لأحمد بن حنبل ، وتوبة أبى عمر بن علوان عن نظره إلى امرأة، وتوبة فتى شاب وجارية جميلة أحب كل منهما الآخر ، ويقترب ذلك من الحديث عن موضوع الجاذبية الاجتماعية Social attractiveness (ص ٢٨١ - ٢٨٤) وتوبة رجل عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن ، وترتبط بموضوع تعاطى المسكرات (ص٢٨٤-٢٨٦) وتوبة شيخ مهلبى وجاريته عن الشراب والضرب بالعود ، وتوبة أعرابى لسماع آية من القرآن ، وتوبة لبيب العابد عن قتل الحياة ، وتوبة المعتصم ورجوعه عن قتل تميم بن حميل ، وتوبة يوسف بن أسباط على يد شاب كان يعمل نباشاً وتوبة نباشين عن نبش القبور ، وتوبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم ، وتوبة عاصى فى جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار ، وتوبة امرأة عن الغناء ، وتوبة مولاها على يدها .

١٠ – ذكر خبر جماعة من أسلم :

ومنها توبة أبى إسماعيل النصرانى وإسلامه ، وتوبة شاب نصرانى وإسلامه ، وتوبة عابد صنم وإسلامه ، وتوبة مجوسى وإسلامه ، وتوبة طبيب نصرانى وإسلامه .

ويرتبط موضوع هذا الكتاب ، بصفة عامة ، بموضوع الشعور بالذنب وما يسببه من قلق وآلام نفسية وخوف من عذاب الله تعالى ، ويوضح أسلوب العلاج لهذا الشعور بالذنب عن طريق التوبة إلى الله تعالى .

المقدسى ؛ ابن قدامة (ت ٥٤١ – ٦٢٠ هـ) : ذم الموسوسين [١]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٤٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ستة فصول مضمونها حول مايقوم به الشيطان من وسوسة للإنسان فى كل جوانب حياته ، بشكل يجعله يبتعد عن الصراط المستقيم . لذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم من اتباعه، وأمرنا بمخالفته وعداوته واتباع ماجاء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وينهى المحقق الكتاب بتقديم فهرس للآيات القرآنية التى وردت فى المتن ، وفهرس ثان للأحاديث المرفوعة وفهرس ثالث للآثار الموقوفة ، وفهرس رابع وأخير لموضوعات الكتاب. وهو مانعرض له على النحو التالى :-

الفصل الأول : فى النية فى الطهارة والصلاة

ويتلخص فى أن الموسوسين يتشككون دائماً فى نيتهم ، سواء عند قيامهم للوضوء أو للصلاة بشكل يجعلهم يتبعون الشيطان ، ويتركون الصراط المستقيم ، فالنية هى القصد والعزم على فعل الشىء ، ومحلها القلب ، لا تعلق لها باللسان ، وكذلك لم ينقل عن النبى ﷺ ولا أصحابه فى النية لفظ بحال ، ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك ؛ فكل عازم على شىء فهو ناويه ، وكل قاصد لشىء فهو ناويه ، لا يتصور انفكاك ذلك لأنه حقيقتها ، فلا يتصور عدمها فى حال وجودها .

ومن قعد ليتوضأ ، فقد نوى الوضوء ، ومن قام ليصلى فقد نوى الصلاة . ولا يكاد العاقل يفعل شيئاً من عباداته ولا غيرها دون نية .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل النية أو المقصد (١٥ – ١٨) Intention ، والوساوس (١٥ – ١٨) Obsessions والتشكك (١٥ – ١٨) Suspiciousness ،والمرض العقلى (الذهان) (١٥ – ١٨) Psychosis .

الفصل الثانى : فى ترديد كلمات من الفاتحة أو التشهد أو التكبير أو تكرير حرف أو الجمع بين قراءتين ونحو ذلك

ويتلخص فى أن أحد مظاهر الوسوسة التى يعتقد الموسوسون فى جدواها وضرورتها هى التوسوس فى ترديد وتكرير الحروف والكلمات مثل تكرير بعض

---

[١] تحقيق أبى الأشبال الزهيرى حسن بن آل مندوه. ط ١. – القاهرة : الفاروق الحديثة ، مكتبة التوعية الإسلامية [١٩٨٦] .

الكلمات كقولك فى التحيات أت أت التحى ، وفىالسلام أس أس السلام . ومثل تكرير الحرف فىالكلمة بحيث يخرجها عن موضوعها كقوله فى التكبير : أككبر وفى إياك : إياكك . فهذا تكرير الكلمات غير ما فىالقراءة ، وإخراج اللفظ عن موضعه من غير ضرورة . فالظاهر بطلان الصلاة به .

فقد أفضت طاعة الشيطان إلى فساد صلاته ، واللكنة والعى . وربما كان إماماً فأفسد صلاة المأمومين ، وصار إثمهم فى عنقه وصارت الصلاة التى هى أقرب الطاعات، أكثر تبعيداً له من الله تعالى من الكبائر . وما كان من ذلك لا يبطل الصلاة فهو مكروه .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل الوساوس (١٩) Obsessions ، والترديد اللاإرادى للكلمات (١٩) Echolali والقابلية لتشتت الانتباه Distractability (١٩)

الفصل الثالث : فى الإسراف فى ماء الوضوء والغسل

ويتلخص فى اعتقاد الموسوسين فى ضرورة الإكثار من استخدام الماء ، سواء فى الوضوء أو الغسل بصورة مبالغ فيها تصل فىكثير من الأحيان إلى إعادة الوضوء والغسل مراراً وتكراراً ، لتشككهم فى عدم إزالة الجنابة ، وهذا نهى رسول الله ﷺ عنه فقد روى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء ". وهذه سنة النبى ﷺ وأصحابه والأئمة بعدهم ؛ فما فى العدول عنهم فضل ولا لذى دين عنهم رغبة ، فإنهم كانوا علىالصراط المستقيم ، فمن أراد النجاة فليتبعهم يسعد ، ولايفارق طريقتهم يتعد .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٠- ٢٣) Suspiciosness ، والوسواس (٢٠-٢٣) Obsessions ، والقوالب النمطية (٢٠- ٢٣) Stereotypes والتصورات الخاطئة Misconceptions من (٢٠-٢٣) .

الفصل الرابع : فى الزيادات على الغسلات الثلاث

ويتلخص فى اعتقاد الموسوسين أن الغسلات الثلاث لا تكفى للطهارة والنظافة ، ومن ثم يفضل أن يزيد الشخص عنها كيفما يشاء حتى يتأكد من وصوله إلى مستوى الطهارة والنظافة الذى يرضيه ؛ وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله كيف الطهور؟ فوصف له الطهور ثلاثاً ثلاثاً إلى أن قال : هكذا الوضوء فما زاد على هذا فقد أساء وظ' م . وتسمية رسول الله ﷺ الزائد على الثلاث مسيئاً ظالماً يلزم أن لا يكون ممن أحسن وضوءه فلا يدخل فى من له ثواب من أحسن وضوءه . وهو خليق ألا ينال

بركة الوضوء لغلوه فى الدين ومخالفته سنة سيد المرسلين .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٤ - ٢٦) Suspiciousness والوساوس (٢٤ - ٢٦) Obsessions والقوالب النمطية (٢٤-٢٦) Stereotypes والنموذج الاجتماعى (٢٤ - ٢٦) Social model والتصورات الخاطئة (٢٤-٢٦) Misconceptions .

الفصل الخامس : فى الوسوسة من انتقاض الوضوء بخروج خارج منه

ويتلخص فى اعتقاد الموسوسين فى انتقاض الوضوء بخروج أى خارج منه ، وهنا روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " إذا كان أحدكم فى المسجد فوجد ريحاً بين إليتيه فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً " .

وأكثر الفقهاء على أن من كان على طهارة فشك هل أحدث أو لا فهو على يقين الطهارة - وإن غلب على ظنه الحدث - وأنه لا يزول عن يقين إلا بيقين .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٧ - ٢٨) Suspiciousness والوساوس (٢٧ - ٢٨) Obsessions والقوالب النمطية (٢٧ - ٢٨) Stereotypes والتصورات الخاطئة (٢٧ - ٨) Misconceptions .

الفصل السادس : فى أشياء سهل الشرع فيها وشدد هؤلاء فيها

ويتلخص فى تشديد الموسوسين لبعض الأشياء التى سهل الشرع فيها ومن ذلك المشى حافياً والصلاة من غير غسل قدميه . ومن ذلك الصلاة فى الخفين والنعلين .ومن ذلك أن النبى ﷺ كان يصلى حيثما كان . وكان يصلى فى مرابض الغنم ويأمر بذلك. ومن ذلك أن النبى ﷺ كان يلبس الثياب التى نسجها المشركون ويصلى فيها. ومن ذلك أن النبى ﷺ كان يجيب من دعاه فيأكل من طعامه . وأضافه يهودى بخبز شعير . وكان المسلمون يأكلون من طعام أهل الكتاب .

وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى فى الدلالة على مخالفة الموسوسين فى كثير من الأمور التى تشددوا فيها ، على الرغم من تساهل الشرع بخصوصها . وهذا يتنافى مع طاعة الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ .

ومن المفاهيم السيكولوجية التى اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٩ - ٤٢) Suspiciousness والوساوس (٢٩ - ٤٢) Obsessions والنموذج الاجتماعى (٢٩-٤٢) Social model والاقتداء (٢٩-٤٢) Modeling والتصورات الخاطئة (٢٩-٤٢) Misconceptions .





إصدارات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة : المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الوجيز فى إسلامية المعرفة : المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. أعيد طبعه فى المغرب والأردن والجزائر. (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).
- نحو نظام نقدى عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصرى، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- نحو علم الإنسان الإسلامى، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغنى خلف الله، الطبعة الأولى، (دار البشير / عمان الأردن) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- منظمة المؤتمر الإسلامى، للدكتور عبد الله الأحسن، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- تراثنا الفكرى، للشيخ محمد الغزالى، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مدخل إلى إسلامية المعرفة : مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- إصلاح الفكر الإسلامى، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامى / الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوى (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثالثاً - سلسلة قضايا الفكر الإسلامى :

- حجية السنة، للشيخ عبد الغنى عبد الخالق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).

- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية - بقطر)، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية:

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

خامساً - سلسلة أبحاث علمية:

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الأولى (دار الوفاء - القاهرة، مصر)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

سادساً - سلسلة المحاضرات:

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة:

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، (مترجماً عن الانجليزية)، للدكتور محمد معين صديقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى، للأستاذ أحمد الريسونى، الطبعة الأولى، دار الأمان - المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الدار العالمية للكتاب الإسلامى - الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الخطاب العربى المعاصر: قراءة نقدية فى مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨-١٩٨٧)، للأستاذ فادى إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة فى ضوء المنظور الحضارى الإسلامى، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

تاسعاً - سلسلة الأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادى لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الفكر التربوى الإسلامى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الكشاف الموضوعى لأحاديث صحيح البخارى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- قائمة مختارة حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

في شمال أمريكا :

المكتب العربي المتحد
United Arab Bureau
P.O Box 4059
Alexandria, VA 22303, U.S.A.
Tel: (703) 329-6333
Fax: (703) 329-8052

خدمات الكتاب الإسلامى
Islamic Book Service
10900 W. Washington St.
Indianapolis, IN 46231 U.A.S.
Tel: (317) 839-9248
Fax: (317) 839-2511

في أوربا :

المؤسسة الإسلامية
The Islamic Foundation
Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane
Markfield, LeicesterLE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944 / 45
Fax: (44-530) 244-946

خدمات الإعلام الإسلامى
Muslim Information Services
233 Seven Sister Rd.
London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170
Fax: (44-71) 272-3214

المملكة العربية السعودية :

الدار العالمية للكتاب الإسلامى
ص.ب : ٥٥١٩٥ الرياض : ١١٥٣٤
تليفون: 1-465-0818 (966)
فاكس: 1-463-3489 (966)

المملكة الأردنية الهاشمية :

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
ص.ب : ٩٤٨٩ - عمان
تليفون: 6-639992 (962)
فاكس: 6-611420 (962)

لبنان :

المكتب العربي المتحد
ص.ب : 135888 بيروت
تليفون: 807779
تيلكس: 21665 LE

المغرب :

دار الأمان للنشر والتوزيع
4 زنقة المأمونية
الرباط
تليفون: 723276 (212-7)

مصر :

النهار للطبع والنشر والتوزيع
٧ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة
تليفون: 3913688 (202)
فاكس: 340-9520 (202)

الهند :

Genuine Publications & Meia (Pvt.) Ltd.
P.O. Box 9725 Jamia Nager
New Delhi 100 025 India
Tel: (91-11) 630-989
Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

أغفل مؤرخو علم النفس الغربيين الإشارة إلى إسهام علماء النفس المسلمين فى تطور علم النفس وتقدمه ، وما وصلوا إليه من آراء ونظريات لم يسبقهم إليها أحد من العلماء قبلهم .و يرجع ذلك الإغفال إلى جهلهم بتراث المسلمين العلمى ، و بما يحتوى عليه من آراء ومفاهيم ونظريات نفسية ، ولعل مسئولية ذلك انما ترجع إلى عدم اهتمام علماء النفس المحدثين بدراسة تراثنا العلمى و التعريف به .

وتأتى هذه الموسوعة – ذات المجلدات الثلاث – لتبرز الدور الهام الذى قام به علماء النفس المسلمون فى تطور علم النفس و توضح القيمة العلمية لما قدموه من آراء حول بعض موضوعات علم النفس ، فتمكن الباحثين المعاصرين من الإحاطه بموضوعات التراث العربى الإسلامى كخطوة لتأصيل هوية عربية إسلامية لعلم النفس المعاصر .

وتتناول الموسوعة بالشرح و التفصيل عرض و تكشيف ٣٠٠ كتاب ومخطوط من أمهات الكتب فى التراث العربى الإسلامى والمتضمنة مفاهيم ومصطلحات ونظريات وآراء نفسية .

والموسوعة تسهم فى ملء ثغرة كبيرة افتقدها التأريخ الموضوعى لعلم النفس وتبرز الدور العلمى للعلماء والمفكرين العرب و المسلمين فى مجال الدراسات و النظريات النفسية.

